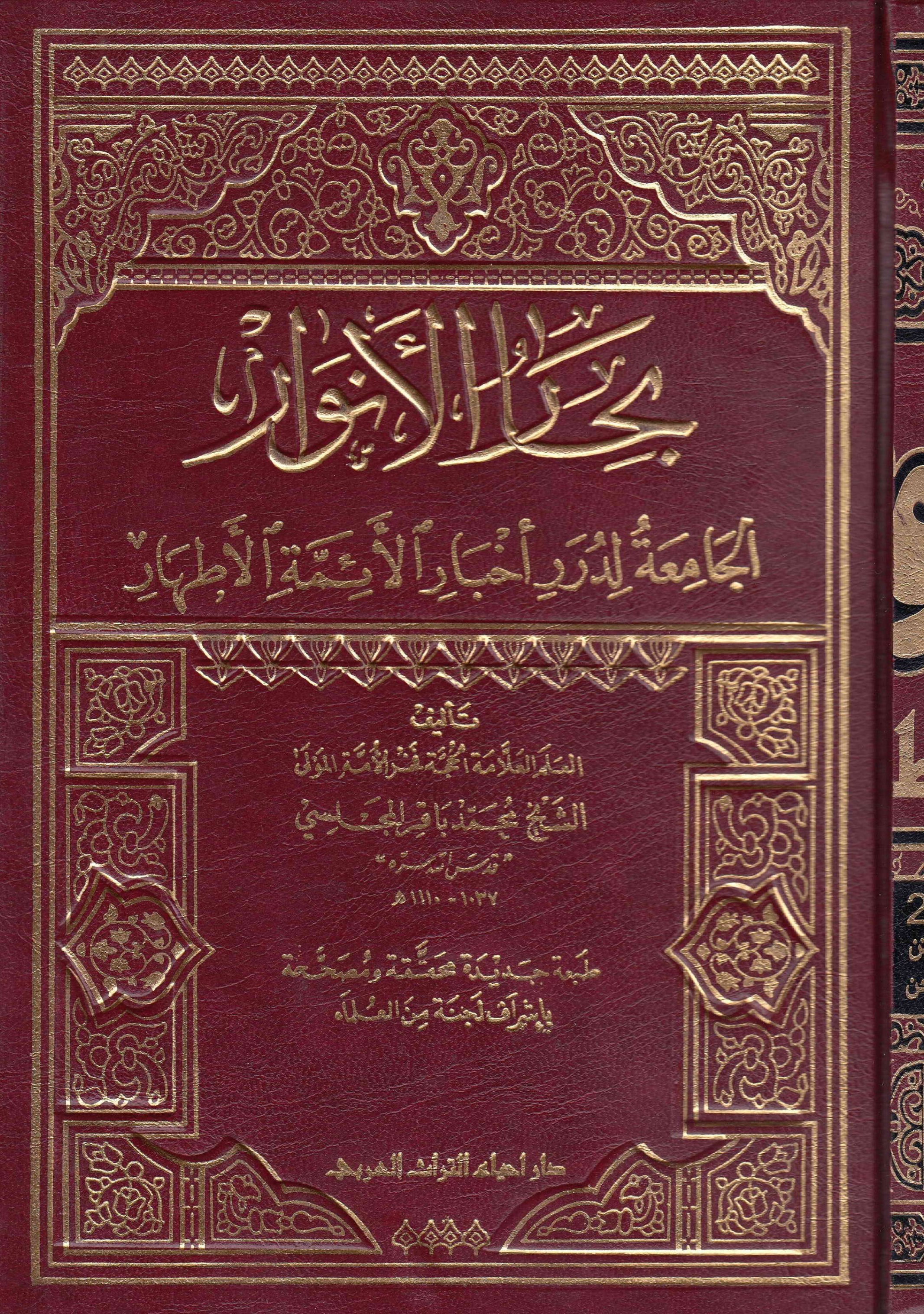


بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار
تأليف
العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي
"قدس الله سره"
١٠٣٧ - ١١١٠ هـ
طبعة جديدة محققة ومصححة
بإشراف لجنة من العلماء
دار احياء التراث العربي
29
الفتن والمحن


بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي

« قدس الله سره »

الجزء التاسع والعشرون



دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

العنوان الجديد

بيروت - طريق المطار - خلف غولدن بلازا - هاتف ٠١/٥٤٠٠٠٠ - ٠١/٤٥٥٥٥٩ - فاكس ٨٥٠٧١٧ - ص.ب. ٧٩٥٧/

Beyrouth - Air port street - Golden plazza - Tel: 01/540000 - 01/455559 - Fax: 850717 - p.o.box 7957/11

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باب ٥
احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر وغيره في أمر البيعة

١ - ل:[1] القطّان، عن محمّد بن عبد الرحمن الحسني، عن محمّد بن حفص الخثعمي، عن الحسن بن عبد الواحد، عن أحمد بن محمّد الثعلبي، عن محمّد بن عبد الحميد، عن حفص بن منصور، عن أبي سعيد الورّاق، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: لمّا كان من أمر أبي بكر وبيعة الناس له وفعلهم بعليّ بن أبي طالب عليه السلام ما كان، لم يزل أبو بكر يظهر له الانبساط ويرى منه انقباضاً، فكبر ذلك على أبي بكر فَأَحبّ لقاءه واستخراج ما عنده والمعذرة إليه ممّا اجتمع الناس عليه وتقليدهم إيّاه أمر الأمّة وقلّة رغبته في ذلك وزهده فيه.

أتاه في وقت غفلة وطلب منه الخلوة، وقال له: والله يا أبا الحسن ما كان هذا الأمر مواطأةً منّي ولا رغبة فيما وقعت فيه ولا حرصاً عليه، ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الأمّة، ولا قوّة لي بمال ولا كثرة العشيرة دون غيري، فما لك تضمر عليّ ما لا أستحقّه منك، وتظهر لي الكراهة فيما صرت إليه، وتنظر إليّ بعين السأمة منّي؟

قال: فقال له عليه السلام: فما حملك عليه إذ لم ترغب فيه، ولا حرصت عليه، ولا وثقت بنفسك في القيام به وبما يحتاج منك فيه؟

فقال أبو بكر: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله لا يجمع أُمّتي على ضلال[2]، ولمّا رأيت اجتماعهم اتّبعت حديث النبي صلى الله عليه وآله وأحلت أن يكون اجتماعهم على خلاف الهدى، فأعطيتهم قود الإجابة، ولو علمت أنّ أحداً يتخلّف لامتنعت.

قال: فقال عليّ عليه السلام: أما ما ذكرت من حديث النبي صلى الله عليه وآله: إنّ الله لا يجمع أُمّتي على ضلال، أفكنتُ من الأُمّة أو لم أكن؟ قال: بلى، قال: وكذلك العصابة الممتنعة عليك من سلمان وعمّار وأبي ذرّ والمقداد وابن عبادة ومن معه من الأنصار؟ قال: كلٌّ من الأمّة. فقال عليّ عليه السلام: فكيف تحتجّ بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله وأمثال هؤلاء قد تخلّفوا عنك، وليس للأمّة فيهم طعن ولا في صحبة الرسول ونصيحته منهم تقصير؟ قال: ما علمت بتخلّفهم إلاّ من بعد إبرام الأمر، وخفت إن

---

(١) الخصال: ٥٤٨ـ ٥٥٣، الحديث ٣٠

(٢) يُراجع الغدير: ١٠/٢٤٩.

دفعت عنّي الأمر أن يتفاقم إلى أن يرجع الناس مرتدّين عن الدين، وكان ممارستكم إلى أن أجبتم أهون مؤنة على الدين وأبقى له من ضرب الناس بعضهم ببعض فيرجعوا كفاراً، وعلمت أنّك لست دوني في الإبقاء عليهم وعلى أديانهم. قال عليّ عليه السلام: أجل، ولكن أخبرني عن الذي يستحقّ الأمر، بما يستحقّه؟ فقال أبو بكر: بالنصيحة والوفاء ودفع المداهنة والمحاباة وحسن السيرة وإظهار العدل والعلم بالكتاب والسنّة وفصل الخطاب مع الزهد في الدنيا وقلّة الرغبة فيها، وإنصاف المظلوم من الظالم للقريب والبعيد.

ثمّ سكت، فقال عليّ عليه السلام: والسابقة والقرابة؟ فقال أبو بكر: والسابقة والقرابة. فقال عليّ عليه السلام: أنشدك بالله يا أبا بكر، أفي نفسك تجد هذه الخصال أو فيّ؟ قال: فقال أبو بكر: بل فيك يا أبا الحسن. قال: أُنشدك بالله، أنا المجيب لرسول الله صلى الله عليه وآله قبل ذكران المسلمين، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله، أنا الأذان لأهل الموسم ولجميع الأمّة بسورة براءة، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله، أنا وقيت رسول الله بنفسي يوم الغار، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله، أليَ الولاية من الله مع ولاية رسوله في آية زكاة الخاتم، أم لك؟ قال: بل لك.

قال: فأُنشدك بالله، أنا المولى لك ولكلّ مسلم بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الغدير، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله، أليَ الوزارة من رسول الله صلى الله عليه وآله والمثل من هارون وموسى، أم لك؟ قال: بل لك. قال: فأُنشدك بالله، أبي برز رسول الله صلى الله عليه وآله وبأهل بيتي وولدي في مباهلة المشركين من النصارى، أم بك وبأهلك وولدك؟ قال: بكم.

قال: فأُنشدك بالله، ألي ولأهلي وولدي آية التطهير من الرجس[1]، أم لك ولأهل بيتك؟ قال: بل لك ولأهل بيتك. قال: فأُنشدك بالله أنا صاحب دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهلي وولدي يوم الكساء: اللهم هؤلاء أهلي إليك لا إلى النار، أم أنت؟ قال: بل أنت وأهلك وولدك. قال: فأُنشدك بالله، أنا صاحب الآية ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[2]، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله، أنت الفتى الذي نودي من السماء: لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتىً إلا عليّ[3]، أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله، أنت الذي ردّت له الشمس لوقت صلاته فصلاّها ثم توارت، أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله، أنت الذي حباك رسول الله صلى الله عليه وآله برايته يوم خيبر ففتح الله له، أم أنا؟ قال: بل أنت.

قال: فأُنشدك بالله، أنت الذي نفّست عن رسول الله صلى الله عليه وآله كربته وعن المسلمين بقتل عمرو بن عبد ودّ، أو أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله، أنت الذي ائتمنك رسول الله صلى الله عليه وآله على رسالته إلى الجنّ فأجابت، أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله، أنت الذي طهّرك رسول الله صلى الله عليه وآله من السفاح من آدم إلى أبيك بقوله صلى الله عليه وآله: أنا وأنت من نكاح لا من سفاح من آدم إلى عبد المطّلب [أم أنا]؟ قال: بل أنت.

---

(١) الأحزاب: ٣٣. (٢) الإنسان: ٧.

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه: ٣/ ١٧، وابن هشام في سيرته ٣/ ٥٢.

قال: فأنشدك بالله، أنا الذي اختارني رسول الله ﷺ وزوّجني ابنته فاطمة عليها السلام وقال: الله زوّجك[١]، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنا والد الحسن والحسين ريحانتيه اللذين قال فيهما: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما[٢]، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أخوك المزيّن بجناحين في الجنّة يطير بهما مع الملائكة، أم أخي؟ قال: بل أخوك.

قال: فأنشدك بالله، أنا ضمنت دين رسول الله ﷺ وناديت في المواسم بإنجاز موعده، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنا الذي دعاه رسول الله ﷺ لطير عنده يريد أكله، فقال: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك بعدي[٣]، أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا الذي بشّرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين على تأويل القرآن، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنا الذي شهدت آخر كلام رسول الله ﷺ ووليت غسله ودفنه، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنا الذي دلّ عليه رسول الله ﷺ بعلم القضاء بقوله: عليّ أقضاكم[٤]، أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا الذي أمر لي رسول الله ﷺ أصحابه بالسلام عليّ بالإمرة في حياته، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي سبقت له القرابة من رسول الله ﷺ، أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي حباك الله عزّ وجلّ بدينار عند حاجته، وباعك جبرئيل عليه السلام وأضفت محمّداً ﷺ، وأضفت ولده أم أنا؟ قال: فبكى أبو بكر، وقال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي حملك رسول الله ﷺ على كتفه في طرح صنم الكعبة وكسره حتّى لو شاء أن ينال أُفق السماء لنالها، أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قال له رسول الله ﷺ: أنت صاحب لوائي في الدنيا والآخرة[٥]، أم أنا؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي أمر رسول الله ﷺ بفتح بابه في مسجده، حين أمر بسد جميع أبواب أصحابه وأهل بيته، وأحلّ له فيه ما أحلّه الله له، أم أنا؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قدّم بين يدي نجواه لرسول الله ﷺ صدقة فناجاه، أم أنا؛ إذ عاتب الله عزّ وجلّ قوماً فقال: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ﴾ الآية[٦]؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قال فيه رسول الله ﷺ لفاطمة: زوجك أوّل الناس إيماناً وأرجحهم

---

(١) كما في الغدير: ٢/٣١٧.

(٢) انظر الغدير: ٧/١٢٥، ومجمع الزوائد ٩/ ١٧٤، وسنن ابن ماجه ١/ ٤٤، الحديث ١١٨.

(٣) الغدير: ٣/ ٢١، وانظر أُسد الغابة ٤/ ٣٠، ومستدرك الحاكم ٣/ ١٣٠ ـ ١٣٢.

(٤) جاء هذا الحديث في روايات أهل العامة بألفاظ مختلفة كلّها تشير إلىٰ مضمون واحد، راجع: فتح الباري ٨/ ١٣٦، والاستيعاب ٢/ ٤٦١ المطبوع في هامش الإصابة ٣/ ٣٨، وكنز العمال ٦/ ١٥٣، وغيرها.

(٥) راجع ذخائر العقبى: ٧٥، وفرائد السمطين، الجزء الثاني، الباب الثامن.

(٦) المجادلة: ١٣.

إسلاماً[(١)] في كلام له، أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: الحقّ مع عليّ وعليّ مع الحقّ، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض[(٢)]، أم أنا؟ قال: بل أنت.

قال: فلم يزل عليه السلام يعدّ عليه مناقبه التي جعل الله عزّ وجلّ له دونه ودون غيره، ويقول له أبو بكر: بل أنت. قال: فبهذا وشبهه يستحقّ القيام بأمور أمّة محمّد صلى الله عليه وآله. فقال له عليّ عليه السلام: فما الذي غرّك عن الله وعن رسوله وعن دينه وأنت خلو ممّا يحتاج إليه أهل دينه؟ قال: فبكى أبو بكر وقال: صدقت يا أبا الحسن، أنظرني يومي هذا فأدبّر ما أنا فيه وما سمعت منك. قال: فقال له عليّ عليه السلام: لك ذلك يا أبا بكر. فرجع من عنده وخلا بنفسه يومه ولم يأذن لأحد إلى الليل، وعمر يتردّد في الناس لما بلغه من خلوته بعليّ عليه السلام.

فبات في ليلته، فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه ممثّلاً له في مجلسه، فقام إليه أبو بكر ليسلّم عليه، فولّى وجهه، فصار مقابل وجهه، فسلّم عليه، فولّى عنه وجهه، فقال أبو بكر: يا رسول الله هل أمرت بأمر فلم أفعل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أردّ عليك السلام وقد عاديت الله ورسوله، وعاديت من والاه الله ورسوله؟! ردّ الحقَّ إلى أهله. قال: فقلت: مَن أهله؟ قال: من عاتبك عليه، وهو عليّ. قال: فقد رددت عليه يا رسول الله بأمرك. قال: فأصبح وبكى وقال لعليّ عليه السلام: ابسط يدك. فبايعه وسلّم إليه الأمر، وقال له: أخرج إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبر الناس بما رأيت في ليلتي، وما جرى بيني وبينك، فأُخرج نفسي من هذا الأمر، وأُسلّم عليك بالإمرة؟ قال: فقال عليّ عليه السلام: نعم.

فخرج من عنده متغيّراً لونه عالياً نفسه، فصادفه عمر وهو في طلبه، فقال: ما حالك يا خليفة رسول الله؟ فأخبره بما كان منه وما رأى وما جرى بينه وبين عليّ عليه السلام. فقال عمر: أُنشدك بالله يا خليفة رسول الله أن تغترّ بسحر بني هاشم، فليس هذا بأوّل سحر منهم! فما زال به حتّى ردّه عن رأيه وصرفه عن عزمه، ورغّبه فيما هو فيه، وأمره بالثبات [عليه] والقيام به.

قال: فأتى عليّ عليه السلام المسجد للميعاد، فلم يرَ فيه منهم أحداً، فأحسّ بالشرّ منهم، فقعد إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فمرّ به عمر فقال: يا عليّ! دون ما تروم خرط القتاد. فعلم بالأمر وقام ورجع إلى بيته.

٢ - ج[(٣)]: وروى مرسلاً مثله.

بيان: قوله: ولا ابتزاز. الابتزاز: الاستلاب والأخذ بالغلبة، وفي بعض النسخ ولا استئثار به، يقال: استأثر فلان بالشيء، أي: استبدّ به. قوله: بعين السأمة منّي. في الاحتجاج قوله: بعين الشناءة لي. أي: العداوة. والقتاد: شجر له شوك كثير، وخرطه هو أن تمرّ يدك من أعلاه إلى أسفله حتّى ينتشر شوكه، وهذا مثل يضرب للأمر الشاق.

---

(١) ورد بعبارات عديدة، انظر: ينابيع المودة: ٨١، وأسد الغابة ١/ ٢٠٦، وتاريخ بغداد ٤/ ٢١٠.

(٢) تاريخ بغداد: ١٤/ ٣٢١، والإمامة والسياسة ١/ ٦٨.

(٣) الاحتجاج: ١/ ١٥٧ ـ ١٨٥.

٣ - فس[١]: أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن العبّاس بن الجريش، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد والناس مجتمعون بصوت عال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[٢].

فقال ابن عبّاس: يا أبا الحسن، لم قلتَ ما قلت؟ قال: قرأتُ شيئاً من القرآن. قال: لقد قلته لأمر؟ قال: نعم، إنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[٣]، فتشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه استخلف أبا بكر؟ قال: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إلاّ إليك. قال: فهلاّ بايعتني؟ قال: اجتمع الناس على أبي بكر فكنتُ منهم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: كما اجتمع أهل العجل على العجل، ها هنا فُتنتم ومثلكم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾[٤].

٤ - ير[٥]: محمّد بن عيسى، عن ابن أبي عمير وعليّ بن الحكم، عن الحكم بن مسكين، عن أبي عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، وعثمان بن عيسى، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لقي أبا بكر فاحتجّ عليه، ثمّ قال له: أما ترضى برسول الله صلى الله عليه وآله بيني وبينك؟ قال: وكيف لي به؟

فأخذ بيده وأتى مسجد قبا، فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله فيه فقضى على أبي بكر، فرجع أبو بكر مذعوراً فلقي عمر فأخبره، فقال: ما لك أما علمت سحر بني هاشم؟!

٥ - يج[٦]: سعد، عن محمّد بن عيسى، مثله.

٦ - ختص[٧]، ير: بعض أصحابنا، عن محمّد بن حمّاد، عن أخيه أحمد، عن أحمد بن موسى، عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لقي أمير المؤمنين عليه السلام أبا بكر في بعض سكك المدينة، فقال: ظلمتَ وفعلتَ. فقال: ومن يعلم ذلك؟ قال: يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: وكيف لي برسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يعلمني ذلك؟ لو أتاني في المنام فأخبرني لقبلت ذلك. قال عليّ عليه السلام: فأنا أُدخلك على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد قبا.

فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد قبا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: اعتزل عن ظلم أمير المؤمنين عليه السلام. فخرج من عنده فلقيه عمر فأخبره بذلك، فقال له: اسكت أما عرفت سحر بني عبد المطّلب؟!

٧- ير[٨]: الحجّال، عن اللؤلؤي، عن ابن سنان، عن البطائني، عن عمران الحلبي، عن أبان

(١) تفسير القمي: ١/١ ـ ٣. (٢) محمد: ١.
(٣) الحشر: ٧. (٤) البقرة: ١٧ ـ ١٨.
(٥) بصائر الدرجات: ١/ ٢٩٤، الحديث ٢.
(٦) الخرائج: ٢/٨٠٨، الحديث ١٧.
(٧) الاختصاص: ٢٧٤، وبصائر الدرجات ١/٢٩٦، الحديث ٧.
(٨) بصائر الدرجات: ١/٢٩٧، الحديث ١٠.

بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ علياً عليه السلام لقي أبا بكر فقال: يا أبا بكر، ما تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرك أن تسلّم عليّ بإمرة المؤمنين، وأمرك باتّباعي؟ قال: فأقبل يتوهّم عليه، فقال له: اجعل بيني وبينك حكماً. قال: قد رضيت، فاجعل من شئت. قال: أجعل بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: فاغتنمها الآخر، وقال: قد رضيت.

قال: فأخذ بيده فذهب إلى مسجد قبا. قال: فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله قاعد في موضع المحراب، فقال له: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله يا أبا بكر. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا بكر، ألم آمرك بالتسليم لعليّ واتّباعه؟ قال: بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله). قال: فادفع الأمر إليه. قال: نعم يا رسول الله. فجاء وليس همّته إلاّ ذلك وهو كئيب، قال: فلقى عمر، قال: مالك يا أبا بكر؟ قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرني بدفع هذه الأمور إلى عليّ. فقال: أما تعرف سحر بني هاشم؟! هذا سحر! قال: فقلب الأمر على ما كان.

٨ - يج[١]: عن الصفّار: مثله.

بيان: يتوهّم عليه: أي يلقي الشكوك ويدفع حججه عليه السلام بالأوهام، وفي الخرائج: يتشكّك عليه.

٩ - ير[٢]: أحمد بن محمّد، عن بعض أصحابنا، عن القاسم بن محمّد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر: هل أجعل بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: نعم. فخرجا إلى مسجد قبا فصلّى أمير المؤمنين عليه السلام ركعتَيْن، فإذا هو برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا أبا بكر، على هذا عاهدتك فصرت به؟ فرجع وهو يقول: والله لا أجلس هذا المجلس. فلقي عمر فقال: ما لك قال: قد والله ذهب بي فأراني رسول الله. فقال عمر: أما تذكر يوماً كنا معه، فأمر شجرتين فالتقتا، فقضى حاجته خلفهما، ثمّ أمرهما فتفرّقتا؟

قال أبو بكر: أما إذا قلت ذا فإنّي دخلت أنا وهو في الغار فقال بيده فمسحها عليه، فعاد ينسج العنكبوت كما كان، ثمّ قال: ألا أريك جعفراً وأصحابه تعوم بهم سفينتهم في البحر؟ قلت: بلى. قال: فمسح يده على وجهي، فرأيت جعفراً وأصحابه تعوم بهم سفينتهم في البحر، فيومئذٍ عرفت أنّه ساحر. فرجع إلى مكانه.

١٠ - ختص، ير[٣]: عبّاد بن سليمان، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه سليمان، عن عيثم بن أسلم، عن معاوية الدهني، قال: دخل أبو بكر على عليّ عليه السلام فقال له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ما تحدّث إلينا في أمرك حديثاً بعد يوم الولاية، وأنا أشهد أنّك مولاي مقرّ لك بذلك، وقد سلّمت عليك على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بإمرة المؤمنين، وأخبرنا رسول الله أنّك وصيّه ووارثه وخليفته في أهله ونسائه، ولم يحل بينك وبين ذلك، وصار ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله إليك وأمر نسائه، ولم

---

(١) الخرائج: ٢/ ٨٠٥ ـ ٨٠٦، الحديث ١٥.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٩٨، الحديث ١٢.

(٣) الاختصاص: ٢٧٢ ـ ٢٧٣، وبصائر الدرجات: ٢٩٨ ـ ٢٩٩، الحديث ١٤.

يخبرنا بأنّك خليفته من بعده، ولا جرم لنا في ذلك فيما بيننا وبينك، ولا ذنب بيننا وبينك وبين الله تعالى.

قال: فقال عليّ عليه السلام: إن أريتك رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يخبرك أنّي أولى بالأمر الذي أنت فيه منك ومن غيرك، وإن لم ترجع عمّا أنت فيه فتكون كافراً، [فما تقول]؟ قال أبو بكر: إن رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يخبرني ببعض هذا لاكتفيت به. قال: فوافني إذا صلّيت المغرب. قال: فرجع إليه بعد المغرب فأخذ بيده وخرج به إلى مسجد قبا، فإذا رسول الله عليه السلام جالس في القبلة، فقال: يا عتيق، وثبت على عليّ وجلست مجلس النبوّة، وقد تقدّمت إليك في ذلك! فانزع هذا السربال الذي تسربلته فخلّه لعليّ، وإلاّ فموعدك النار. قال: ثمّ أخذ بيديه فأخرجه، فقام النبي صلى الله عليه وآله ومشى عنهما.

قال: فانطلق أمير المؤمنين عليه السلام إلى سلمان فقال: يا سلمان أما علمت أنّه كان من الأمر كذا وكذا؟ فقال: ليشهرنّ بك، وليأتينّ صاحبه وليخبرنّه بالخبر. قال: فضحك أمير المؤمنين عليه السلام وقال: أمّا أن يخبر صاحبه فيفعل، ثمّ لا والله لا يذكر أبداً إلى يوم القيامة، هما أنظر لأنفسهما من ذلك. قال: فلقي أبو بكر عمر فقال له: أراني عليّ كذا وصنع كذا وكذا. فقال له عمر: ويلك ما أقلّ عقلك، فوالله ما أنتَ فيه الساعة ليس إلاّ من بعض سحر ابن أبي كبشة، قد نسيت سحر بني هاشم؟ ومن أين يرجع محمّد ولا يرجع من مات؟ إنّ ما أنت فيه أعظم من سحر بني هاشم، فتقلّد هذا السربال ومر فيه.

١١ - يج[1]: عن الصفّار مثله.

١٢ - ير[2]: أحمد بن إسحاق، عن الحسن بن عبّاس بن جريش، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام رجل من أهل بيته عن سورة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[3]، فقال: ويلك سألتَ عن عظيم، إيّاك والسؤال عن مثل هذا. فقام الرجل.

قال: فأتيته يوماً فأقبلت عليه فسألته، فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ نور عند الأنبياء والأوصياء، لا يريدون حاجة من السماء ولا من الأرض إلاّ ذكروها لذلك النور، فأتاهم بها. وإنّ ممّا ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام له من الحوائج أنّه قال لأبي بكر يوماً: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[4] فاشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مات شهيداً، فإيّاك أن تقول إنّه ميّت، والله ليأتينّك، فاتق الله إذا جاءك الشيطان غير متمثّل به.

فعجب به أبو بكر، فقال: إن جاءني والله أطعته وخرجت ممّا أنا فيه. قال: فذكر أمير المؤمنين لذلك النور، فعرج إلى أرواح النبيّين، فإذا محمّد صلى الله عليه وآله قد أُلبس وجهه ذلك النور وأتى وهو يقول: يا أبا بكر آمِن بعليّ وبأحد عشر من ولده، إنّهم مثلي إلاّ النبوّة، وتب إلى الله بردّ ما في يديك إليهم، فإنّه لا حقّ لك فيه.

---

(١) الخرائج: ٢/٨٠٧ ـ ٨٠٨، الحديث ١٦.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٠٠، الحديث ١٥.

(٣) القدر: ١. (٤) آل عمران: ١٦٩

قال: ثمّ ذهب فلم يُرَ. فقال أبو بكر: أجمع الناس فأخطبهم بما رأيت، وأبرأ إلى الله ممّا أنا فيه إليك - يا عليّ - على أن تؤمنني؟! قال: ما أنت بفاعل، ولولا أنّك تنسى ما رأيت لفعلت.
قال: فانطلق أبو بكر إلى عمر ورجع نور ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ إلى عليّ، فقال له: قد اجتمع أبو بكر مع عمر. فقلت: أوَعلم النور؟ قال: إنّ له لساناً ناطقاً وبصراً نافذاً يتجسّس الأخبار للأوصياء عليهم السلام ويستمع الأسرار، ويأتيهم بتفسير كلّ أمر يكتتم به أعداؤهم.

فلمّا أخبر أبو بكر الخبر عمر قال: سحرك، وإنّها لفي بني هاشم لقديمة. قال: ثمّ قاما يخبران الناس فما دَريا ما يقولان. قلت: لماذا؟ قال: لأنّهما قد نسياه، وجاء النور فأخبر عليّاً عليه السلام خبرهما. فقال: بعداً لهما كما بعدت ثمود.

بيان: لعلّ المراد بنور ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الروح المذكور في تلك السورة الكريمة.

١٣ - يج[1]: روي عن سلمان، أنّ عليّاً عليه السلام بلغه عن عمر ذكر شيعته، فاستقبله في بعض طرقات بساتين المدينة، وفي يد عليّ عليه السلام قوس عربيّة، فقال: يا عمر بلغني عنك ذكرك لشيعتي. فقال: إرْبَعْ على ظلعك. فقال عليه السلام: إنّك لهاهنا. ثمّ رمى بالقوس على الأرض فإذا هي ثعبان كالبعير فاغر فاه وقد أقبل نحو عمر ليبتلعه، فصاح عمر: الله الله يا أبا الحسن! لا عدت بعدها في شيء. وجعل يتضرّع إليه، فضرب يده إلى الثعبان، فعادت القوس كما كانت، فمرّ عمر إلى بيته مرعوباً.

قال سلمان: فلمّا كان في الليل دعاني عليّ عليه السلام فقال: صر إلى عمر فإنّه حُمل إليه مال من ناحية المشرق ولم يعلم به أحد، وقد عزم أن يحتبسه، فقل له: يقول لك عليّ: أُخرِج إليك المال من ناحية المشرق، ففرّقه على من جعل لهم، ولا تحبسه فأفضحك.

قال سلمان: فأدّيت إليه الرسالة فقال: حيّرني أمر صاحبك، من أين علم به؟! فقلت: وهل يخفى عليه مثل هذا؟ فقال لسلمان: اقبل منّي أقول لك، ما عليّ إلاّ ساحر، وإنّي لمشفق عليك منه، والصواب أن تفارقه وتصير في جملتنا. قلت: بئسَ ما قلتَ، لكنّ عليّاً ورث من أسرار النبوّة ما قد رأيت منه، وما هو أكبر منه، قال: ارجع إليه فقل له: السمع والطاعة لأمرك. فرجعت إلى عليّ عليه السلام فقال عليه السلام: أحدّثك بما جرى بينكما، فقلت: أنت أعلم به منّي، فتكلّم بكلّ ما جرى بيننا، ثمّ قال: إنّ رعب الثعبان في قلبه إلى أن يموت.

بيان: قال الجوهري: رَبَعَ الرجل يربَع، إذا وقف وتحبّس، ومنه قولهم: إرْبَعْ على نفسك واربع على ظَلعِك، أي: ارفق بنفسك، وكفّ[2]، ولا تحمل عليها أكثر ممّا تطيق.

١٤ - قب[3]: عبد الله بن سليمان وزياد بن المنذر والحسن بن العبّاس بن جريش كلّهم عن أبي جعفر عليه السلام.. وأبان بن تغلب ومعاوية بن عمّار وأبو سعيد المكاري كلّهم عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لقي الأوّل فاحتجّ عليه ثم قال: أترضى برسول الله صلى الله عليه وآله بيني

---

(١) الخرائج: ٢٣٢، الحديث ٧٧. (٢) الصحاح: ٣/ ١٢١٢.
(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٢/ ٢٤٨.

وبينك؟ فقال: وكيف لي بذلك؟ فأخذ بيده فأتى به مسجد قبا، فإذا رسول الله فيه، فقضى له على الأوّل. . . القصّة.

١٥ - كشف[1]: عن عبد خير قال: اجتمع عند عمر جماعة من قريش فيهم علي بن أبي طالب فتذاكروا الشرف، وعليّ عليه السلام ساكت، فقال عمر: ما لك يا أبا الحسن ساكتاً؟ وكان عليّ عليه السلام كره الكلام فقال عمر: لتقولنّ يا أبا الحسن. فقال عليّ عليه السلام:

الله أكرمنا بنصر نبيّه ... وبنا أعزّ شرائع الإسلامِ

في كلّ معترك تزيل سيوفنا ... فيه الجماجم عن فِراخ الهامِ

ويزورنا جبريل في أبياتنا ... بفرائض الإسلام والأحكامِ

فنكون أوّل مستحلّ حلّه ... ومحرّم لله كلّ حرامِ

نحن الخيار من البريّة كلّها ... ونظامها وزمام كلّ زمامِ

إنّا لنمنع من أردنا منعه ... ونقيم رأس الأصيد القمقامِ

وتردّ عادية الخميس سيوفنا ... فالحمد للرحمن ذي الإنعامِ

بيان: قال الفيروزآبادي: الفرْخ: مقدّم الدماغ[2]. وقال الجوهري: وقول الفرزدق:

وجعلنا البيض فيه لعامر ... مُصمَّمة تفأى فراخَ الجماجِم

يعني به الدماغ[3].

والزمام ككتاب: ما يُجعل في أنف البعير فينقاد به، ولعلّ المراد: زمام كلّ ذي زمام. وقال الفيروزآبادي: الأصيَد: الملِك، ورافِع رأسه كِبراً[4]. وقال: القمقام - ويضمّ -: السيّد[5]. والخميس: الجيش[6].

١٦ - إرشاد القلوب[7]: روي عن الصادق عليه السلام أنّ أبا بكر لقي أمير المؤمنين عليه السلام في سكّة بني النجّار فسلّم عليه وصافحه، وقال له: يا أبا الحسن، أفي نفسك شيء من استخلاف الناس إيّاي، وما كان من يوم السقيفة وكراهيتك البيعة؟ والله ما كان ذلك من إرادتي إلاّ أنّ المسلمين اجتمعوا على أمر لم يكن لي أن أُخالف عليهم فيه؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لا تجتمع أُمّتي على ضلال.

فقال له أمير المؤمنين: يا أبا بكر، أُمّته الذين أطاعوه في عهده من بعده، وأخذوا بهداه، وأوفوا بما عاهدوا الله عليه، ولم يبدّلوا ولم يغيّروا. قال له أبو بكر: والله يا عليّ، لو شهد عندي الساعة من أثق به أنّك أحقّ بهذا الأمر سلّمته إليك، رضي من رضي وسخط من سخط. فقال له أمير

(١) كشف الغمّة: ١/ ٢٩٩.
(٢) القاموس المحيط: ١/ ٢٦٦.
(٣) الصحاح: ١/ ٤٢٨.
(٤) القاموس المحيط: ١/ ٣٠٩.
(٥) القاموس المحيط: ٤/ ١٦٧.
(٦) القاموس المحيط: ٢/ ٢١١.
(٧) إرشاد القلوب: ٢/ ٥٧ ـ ٦١.

المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر فهل تعلم أحداً أوثق من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وقد أخذ بيعتي عليك في أربعة مواطن - وعلى جماعة معك فيهم عمر وعثمان -: في يوم الدار، وفي بيعة الرضوان تحت الشجرة، ويوم جلوسه في بيت أمّ سلمة، وفي يوم الغدير بعد رجوعه من حجّة الوداع، فقلتم بأجمعكم: سمعنا وأطعنا لله ولرسوله. فقال لكم: الله ورسوله عليكم من الشاهدين. فقلتم بأجمعكم: الله ورسوله علينا من الشاهدين. فقال صلى الله عليه وآله: فليشهد بعضكم على بعض، ويبلّغ شاهدكم غائبكم، ومن سمع منكم فليُسمع من لم يسمع. فقلتم: نعم يا رسول الله، وقمتم بأجمعكم تهنّون رسول الله وتهنّوني بكرامة الله لنا، فدنا عمر وضرب على كتفي وقال بحضرتكم: بخٍ بخٍ يابن أبي طالب، أصبحتَ مولانا ومولى المؤمنين.

فقال أبو بكر: لقد ذكّرتني يا أمير المؤمنين أمراً، لو يكون رسول الله صلى الله عليه وآله شاهداً فأسمعه منه. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: الله ورسوله عليك من الشاهدين، يا أبا بكر، إذا رأيتَ رسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً ويقول لك: إنّك ظالم لي في أخذ حقّي الذي جعله الله لي ورسوله دونك ودون المسلمين، أتسلّم هذا الأمر إليّ وتخلع نفسك منه؟ فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، وهذا يكون؟ أرى رسول الله حيّاً بعد موته ويقول لي ذلك؟!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: نعم يا أبا بكر. قال: فأرِني ذلك إن كان حقاً. فقال عليّ عليه السلام: الله ورسوله عليك من الشاهدين أنّك تفي بما قلت؟ قال أبو بكر: نعم، فضرب أمير المؤمنين عليه السلام على يده وقال: تسعى معي نحو مسجد قبا.

فلمّا ورداه تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام فدخل المسجد وأبو بكر من ورائه، فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله في قبلة المسجد، فلمّا رآه أبو بكر سقط لوجهه كالمغشي عليه، فناداه رسول الله صلى الله عليه وآله: ارفع رأسك أيها الضّليل المفتون. فرفع أبو بكر رأسه وقال: لبّيك يا رسول الله، أحياة بعد الموت يا رسول الله؟ فقال: ويلك يا أبا بكر! ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

قال: فسكت أبو بكر وشخصت عيناه نحو رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: ويلك يا أبا بكر، نسيتَ ما عاهدتَ الله ورسوله عليك في المواطن الأربعة لعليّ عليه السلام؟ فقال: ما أنساها يا رسول الله، فقال: ما بالك اليوم تناشد عليّاً عليه السلام عليها ويذكّرك وتقول: نسيت؟ وقصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ما جرى بينه وبين عليّ عليه السلام إلى آخره، فما نقص منه كلمة ولا زاد فيه كلمة.

فقال أبو بكر: يا رسول الله فهل من توبة؟ وهل يعفو الله عنّي إذا سلّمت هذا الأمر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: نعم يا أبا بكر، وأنا الضامن لك على الله ذلك إن وفيت.

قال: وغاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنهما، فتشبّث أبو بكر بأمير المؤمنين عليه السلام وقال: الله الله فيّ يا عليّ! صر معي إلى منبر رسول الله حتى أعلو المنبر، فأقصّ على الناس ما شاهدتُ وما رأيت من رسول الله، وما قال لي وما قلت له، وما أمرني به، وأخلع نفسي من هذا الأمر وأسلّمه إليك. فقال

(١) فصّلت: ٣٩.

له أمير المؤمنين عليه السلام: أنا معك إن تركك شيطانك. فقال أبو بكر: إن لم يتركني تركته وعصيته. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إذن تطيعه ولا تعصيه، وإنّما رأيتَ ما رأيت لتأكيد الحجّة عليك.

وأخذ بيده وخرجا من مسجد قبا يريدان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر يتلوّن ألواناً، والناس ينظرون إليه ولا يدرون ما الذي كان، حتّى لقيه عمر، فقال له: يا خليفة رسول الله، ما شأنك، وما الذي دهاكِ؟ فقال أبو بكر: خلّ عني يا عمر، فوالله لا سمعتُ لك قولاً. فقال له عمر: وأين تريد يا خليفة رسول الله؟ فقال أبو بكر: أريد المسجد والمنبر. فقال: هذا ليس وقت صلاة ومنبر. قال: خلِّ عنّي ولا حاجة لي في كلامك. فقال عمر: يا خليفة رسول الله، أفلا تدخل قبل المسجد منزلك فتسبغ الوضوء؟ قال: بلى.

ثمّ التفت أبو بكر إلى عليّ عليه السلام وقال له: يا أبا الحسن، تجلس إلى جانب المنبر حتّى أخرج إليك. فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ قال له: يا أبا بكر، قد قلت لك: إنّ شيطانك لا يدعك أو يرديك. ومضى أمير المؤمنين عليه السلام وجلس بجانب المنبر.

فدخل أبو بكر منزله ومعه عمر، فقال: يا خليفة رسول الله، لمَ لا تنبئني بأمرك وتحدّثني بما دهاك به عليّ بن أبي طالب؟ فقال أبو بكر: ويحك يا عمر! يرجع رسول الله بعد موته حيّاً فيخاطبني في ظلمي لعليّ، وبردّ حقّه عليه وخلع نفسي من هذا الأمر. فقال عمر: قصّ عليّ قصّتك من أوّلها إلى آخرها. فقال له أبو بكر: ويحك يا عمر! قد قال لي عليّ بأنّك لا تدعني أخرج من هذه المظلمة وأنّك شيطاني، فدعني عنك. فلم يزل يرقبه إلى أن حدّثه بحديثه كلّه.

فقال له: بالله عليك يا أبا بكر أنسيتَ شعرك في أوّل شهر رمضان الذي فُرض علينا صيامه؟ حيث جاءك حذيفة بن اليمان وسهل بن حنيف ونعمان الأزدي وخزيمة بن ثابت في يوم جمعة إلى دارك ليتقاضونك ديناً عليك، فلمّا انتهوا إلى باب الدار سمعوا لك صلصلة في الدار، فوقفوا بالباب، ولم يستأذنوا عليك، فسمعوا أمّ بكر زوجتك تناشدك، وتقول: قد عمل حرّ الشمس بين كتفيك، قم إلى داخل البيت وابعد من الباب لا يسمعك بعض أصحاب محمّد فيهدروا دمك، فقد علمتَ أن محمّداً أهدر دم من أفطر يوماً من شهر رمضان من غير سفر ولا مرض، خلافاً على الله وعلى محمّد رسول الله. فقلتَ لها: هاتِ - لا أمّ لك - فضل طعامي من الليل، وأترعي الكأس من الخمر. وحذيفة ومن معه بالباب يسمعون محاورتكما، فجاءت بصحفة فيها طعام من الليل وقعب مملوء خمراً، فأكلت من الصحفة وكرعت الخمر، فأضحى النهار وقد قلت لزوجتك:

ذريني أصطبح يا أمّ بكر ... فإنّ الموت نقب عن هشام

إلى أن انتهيت في قولك:

يقول لنا ابن كبشة سوف نحيا ... وكيف حياة أشلاء وهامِ

ولكنْ باطلاً قد قال هذا ... وإفكاً من زخاريف الكلامِ

ألا هل مبلغ الرحمن عنّي ... بأنّي تارك شهر الصيام

وتارك كلّ ما أوحى إلينا ... محمّد من أساطير الكلام

فقلْ لله يمنعني شرابي وقل لله يمنعني طعامي
ولكنّ الحكيم رأى حميراً فألجمها فتاهت باللجام

فلمّا سمعك حذيفة ومن معه تهجو محمّداً قحموا عليك في دارك، فوجدوك وقعب الخمر في يديك وأنت تكرعها، فقالوا لك: يا عدوّ الله، خالفت الله ورسوله. وحملوك كهيئتك إلى مجمع الناس بباب رسول الله، وقصّوا عليه قصّتك وأعادوا شعرك، فدنوتُ منك وساررتك وقلتُ لك في ضجيج الناس: قل: إنّي شربت الخمر ليلاً فثملت فزال عقلي، فأتيت ما أتيته نهاراً ولا علم لي بذلك. فعسى أن يدرأ عنك الحدّ.

وخرج محمّد ونظر إليك فقال: أيقظوه. فقلتُ: رأيناه وهو ثمل يا رسول الله لا يعقل. فقال: ويحكم! الخمر يزيل العقل، تعلمون هذا من أنفسكم وأنتم تشربونها؟ فقلنا: يا رسول الله، وقد قال فيها امرؤ القيس شعراً:

شربت الخمر حتّى زال عقلي كذاك الإثم يذهب بالعقول

ثمّ قال محمّد: أنظروه إلى إفاقته من سكرته. فأمهلوك حتى أريتهم أنّك قد صحوت، فساءلك محمّد فأخبرته بما أوعزته إليك من شربك بها بالليل، فما بالك اليوم تؤمن بمحمّد وبما جاء به وهو عندنا ساحر كذّاب؟! فقال: ويحك يا أبا حفص! لا شكّ عندي فيما قصصته عليّ، فاخرج إلى ابن أبي طالب فاصرفه عن المنبر.

قال: فخرج عمر وعليّ عليه السلام جالس تحت المنبر، فقال: ما بالك يا عليّ قد تصدّيت لها؟ هيهات هيهات! والله دون ما تروم من علوّ هذا المنبر خرط القتاد. فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام حتى بدت نواجذه، ثمّ قال: ويلك منها - والله - يا عمر إذا أُفضيت إليك، والويل للأُمّة من بلائك! فقال عمر: هذه بشرى يابن أبي طالب، صدقتْ ظنونك وحقّ قولك. وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام إلى منزله وكان هذا من دلائله عليه السلام .

بيان: الصلصلة: الصوت. قوله: نفث عن هشام. لعلّ المعنى: نفخ عن جود النفس. قال الفيروزآبادي: الهشام ككتاب: الجود[1]. وفي بعض النسخ: نقب بالقاف والباء الموحّدة، فلعلّه جمع هشيم، أي: يوضح عن العظام المتكسّرة. وأشلاء الإنسان: أعضاؤه بعد البلى والتفرّق. وأوعزت إليه في كذا: أي تقدّمت.

أقول: أوردتُ هذا الخبرَ - ولا أعتمد عليه كلّ الاعتماد - لموافقته في بعض المضامين لسائر الآثار، والله أعلم بحقائق الأخبار.

١٧ - **وروي أيضاً في الإرشاد**[2]: بحذف الإسناد مرفوعاً إلى جابر الجعفي قال: قلّد أبو بكر الصدقات بقرى المدينة وضياع فدك رجلاً من ثقيف يقال له: الأشجع بن مزاحم الثقفي، وكان شجاعاً، وكان له أخ قتله عليّ بن أبي طالب في وقعة هوازن وثقيف، فلمّا خرج الرجل عن المدينة

---

(١) القاموس المحيط: ٤/ ١٩٠.

(٢) إرشاد القلوب: ٣٨٤ ـ ٣٩١.

جعل أوّل قصده ضيعة من ضياع أهل البيت تعرف ببانقيا، فجاء بغتة واحتوى عليها وعلى صدقات كانت لعليّ عليه السلام، فتوكّل بها وتغطرس على أهلها، وكان الرجل زنديقاً منافقاً.

فابتدر أهل القرية إلى أمير المؤمنين عليه السلام برسول يعلمونه ما فرط من الرجل، فدعا عليّ عليه السلام بدابّة له تسمّى السابح، وكان أهداه إليه ابن عمّ لسيف بن ذي يزن، وتعمّم بعمامة سوداء، وتقلّد بسيفين، وأجنب دابّته المرتجز، وأصحب معه الحسين عليه السلام وعمّار بن ياسر والفضل بن عبّاس وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن العبّاس حتّى وافى القرية، فأنزله عظيم القرية في مسجد يعرف بمسجد القضاء، ثمّ وجّه أمير المؤمنين عليه السلام الحسين عليه السلام يسأله المصير إليه. فصار إليه الحسين عليه السلام فقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: ومَن أمير المؤمنين؟ فقال: عليّ بن أبي طالب. فقال: أمير المؤمنين أبو بكر خلّفته بالمدينة. فقال له الحسين عليه السلام: أجب عليّ بن أبي طالب. فقال: أنا سلطان وهو من العوام، والحاجة له، فليصر هو إليّ فقال له الحسين عليه السلام: ويلك! أيكون مثل والدي من العوام ومثلك يكون السلطان؟ فقال: أجل؛ لأن والدك لم يدخل في بيعة أبي بكر إلاّ كرهاً، وبايعناه طائعين، وكنّا له غير كارهين، فشتّان بيننا وبينه.

فصار الحسين عليه السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأعلمه بما كان من قول الرجل، فالتفت إلى عمّار فقال: يا أبا اليقظان، صر إليه والطف له في القول، واسأله أن يصير إلينا، فإنّه لا يجب لوصي من الأوصياء أن يصير إلى أهل الضلالة، فنحن مثل بيت الله يؤتى ولا يأتي.

فصار إليه عمّار وقال: مرحباً يا أخا ثقيف، ما الذي أقدمك على أمير المؤمنين عليه السلام في حيازته، وحملك على الدخول في مساءته؟ فصر إليه وأفصح عن حجّتك، فانتهر عمّاراً وأفحش له في الكلام، وكان عمّار شديد الغضب، فوضع حمائل سيفه في عنقه، فمدّ يده إلى السيف، فقيل لأمير المؤمنين: الحق عمّاراً فالساعة يقطّعونه!

فوجّه أمير المؤمنين عليه السلام الجمع، فقال لهم: لا تهابوه وصيّروا به إليّ. وكان مع الرجل ثلاثون فارساً من خيار قومه، فقالوا له: ويلك! هذا عليّ بن أبي طالب. قتْلك وقتْل أصحابك عنده دون [النطقة]. فسكت القوم جزعاً من أمير المؤمنين عليه السلام، فسُحب الأشجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام على حرّ وجهه سحباً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه ولا تعجلوا فإنّ العجلة والطيش لا تقوم بها حجج الله وبراهينه.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك! بما استحللتَ ما أخذت من أموال أهل البيت؟ وما حجّتك على ذلك؟ فقال له: وأنت، فبِم استحللت قتل هذا الخلق في كلّ حقّ وباطل؟ وإنّ مرضاة صاحبي لهي أحبّ إليّ من اتّباع موافقتك. فقال عليّ عليه السلام: أيهاً عليك، ما أعرف من نفسي إليك ذنباً إلاّ قتل أخيك يوم هوازن، وليس بمثل هذا القتل تطلب الثارات، فقبّحك الله وترّحك. فقال له الأشجع: بل قبّحك الله وبتر عمرك - أو قال ترحك - فإنّ حسدك للخلفاء لا يزال بك حتّى يوردك موارد الهلكة والمعاطب، وبغيك عليهم يقصر بك عن مرادك. فغضب الفضل بن العبّاس من قوله، ثمّ تمطّى عليه بسيفه فحلّ عنقه، ورماه عن جسده بساعده اليمنى، فاجتمع أصحابه على الفضل، فسلّ أمير المؤمنين سيفه ذا الفقار، فلمّا نظر القوم إلى بريق عيني الإمام ولمعان ذي الفقار في كفّه،

رموا سلاحهم وقالوا: الطاعةَ الطاعة. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أفٍّ لكم انصرفوا برأس صاحبكم هذا الأصغر إلى صاحبكم الأكبر، فما بمثل قتلكم يطلب الثار، ولا تنقضي الأوتار.

فانصرفوا ومعهم رأس صاحبهم حتّى ألقوه بين يدي أبي بكر، فجمع المهاجرين والأنصار وقال: يا معاشر الناس، إنّ أخاكم الثقفي أطاع الله ورسوله وأولي الأمر منكم، فقلّدته صدقات المدينة وما يليها، فغاقصه [فأعترصه] ابن أبي طالب، فقتله أخبث قتلة، ومثّل به أخبث مثلة، وقد خرج في نفر من أصحابه إلى قرى الحجاز، فليخرج إليه من شجعانكم، وليردّوه عن سنّته، واستعدّوا له من الخيل والسلاح، وما يتهيّأ لكم، وهو من تعرفونه: الداء الذي لا دواء له، والفارس الذي لا نظير له.

قال: فسكت القوم مليّاً كأنّ الطير على رؤوسهم، فقال: أخُرس أنتم أم ذوو ألسن؟ فالتفت إليه رجل من الأعراب يقال له الحجّاج بن الصخر، فقال له: إن صرت إليه سرنا معك، فأمّا لو سار جيشك هذا لينحرنّهم عن آخِرهم كنحر البدن. ثمّ قام آخر فقال: تعلم إلى مَن توجّهنا؟ إنّك توجّهنا إلى الجزّار الأعظم الذي يختطف الأرواح بسيفه خطفاً، والله إنّ لقاء ملك الموت أسهل علينا من لقاء عليّ بن أبي طالب. فقال ابن أبي قحافة: لا جزيتم من قوم عن إمامكم خيراً، إذا ذكر لكم عليّ بن أبي طالب دارت أعينكم في وجوهكم، وأخذتكم سكرة الموت، أهكذا يقال لمثلي؟

قال: فالتفت إليه عمر بن الخطّاب، فقال: ليس له إلاّ خالد بن الوليد. فالتفت إليه أبو بكر فقال: يا أبا سليمان، أنت اليوم سيف من سيوف الله، وركن من أركانه، وحتف الله على أعدائه، وقد شقّ عليّ بن أبي طالب عصا هذه الأمّة، وخرج في نفر من أصحابه إلى ضياع الحجاز، وقد قتل من شيعتنا ليثاً صؤولاً، وكهفاً منيعاً، فصر إليه في كثيف من قومك، وسله أن يدخل الحضرة فقد عفونا عنه، فإن نابذك الحرب فجئنا به أسيراً.

فخرج خالد بن الوليد في خمسمئة فارس من أبطال قومه قد أُثخنوا سلاحاً، حتّى قدموا على أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فنظر الفضل بن العبّاس إلى غبرة الخيل، فقال: يا أمير المؤمنين، قد وجّه إليك ابن أبي قحافة بقسطل يدقّون الأرض بحوافر الخيل دقّاً. فقال: يا ابن العبّاس، هوّن عليك، فلو كان من صناديد قريش وقبائل حنين وفرسان هوازن لما استوحشت إلاّ من ضلالتهم. ثمّ قام أمير المؤمنين عليه السلام فشدّ محزم الدابّة، ثمّ استلقى على قفاه نائماً، تهاوناً بخالد حتّى وافاه.

فانتبه لصهيل الخيل، فقال: يا أبا سليمان، ما الذي عدل بك إليّ؟ فقال: عدل بي إليك من أنت أعلم به منّي. فقال: فأسمعنا الآن. فقال: يا أبا الحسن، أنت فَهِم غير مفهّم، وعالم غير معلّم، فما هذه اللوثة التي بدرت منك، والنبوة التي قد ظهرت فيك؟ إن كنت كرهت هذا الرجل فليس يكرهك، ولا تكوننّ ولايته ثقلاً على كاهلك، ولا شجىً في حلقك، فليس بعد الهجرة بينك وبينه خلاف، ودع الناس وما تولّوه، ضلّ من ضلّ وهُدي من هُدي، ولا تفرّق بين كلمة مجتمعة، ولا تضرم النار بعد خمودها، فإنّك إن فعلت ذلك وجدت غبّه غير محمود.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتهدّدني يا خالد بنفسك وبابن أبي قحافة؟ فما بمثلك ومثله تهديد،

فدع عنك تُرّهاتك التي أعرفها منك، واقصد نحو ما وُجّهت له. قال: فإنّه قد تقدّم إليّ إن رجعت عن سننك كنت مخصوصاً بالكرامة والحبو، وإن أقمت على ما أنت عليه من خلاف الحقّ حملتك إليه أسيراً.

فقال عليه السلام له: يابن اللخناء، وأنت تعرف الحقّ من الباطل، ومثلك يحمل مثلي أسيراً؟! يا ابن الرادّة عن الإسلام، أتحسبني - ويلك - مالك بن نويرة، حيث قتلته ونكحت امرأته؟ يا خالد، جئتني برقة عقلك، واكفهرار وجهك، وتشمّخ أنفك، والله لئن تمطّيت بسيفي هذا عليك وعلى أوغارك [أوغادك] لأشبعنّ من لحومكم عُرج الضباع، وطلس الذئاب، ولست - ويلك - ممّن يقتلني أنت ولا صاحبك، وإنّي لأعرف قاتلي، وأطلب منيّتي صباحاً ومساءً، ما مثلك يحمل مثلي أسيراً، ولو أردت ذلك لقتلتك في فناء هذا المسجد. فغضب خالد وقال: توعد وعيد الأسد، وتروغ روغان الثعالب، ما أعداك في المقال، وما مثلك إلاّ من أتبع قوله بفعله. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا كان هذا قولك فشأنك. وسلّ أمير المؤمنين عليه السلام على خالد ذا الفقار وخفق عليه.

فلمّا نظر خالد إلى بريق عيني الإمام وبريق ذي الفقار في يده وتصمّمه عليه، نظر إلى الموت عياناً، وقال: يا أبا الحسن، لم نرد هذا. فضربه أمير المؤمنين بقفار رأس ذي الفقار على ظهره فنكسه عن دابّته، ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام ليردّ يده إذا رفعها لئلا يُنسب إلى الجبن، فلحق أصحاب خالد من فعل أمير المؤمنين هول عجيب وخوف عنيف.

ثمّ قال: ما لكم لا تكافحون عن سيّدكم؟ والله لو كان أمركم إليّ لتركت رؤوسكم، وهو أخفّ على يدي من جني الهبيد على أيدي العبيد، وعلى هذا السبيل تقضمون مال الفيء؟ أفّ لكم. فقام إليه رجل من القوم يقال له المثنّى بن الصياح، وكان عاقلاً، فقال: والله ما جئناك لعداوة بيننا وبينك، أو عن غير معرفة بك، وإنّا لنعرفك كبيراً وصغيراً، وأنت أسد الله في أرضه، وسيف نقمته على أعدائه، وما مثلنا من جهل مثلك، ونحن أتباع مأمورون، وجند موازرون، وأطواع غير مخالفين، فتبّاً لمن وجّه بنا إليك، أوما كان له معرفة بيوم بدر وأُحد وحنين؟ فاستحى أمير المؤمنين عليه السلام من قول الرجل وترك الجميع، وجعل أمير المؤمنين عليه السلام يمازح خالداً لما به من ألم الضربة، وهو ساكت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك يا خالد! ما أطوعك للخائنين الناكثين! أما كان لك بيوم الغدير مقنع؛ إذ بدر إليك صاحبك في المسجد حتّى كان منك ما كان؟ فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو كان ممّا رمته أنت وصاحباك ابن أبي قحافة وابن صهّاك شيء لكانا هما أوّل مقتولين بسيفي هذا وأنت معهما، ويفعل الله ما يشاء، ولا يزال يحملك على إفساد حالتك عندي، فقد تركتَ الحقّ على معرفة وجئتني تجوب مفاوز البسابس، لتحملني إلى ابن أبي قحافة أسيراً بعد معرفتك أنّي قاتل عمرو بن عبد ودّ، ومرحب، وقالع باب خيبر، وإنّي لمستحيي منكم ومن قلّة عقولكم.

أوَتزعم أنه قد خفي عليّ ما تقدّم به إليك صاحبك حين أخرجك إليّ، وأنت تذكر ما كان منّي إلى عمرو بن معدي كرب، وإلى أصيد بن سلمة المخزومي؟ فقال لك ابن أبي قحافة: لا تزال تذكر له ذلك، إنّما كان ذلك من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وقد ذهب ذلك كلّه، وهو الآن أقلّ من ذلك. أليس

كذلك يا خالد؟ فلولا ما تقدّم به إلي رسول الله ﷺ لكان منّي إليهما ما هما أعلم به منك.

يا خالد، أين كان ابن أبي قحافة وأنت تخوض معي المنايا في لجج الموت خوضاً، وقومك بادون في الانصراف كالنعجة القوداء والديك النافش؟ فاتّقِ الله يا خالد ولا تكن للخائنين خصيماً، ولا للظالمين ظهيراً. فقال خالد: يا أبا الحسن، إنّي أعرف ما تقول، وما عدلت العربُ والجماهير عنك إلاّ طلبَ ذحول آبائهم قديماً، وتنكّل رؤوسهم قريباً، فراغت عنك كروغان الثعلب فيما بين الفجاج والدكادك، وصعوبة إخراج الملك من يدك، وهرباً من سيفك، وما دعاهم إلى بيعة أبي بكر إلاّ استلانة جانبه، ولين عريكته، وأمن جانبه، وأخذهم الأموال فوق استحقاقهم، ولقلّ اليوم من يميل إلى الحقّ، وأنت قد بعت الدنيا بالآخرة، لو اجتمعت أخلاقهم إلى أخلاقك لما خالفك خالد.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما أُتي خالد إلاّ من جهة هذا الخؤون الظلوم المفتن ابن صهّاك، فإنّه لا يزال يؤلّب عليّ القبائل، ويفزعهم منّي، ويؤيسهم من عطاياهم، ويذكّرهم ما أنساهم الدهر، وسيعلم غبّ أمره إذا فاضت نفسه. فقال خالد: يا أبا الحسن، بحقّ أخيك لما قطعت هذا من نفسك، وصرت إلى منزلك مكرّماً إذا كان القوم رضوا بالكفاف منك. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لا جزاهم الله عن أنفسهم ولا عن المسلمين خيراً. قال: ثمّ دعا عليه السلام بدابّته فاتّبعه أصحابه، وخالد يحدّثه ويضاحكه، حتّى دخل المدينة، فبادر خالد إلى أبي بكر فحدّثه بما كان منه، فصار أمير المؤمنين عليه السلام إلى قبر النبي ﷺ ثمّ صار إلى الروضة، فصلّى أربع ركعات ودعا، وقام يريد الانصراف إلى منزله.

وكان أبو بكر جالساً في المسجد والعبّاس جالس إلى جنبه، فأقبل أبو بكر على العبّاس فقال: يا أبا الفضل، ادع لي ابن أخيك عليّاً لأُعاتبه على ما كان منه إلى الأشجع. فقال له العبّاس: أوَليس قد تقدّم إليك صاحبك بترك معاتبته؟ وإنّي أخاف عليك منه إذا عاتبته أن لا تنتصر منه. فقال أبو بكر: إنّي أراك يا أبا الفضل تخوّفني منه! دعني وإياه، فأمّا ما كلّمني خالد بترك معاتبته فقد رأيته يكلّمني بكلام خلاف الذي خرج به إليه، ولا أشكّ إلاّ أنّه قد كان منه إليه شيء أفزعه. فقال له العبّاس: أنت وذاك يابن أبي قحافة.

فدعاه العبّاس فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فجلس إلى جنب العبّاس، فقال له: إنّ أبا بكر استبطأك وهو يريد أن يسألك بما جرى. فقال: يا عمّ لو دعاني لما أتيته. فقال له أبو بكر: يا أبا الحسن، ما أرضى لمثلك هذا الفعال. قال: وأيّ فعل؟ قال: قتلك مسلماً بغير حقّ، فما تملّ من القتل قد جعلته شعارك ودثارك؟.

فالتفت إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أمّا عتابك عليّ في قتل مسلم فمعاذ الله أن أقتل مسلماً بغير حقّ؛ لأنّ من وجب عليه القتل رفع عنه اسم الإسلام، وأمّا قتلي الأشجع فإن كان إسلامك كإسلامه، فقد فزت فوزاً عظيماً. أقول: وما عذري إلاّ من الله، ما قتلته إلاّ عن بيّنة من ربّي، وما أنت أعلم بالحلال والحرام منّي، وما كان الرجل إلاّ زنديقاً منافقاً، وإنّ في منزله صنماً من رخام يتمسّح به، ثمّ يصير إليك، وما كان من عدل الله أن يؤاخذني بقتل عبدة الأوثان والزنادقة.

وافتتح أمير المؤمنين عليه السلام بالكلام فحجز بينهما المغيرة بن شعبة وعمّار بن ياسر، وأقسموا على عليّ عليه السلام فسكت، وعلى أبي بكر فأمسك، ثمّ أقبل أبو بكر على الفضل بن العبّاس وقال: لو قدتك بالأشجع لما فعلت مثلها. ثمّ قال: كيف أقيدك بمثله وأنت ابن عمّ رسول الله وغاسله؟! فالتفت إليه العبّاس فقال: دعونا ونحن حكماء، أبلغ من شأنك أنّك تتعرّض لولدي وابن أخي وأنت ابن أبي قحافة بن مرّة، ونحن بنو عبد المطّلب بن هاشم أهل بيت النبوّة، وأولو الخلافة، تسمّيتم بأسمائنا، ووثبتم علينا في سلطاننا، وقطعتم أرحامنا، ومنعتم ميراثنا، ثمّ أنتم تزعمون أن لا إرث لنا وأنتم أحقّ وأولى بهذا الأمر منّا، فبعداً وسحقاً لكم أنّى تؤفكون.

ثمّ انصرف القوم وأخذ العبّاس بيد علي عليه السلام وجعل عليّ يقول: أقسمت عليك يا عمّ لا تتكلّم، وإن تكلّمتَ لا تتكلّم إلاّ بما يسرّ، وليس لهم عندي إلاّ الصبر كما أمرني نبيّ الله صلى الله عليه وآله، دعهم وما كان لهم يا عمّ بيوم الغدير مقنع، دعهم يستضعفونا جهدهم، فإنّ الله مولانا وهو خير الحاكمين. فقال له العبّاس: يا ابن أخي، أليس قد كفيتك؟ وإن شئت أعود إليه فأُعرّفه مكانه، وأنزع عنه سلطانه، فأقسم عليه عليّ عليه السلام فأسكته.

بيان: قال الجوهري: الغطريس: الظالم المتكبّر، وقد تغطرس فهو متغطرس[1]. وقال: ترّحه تتريحاً: أحزنه[2]. وقال: التمطّي: التبختر ومدّ اليدين في المشي[3]. وقال: غافصت الرجل: أخذته على غرّة[4].

وقال الميداني: شقّ فلان عصا المسلمين: إذا فرّق جمعهم. قال أبو عبيد: معناه فرّق جماعتهم، قال: والأصل في العصا الاجتماع والائتلاف؛ وذلك أنّها لا تدعى عصاً حتى تكون جميعاً، فإذا انشقّت لم تُدعَ عصاً. ومن ذلك قولهم للرجل إذا قام بالمكان واطمأنّ به واجتمع له فيه أمره: قد ألقى عصاه. قالوا: وأصل هذا أن الحاديين يكونان في رفقة فإذا فرّقهم الطريق شقّت العصا التي معهما، فأخذ هذا نصفها وذا نصفها، فضرب مثلاً لكلّ فرقة[5].

والقسطل: الغبار وهو كناية عن الجمّ الغفير. واللوثة بالضم: الاسترخاء والبُطء ومسّ الجنون. ويقال: نبا الشيء عنّي ينبو، أي: تجافى وتباعد. وأنبيته أنا، أي: دفعته عن نفسي، والنبْوَة: الرفعة. قوله: عُرج الضباع. قال الفيروزآبادي: عرج وعُراج - معرفتين ممنوعتين -: الضباع يجعلونها بمنزلة القبيلة، والعرجاء: الضبُع[6]. وفي بعض النسخ: جُوَّع جمع جائع كرُكَّع. والذئاب: في بعض النسخ بالهمز وفي بعضها بالباء الموحّدة.. وفي القاموس: الطِلس: العدد الكثير، أو هو خَلْقٌ كثير النسل، كالذباب والنمل والهوام، أو كثرة كلّ شيء[7]. وقال: خفق فلاناً بالسيف: ضربه ضربة خفيفة، وأخفق الرجل بثوبه: لمع به[8]. والهِبيد: الحنظل أو حبّه. والبسبس:

---

(١) الصحاح: ٣/ ٩٥٦.
(٢) الصحاح: ١/ ٣٥٧.
(٣) الصحاح: ٦/ ٢٤٩٤.
(٤) الصحاح: ٣/ ١٠٤٧.
(٥) مجمع الأمثال للميداني: ١/ ٣٦٤.
(٦) القاموس المحيط: ١/ ١٩٩.
(٧) القاموس المحيط ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
(٨) القاموس المحيط ٣/ ٢٢٨.

القفر الخالي. وبدا القوم: خرجوا إلى البادية. والقوداء: الطويلة الظهر، وفي بعض النسخ بالعين المهملة أي: المسنّة. وقد مرّ تفسير النافش. والتأليب: التحريض.

ولم نبالغ في تفسير هذا الحديث وشرحه لعدم اعتمادنا عليه لما فيه ممّا يخالف السير وسائر الأخبار.

١٨ - ختص[1]: محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن الحكم بن مسكين، عن أبي سعد المكاري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لقي أبا بكر فقال له: أما أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تطيع لي؟ قال: لا، ولو أمرني لفعلت. فقال: سبحان الله! أما أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تطيع لي؟ فقال: لا، ولو أمرني لفعلت. قال: فامضِ بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. فانطلق به إلى مسجد قبا، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي، فلمّا انصرف قال له عليّ عليه السلام: يا رسول الله. إنّي قلت لأبي بكر: أما أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تطيعني؟ فقال: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد أمرتك فأطعه.

قال: فخرج ولقي عمر وهو ذعر، فقام عمر وقال له: ما لك؟ فقال له: قال رسول الله كذا وكذا. فقال عمر: تبّاً لأمّة ولّوك أمرهم، أما تعرف سحر بني هاشم؟!

باب ٦
منازعة أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس في الميراث

١ - ج[2]: عن محمّد بن عمر بن عليّ، عن أبيه، عن أبي رافع قال: قال: إنّي لعند أبي بكر إذ طلع عليّ عليه السلام والعبّاس يتدافعان ويختصمان في ميراث النبيّ صلى الله عليه وآله فقال أبو بكر: يكفيكم القصير الطويل. يعني بالقصير: عليّاً عليه السلام، وبالطويل: العبّاس، فقال العبّاس: أنا عمّ النبيّ ووارثه، وقد حال عليّ بيني وبين تركته. قال أبو بكر: فأين كنت - يا عبّاس - حين جمع النبيّ بني عبد المطّلب وأنت أحدهم، فقال: أيّكم يوازرني ويكون وصيّي وخليفتي في أهلي، ينجز عدّتي، ويقضي ديني؟ فأحجمتم عنها إلاّ عليّاً فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنت كذلك. قال العبّاس فما أقعدك مجلسك هذا، وتأمّرت عليه؟! قال أبو بكر: اعذرونا بني عبد المطّلب.

توضيح وتفضيح: لعلّه كان: أغدرونا بني عبد المطّلب، بتقديم المعجمة على المهملة، أي: أتنازعون وترفعون إلي للغدر، وليس غرضكم التنازع، وظاهر أنّ منازعتهما كان لذلك، ولم يكن عبّاس ينازع أمير المؤمنين عليه السلام فيما أعطاه الرسول صلى الله عليه وآله بمحضره ومحضر غيره. ويؤيّده ما روي أنّ يحيى بن خالد البرمكي سأل هشام بن الحكم بمحضر من الرشيد فقال: أخبرني يا هشام، هل يكون الحقّ في جهتين مختلفتين؟ قال هشام: الظاهر لا. قال: فأخبرني عن رجلين اختصما في

(١) الاختصاص: ٢٧٣ - ٢٧٤. (٢) الاحتجاج: ١/١١٦ - ١١٧.

حكم في الدين وتنازعا واختلفا، هل يخلو من أن يكونا محقّين أو مبطلين، أو أن يكون أحدهما محقّاً والآخر مبطلاً؟

فقال هشام: لا يخلو من ذلك. قال له يحيى بن خالد: فأخبرني عن عليّ والعبّاس لمّا اختصما إلى أبي بكر في الميراث، أيّهما كان المحقّ ومَن المبطل، إذ كنتَ لا تقول: إنّهما كانا محقّين ولا مبطلين؟

قال هشام: فنظرت فإذا إنّني إن قلت: إنّ عليّاً عليه السلام كان مبطلاً كفرت وخرجت من مذهبي، وإن قلت: إنّ العبّاس كان مبطلاً ضرب الرشيد عنقي، ووردت عليّ مسألة لم أكن سُئلت عنها قبل ذلك الوقت ولا أعددت لها جواباً، فذكرت قول أبي عبد الله عليه السلام: يا هشام، لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. فعلمت أنّي لا أُخذل، وعنّ لي الجواب في الحال، فقلت له: لم يكن لأحدهما خطأ حقيقة، وكانا جميعاً محقّين، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصّة داود عليه السلام يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾[1] إلى قوله: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2] فأيّ الملكين كان مخطئاً وأيّهما كان مصيباً؟ أم تقول: إنّهما كانا مخطئين، فجوابك في ذلك جوابي.

فقال يحيى: لست أقول: إنّ الملكين أخطآ، بل أقول: إنّهما أصابا؛ وذلك أنّهما لم يختصما في الحقيقة ولم يختلفا في الحكم، وإنّما أظهرا ذلك لينبّها داود عليه السلام في الخطيئة، ويعرّفاه الحكم، ويوقفاه عليه.

قال هشام: قلت له: كذلك عليّ عليه السلام والعبّاس لم يختلفا في الحكم ولم يختصما في الحقيقة، وإنّما أظهرا الاختلاف والخصومة لينبّها أبا بكر على خطئه، ويدلاّه على أنّ لهما في الميراث حقّاً، ولم يكونا في ريب من أمرهما، وإنّما كان ذلك منهما على حدّ ما كان من الملكين. فاستحسن الرشيد ذلك الجواب[3].

ثمّ اعلم أنّ بعض الأصحاب ذكر أن أبا بكر ناقض روايته التي رواها في الميراث حيث دفع سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وبغلته وعمامته وغير ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نازعه العبّاس فيها فحكم بها لأمير المؤمنين عليه السلام، إمّا لأنّ ابن العمّ إذا كان أبو عمّ الميّت من الأب والأمّ أولى من العمّ الذي كان عمّ الميّت من جانب الأب فقط؛ لأنّ المتقرّب إلى الميّت بسببين أولى من المتقرّب إليه بسبب واحد، وإمّا لعدم توريث العم مع البنت، كما هو مذهب أهل البيت عليهم السلام. وقد تنازعا عند عمر بن الخطّاب فيما أفاء الله تعالى على رسوله وفي سهمه من خيبر وغيره، فدفعها إلى أمير المؤمنين عليه السلام أو دفعها إليهما، وقال: اقتصلا أنتما فيما بينكما، فأنتما أعرف بشأنكما.

ثمّ إنّ أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله أرسلن عثمان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهنّ من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كان عثمان في زعمهم أحد الشهود على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة كما سبق.

(١ ـ ٢) ص: ٢١ ـ ٢٢. (٣) الفصول المختارة: ١/ ٢٥.

وحكى قاضي القضاة عن أبي عليّ أنّه قال: لم يثبت أنّ أبا بكر دفع ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام على جهة الإرث. قال: وكيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه؟ وكيف يجوز لو كان إرثاً أن يخصّه بذلك، ولا إرث له مع العمّ؛ لأنّه عصبته؟ فإن كان وصل إلى فاطمة عليها السلام فقد كان ينبغي أن يكون العبّاس شريكاً في ذلك وأزواج النبيّ صلى الله عليه وآله، ولوَجب أن يكون ذلك ظاهراً مشهوداً؛ ليعرف أنّهم أخذوا نصيبهم من غير ذلك أو بدله، ولا يجب إذا لم يدفع إليه أبو بكر على جهة الإرث أن لا يحصل في يده؛ لأنّه قد يجوز أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله نحله. ويجوز أيضاً أن يكون أبو بكر رأى الصلاح في ذلك أن يكون في يده لما فيه من تقوية الدين، وتصدّق ببدله بعد التقويم؛ لأنّ للإمام أن يفعل ذلك.

قال: وأمّا البردة والقضيب فلا يمتنع أن يكون جعله عدّة في سبيل الله، وتقوية على المشركين، فتداولته الأئمّة لما فيه من التقوية، ورأى أن ذلك أولى من أن يتصدّق به إن ثبت أنّه عليه السلام لم يكن قد نحله غيره في حياته.

ثمّ أجاب قاضي القضاة من طلب الأزواج الميراث وتنازع أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس بعد موت فاطمة بأنّه يجوز أن يكونوا لم يعرفوا رواية أبي بكر وغيره للخبر. قال: وقد روي أنّ عائشة لما عرفتهنّ الخبر أمسكن. وقد بينّا أنّه لا يمتنع في مثل ذلك أن يخفى على من يستحقّ الإرث ويعرفه من يتقلّد الأمر، كما يعرف العلماء والحكّام من أحكام المواريث ما لا يعرفه أرباب الإرث[1].

وقال السيّد الأجلّ المرتضى رضي الله عنه : أمّا قول أبي عليّ: وكيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه... إلى آخره، فما نَراه زاد على التعجّب، وممّا عجب منه عجبنا، ولم نُثبت عصمة أبي بكر فننفي عن أفعاله التناقض.

وقوله: ويجوز أن يكون رأى الصلاح في أن يكون ذلك في يده لما فيه من تقوية الدين، أو أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله نحله... فكلّ ما ذكره جائز إلاّ أنّه قد كان يجب أن يظهر أسباب النحلة والشهادة بها والحجّة عليها، ولم يظهر شيء من ذلك فنَعرفه.

ومن العجائب أن تدّعي فاطمة عليها السلام فدك نحلة وتستشهد على قولها أمير المؤمنين عليه السلام وغيره فلا يصغي إليها وإلى قولها، ويترك السيف والبغلة والعمامة في يد أمير المؤمنين عليه السلام على سبيل النحلة بغير بيّنة ظهرت، ولا شهادة قامت، على أنّه كان يجب على أبي بكر أن يبيّن ذلك ويذكر وجهه بعينه أيّ شيء كان، لمّا نازع العبّاس فيه، فلا وقت لذكر الوجه في ذلك أولى من ذلك الوقت.

والقول في البردة والقضيب، إن كان نحلة أو على الوجه الآخر، يجري مجرى ما ذكرناه في وجوب الظهور والاستشهاد، ولسنا نرى أصحابنا يطالبون نفوسهم في هذا الموضع بما يطالبونا بمثله

(١) المغني: ٢٠/ ٣٣١ ـ ٣٣٢.

إذا ادّعينا وجوهاً وأسباباً وعللاً مجوّزة؛ لأنّهم لا يقنعون منّا بما يجوز ويمكن، بل يوجبون فيما ندّعيه الظهور والاشتهار وإذا كان ذلك عليهم نسوه أو تناسوه.

فأمّا قوله: إنّ أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما طلبن الميراث لأنّهنّ لم يعرفن رواية أبي بكر للخبر، وكذلك إنّما نازع العبّاس أمير المؤمنين عليه السلام بعد موت فاطمة عليها السلام في الميراث لهذا الوجه، فمن أقبح ما يقال في هذا الباب وأبعده من الصواب، وكيف لا يعرف أمير المؤمنين عليه السلام رواية أبي بكر وبها دُفعت زوجته عن الميراث؟! وهل مثل ذلك المقام الذي قامته [فاطمة عليها السلام]، وما رواه أبو بكر في دفعها يخفى على من هو في أقاصي البلاد، فضلاً عمّن هو في المدينة حاضر شاهد يعنى بالأخبار ويراعيها؟! إنّ هذا [لخروج] في المكابرة عن الحدّ.

وكيف يخفى على الأزواج ذلك حتّى يطلبنه مرّة بعد أُخرى، ويكون عثمان المترسل لهنّ والمطالب عنهنّ، وعثمان على زعمهم أحد من شهد أنّ النبي صلى الله عليه وآله لا يورث، وقد سمعن على كلّ حال أنّ بنت النبيّ صلى الله عليه وآله لم تورّث ماله؟ ولا بدّ أن يكنّ قد سألنَ عن السبب في دفعها، فذكر لهنّ الخبر، فكيف يقال: إنهنّ لم يعرفنه؟

والإكثار في هذا الموضع يوهم أنّه موضع شبهة وليس كذلك.(١) انتهى كلامه رفع الله مقامه.

باب ٧
نوادر الاحتجاج على أبي بكر

١ - ج(٢): روى رافع بن أبي رافع الطائي، عن أبي بكر وقد صحبه في سفر، قال: قلت له: يا أبا بكر، علّمني شيئاً ينفعني الله به. قال: كنت فاعلاً ولو لم تسألني، لا تشرك بالله شيئاً، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم شهر رمضان، وحجّ البيت، واعتمر، ولا تتأمّرن على اثنين من المسلمين. قال: قلت له: أمّا ما أمرتني به من الإيمان والصلاة والحجّ والعمرة والزكاة فأنا أفعله، وأمّا الإمارة فإنّي رأيت الناس لا يصيبون هذا الشرف وهذا الغنى والعزّ والمنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ بها. قال: إنّك استنصحتني فأجهدتُ نفسي لك.

فلمّا توفّي رسول الله واستُخلف أبو بكر جئته وقلت له: يا أبا بكر، ألم تنهني أن أتأمّر على اثنين؟ قال: بلى. قلت: فما لك تأمّرت على أُمّة محمّد؟ قال: اختلف الناس وخفت عليهم الضلالة، ودعوني فلم أجد من ذلك بدّاً!

(١) الشافي: ٤/ ٨٢ ـ ٨٤.
(٢) الاحتجاج: ١/ ١١٧.

باب ٨
احتجاج سلمان وأُبي بن كعب وغيرهما على القوم

١ - ج[(١)]: عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: خطب الناس سلمان الفارسي رحمة الله عليه بعد أن دفن النبيّ عليه وآله السلام بثلاثة أيّام، فقال فيها: ألا أيّها الناس، اسمعوا عنّي حديثي ثمّ اعقلوه عنّي، ألا إنّي أوتيت علماً كثيراً فلو حدّثتكم بكلّ ما أعلم من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لقالت طائفة منكم: هو مجنون، وقالت طائفة أخرى: اللهم اغفر لقاتل سلمان.

ألا إنّ لكم منايا تتبعها بلايا، ألا وإنّ عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام [علم] المنايا والبلايا، وميراث الوصايا، وفصل الخطاب، وأصل الأنساب على منهاج هارون بن عمران من موسى عليه السلام، إذ يقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت وصيّي في أهلي وخليفتي في أمّتي، وبمنزلة هارون من موسى[(٢)]، ولكنّكم أخذتم سنّة بني إسرائيل فأخطأتم الحقّ، تعلمون فلا تعملون، أما والله لتركبن طبقاً عن طبق، على سنّة بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة.

أما والذي نفس سلمان بيده لو ولّيتموها عليّاً عليه السلام لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم، ولو دعوتم الطير في جوّ السماء لأجابتكم، ولو دعوتم الحيتان من البحار لأتتكم، ولما عال وليّ الله، ولا طاش لكم سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، ولكن أبيتم فولّيتموها غيره، فأبشروا بالبلاء، واقنطوا من الرخاء، وقد نابذتكم على سواء، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء.

عليكم بآل محمّد عليهم السلام فإنّهم القادة إلى الجنّة، والدعاة إليها يوم القيامة، عليكم بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فوالله لقد سلّمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين مراراً جمّة مع نبيّنا، كلّ ذلك يأمرنا به، ويؤكّده علينا، فما بال القوم عرفوا فضله فحسدوه؟ وقد حسد قابيل هابيل فقتله، وكفّاراً قد ارتدت أمّة موسى بن عمران عليه السلام، فأمر هذه الأمّة كما أمر بني إسرائيل، فأين يُذهب بكم أيها الناس؟ ويحكم! ما أنا وأبو فلان وفلان، أجهلتم أم تجاهلتم، أم حسدتم، أم تحاسدتم؟! والله لترتدنّ كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف، يشهد الشاهد على الناجي بالهلكة، ويشهد الشاهد على الكافر بالنجاة.

ألا وإنّي أظهرت أمري، وسلّمت لنبيّي، واتّبعت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، عليّاً أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين، وقائد الغرّ المحجّلين، وإمام الصدّيقين والشهداء والصالحين.

بيان: عال: أي افتقر. وطاش السهم: أي زال ومال عن الهدف. وقال في النهاية في حديث سلمان: وإن أبيتم نابذناكم على سواء، أي: كاشفناكم وقاتلناكم على طريق مستوٍ في العلم بالمنابذة منّا ومنكم، بأن نظهر لهم العزم على قتالهم ونخبرهم به إخباراً مكشوفاً[(٣)]. وقوله: وكفّاراً. حال عن فاعل ارتدّت.

---

(١) الاحتجاج: ١/١٤٩ ـ ١٥٢. (٢) الغدير: ١/١٩٧، و٤/٦٣، و٥/٢٩٥.
(٣) النهاية: ٥/٧.

٢ - ج[١]: عن محمّد ويحيى ابني عبد الله بن الحسن، عن أبيهما، عن جدّهما، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: لمّا خطب أبو بكر قام أُبيّ بن كعب وكان يوم الجمعة أوّل يوم من شهر رمضان فقال: يا معاشر المهاجرين الذين اتّبعوا مرضاة الله وأثنى عليهم في القرآن، تناسيتم أم نسيتم، أم بدّلتم، أم غيّرتم، أم خذلتم، أم عجزتم؟ ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام فينا مقاماً أقام فيه عليّاً فقال: من كنت مولاه[٢] فهذا مولاه - يعني عليّاً - ومن كنت نبيّه فهذا أميره[٣]؟ ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا عليّ، أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، طاعتك واجبة على من بعدي، كطاعتي في حياتي إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي[٤]؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أوصيكم بأهل بيتي خيراً فقدّموهم ولا تتقدّموهم، وأمّروهم ولا تتأمّروا عليهم؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أهل بيتي منار الهدى، والدالّون على الله؟ ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: أنت الهادي لمن ضلّ؟ ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: عليّ المحيي لسنّتي، ومعلّم أمّتي، والقائم بحجّتي، وخير من أُخلّف من بعدي، وسيّد أهل بيتي، أحبّ الناس إليّ، طاعته كطاعتي على أمّتي؟ ألستم تعلمون أنّه لم يولّ على عليّ عليه السلام أحداً منكم، وولاّه في كلّ غيبته عليكم؟ ألستم تعلمون أنّه كان منزلهما في أسفارهما واحداً، وارتحالهما وأمرهما واحداً؟ ألستم تعلمون أنّه قال: إذا غبت فخلّفت فيكم عليّاً فقد خلّفت فيكم رجلاً كنفسي؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل موته قد جمعنا في بيت ابنته فاطمة عليها السلام فقال لنا: إنّ الله أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن اتّخذ أخاً من أهلك فاجعله نبيّاً واجعل أهله لك ولداً، أُطهّرهم من الآفات وأُخلصهم من الريب، فاتّخذ موسى هارون أخاً، وولده أئمّة لبني إسرائيل من بعده، يحلّ لهم في مساجدهم ما يحلّ لموسى، وإنّ الله أوحى إليّ أن اتّخذ عليّاً أخاً كموسى اتخذ هارون أخاً، واتّخذ ولده ولداً، فقد طهّرتهم كما طهّرت ولد هارون، إلاّ أنّي ختمتُ بك النبيّين فلا نبيّ بعدك، فهم الأئمّة الهادية؟

أفما تبصرون؟! أفما تفهمون؟! أفما تسمعون؟! ضربت عليكم الشبهات، فكان مثلكم كمثل رجل في سفر أصابه عطش شديد حتّى خشي أن يهلك فلقي رجلاً هادياً في الطريق فسأله عن الماء، فقال له: أمامك عينان إحداهما مالحة والأُخرى عذبة، فإن أصبت المالحة ضللت، وإن أصبت العذبة هديت ورويت.

فهذا مثلكم أيّتها الأمّة المهمَلة كما زعمتم، وأيم الله ما أُهملتم، لقد نُصِب لكم علَم يحلّ لكم

---

(١) الاحتجاج: ١/١٥٣ - ١٥٧.

(٢) انظر: الغدير ١/١٦٢، وإحقاق الحق ٢/٤٢٦ - ٤٦٥، وغيرهما.

(٣) جاء ما يقرب من مضمونه في الينابيع، الباب ٥٦.

(٤) راجع مصادره في الغدير: ١/٢٩٧.

الحلال، ويحرّم عليكم الحرام، لو أطعتموه ما اختلفتم ولا تدابرتم ولا تقاتلتم ولا برئ بعضكم من بعض، فوالله إنّكم بعده لمختلفون في أحكامكم، وإنّكم بعده لناقضو عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّكم على عترته لمختلفون، إن سُئل هذا عن غير ما يعلم أفتى برأيه، فقد أبعدتم، وتجاريتم، وزعمتم الاختلاف رحمة، هيهات! أبى الكتاب ذلك عليكم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١)، ثمّ أخبرنا باختلافكم فقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(٢)، أي للرحمة وهم آل محمّد. سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا عليّ، أنت وشيعتك على الفطرة والناس منها براء.

فهلاّ قبلتم من نبيّكم صلى الله عليه وآله؟! كيف وهو خبّركم بانتكاصتكم عن وصيّه عليه السلام وأمينه ووزيره وأخيه ووليّه دونكم أجمعين، أطهركم قلباً، وأعلمكم علماً، وأقدمكم سلماً، وأعظمكم غناء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أعطاه تراثه، وأوصاه بعداته، واستخلفه على أُمّته، وضع عنده سرّه فهو وليّكم دونكم أجمعين، وأحقّ به منكم على التعيين، سيّد الوصيّين، وأفضل المتّقين، وأطوع الأمّة لربّ العالمين، سلّمتم عليه بخلافة المؤمنين في حياة سيّد النبيّين وخاتم المرسلين، فقد أعذر من أنذر، وأدّى النصيحة من وعظ، وبصّر من عمىً، فقد سمعتم كما سمعنا، ورأيتم كما رأينا، وشهدتم كما شهدنا.

فقام عبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل فقالوا: يا أُبيّ، أصابك خبل أم بك جنّة؟ فقال: بل الخبل فيكم، كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فألفيته يكلّم رجلاً أسمع كلامه ولا أرى وجهه، فقال فيما يخاطبه: ما أنصحه لك ولأُمّتك، وأعلمه بسنّتك! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفترى أمّتي تنقاد له من بعدي؟ قال: يا محمّد، تتبعه من أُمّتك أبرارها، وتخالف عليه من أمّتك فجّارها، وكذلك أوصياء النبيّين من قبلك، يا محمّد، إنّ موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، وكان أعلم بني إسرائيل، وأخوفهم لله وأطوعهم له، وأمره الله عزّ وجلّ أن يتّخذه وصيّاً كما اتخذت عليّاً وصيّاً، وكما أُمرت بذلك، فحسد بنو إسرائيل سبط موسى خاصّة، فلعنوه وشتموه وعنّفوه ووضعوا له، فإن أخذت أمّتك سنن بني إسرائيل كذّبوا وصيّك، وجحدوا أمره، وابتزّوا خلافته، وغالطوه في علمه.

فقلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، منَ هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا ملك من ملائكة الله ربّي عزّ وجلّ، ينبئني أنّ أُمّتي تختلف على وصيّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإنّي أُوصيك يا أُبيّ بوصيّة إن حفظتها لم تزل بخير، يا أُبيّ، عليك بعليّ فإنّه الهادي المهدي، الناصح لأُمّتي، المحيي لسنّتي، وهو إمامكم بعدي، فمن رضي بذلك لقيني على ما فارقته عليه، يا أُبيّ، ومن غيّر وبدّل لقيني ناكثاً لبيعتي، عاصياً أمري، جاحداً لنبوّتي، لا أشفع له عند ربّي، ولا أسقيه من حوضي. فقامت إليه رجال من الأنصار فقالوا: اقعد رحمك الله يا أُبيّ، فقد أدّيتَ ما سمعت، ووفيت بعهدك.

---

(١) آل عمران: ١٠٥. (٢) هود: ١١٨ ـ ١١٩.

٣ - شف[1]: الحسن بن محمّد بن الفرزدق، عن محمّد بن أبي هارون، عن مخول بن إبراهيم، عن عيسى بن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، عن جدّه، مثله، مع اختصار.

وقد أوردته في باب النصوص على أمير المؤمنين (عليه السلام[2]).

بيان: قال الجوهري: أغنيتُ عنك مُغنى فلان، أي: أجزأت عنك مُجزَأه. ويقال: ما يغني عن هذا، أي: ما يُجدي عنك وما ينفعك. والغَناء بالفتح: النفع[3]. قوله: وبصَّر. على بناء التفعيل، معطوف على وعظ. ويقال: وضع منه فلان، أي: حطّ من درجته.

باب ٩
ما كتب أبو بكر إلى جماعة يدعوهم إلى البيعة وفيه بعض أحوال أبي قحافة

١ - ج[4]: روي عن الباقر عليه السلام أنّ عمر بن الخطّاب قال لأبي بكر: اكتب إلى أُسامة يقدم عليك، فإنّ في قدومه قطع الشنعة عنّا. فكتب أبو بكر إليه: من أبي بكر خليفة رسول الله إلى أُسامة بن زيد، أمّا بعد، فانظر إذا أتاك كتابي فأقبل إليّ أنت ومن معك، فإنّ المسلمين قد اجتمعوا [عليّ] وولّوني أمرهم، فلا تتخلّفن فتعصي، ويأتيك منّي ما تكره، والسلام.

قال: فكتب إليه أُسامة جواب كتابه: من أُسامة بن زيد عامل رسول الله صلى الله عليه وآله على غزوة الشام، أمّا بعد، فقد أتاني منك كتاب ينقض أوّله آخره: ذكرتَ في أوّله أنّك خليفة رسول الله، وذكرت في آخره أنّ المسلمين اجتمعوا عليك فولّوك أُمورهم، ورضوا بك، واعلم أنّي ومن معي من جماعة المسلمين والمهاجرين، فلا والله ما رضينا بك ولا ولّيناك أمرنا، وانظر أن تدفع الحقّ إلى أهله، وتخلّيهم وإيّاه، فإنّهم أحقّ به منك، فقد علمتَ ما كان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام يوم غدير خم، فما طال العهد فتنسى، انظر بمركزك، ولا تخلف فتعصي الله ورسوله، وتعصي من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله عليك وعلى صاحبك، ولم يعزلني حتّى قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّك وصاحبك رجعتما وعصيتما، فأقمتما في المدينة بغير إذني. قال: فهمّ أبو بكر أن يخلعها من عنقه، قال: فقال له عمر: لا تفعل، قميص قمّصك الله، لا تخلعه فتندم، ولكن ألحّ على أُسامة بالكتب، ومر فلاناً وفلاناً وفلاناً يكتبون إلى أُسامة أن لا يفرّق جماعة المسلمين، وأن يدخل يده فيما صنعوا.

قال: فكتب إليه أبو بكر وكتب إليه أُناس من المنافقين: أن ارضَ بما اجتمعنا عليه، وإيّاك أن

---

(١) كشف اليقين لابن طاووس: ١٧٠ ـ ١٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ٣٨/١٢٣ ـ ١٢٥، الحديث ٧١.

(٣) الصحاح: ٦/٢٤٤٩.

(٤) الاحتجاج: ١/١١٤ ـ ١١٥.

تشمل المسلمين فتنة من قبلك، فإنّهم حديثو عهد بالكفر. فلمّا وردت الكتب على أُسامة انصرف بمن معه حتّى دخل المدينة.

فلمّا رأى اجتماع الناس على أبي بكر انطلق إلى عليّ بن أبي طالب فقال: ما هذا؟ فقال له عليّ: هذا ما ترى. قال له أُسامة: فهل بايعته؟ فقال: نعم. فقال له أُسامة: طائعاً أو كارهاً؟ قال: لا بل كارهاً. قال: فانطلق أُسامة فدخل على أبي بكر فقال: السلام عليك يا خليفة المسلمين. قال: فردّ أبو بكر وقال: السلام عليك أيّها الأمير.

بيان: انظر بمركزك، أي: إلى مركزك ومحلّك الذي أقامك فيه النبيّ ﷺ من عسكري وأمرك أن تكون فيهم، أو من كونك رعيّة لأمير المؤمنين عليه السلام، أو انظر في أمرك في مركزك ومقامك.

٢ - جا[1]: عليّ بن محمّد البصري، عن أحمد بن إبراهيم عن زكريّا بن يحيى، عن عبد الجبّار، عن سفيان، عن الوليد بن كثير، عن ابن الصيّاد، عن سعيد بن المسيّب قال: لمّا قبض النبيّ ﷺ ارتجّت مكّة بنعيه، فقال أبو قحافة: ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله. قال: فمن ولي الناس بعده؟ قالوا: ابنك. قال: فهل رضيت بنو عبد شمس وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم. قال: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع الله، ما أعجب هذا الأمر! يتنازعون النبوّة ويسلّمون الخلافة، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ !

بيان: أي: ما أعجب منازعة بني عبد شمس وبني المغيرة في النبوّة الحقّة وتسليمهم الخلافة الباطلة. إنّ هذا لشيء يراد: أي هذا الأمر لشيء من ريب الزمان يراد بنا، فلا مردّ له، أو إنّ تولّي أمر الخلافة شيء يُتمنّى أو يريده كلّ أحد، أو إنّ دينكم يطلب ليؤخذ منكم كما قيل في الآية[2]، والأخير هنا أبعد.

٣ - ج[3]: روي أنّ أبا قحافة كان بالطائف لمّا قُبض رسول الله ﷺ وبويع لأبي بكر، فكتب إلى أبيه كتاباً عنوانه: من خليفة رسول الله إلى أبي قحافة، أمّا بعد، فإنّ الناس قد تَراضوا بي، فأنا اليوم خليفة الله، فلو قدمتَ علينا لكان أحسن بك.

فلمّا قرأ أبو قحافة الكتاب قال للرسول: ما منعهم من عليّ؟ قال الرسول: هو حدث السن، وقد أكثر القتل في قريش وغيرها، وأبو بكر أسنّ منه. قال أبو قحافة: إن كان الأمر في ذلك بالسنّ فأنا أحقّ من أبي بكر، لقد ظلموا عليّاً حقّه، ولقد بايع له النبيّ وأمرنا ببيعته، ثمّ كتب إليه: من أبي قحافة إلى أبي بكر، أمّا بعد، فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق ينقض بعضه بعضاً، مرّة تقول: خليفة الله، ومرّة تقول: خليفة رسول الله، ومرّة: تراضى بي الناس، وهو أمر ملتبس، فلا تدخلنّ في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً، ويكون عقباك منه إلى الندامة وملامة النفس اللوّامة، لدى الحساب يوم القيامة، فإنّ للأمور مداخل ومخارج، وأنت تعرف من هو أولى منك بها، فراقب الله كأنّك تراه، ولا تدعنّ صاحبها، فإنّ تركها اليوم أخفّ عليك وأسلم لك.

---

(١) أمالي المفيد: ٩٠ ـ ٩١. (٢) ص: ٦.
(٣) الاحتجاج: ١/ ١١٥.

٤ - شف[1]: من كتاب البهار للحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن ابن رئاب، عن فضيل الرسّان والحسن بن السكن، عمّن أخبره، عن أبي أمامة قال: لمّا قُبض رسول الله ﷺ كتب أبو بكر إلى أسامة بن زيد: من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى أسامة بن زيد، أمّا بعد، فإنّ المسلمين اجتمعوا عليّ لما أن قُبض رسول الله ﷺ فإذا أتاك كتابي هذا فأقبل. قال: فكتب إليه أسامة بن زيد: أمّا بعد، فإنّه جاءني كتاب لك ينقض آخره أوّله، كتبتَ إليّ: من أبي بكر خليفة رسول الله صلّى الله عليه وعلى أهل بيته، ثمّ أخبرتني أنّ المسلمين أجمعوا عليك.

قال: فلمّا قدم عليه قال له: يا أبا بكر، أما تذكر رسول الله ﷺ حين أمرنا أن نسلّم على عليّ بإمرة المؤمنين، فقلتَ: أمِن الله ومن رسوله؟ فقال لك: نعم. ثمّ قام عمر فقال: أمِن الله ومن رسوله؟ فقال: نعم. ثمّ قام القوم فسلّموا عليه، فكنتُ أصغركم سنّاً. فقمت فسلّمت بإمرة المؤمنين؟! فقال: إنّ الله لم يكن ليجمع لهم النبوّة والخلافة.

باب ١٠
إقرار أبي بكر بفضل أمير المؤمنين وخلافته بعد الغصب

١ - ج[2]: عن عامر الشعبي، عن عروة بن الزبير، عن الزبير بن العوّام قال: لمّا قال المنافقون: إنّ أبا بكر تقدّم عليّاً وهو يقول: أنا أولى بالمكان منه، قام أبو بكر خطيباً، فقال: صبراً على من ليس يؤول إلى دين، ولا يحتجب برعاية، ولا يرعوي لولاية، أظهر الإيمان ذلّة، وأسرّ النفاق علّة، هؤلاء عصبة الشيطان، وجمع الطغيان، تزعمون أنّي أقول إنّي أفضل من عليّ؟ وكيف أقول ذلك، وما لي سابقته، ولا قرابته، ولا خصوصيّته؟ وحّد الله وأنا ملحده، وعبده قبل أن أعبده، ووالى الرسول وأنا عدوّه، وسبقني بساعات لو تقطّعت لم ألحق ثناءه، ولم أقطع غباره.

إنّ عليّ بن أبي طالب فاز والله من الله بمحبّة، ومن الرسول بقربة، ومن الإيمان برتبة، لو جهد الأوّلون والآخرون إلاّ النبيّين لم يبلغوا درجته، ولم يسلكوا منهجه، بذل لله مهجته، ولابن عمّه مودّته، كاشف الكرب، ودافع الريب، وقاطع السبب إلاّ سبب الرشاد، وقامع الشرك، ومظهر ما تحت سويداء حبّة النفاق، مجنّة هذا العالم، لحق قبل أن يلاحق، وبَرز قبل أن يسابق، جمع العلم والحلم والفهم، فكأنّ جميع الخيرات كانت لقلبه كنوزاً، لا يدّخر منها مثقال ذرّة إلا أنفقه في بابه.

فمن ذا يأمل أن ينال درجته وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين وليّاً، وللنبي وَصيّاً، وللخلافة واعياً، وبالإمامة قائماً؟ أفيغترّ الجاهل بمقام قمته إذ أقامني وأطعته إذ أمرني؟ سمعت رسول الله يقول: الحق مع عليّ وعليّ مع الحقّ، من أطاع عليّاً رشد، ومن عصى عليّاً فسد، ومن أحبّه سعد، ومن أبغضه شقي.

والله لو لم نحبّ ابن أبي طالب إلاّ لأجل أنّه لم يواقع لله محرماً، ولا عبد من دونه صنماً،

---

(١) كشف اليقين: ٩٥.

(٢) الاحتجاج: ١/١١٥ ـ ١١٦.

ولحاجة الناس إليه بعد نبيّهم، لكان في ذلك ما يجب، فكيف لأسباب أقلّها موجب، وأهونها مرغب؟ له الرحم الماسّة بالرسول، والعلم بالدقيق والجليل، والرضا بالصبر الجميل، والمواساة في الكثير والقليل، وخلال لا يبلغ عدّها، ولا يدرك مجدها، ودّ المتمنّون أن لو كانوا تراب ابن أبي طالب، أليس هو صاحب لواء الحمد، والساقي يوم الورود، وجامع لكلّ كرم، وعالم كلّ علم، والوسيلة إلى الله وإلى رسوله؟!

بيان: قوله: لم ألحق ثناءه. كذا في بعض النسخ، أي: لا أطيق أن أثني عليه كما هو أهله. وفي بعضها: شأوه، وهو الغاية والأمد والسبق، يقال: شأوت القوم شأواً، أي: سبقتهم، وفي بعضها: شاره، ولعلّه من الشارة وهي الهيئة الحسنة والحسن والجمال والزينة. ولا يبعد أن يكون في الأصل: ناره، لاستقامة السجع وبلاغة المعنى.

وأمّا قوله: ولم أقطع غباره. فهو مثل، يقال: فلان ما يشقّ غباره. إذا سبق غيره في الفضل، أي: لا يلحق أحد غباره فيشقّه كما هو المعروف في المثل بين العجم، أو ليس له غبار لسرعته. واختار الميداني الأخير، حيث قال: يريد أنّه لا غبار له فيشَق، وذلك لسرعة عدوه، وخفّة وطئه، وقال:

خفّت مواقع وطئه لو أنّه ... يجري برملة عالج لم يرهج

وقال النابغة:

أعلمتَ يوم عُكاظ حين لقيتني ... تحت العجاج فما شققت غباري

يضرب لمن لا يُجارى؛ لأنّ مُجاريك يكون معك في الغبار، فكأنّه قال: لا قرن له يجاريه

وقال الجوهري: سواد القلب وسويداؤه: حبّته[٢].

باب ١١
نزول الآيات في أمر فدك وقصصه وجوامع الاحتجاج فيه وفيه قصة خالد وعزمه على قتل أمير المؤمنين عليه السلام بأمر المنافقين

١ - ن[٣]: فيما احتجّ الرضا عليه السلام في فضل العترة الطاهرة، قال: والآية الخامسة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[٤] خصوصيّة خصّهم العزيز الجبّار بها واصطفاهم على الأمّة. فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ادعوا ليَّ فاطمة. فدعيت له، فقال: يا فاطمة.

(١) مجمع الأمثال للميداني: ٢/ ٢٩٤.
(٢) الصحاح: ٢/ ٤٩٢.
(٣) عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٣٣، الحديث ١.
(٤) الإسراء: ٢٦.

قالت: لبّيك يا رسول الله. فقال ﷺ: فدك هي ممّا لو يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وهي لي خاصّة دون المسلمين، وقد جعلتها لك، لما أمرني الله به، فخذيها لك ولولدك.

بيان: نزول هذه الآية في فدك رواه كثير من المفسّرين، ووردت به الأخبار من طريق الخاصّة والعامّة.

قال الشيخ الطبرسي رحمه الله [1]: قيل: إنّ المراد قرابة الرسول. عن السديّ، قال: إنّ عليّ بن الحسين قال لرجل من أهل الشام حين بعث به عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية عليهما اللعنة: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: أما قرأت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾؟ قال: وإنّكم ذو القربى الذين أمر الله أن يؤتى حقّه؟ قال: نعم، وهو الذي رواه أصحابنا رضي الله عنهم عن الصادقين عليهما السلام. وأخبرنا السيّد مهدي بن نزار الحسني - بإسناد ذكره - عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت قوله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ أعطى رسول الله ﷺ فاطمة فدك.

قال عبد الرحمن بن صالح: كتب المأمون إلى عبيد الله بن موسى يسأله عن قصّة فدك، فكتب إليه عبيد الله بهذا الحديث، رواه عن الفضيل بن مرزوق عن عطيّة، فردّ المأمون فدك على ولد فاطمة. انتهى.

وروى العيّاشي [2] حديث عبد الرحمن بن صالح إلى آخره.

٢ - جا [3]: الجعابي، عن محمّد بن جعفر الحسني، عن عيسى بن مهران، عن يونس، عن عبد الله بن محمّد بن سليمان الهاشمي، عن أبيه، عن جدّه، عن زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام قالت: لمّا اجتمع رأي أبي بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك والعَوالي، وأيست من إجابته لها، عدلت إلى قبر أبيها رسول الله ﷺ، فألقت نفسها عليه وشكت إليه ما فعله القوم بها، وبكت حتّى بلّت تربته ﷺ بدموعها عليها السلام وندبته، ثمّ قالت في آخر ندبتها:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة	لو كنتَ شاهدها لم يكبر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا	فغبت عنّا وكلّ الخير محتجب
وكنت بدراً ونوراً يُستضاء به	عليك تنزل من ذي العزّة الكتب
تجهّمتنا رجال واستُخفّ بنا	بعد النبيّ وكلّ الخير مغتصب
سيعلم المتولّي ظلم حامتنا	يوم القيامة أنّى سوف ينقلب
فقد لقينا الذي لم يلقه أحد	من البريّة لا عجم ولا عرب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت	لنا العيون بتهمال له سكب

(١) مجمع البيان: ٣/ ٤١١.

(٢) تفسير العيّاشي: ٢/ ٢٨٧ - ٢٨٨، الحديث ٥١.

(٣) أمالي المفيد: ٤٠ - ٤١، الحديث ٨.

بيان: الحامّة: خاصّة الرجل، والتخفيف لضرورة الشعر. قال في النهاية في الحديث: اللهمّ إن هؤلاء أهل بيتي وحامّتي أذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. حامّة الإنسان: خاصّته ومن يقرب منه، وهو الحميم أيضاً[١]. انتهى.

والتهمال: من الهمل وإن لم يرد في اللغة. قال الجوهري: هملت عينه تهمل، وتهمُل هملاً وهملاناً، أي: فاضت، وانهملت مثله[٢]. وقال: سكبت الماء سكباً، أي: صببته، وسكب الماء نفسه سكوباً وتسكاباً وانسكب بمعنى[٣].

وسيأتي شرح باقي الأبيات في بيان خطبتها.

٣ - فر[٤]: زيد بن محمّد بن جعفر العلوي، عن محمّد بن مروان، عن عبيد بن يحيى، عن محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: لمّا نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله شدّ رسول الله صلى الله عليه وآله سلاحه وأسرج دابّته، وشدّ عليّ عليه السلام سلاحه وأسرج دابّته، ثمّ توجّها في جوف الليل وعليّ عليه السلام لا يعلم حيث يريد رسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى انتهيا إلى فدك.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، تحملني أو أحملك؟ قال عليّ عليه السلام: أحملك يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، بل أنا أحملك لأنّي أطول بك ولا تطول بي.

فحمل عليّاً عليه السلام على كتفيه ثمّ قام به فلم يزل يطول به حتّى علا عليّ سور الحصن، فصعد عليّ عليه السلام على الحصن ومعه سيف رسول الله صلى الله عليه وآله، فأذّن على الحصن، وكبّر، فابتدر أهل الحصن إلى باب الحصن هرّاباً حتّى فتحوه وخرجوا منه، فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وآله بجمعهم، ونزل عليّ إليهم، فقتل علي عليه السلام ثمانية عشر من عظمائهم وكبرائهم، وأعطى الباقون بأيديهم، وساق رسول الله صلى الله عليه وآله ذراريهم ومن بقي منهم، وغنائمهم يحملونها على رقابهم إلى المدينة، فلم يوجف فيها غير رسول الله صلى الله عليه وآله فهي له ولذريّته خاصّة دون المؤمنين.

٤ - كنز[٥]: محمّد بن العبّاس، عن عليّ بن العبّاس المقانعي، عن أبي كرب، عن معاوية بن هشام، عن فضيل بن مرزوق، عن عطيّة، عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[٦] دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام وأعطاها فدكاً.

٥ - مد[٧]: بإسناده إلى البخاري من صحيحه[٨]، عن يحيى بن بكير، عن الليث، عن عقيل بن شهاب، عن عروة، عن عائشة، أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر.

---

(١) النهاية: ١/ ٤٤٦.

(٢-٣) الصحاح: ١/ ١٨٥٤، ١٤٨.

(٤) تفسير فرات الكوفي: ١٥٩.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة لشرف الدين النجفي: ١/ ٤٣٥، الحديث ٥.

(٦) الإسراء: ٢٦.

(٧) العمدة: ٣٩٠، الحديث ٧٧٦.

(٨) صحيح البخاري: ٥/ ١٧٧.

فقال أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال، وإنّي والله لا أُغيّر شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله ﷺ.

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النبيّ ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها عليّ عليه السلام.

وروى مثل ذلك من صحيح مسلم بسنده[1].

٦ - مصباح الأنوار[2]: عن يحيى بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قالت فاطمة عليها السلام لعليّ عليه السلام: إنّ لي إليك حاجة يا أبا الحسن. فقال: تقضى يا بنت رسول الله ﷺ. فقالت: نشدتك بالله وبحقّ محمّد رسول الله ﷺ أن لا يصلّي عليَّ أبو بكر ولا عمر، فإنّي لا أكتمك حديثاً. فقالت: قال لي رسول الله ﷺ: يا فاطمة إنّك أوّل من يلحق بي من أهل بيتي فكنت أكره أن أسوءك.

قال: فلمّا قُبضت أتاه أبو بكر وعمر وقالا: لمَ لا تخرجها حتّى نصلّي عليها؟ فقال: ما أرانا إلاّ سنصبح. ثمّ دفنها ليلاً، ثمّ صور برجله حولها سبعة أقبر، قال: فلمّا أصبحوا أتوه فقالوا: يا أبا الحسن، ما حملك على أن تدفن بنت رسول الله ﷺ ولم نحضرها؟ قال: ذلك عهدها إليّ. قال: فسكت أبو بكر، فقال عمر: هذا والله شيء في جوفك.

فثار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ بتلابيبه ثمّ جذبه فاسترخى في يده ثمّ قال: والله لولا كتاب سبق وقول من الله، والله لقد فررتَ يوم خيبر وفي مواطن، ثمّ لم ينزل الله لك توبة حتّى الساعة. فأخذه أبو بكر وجذبه وقال: قد نهيتك عنه.

٧ - فس[3]: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[4] يعني: قرابة رسول الله ﷺ، ونزلت في فاطمة عليها السلام فجعل لها فدك، والمسكين من ولد فاطمة، وابن السّبيل من آل محمّد وولد فاطمة.

٨ - فس[5]: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾[6] قال: المنّاع: الثاني، والخير: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وحقوق آل محمّد عليهم السلام، ولمّا كتب الأوّل كتاب فدك بردّها على فاطمة منعه الثاني، فهو ﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[7]

٩ - يج[8]: روي عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ رسول الله ﷺ خرج في غزاة، فلمّا انصرف راجعاً نزل في بعض الطريق، فبينما رسول الله ﷺ يطعم والناس معه إذ أتاه جبرئيل فقال: يا

(١) العمدة: ٣٩٠ ـ ٣٩١، عن صحيح مسلم ٣/ ١٣٨٠، الحديث ٥٢.

(٢) مصباح الأنوار: ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٣) تفسير القمي: ٢/ ١٨.

(٤) الإسراء: ٢٦.

(٥) تفسير القميّ: ٢/ ٣٢٦.

(٦) ق: ٢٥.

(٧) القلم: ١٢.

(٨) الخرائج: ١/ ١١٢ ـ ١١٣، الحديث ١٨٧.

محمّد، قم فاركب. فقام النبيّ ﷺ فركب وجبرئيل معه، فطُويت له الأرض كطيّ الثوب حتّى انتهى إلى فدك.

فلمّا سمع أهل فدك وقع الخيل ظنّوا أن عدوّهم قد جاءهم، فغلّقوا أبواب المدينة ودفعوا المفاتيح إلى عجوز لهم في بيت لهم خارج من المدينة ولحقوا برؤوس الجبال. فأتى جبرئيل العجوز حتّى أخذ المفاتيح، ثمّ فتح أبوابَ المدينة ودار النبيّ ﷺ في بيوتها وقراها، فقال جبرئيل: يا محمّد، هذا ما خصّك الله به وأعطاكه دون الناس، وهو قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(١)، في قوله: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾(٢).

ولم يعرف المسلمون ولم يطؤوها ولكنّ الله أفاءها على رسوله، وطوّف به جبرئيل في دورها وحيطانها، وغلق الباب ودفع المفاتيح إليه، فجعلها رسول الله ﷺ في غلاف سيفه وهو معلّق بالرحل، ثمّ ركب وطُويت له الأرض كطي الثوب.

ثمّ أتاهم رسول الله ﷺ وهم على مجالسهم لم يتفرّقوا ولم يبرحوا، فقال رسول الله ﷺ: قد انتهيتُ إلى فدك، وإنّي قد أفاءَها الله عليّ. فغمز المنافقون بعضهم بعضاً، فقال رسول الله ﷺ: هذه مفاتيح فدك. ثمّ أخرجها من غلاف سيفه، ثمّ ركب رسول الله ﷺ وركب معه الناس.

فلمّا دخل المدينة دخل على فاطمة عليها السلام فقال: يا بنيّة، إنّ الله قد أفاء على أبيك بفدك واختصّه بها، فهي له خاصّة دون المسلمين أفعل بها ما أشاء، وإنّه قد كان لأمّك خديجة على أبيك مهر، وإنّ أباك قد جعلها لك بذلك، وأنحلتكها لك ولولدك بعدك.

قال: فدعا بأديم، ودعا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: اكتب لفاطمة عليها السلام بفدك نحلة من رسول الله، فشهد على ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومولى لرسول الله وأُمّ أيمن، فقال رسول الله: إنّ أُمّ أيمن امرأة من أهل الجنّة.

وجاء أهل فدك إلى النبيّ فقاطعهم على أربعة وعشرين ألف دينار في كلّ سنة.

بيان: آية الفيء في موضعين، إحداهما: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٣).

ثانيتهما: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤).

والفيء: الرجوع، أي: أرجعه الله وردّه على رسوله. والمشهور أنّ الضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ راجع إلى بني النضير. والإيجاف: من الوجيف، وهو السير السريع. والركاب من الإبل: ما يُركب، والواحدة راحلة.

---

(١) الحشر: ٧.
(٢) الحشر: ٦.
(٣) الحشر: ٧.
(٤) الحشر: ٦،

١٠- قب[١]: نزل النبيّ ﷺ على فدك يحاربهم، ثمّ قال لهم: وما يأمنكم أن تكونوا آمنين في هذا الحصن وأمضي إلى حصونكم فأفتحها؟ فقالوا: إنّها مقفلة وعليها من يمنع عنها، ومفاتيحها عندنا. فقال ﷺ: إنّ مفاتيحها دُفعت إليّ. ثمّ أخرجها وأراها القوم، فاتّهموا ديّانهم أنّه صبا إلى دين محمّد ودفع المفاتيح إليه، فحلف أنّ المفاتيح عنده، وأنّها في سَفَط في صندوق في بيت مقفل عليه.

فلمّا فتّش عنها ففقدت، فقال الديّان: لقد أحرزتها وقرأت عليها من التوراة وخشيت من سحره، وأعلم الآن أنّه ليس بساحر وأنّ أمره لعظيم. فرجعوا إلى النبيّ ﷺ وقالوا: من أعطاكها؟ قال: أعطاني الذي أعطى موسى الألواح جبريل. فتشهّد الديّان، ثمّ فتحوا الباب وخرجوا إلى رسول الله، وأسلم من أسلم منهم، فأقرّهم في بيوتهم وأخذ منهم أخماسهم.

فنزل: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[٢]، قال: وما هو؟ قال: أعطِ فاطمة فدكاً، وهي من ميراثها من أمّها خديجة، ومن أختها هند بنت أبي هالة، فحمل إليها النبيّ ﷺ ما أخذ منه، وأخبرها بالآية، فقالت: لستُ أُحدث فيها حدثاً وأنت حيّ، أنت أولى بي من نفسي، ومالي لك. فقال: أكره أن يجعلوها عليكِ سُبّة فيمنعوكِ إيّاها من بعدي. فقالت: أنفذ فيها أمرك.

فجمع الناس إلى منزلها وأخبرهم أنّ هذا المال لفاطمة عليها السلام ففرّقه فيهم، وكان كلّ سنة كذلك، ويأخذ منه قوتها، فلمّا دنا وفاته دفعه إليها.

بيان: السُبة بالضم: العار، أي: يمنعونها منك فيكون عاراً عليك. ويحتمل أن يكون شبهة، أو نحوها.

١١ - شي[٣]: عن أبي جميلة المفضّل بن صالح، عن بعض أصحابه، عن أحدهما، قال: إنّ فاطمة صلوات الله عليها انطلقت إلى أبي بكر فطلبت ميراثها من نبيّ الله ﷺ، فقال: إنّ نبيّ الله لا يورث. فقالت: أكفرت بالله، وكذّبت بكتابه؟ قال الله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[٤].

١٢ - شي[٥]: عن محمّد بن حفص بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

لمّا أنزل الله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ﴾[٦] قال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل، قد عرفت المسكين، فمن ذوو القربى؟ قال: هم أقاربك. فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فقال: إنّ ربّي أمرني أن أُعطيكم ما أفاء عليّ. قال: أعطيتكم فدك.

١٣ - شي[٧]: عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان رسول الله ﷺ أعطى

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ١/ ١٤٢.
(٢) الإسراء: ٢٦.
(٣) تفسير العياشي: ١/ ٢٢٥.
(٤) النساء: ١١.
(٥) تفسير العياش: ٢/ ٢٨٧.
(٦) الروم: ٣٨.
(٧) تفسير العياشي: ٢/ ٢٨٧، الحديث ٤٧.

فاطمة عليها السلام فدكاً؟ قال: كان وقفها، فأنزل الله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1] فأعطاها فدكاً.

١٤ - شي[2]: عن ابن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى فاطمة عليها السلام فدكاً؟ قال: كان لها من الله تعالى.

١٥ - شي[3]: عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتت فاطمة أبا بكر تريد فدك، فقال: هاتي أسود أو أحمر يشهد بذلك. قال: فأتت بأمّ أيمن، فقال لها: بمَ تشهدين؟ قالت: أشهد أن جبرئيل أتى محمّداً فقال: إنّ الله تعالى يقول: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ فلم يدرِ محمّد صلى الله عليه وآله مَنْ هُمْ؟ فقال: يا جبرئيل، سل ربّك من هم؟ فقال: فاطمة ذو القربى. فأعطاها فدكاً. فزعموا أنّ عمر محا الصحيفة وقد كان كتبها أبو بكر.

١٦ - شي[4]: عن عطيّة العوفي قال: لمّا افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله خيبر وأفاء الله عليه فدك وأنزل عليه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، قال: يا فاطمة لك فدك.

١٧ - شي[5]: عن أبي الطفيل، عن عليّ عليه السلام، قال: قال يوم الشورى، أفيكم أحد تمّ نوره من السماء حين قال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ﴾؟ قالوا: لا.

١٨ - فر[6]: جعفر بن محمد بن سعيد الأحمسي معنعناً، عن أبي مريم، قال:

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لمّا نزلت الآية ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فدكاً، فقال أبان بن تغلب: رسول الله أعطاها؟ قال: فغضب أبو جعفر عليه السلام، ثمّ قال: الله أعطاها.

١٩ - فر[7]: فرات بن إبراهيم الكوفي معنعناً، عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت الآية دعا النبي صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكاً، فقال: هذا لك ولعقبك بعدك ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾.

٢٠ - فر[8]: الحسين بن الحكم معنعناً، عن عطيّة قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكاً، فكلّ ما لم يوجف عليه أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله بخيل ولا ركاب فهو لرسول الله صلى الله عليه وآله يضعه حيث يشاء. وفدك ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب.

٢١ - فر[9]: جعفر بن محمّد الفزاري معنعناً، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾: وذلك حين جعل رسول الله صلى الله عليه وآله سهم ذي القربى لقرابته، فكانوا يأخذونه على عهد النبي صلى الله عليه وآله حتّى توفّي، ثمّ حجبوا الخمس عن قرابته فلم يأخذوه.

---

(١) الإسراء: ٢٦.
(٢) تفسير العياشي: ٢/ ٢٨٧، الحديث ٤٨.
(٣) تفسير العياشي: ٢/ ٢٨٧، الحديث ٤٩.
(٤) تفسير العياشي: ٢/ ٢٨٧، الحديث ٥٠.
(٥) تفسير العياشي: ٢/ ٢٨٨، الحديث ٥٢.
(٦) تفسير فرات الكوفي: ٨٥.
(٧) تفسير فرات الكوفي: ٨٥، ١١٨.
(٨-٩) تفسير فرات الكوفي: ١١٩.

أقول: روى السيّد ابن طاووس في كتاب سَعد السعود[1] من تفسير محمّد بن العبّاس بن عليّ بن مروان، قال: روي حديث فدك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ من عشرين طريقاً:

٢٢ - فمنها: ما رواه عن محمّد بن محمّد بن سليمان الأعبدي، وهيثم بن خلف الدوري، وعبد الله بن سليمان بن الأشعب، ومحمّد بن القاسم بن زكريّا، قالوا: حدّثنا عبّاد بن يعقوب، قال: أخبرنا عليّ بن عابس.

٢٣ - وحدّثنا جعفر بن محمّد الحسيني، عن عليّ بن المنذر الطريفي، عن عليّ بن عابس، عن فضل بن مرزوق، عن عطيّة العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: لمّا نزلت: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وأعطاها فدكاً.

٢٤ - وقال ﷺ في كشف المحجّة[2] فيما أوصى إلى ابنه، قد وهب جدّك محمّد ﷺ أمّك فاطمة صلوات الله عليها فدكاً والعوالي.

وكان دخْلها في رواية الشيخ عبد الله بن حمّاد الأنصاري أربعة وعشرين ألف دينار في كلّ سنة، وفي رواية غيره سبعين ألف دينار.

٢٥ - ع[3]: أبي، عن عليّ عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لمّا منع أبو بكر فاطمة عليها السلام فدكاً وأخرج وكيلها، جاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد وأبو بكر جالس وحوله المهاجرون والأنصار، فقال: يا أبا بكر، لِمَ منعت فاطمة ما جعله رسول الله ﷺ لها ووكيلها فيه منذ سنين؟ فقال أبو بكر: هذا فيء للمسلمين، فإن أتت بشهود عدول وإلاّ فلا حقّ لها فيه. قال: يا أبا بكر، تحكم فينا بخلاف ما تحكم في المسلمين؟ قال: لا. قال: أخبرني لو كان في يد المسلمين شيء فادّعيت أنا فيه، من كنت تسأل البيّنة؟ قال: إيّاك كنت أسأل. قال: فإذا كان في يدي شيء فادّعى فيه المسلمون، تسألني فيه البيّنة؟!

قال: فسكت أبو بكر، فقال عمر: هذا فيء للمسلمين ولسنا من خصومتك في شيء. فقال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر: يا أبا بكر، تقرّ بالقرآن؟ قال: بلى. قال: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[4] فينا أو في غيرنا نزلت؟ قال: فيكم. قال: فأخبرني لو أنّ شاهدين من المسلمين شهدا على فاطمة عليها السلام بفاحشة ما كنت صانعاً؟ قال: كنتُ أُقيم عليها الحدّ كما أُقيم على نساء المسلمين. قال: كنت إذن عند الله من الكافرين. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّك كنت تردّ شهادة الله وتقبل شهادة غيره؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قد شهد لها بالطهارة، فإذا رددت شهادة الله وقبلت شهادة غيره كنت عند الله من الكافرين.

قال: فبكى الناس وتفرّقوا ودمدموا، فلمّا رجع أبو بكر إلى منزله بعث إلى عمر فقال: ويحك

(١) سعد السعود: ١٠١ ـ ١٠٢. (٢) كشف المحجّة: ١٢٤.
(٣) علل الشرائع: ١٩٠ ـ ١٩٢، الحديث ١.
(٤) الأحزاب: ٣٣.

يابن الخطّاب! أما رأيت عليّاً وما فعل بنا؟ والله لئن قعد مقعداً آخر ليفسدنّ هذا الأمر علينا ولا نتهنّأ بشيء ما دام حيّاً. قال عمر: ما له إلاّ خالد بن الوليد. فبعثوا إليه، فقال له أبو بكر: نريد أن نحملك على أمر عظيم. قال: احملني على ما شئت ولو على قتل عليّ. قال: فهو قتل عليّ. قال: فَصِر بجانبه فإذا أنا سلّمت فاضرب عنقه.

فبعثت أسماء بنت عميس - وهي أمّ محمّد بن أبي بكر - خادمتها فقالت: اذهبي إلى فاطمة فأقرئيها السلام، فإذا دخلت من الباب فقولي: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[1]، فإن فهمتها وإلاّ فأعيديها مرّة أخرى. فجاءت فدخلت وقالت: إنّ مولاتي تقول: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ فلمّا أرادت أن تخرج قرأتها، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: أقرئيها السلام وقولي لها: إنّ الله عزّ وجلّ يحول بينهم وبين ما يريدون إن شاء الله. فوقف خالد بن الوليد بجنبه، فلمّا أراد أن يسلّم لم يسلّم، وقال: يا خالد، لا تفعل ما أمرتك، السلام عليكم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذا الذي أمرك به ثمّ نهاك قبل أن يسلّم؟ قال: أمرني بضرب عنقك، وإنّما أمرني بعد التسليم. فقال: وكنت فاعلاً؟ فقال: إي والله، لو لم ينهني لفعلت. قال: فقام أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ بمجامع ثوب خالد ثمّ ضرب به الحائط، وقال لعمر: يابن صهّاك، والله لولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وكتاب من الله سبق لعلمت أيّنا أضعف جنداً وأقلّ عدداً.

أقول: الدمدمة: الغضب، ودمدم عليه: كلّمه مغضباً.

٢٦ - ج[2]: عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا بويع أبو بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار، بعث إلى فدك من أخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله منها، فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر فقالت: يا أبا بكر، لم تمنعني ميراثي من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى؟ فقال: هاتي على ذلك بشهود. فجاءت بأمّ أيمن فقالت: لا أشهد يا أبا بكر حتّى أحتجّ عليك بما قالَ رسول الله صلى الله عليه وآله أنشدك الله ألست تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ أمّ أيمن امرأة من أهل الجنّة؟ فقال: بلى. قالت: فأشهد أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[3] فجعل فدك لفاطمة بأمر الله، وجاء عليّ عليه السلام فشهد بمثل ذلك. فكتبَ لها كتاباً ودفعه إليها. فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: إنّ فاطمة ادّعت فدك وشهدتْ لها أمّ أيمن وعليّ فكتبته. فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فمزّقه، فخرجت فاطمة عليها السلام تبكي.

فلمّا كان بعد ذلك جاء عليّ عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: يا أبا بكر، لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال أبو بكر: إنّ هذا فيء للمسلمين، فإن أقامت شهوداً أنّ رسول الله جعله لها، وإلاّ فلا حقّ لها فيه. فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله: يا أبا بكر، تحكم فينا بخلاف حكم الله في

(١) القصص: ٢٠. (٢) الاحتجاج: ١/١١٩ - ١٢٧.
(٣) الروم: ٣٨.

المسلمين؟ قال: لا. قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه ثمّ ادعيتُ أنا فيه، مَن تسأل البيّنة؟ قال: إيّاك كنت أسأل البيّنة. قال: فما بال فاطمة سألتها البيّنة على ما في يدها وقد ملكته في حياة رسول الله ﷺ وبعده، ولم تسأل المسلمين البيّنة على ما ادّعوها شهوداً كما سألتني على ما ادّعيت عليهم؟!

فسكت أبو بكر، فقال عمر: يا عليّ، دعنا من كلامك فإنّا لا نقوى على حجّتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلاّ فهو فيء للمسلمين، لا حقّ لك ولا لفاطمة فيه.

فقال عليّ عليه السلام: يا أبا بكر، تقرأ كتاب الله؟ قال: نعم. قال: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] فينا نزلت أو في غيرنا؟ قال: بل فيكم. قال: فلو أنّ شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله ﷺ بفاحشة ما كنت صانعاً بها؟ قال: كنتُ أُقيم عليها الحدّ كما أُقيم على نساء العالمين. قال: كنت إذن عند الله من الكافرين. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّك رددت شهادة الله لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله وحكم رسوله أنْ جعل لها فدك وقبَضَتْه في حياته، ثمّ قبلت شهادة أعرابي بائل على عقبيه عليها، وأخذت منها فدكاً، وزعمت أنّه فيء للمسلمين، وقد قال رسول الله ﷺ: البيّنة على المدّعي واليمين على المدّعى عليه، فرددت قول رسول الله ﷺ: البيّنة على من ادّعى واليمين على من ادّعي علي.

قال: فدمدم الناس وأنكر بعضهم، وقالوا: صدق والله عليّ. ورجع عليّ عليه السلام إلى منزله. قال: ودخلت فاطمة عليها السلام المسجد، وطافت على قبر أبيها وهي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثةٌ	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا	فغاب عنّا فكلّ الخير محتجب
قد كنت بدراً ونوراً يُستضاء به	عليك تنزل من ذي العزّة الكتب
تهجّمتنا رجال واستُخفّ بنا	إذ غبت عنّا فنحن اليوم نُغتصب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت	منّا العيون بتهمال لها سكب

قال: فرجع أبو بكر وعمر إلى منزلهما، وبعث أبو بكر إلى عمر ثمّ دعاه، فقال: أما رأيت مجلس عليّ منّا في هذا اليوم؟ والله لئن قعد مقعداً مثله ليفسدنّ أمرنا، فما الرأي؟ قال عمر: الرأي أن نأمر بقتله. قال: فمن يقتله؟ قال: خالد بن الوليد. فبعثا إلى خالد فأتاهم فقالا له: نُريد أن نحملك على أمر عظيم. فقال: احملوني على ما شئتم ولو على قتل عليّ بن أبي طالب، قالا: فهو ذاك. قال خالد: متى أقتله؟ قال أبو بكر: احضر المسجد وقم بجنبه في الصلاة، فإذا سلّمتُ قم إليه واضرب عنقه. قال: نعم.

(١) الأحزاب: ٣٣.

فسمعت أسماء بنت عميس - وكانت تحت أبي بكر - فقالت لجاريتها: اذهبي إلى منزل عليّ وفاطمة عليهما السلام وأقرئيهما السلام، وقولي لعليّ: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾. فجاءت الجارية إليهم فقالت لعليّ: إنّ أسماء بنت عميس تقرأ عليك السلام وتقول: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[1]. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قولي لها: إنّ الله يحول بينهم وبين ما يريدون.

ثمّ قام وتهيّأ للصلاة، وحضر المسجد وصلّى لنفسه خلف أبي بكر وخالد بن الوليد بجنبه ومعه السيف. فلمّا جلس أبو بكر للتشهّد ندم على ما قال وخاف الفتنة، وعرف شدّة عليّ وبأسه، فلم يزل متفكّراً لا يجسر أن يسلّم حتّى ظنّ الناس أنّه سها، ثمّ التفت إلى خالد وقال: يا خالد، لا تفعلنّ ما أمرتك، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا خالد، ما الذي أمرك به؟ قال: أمرني بضرب عنقك. قال: أوَكنت فاعلاً؟ قال: إي والله، لولا أنّه قال لي: لا تفعله، قبل التسليم لقتلتك. قال: فأخذه عليّ عليه السلام فجلد به الأرض، فاجتمع الناس عليه، فقال عمر: يقتله وربّ الكعبة. فقال الناس: يا أبا الحسن، الله الله! بحق صاحب القبر. فخلّى عنه، ثمّ التفت إلى عمر فأخذ بتلابيبه فقال: يابن صهّاك، والله لولا عهد من رسول الله وكتاب من الله سبق، لعلمت أيّنا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً. ودخل منزله.

٢٧ - فس[2]: أبيّ، عن ابن أبي عمير، عن عثمان بن عيسى وحمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

وفيه: فأخذ عمر الكتاب من فاطمة عليها السلام فمزّقه وقال: هذا فيء المسلمين. وقال: أوس بن الحدثان وعائشة وحفصة يشهدون على رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه قال: إنّا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، وإنّ عليّاً زوجها يجرّ إلى نفسه، وأمّ أيمن فهي امرأة صالحة، لو كان معها غيرها لنظرنا فيه. فخرجت فاطمة من عندهما باكية حزينة فلمّا كان بعد هذا جاء عليّ. وفيه بعد قوله لها: نغتصب:

فكلّ أهل له قربى ومنزلة ... عند الإله على الأدنين يقترب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لمّا مضيت وحالت دونك الكتب

فقد رزينا بما لم يرزَهُ أحد ... من البريّة لا عجم ولا عرب

وقد رزينا به محضاً خليقته ... صافي الضرائب والأعراق والنسب

فأنت خير عباد الله كلّهم ... وأصدق الناس حين الصدق والكذب

وفيه بعد البيت الأخير:

سيعلم المتولّي ظلم حامتنا ... يوم القيامة أنّا كيف ننقلب

---

(١) القصص: ٢٠.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ١٥٥ - ١٥٩.

بيان: تجهّمتنا: في بعض النسخ: تهضّمتنا، يقال: تهضّمه، أي: ظلمه. وفي (فس): فغمّصتنا، من غمّصت الشيء: احتقرته، والتشديد للتكثير والمبالغة. ويقال: رزأه مالَه - كجعله وعمله - رُزءاً بالضم: أصاب منه شيئاً، والرزيئة: المصيبة. والضريبة: الطبيعة. والعرق: أصل كلّ شيء، والجمع عروق وأعراق. وفي (فس) مكان قوله بتهمال: بهمّال، كشدّاد. وفي بعض الروايات مكان العيون: الشؤون. والتلبيب: ما في موضع اللبب من الثياب. واللبب: موضع القلادة.

٢٨ - ج[1]: روي أنّ أبا بكر وعمر بعثا إلى خالد بن الوليد، فواعداه وفارقاه على قتل عليّ عليه السلام، فضمن ذلك لهما، فسمعت أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر وهي في خدرها، فأرسلت خادمة لها وقالت: تردّدي في دار عليّ عليه السلام وقولي: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾. ففعلت الجارية وسمعها عليّ عليه السلام، فقال: رحمها الله، قولي لمولاتك فمن يقتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟

ووقعت المواعدة لصلاة الفجر؛ إذ كان أخفى وأخوت للسدفة والشبهة، ولكنّ الله بالغ أمره، وكان أبو بكر قال لخالد بن الوليد: إذا انصرفت من الفجر فاضرب عنق عليّ.

فصلّى إلى جنبه لأجل ذلك، وأبو بكر في الصلاة يفكّر في العواقب، فندم، فجلس في صلاته حتّى كادت الشمس تطلع، يتعقّب الآراء ويخاف الفتنة، ولا يأمن على نفسه، فقال قبل أن يسلّم في صلاته: يا خالد، لا تفعل ما أمرتك به ثلاثاً. وفي رواية أُخرى: لا يفعلنّ خالد ما أمرته. فالتفت عليّ عليه السلام فإذا خالد مشتمل على السيف إلى جانبه، فقال: يا خالد، أوَكنت فاعلاً؟ فقال: إي والله، لولا أنّه نهاني لوضعته في أكثرك شعراً. فقال له عليّ عليه السلام: كذبت لا أُمّ لك، من يفعله أضيق حلقة است منك، أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لولا ما سبق من القضاء لعلمت أيّ الفريقين شرّ مكاناً وأضعف جنداً.

وفي رواية أبي ذرّ رحمه الله أخذ خالداً بإصبعيه - السبّابة والوسطى - في ذلك الوقت فعصره، فصاح خالد صيحة منكرة، ففزع الناس وهمتهم أنفسهم، وأحدث خالد في ثيابه، وجعل يضرب برجليه ولا يتكلّم، فقال أبو بكر لعمر: هذه مشورتك المنكوسة، كأنّي كنت أنظر إلى هذا وأحمد الله على سلامتنا.

وكلّما دنا أحد ليخلّصه من يده عليه السلام لحظه لحظة تنحّى عنه راجعاً، فبعث أبو بكر عمر إلى العبّاس، فجاء وتشفّع إليه وأقسم عليه، فقال: بحقّ القبر ومن فيه، وبحقّ ولديه وأُمّهما إلاّ تركته. ففعل ذلك، وقبّل العبّاس بين عينيه.

بيان: وأخوت: قال الفيروزآبادي: خات الرجل ماله: تنقّصه، والخوّات بالتشديد: الرجل الجريء، وخات الرجل: اختطف، واختات الذئب الشاة: ختلها فسرقها، وخاوت طرفه دوني: سارَقه[2]... وفي أكثر النسخ: واختيرت السدفة، والسُدفة بالضم: الظلمة أو اختلاط الضوء

(١) الاحتجاج: ١/١١٧ ـ ١١٨. (٢) القاموس المحيط: ١/١٤٧.

والظلمة معاً لوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار. في أكثرك شعراً: أي في رأسك فإنّه أكثر أجزاء البدن شعراً. والإست بالكسر: الدبر. ويحتمل أن يكون ضيقه كناية عن الجرأة والشجاعة.

ثمّ اعلم أنّ هذه القصّة من المشهورات بين الخاصّة والعامّة وإن أنكرها بعض المخالفين.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة(١): سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد فقلت له: إنّي لأعجب من عليّ عليه السلام! كيف بقي تلك المدّة الطويلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وكيف ما اغتيل وفتك به في جوف منزله مع تلظّي الأكباد عليه؟

فقال: لولا أنّه أرغم أنفه بالتراب، ووضع خدّه في حضيض الأرض، لقتل، ولكنّه أخمل نفسه، واشتغل بالعبادة والصلاة والنظر في القرآن، وخرج عن ذلك الزي الأوّل وذلك الشعار، ونسي السيف، وصار كالفاتك يتوب ويصير سائحاً في الأرض أو راهباً في الجبال، فلمّا أطاع القوم الذين ولوا الأمر وصار أذل لهم من الحذاء، تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم عليه إلاّ بمواطأة من متولّي الأمر، وباطن في السرّ منه، فلمّا لم يكن لولاة الأمر باعث وداع إلى قتله وقع الإمساك عنه، ولولا ذلك لقتل، ثمّ الأجل بعدُ معقل حصين. فقلت له: أحقّ ما يقال في حديث خالد؟ فقال: إنّ قوماً من العلويّة يذكرون ذلك، وقد روي أنّ رجلاً جاء إلى زفر بن الهذيل صاحب أبي حنيفة فسأله عمّا يقول أبو حنيفة في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم، نحو الكلام والفعل الكثير أو الحدث؟

فقال: إنّه جائزٌ. قد قال أبو بكر في تشهّده ما قال. فقال الرجل: وما الذي قاله أبو بكر؟ قال: لا عليك. قال: فأعاد عليه السؤال ثانية وثالثة، فقال: أخرجوه أخرجوه، قد كنت أُحدّث أنّه من أصحاب أبي الخطّاب. قلت له: فما الذي تقوله أنت؟ قال: أنا أستبعد ذلك، وأنّه روته الإمامية.. إلى آخر ما قال.

٢٩ - ج(٢): رسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي بكر، لمّا بلغه عنه كلام بعد منع الزهراء عليها السلام فدك:

شقّوا متلاطمات أمواج الفتن بحيازيم سفن النجاة، وحطّوا تيجان أهل الفخر بجميع أهل الغدر، واستضيئوا بنور الأنوار، واقتسموا مواريث الطاهرات الأبرار، واحتقبوا ثقل الأوزار بغصبهم نحلة النبيّ المختار، فكأنّي بكم تترددون في العمى كما يتردّد البعير في الطاحونة.

أما والله لو أُذن لي بما ليسَ لكم به علم لحصدت رؤوسكم عن أجسادكم كحبّ الحصيد بقواضب من حديد، ولقلعت من جماجم شجعانكم ما أقرح به آماقكم وأُوحش به محالّكم، فإنّي - منذ عرفتموني - مردي العساكر، ومفني الجحافل، ومبيد خضرائكم، ومخمد ضوضائكم، وجزّار الدوارين إذ أنتم في بيوتكم معتكفون، وإنّي لصاحبكم بالأمس، لعمر أبي وأمّي لن تحبّوا أن تكون فينا الخلافة والنبوّة وأنتم تذكرون أحقاد بدر وثارات أُحد.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣/٣٠١ - ٣٠٢. (٢) الاحتجاج: ١/١٢٨ - ١٣٠.

أما والله لو قلتُ ما سبق من الله فيكم لتداخلت أضلاعكم في أجوافكم كتداخل أسنان دوارة الرحى، فإن نطقتُ تقولون: حسد، وإن سكتّ فيقال: جزع ابن أبي طالب من الموت، هيهات هيهات! الساعة يقال لي هذا وأنا الموت المميت، خوّاض المنيّات في جوف ليل خامد، حامل السيفين الثقيلين والرمحين الطويلين، ومكسّر الرايات في غطامط الغمرات، ومفرّج الكربات عن وجه خيرة البريّات، إيهنوا فوالله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل إلى محالب أمّه.

هبلتكم الهوابل! لو بحت بما أنزل الله فيكم في كتابه لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويّ البعيدة، ولخرجتم من بيوتكم هاربين، وعلى وجوهكم هائمين، ولكنّي أهوّن وجدي حتّى ألقى ربّي بيد جذّاء صفراء من لذّاتكم، خلو من طحناتكم، فما مثل دنياكم عندي إلاّ كمثل غيم علا فاستعلى، ثمّ استغلظ فاستوى، ثمّ تمزّق فانجلى.

رويداً فعن قليل ينجلي لكم القسطل، فتجدون ثمر فعلكم مرّاً، وتحصدون غرس أيديكم ذعافاً ممزّقاً وسمّاً قاتلاً، وكفى بالله حكماً، وبرسول الله خصيماً، وبالقيامة موقفاً، ولا أبعد الله فيها سواكم، ولا أتعس فيها غيركم، والسلام على من اتّبع الهدى.

فلمّا أن قرأ أبو بكر الكتاب رعب من ذلك رعباً شديداً وقال: يا سبحان الله ما أجرأه عليّ وأنكله عن غيري! معاشر المهاجرين والأنصار، تعلمون أنّي شاورتكم في ضياع فدك بعد رسول الله فقلتم: إنّ الأنبياء لا يورّثون، وإنّ هذه أموال يجب أن تُضاف إلى مال الفيء وتُصرف في ثمن الكراع والسلاح وأبواب الجهاد ومصالح الثغور، فأمضينا رأيكم ولم يمضه من يدّعيه، وهو ذا يبرق وعيداً ويرعد تهديداً، إيلاء بحقّ نبيّه أن يمضخها دماً ذعافاً، والله لقد استقلت منها فلم أُقل، واستعزلتها عن نفسي فلم أُعزل، كلّ ذلك احترازاً من كراهية ابن أبي طالب، وهرباً من نزاعه، وما لي ولابن أبي طالب! هل نازعه أحد ففلج عليه؟!

فقال له عمر: أبيتَ أن تقولَ إلاّ هكذا، فإنّك ابن من لم يكن مقداماً في الحروب، ولا سخيّاً في الجدوب، سبحان الله ما أهلع فؤادك، وأصغر نفسك! قد صفّيت لك سجالاً لتشربها، فأبيتَ إلاّ أن تظمأ كظمائك، وأنختُ لك رقاب العرب، وثبّتُّ لك إمارة أهل الإشارة والتدبير، ولولا ذلك لكان ابن أبي طالب قد صيّر عظامك رميماً، فاحمد الله على ما قد وهب لك منّي، واشكره على ذلك، فإنّه من رقي منبر رسول الله كان حقيقاً عليه أن يحدث لله شكراً. وهذا عليّ بن أبي طالب الصخرة الصمّاء التي لا ينفجر ماؤها إلاّ بعد كسرها، والحيّة الرقشاء التي لا تجيب إلاّ بالرقى، والشجرة المرّة التي لو طُليت بالعسل لم تُنبت إلاّ مرّاً، قتل سادات قريش فأبادهم، وألزم آخرهم العار ففضحهم، فطب نفساً ولا تغرّنّك صواعقه، ولا تهولنّك رواعده، فإنّي أسدّ بابه قبل أن يسدّ بابك.

فقال له أبو بكر: ناشدتك الله يا عمر لما تركتني من أغاليطك وتربيدك، فوالله لو همّ بقتلي وقتلك لقتلنا بشماله دون يمينه، وما ينجينا منه إلاّ ثلاث خصال: إحداها أنّه واحد لا ناصر له، والثانية أنّه يتّبع فينا وصيّة رسول الله، والثالثة فما من هذه القبائل أحد إلاّ وهو يتخضّمه كتخضُّم ثنية الإبل أوان الربيع، فتعلم لولا ذلك لرجع الأمر إليه ولو كنّا له كارهين.

أما إنّ هذه الدنيا أهون عليه من لقاء أحدنا الموت. أنسيتَ له يومَ أُحد وقد فررنا بأجمعنا وصعدنا الجبل وقد أحاطت به ملوك القوم وصناديدهم موقنين بقتله، لا يجد محيصاً للخروج من أوساطهم، فلمّا أن سدّد القوم رماحهم نكس نفسه عن دابّته حتّى جاوزه طعان القوم، ثمّ قام قائماً في ركابه وقد طرق عن سرجه وهو يقول: يا الله يا الله، يا جبريل يا جبريل، يا محمّد يا محمّد، النجاة النجاة! ثمّ عمد إلى رئيس القوم فضربه ضربة على رأسه فبقي على فك ولسان، ثمّ عمد إلى صاحب الراية العظمى فضربه ضربة على جمجمته ففلقها، فمرّ السيف يهوي في جسده فبراه ودابّته نصفين.

فلمّا أن نظر القوم إلى ذلك انجفلوا من بين يديه، فجعل يمسحهم بسيفه مسحاً حتّى تركهم جراثيم خموداً على تلعة من الأرض يتمرّغون في حسرات المنايا، ويتجرّعون كؤوس الموت، قد اختطف أرواحهم بسيفه ونحن نتوقّع منه أكثر من ذلك، ولم نكن نضبط أنفسنا من مخافته، حتّى ابتدأتَ أنت منك إليه، فكان منه إليك ما تعلم، ولولا أنّه أنزل الله آية من كتاب الله لكنّا من الهالكين، وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾[١].

فاترك هذا الرجل ما تركك، ولا يغرّنّك قول خالد أنّه يقتله، فإنّه لا يجسر على ذلك، وإن رامه كان أوّل مقتول بيده، فإنّه من ولد عبد مناف، إذا هاجموا اهّبوا، وإذا غضبوا أذمّوا، ولا سيّما عليّ بن أبي طالب، فإنّه بابها الأكبر، وسنامها الأطول، وهمامها الأعظم، والسلام على من اتّبع الهدى.

تبيين: قوله عليه السلام: شقّوا، أقول: روى في نهج البلاغة[٢] تلك الفقرات في موضع آخر يناسبها حيث قال لمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وخاطبه العبّاس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة، قال: أيّها الناس، شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرّجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح.

ومن هنا يحتمل أن يكون بصيغة الماضي، فيكون بيان حالهم أوّلاً، أيّ: إنّهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ركبوا سفن النجاة وخرجوا من بين الفتن، فشبّه الفتن بالأمواج لاشتراكهما في اضطراب النفس بهما وكونهما سبب الهلاك. والحيازيم: جمع الحيزوم، وهو ما استدار بالظهر والبطن أو ضلع الفؤاد، وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر، والغليظ من الأرض والمرتفع. ذكرها الفيروز آبادي[٣]، ولعلّ المراد هنا صدر السفينة فإنّه يشقّ الماء، ولا يبعد أن يكون تصحيف المجاذيف جمع المجذاف الذي به تُحرّك السفينة. وكذا حط تيجان أهل الفخر: كناية عن اتّباع أهل الحقّ وترك المفاخرة التي تدعو إلى ترك اتّباع الحقّ. وجمع أهل الغدر مجمعهم: أي تركوا المفاخرة الواقعة في مجامع أهل الغدر، وهو ضدّ المتفرّق والجيش والحي والمجتمع، ذكرها الفيروزآبادي[٤].

---

(١) آل عمران: ١٥٢.
(٢) نهج البلاغة طبعة صبحي الصالح: ٣٥ الخطبة ٥.
(٣) القاموس المحيط: ٤/٩٦.
(٤) القاموس المحيط: ٣/١٤.

والحاصل: أنّهم كانوا في حياة الرسول ﷺ ظاهراً على الحقّ وتابعين لأهله، وآلَ أمرهم بعده إلى أن اقتسموا مواريث العترة الطاهرة.

ويحتمل أن يكون الجميع بصيغة الأمر كما أنّ في بعض النسخ: واستضيئوا، فيكون أوّلاً أمرهم بمتابعة أهل الحقّ، ثمّ بيّن حالهم بقوله: واقتسموا، على سبيل الالتفات.

ويحتمل على الأوّل أن يكون الجميع مسوقاً للذم، فالمعنى: أنّهم دخلوا في غمرات الفتنة وتشبّثوا ظاهراً بما يوهم أنّه من وسائل النجاة، وتركوا المفاخرة واستسلموا بأن جمعوا أهل الغدر، وأظهروا للناس النصح وترك الأغراض، ليتمشّى لهم ما دبّروا، فيكون قوله: واستضاؤوا واقتسموا، بمنزلة فقرة واحدة، أي: تمسّكوا في اقتسام مواريث الطاهرات بالاستضاءة بنور الأنوار، وبخبر وضعوه وافتروه على سيّد الأبرار.

وكلّ من الوجوه لا يخلو من بعد، والظاهر أنّه سقط شيء من الكلام أو زيد فيه، ولعلّ الأبرار على التغليب.

وقال الجوهري: الحقَب بالتحريك: حبل يشدّ به الرحل إلى بطن البعير، والحقيبة: واحدة الحقائب، واحتقبه واستحقبه بمعنى، أي احتمله، ومنه قيل: احتقب فلان الإثم، كأنّه جمعه واحتقبه من خلفه[1]. وقال: سيف قاضب وقضيب: أي قطاع والجمع قواضِب وقُضُب[2]. وقال: الجمجمة: عظم الرأس المشتمل على الدّماغ[3]. وقال: مؤق العين: طرفها ممّا يلي الأنف، والجمع آماق وأمآق مثل آبار وأبآر[4]. وأرداه: أهلكه. وقال: والجحفل: الجيش، ورجل جحفل: أي عظيم القدر[5]. قال: وقولهم: أباد الله خضراءهم. أي: سوادهم ومعظمهم، وأنكره الأصمعي وقال: إنّما يقال: أباد الله خضراءهم. أي: خيرهم وغضارتهم[6]. وفي النهاية: الضوضات: أصوات الناس وغَلَبَتهم[7]، وفي أكثر النسخ بالمدّ بدون التاء.

قوله عليه السلام: وجزّار الدوارين. لعلّ المراد بالدوارين الدهور والأزمنة على التخفيف. قال الجوهري: الدواري الدهر[8] يدور بالإنسان دهراً أو الشجعان. أي: أنا قاتل الذين يدورون ويجولون في المعركة لطلب المبارزة. وفي بعض النسخ: وجرار الدوائر، بالرائين المهملتين، أي: كنت أجر الدولة والغلبة للمسلمين على الكافرين. قال في النهاية فيه: فيجعل الدائرة عليهم، أي: الدولة بالغلبة والنصر[9].

قوله عليه السلام: وإنّي لصاحبكم. أي: إمامكم الذي بايعتموني يوم الغدير. والثأر بالهمز: طلب الدم، يقال: ثأرت القتيل وبالقتيل ثأراً وثؤرة، أي: قتلت قاتله. قوله عليه السلام: ما سبق من الله فيكم. أي: من العذاب والنكال في الآخرة. قوله عليه السلام: خوّاض المنيات، الخوض في الشيء: الدخول

---

(١) الصحاح: ١/ ١١٤.
(٢) الصحاح: ١/ ٢٠٣.
(٣) الصحاح: ٥/ ١٨٩١.
(٤) الصحاح: ٤/ ١٥٥٣.
(٥) الصحاح: ٤/ ١٦٥٢.
(٦) الصحاح: ٢/ ٦٤٧.
(٧) النهاية: ٣/ ١٠٥.
(٨) الصحاح: ٢/ ٦٦٠.
(٩) النهاية: ٢/ ١٤٠.

فيه، وخضت الغمرات: اقتحمتها، والمنيّة: الموت، أي: بادرت بالدخول فيما هو مظنّة الموت. وفي بعض النسخ، خوّاض الغمرات. والغمرة: الكثير من الناس والماء، وغمرات الموت: شدائده. قوله عليه السلام: ليل خامد. أي: ساكن نام الناس فيه فلا تسمع أصواتهم، يقال: خمدت النار، إذا سكن لهبها. وقال الجوهري: التغطمط: صوت معه بحح، والغُطامط بالضم: صوت غليان القدر وموج البحر[١]، ولا يخفى مناسبتهما للمقام.

قوله: إيهنوا. المذكور في كتب اللغة أنّ إيه كلمة يراد بها الاستزادة، وهي مبنيّة على الكسر، فإذا وصلت نونت فقلت: إيهٍ حدّثنا، وإذا قلت: إيهاً بالنصب، فإنّما تأمره بالكف والسكوت[٢]، ولم أرَ فيها تجويز التثنية والجمع، ويظهر من الخبر جوازهما إن لم يكن فيه تصحيف.

والمحالب جمع المحلَب بالفتح: وهو موضع الحليب، أي: الثدي أو رأسه. وهبِلته أُمّه بكسر الباء: أي ثكلته. وباح بالشيء يبوح به: أعلنه وأظهره. والرِّشاء بالكسر والمدّ: الحبل والجمع أرشية. والطوي: البئر المطويّة، وهو في الأصل صفة ولذا يجمع على أطواء كأشراف وأيتام، ثمّ نقل إلى الاسميّة، وتأنيث الصفة باعتبار البئر. وهام على وجهه يهيم هيماً وهيماناً: ذهب من العشق وغيره. قوله عليه السلام: بيد جذّاء. أي: مقطوعة أو مكسورة. والصِّفر بالكسر: الخالي، كالخِلو بالكسر. والطحنات: لعلّه جمع الطحنة، أي: البُر المطحونة وأشباهها. قوله عليه السلام: فاستعلى. أي: اشتدّ علوّه. والتمزّق: التفرّق.

قوله عليه السلام: رويداً. أي: اصبروا وأمهلوا قليلاً. فعن قليل: أي بعد زمان قليل. والقسطل بالسين والصاد: الغبار. وقال الجوهري: الذعاف: السم، وطعام مذعوف وموت ذعاف، أي: سريع يعجل القتل[٣]. وفي بعض النسخ بعده: ممزّقاً، أي: يفرّق الأعضاء ويقطع الأمعاء. ولا أبعد الله فيها: أي في القيامة. وأتعسه الله: أي أهلكه. قوله: يا سبحان الله. أي: يا قوم تعجّبوا وسبّحوا الله تعجّباً. وقال الجوهري: نكل عن العدوّ وعن اليمين ينكُل بالضم. أي: جبن، والناكل: الجبان الضعيف[٤]. وفي أكثر النسخ: على غيري، ولعلّه بتضمين معنى الشفقة ونحوها. وقال في النهاية فيه: لا يحبسون إلاّ الكراع والسلاح. والكراع بالضم: اسم لجمع الخيل[٥]. وقال الجوهري: أرعد الرجل وأبرق، إذا تهدّد وأوعد[٦]. والإيلاء: الحلف.

قوله: أن يمْضَخها. يقال: مضخ كمنع بالضاد والخاء المعجمتين، أي: لطخ الجسَد بالطيب، وفي بعض النسخ: بالصاد المهملة من المصخ، وهو انتزاع الشيء وأخذه، والأوّل أظهر. والفلْج: الظفر والفوز. والمِقدام بالكسر: الرجل الكثير الإقدام على العدو. والجدوب جمع الجدب: وهو نقيض الخصب. والهلع: أفحش الجزع. . والسجال بالكسر جمع السَّجَل بالفتح: وهو الدلو إذا

---

(١) الصحاح: ٢/١١٤٧.
(٢) الصحاح: ٦/٢٢٢٦، ولسان العرب ١٣/ ٤٧٤.
(٣) الصحاح: ٤/١٣٦١.
(٤) الصحاح: ٥/ ١٨٣٥.
(٥) النهاية: ٤/١٦٥.
(٦) الصحاح: ٢/ ٤٧٤.

كان فيه ماء. والظَمَأ بالتحريك: العطش. وأنخت الجمل فاستناخ: أي أبركته فبرك. والصّماء: المصمتة الصلبة. ويقال: حيّة رقشاء، إذا كان فيها نقط سواد وبياض، وفي بعض النسخ: الرقطاء، والرقطة: سواد يشوبه نقط بياض. والرُّقى بضم الراء: جمع رُقْية بالضم، وهي التعويذات والطِّلِسْمات وأشباهها. وفي أكثر النسخ: التي لا تجيب إلاّ بالرُّقى، وفي بعضها: التي لا تؤثّر فيها الرُّقى. قوله: وتربيدك. في أكثر النسخ بالراء والدال المهملتين من ربَد رُبُوداً: أقام وحبَس، وتربّد: تغير، ولعلّ الأصوب: تدبيرك أو تدابيرك. وقال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام: يخضِمون مال الله خضم الإبلِ نبتةَ الربيع. الخضم: الأكل بأقصى الأضراس، والقضم بأدناها، خضَم يخضِم خضماً[1]. قوله: وقد طرق عن سرجه. وفي بعض النسخ أطرق، يقال: أطرق جناح الطائر، على افتعل، أي: التفّ، وطرق يطرق كنصر: أتى أهله ليلاً، وأطرق على بناء الإفعال: سكت فلم يتكلّم، أو أرخى عينيه ينظر إلى الأرض، ولعلّه تصحيف طال. قوله عليه السلام: يا الله. في بعض النسخ بتثليث كلّ من الثلاثة وتقديم يا محمّد على يا جبرئيل. والبري: النحت، استُعير هنا للشق والقطع. وانجفل القوم: أي انقلعوا كلّهم ومضوا، ذكره الجوهري.[2] وقال: مسحه بالسيف: قطعه[3].

وقال الفيروزآبادي: جُرثُومة الشيء بالضم: أصله، أو هي التراب المجتمع في أُصول الشجر، والذي تسفيه الريح، وقرية النمل[4]. وقال الجزري في حديث ابن الزبير: كانت في المسجد جراثيم. أي: كان فيه أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة من تراب أو طين[5]. فالمعنى: أنّه عليه السلام جعلهم كأُصول الشجر المقطوعة بغير حياة، أو أحدث من القتلى في الأرض تلالاً مرتفعة. والخمود جمع الخامد، أي: ميّتين، يقال: خمد المريض، أي: مات. والتَّلعة بفتح التاء وسكون اللام: ما ارتفع من الأرض. والتمرّغ: التقلّب في التراب.

قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾. هو ما ذكره تعالى في طيّ ما لام أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وعيَّرهم على وهنهم وانهزامهم في غزوة أُحد، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[6] قوله: أهبّوا. يقال: هبّ فلان، أي: غاب دهراً، وفي الحرب: انهزم، والأظهر أنّه أهمّوا بالميم، وهو أنسب بالفقرة التالية، يقال: أهمّه الأمر، إذا أقلقه وحزنه. وفي أكثر النسخ: أُهيبوا، ولا يمكن أن يكون على بناء المعلوم؛ لأنّ ترك القلب نادر مسمُوع في مواضع معدودة، ولا على بناء المجهول إلاّ بالحذف والإيصال. قوله: أذمّوا. قال في القاموس: أذمّه: وجده ذميماً، وأذمّ: تهاون بهم وتركهم مذمومين في الناس[7]. وفي بعض النسخ: دمَروا، أي: أهلكوا. والهُمام بالضم: الملك العظيم الهمّة، والسيّد الشجاع السخي.

---

(١) النهاية: ٢/ ٤٤.
(٢) الصحاح: ٤/ ١٦٥٧.
(٣) الصحاح: ١/ ٤٠٤.
(٤) القاموس: المحيط ٤/ ٨٩.
(٥) النهاية: ١/ ٢٥٤.
(٦) آل عمران: ١٥٢.
(٧) القاموس المحيط: ٤/ ١١٥.

٣٠ - ب[١]: عنهما، عن حنان، قال: سأل صدقة بن مسلم أبا عبد الله عليه السلام وأنا عنده، فقال: من الشاهد على فاطمة بأنّها لا ترث أباها؟ فقال: شهدت عليها عائشة وحفصة ورجل من العرب يقال له أوس بن الحدثان من بني نضر، شهدوا عند أبي بكر بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا أورّث، فمنعوا فاطمة عليها السلام ميراثها من أبيها صلى الله عليه وآله.

٣١ - مصباح الأنوار[٢]: لبعض علمائنا الأخيار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخلت فاطمة عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله على أبي بكر فسألته فدكاً، قال: النبي لا يورّث. فقالت: قد قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُردَ﴾[٣]. فلمّا حاجّته أمر أن يُكتب لها وشهد عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأمّ أيمن.

قال: فخرجت فاطمة عليها السلام فاستقبلها عمر، فقال: من أين جئت يا بنت رسول الله؟ قالت: من عند أبي بكر من شأن فدك، قد كتب لي بها. فقال عمر: هاتي الكتاب. فأعطته فبصق فيه ومحاه، عجّل الله جزاه، فاستقبلها عليّ عليه السلام فقال: ما لك يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله غضبى؟ فذكرت له ما صنع عمر، فقال: ما ركبوا منّي ومن أبيك أعظم من هذا.

فمرضت فجاءا يعودانها، فلم تأذن لهما، فجاءا ثانية من الغد فأقسم عليها أمير المؤمنين عليه السلام فأذنت لهما، فدخلا عليها فسلّما فردّت ضعيفاً، ثمّ قالت لهما: سألتكما بالله الذي لا إله إلاّ هو، أسمعتما بقول رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّي: من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؟ قالا: اللهم نعم. قالت: فأشهد أنّكما قد آذيتماني.

٣٢ - وعن أسماء بنت عميس قالت: طلب إليّ أبو بكر أن أستأذن له على فاطمة يترضّاها، فسألتها ذلك فأذنت له، فلمّا دخل ولّت وجهها الكريم إلى الحائط، فدخل وسلّم عليها فلم تردّ، ثمّ أقبل يتعذر إليها ويقول: ارضي عنّي يا بنت رسول الله. فقالت: يا عتيق، أتيتنا من ماتت أو حملت الناس على رقابنا؟ اخرج فوالله ما كلّمتك أبداً حتّى ألقى الله ورسوله فأشكوك إليهما[٤].

٣٣ - وعن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: بينما أبو بكر وعمر عند فاطمة عليها السلام يعودانها، فقالت لهما: أسألكما بالله الذي لا إله إلاّ هو هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؟ فقالا: اللهم نعم. قالت: فأشهد أنّكما آذيتماني[٥].

٣٤ - وعن زيد بن عليّ قال: قدمت مع أبي مكّة وفيها مولى لثقيف من أهل الطائف، فكان ينال من أبي بكر وعمر، فأوصاه أبي بتقوى الله، فقال له: ناشدتك الله وربّ هذا البيت هل صلّيا على فاطمة عليها السلام؟ فقال أبي: اللهمّ لا. قال: فلمّا افترقنا سببته، فقال لي أبي: لا تفعل، فوالله ما صلّيا على رسول الله صلى الله عليه وآله فضلاً عن فاطمة عليها السلام وذلك أنّه شغلهما ما كانا يبرمان[٦].

---

(١) قرب الإسناد: ٤٧ ـ ٤٨.
(٢) مصباح الأنوار: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.
(٣) النمل: ١٦.
(٤-٥) مصباح الأنوار: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.
(٦) مصباح الأنوار: ٢٥٨.

٣٥ - بيج[١]: روي أنّ علياً عليه السلام امتنع من البيعة على أبي بكر، فأمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يقتل علياً إذا سلّم من صلاة الفجر بالناس، فأتى خالد وجلس إلى جنب عليّ عليه السلام ومعه سيف، فتفكّر أبو بكر في صلاته في عاقبة ذلك، فخطر بباله أنّ بني هاشم يقتلونني إن قُتل عليّ عليه السلام، فلمّا فرغ من التشهّد التفت إلى خالد قبل أن يسلّم وقال: لا تفعل ما أمرتك به. ثمّ قال: السلام عليكم. فقال عليّ عليه السلام لخالد: أوَكنت تريد أن تفعل ذلك؟ قال: نعم. فمدّ يده إلى عنقه وخنقه بإصبعه وكادت عيناه تسقطان، وناشده بالله أن يتركه، وشفع إليه الناس فخلاّه.

ثمّ كان خالد بعد ذلك يرصد الفرصة والفجأة لعلّه يقتل علياً عليه السلام غرّة، فبعث بعد ذلك عسكراً مع خالد إلى موضع، فلمّا خرجوا من المدينة وكان خالد مدجّجاً وحوله شجعان قد أُمروا أن يفعلوا كلّ ما أمرهم به خالد، فرأى علياً عليه السلام يجيء من ضيعة له منفرداً بلا سلاح، فلمّا دنا منه وكان في يد خالد عمود من حديد، فرفعه ليضربه على رأس عليّ عليه السلام، فانتزعه عليه السلام من يده وجعله في عنقه، وفتله كالقلادة.

فرجع خالد إلى أبي بكر، واحتال القوم في كسره فلم يتهيّأ لهم، فأحضروا جماعة من الحدّادين فقالوا: لا يمكن انتزاعه إلاّ بعد حلّه في النار، وفي ذلك هلاكه. ولمّا علموا بكيفية حاله قالوا: إنّ علياً عليه السلام هو الذي يخلّصه من ذلك كما جعله في جيده، وقد ألان الله له الحديد كما ألانه لداود. فشفع أبو بكر إلى عليّ عليه السلام، فأخذ العمود وفكّ بعضه من بعض بإصبعه.

بيان: قال الجوهري: رجل مدجَّج ومدجِّج، أي: شاك في السلاح، تقول منه: تدجّج في شكّته، أي: دخل في سلاحه كأنّه تغطّى به[٢].

٣٦ - إرشاد القلوب[٣]: عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن العبّاس قالا: كنّا جلوساً عند أبي بكر في ولايته وقد أضحى النهار، وإذا بخالد بن الوليد المخزومي قد وافى في جيش قام غباره وكثر صواهل خيله، وإذا بقطب رحىً ملويّ في عنقه قد فتل فتلاً، فأقبل حتّى نزل عن جواده ودخل المسجد ووقف بين يدي أبي بكر، فرمقه الناس بأعينهم، فهالهم منظره، ثمّ قال: اعدل يابن أبي قحافة، حيث جعلك الناس في هذا الموضع الذي ليس له أنت بأهل، وما ارتفعت في هذا المكان إلاّ كما يرتفع الطافي من السّمك على الماء، وإنّما يطفو ويعلو حين لا حراك به، ما لك وسياسة الجيوش، وتقديم العساكر، وأنت بحيث أنت من لين الحسب، ومنقوص النسب، وضعف القوى، وقلّة التحصيل، لا تحمي ذماراً، ولا تضرم ناراً، فلا جزى الله أخا ثقيف وولد صهّاك خيراً.

إنّي رجعت منكفئاً من الطائف إلى جدّة في طلب المرتدّين، فرأيت عليّ بن أبي طالب ومعه عتاة من الدين حماليق، شزرات أعينهم من حسدك، بدرت حنقاً عليك، وقرحت آماقهم لمكانك، منهم ابن ياسر، والمقداد، وابن جنادة أخو غفار، وابن العوّام، وغلامان أعرف أحدهما بوجهه،

---

(١) الخرائج: ٢/٧٥٧، الحديث ٧٥.

(٢) الصحاح: ١/٣١٣. (٣) إرشاد القلوب: ٣٧٨ - ٣٨٤.

وغلام أسمر لعلّه من ولد عقيل أخيه، فتبيّن لي المنكر في وجوههم، والحسَد في احمرار أعينهم، وقد توشّح عليّ بدرع رسول الله ﷺ، ولبس رداءه السحاب، ولقد أسرج له دابّته العقاب، وقد نزل عليّ على عين ماء اسمها رويّة.

فلمّا رآني اشمأزّ وبربر، وأطرق موحشاً يقبض على لحيته، فبادرته بالسلام استكفاء [شرّه] واتّقاء وحشته، فاستغنمت سعة المناخ، وسهولة المنزل، فنزلت ومن معي بحيث نزلوا، اتّقاء عن مراوغته، فبدأني ابن ياسر بقبيح لفظه، ومحض عداوته، فقرعني هزواً بما تقدّمت به إلي بسوء رأيك، فالتفت إليّ الأصلع الرأس وقد ازدحم الكلام في حلقه كهمهمة الأسد، أو كقعقعة الرعد، فقال لي بغضب منه: أوَكنت فاعلاً يا أبا سليمان؟ فقلت له: إي والله لو أقام على رأيه لضربت الذي فيه عيناك.

فأغضبه قولي إذ صدقته، وأخرجه إلى طبعه الذي أعرفه به عند الغضب، فقال: يابن اللخناء، مثلك من يقدر على مثلي أن يجسر، أو يدير اسمي في لهواته التي لا عهد لها بكلمة حكمة؟! ويلك إنّي لست من قتلاك ولا من قتلى صاحبك، وإنّي لأعرف بمنيّتي منك بنفسك. ثمّ ضرب بيده إلى ترقوتي فنكسني عن فرسي وجعل يسوقني، فدعى إلى رحىً للحارث بن كلدة الثقفي، فعمد إلى القطب الغليظ، فمدّ عنقي بكلتا يديه وأداره في عنقي، ينفتل له كالعلك المستخن، وأصحابي هؤلاء وقوف ما أغنوا عنّي سطوته، ولا كفّوا عنّي شرّته، فلا جزاهم الله عنّي خيراً، فإنّهم لمّا نظروا إليه كأنّهم نظروا إلى ملك موتهم.

فوالذي رفع السماء بلا أعماد، لقد اجتمع على فكّ هذا القطب مئة رجل أو يزيدون من أشدّ العرب فما قدروا على فكّه، فدلّني عجز الناس عن فتحه أنّه سحر منه، أو قوّة ملك قد ركّبت فيه، ففكّه الآن عنّي إن كنت فاكّه، وخذ لي بحقّي إن كنت آخذاً، وإلاّ لحقت بدار عِزّي، ومستقرّ كرامتي، قد ألبسني ابن أبي طالب من العار ما صرت به ضحكة لأهل الديار.

فالتفت أبو بكر إلى عمر وقال: ما ترى إلى ما يخرج من هذا الرجل؟ كأنّ ولايتي ثقل على كاهله، أو شجىً في صدره، فالتفت إليه عمر فقال: فيه دعابة لا تدعه حتّى تورده فلا تصدره، وجهل وحسد قد استحكما في خلده، فجريا منه مجرى الدماء، لا يدعانه حتّى يهينا منزلته، ويورّطاه ورطة الهلكة. ثم قال أبو بكر لمن بحضرته: ادعوا لي قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، فليس لفكّ هذا القطب غيره.

قال: وكان قيس سيّاف النبيّ، وكان رجلاً طويلاً طوله ثمانية عشر شبراً في عرض خمسة أشبار، وكان أشدّ الناس في زمانه بعد أمير المؤمنين عليه السلام، فحضر قيس، فقال له: يا قيس، إنّك من شدّة البدن بحيث أنت، ففكّ هذا القطب من عنق أخيك خالد. فقال قيس: ولمَ لا يفكّه خالد عن عنقه؟! قال: لا يقدر عليه. قال: فما لا يقدر عليه أبو سليمان وهو نجم عسكركم وسيفكم على أعدائكم، كيف أقدر عليه أنا؟! قال عمر: دعنا من هزئك وهزلك، وخذ فيما حضرت له. فقال: أُحضرتُ لمسألة تسألونها طوعاً، أو كرهاً تجبروني عليه؟ فقال له: إن كان طوعاً وإلا فكرهاً. قال قيس: يابن صهّاك، خذل الله من يكرهه مثلك، إنّ بطنك لعظيمة، وإنّ كرشك لكبيرة، فلو فعلت

أنت ذلك ما كان منك عجب، قال: فخجل عمر من قيس بن سعد، وجعل ينكت أسنانه بأنامله.

فقال أبو بكر: وما بذلك منه، اقصد لما سألت. فقال قيس: والله لو أقدر على ذلك لما فعلت، فدونكم وحدّادي المدينة، فإنّهم أقدر على ذلك منّي. فأتوا بجماعة من الحدّادين، فقالوا: لا ينفتح حتّى نحمّيه بالنار، فالتفت أبو بكر إلى قيس مغضباً فقال: والله ما بك من ضعف عن فكّه، ولكنّك لا تفعل فعلاً يعيب عليك فيه إمامك وحبيبك أبو الحسن، وليس هذا بأعجب من أنّ أباك رام الخلافة ليبتغي الإسلام عوجاً، فحصد الله شوكته، وأذهب نخوته، وأعزّ الإسلام بوليّه، وأقام دينه بأهل طاعته، وأنت الآن في حال كيد وشقاق.

قال: فاستشاط قيس بن سعد غضباً، وامتلأ غيظاً، فقال: يا ابن أبي قحافة، إنّ لك عندي جواباً حمياً بلسان طلق وقلب جريء، ولولا البيعة التي لك في عنقي لسمعته منّي، والله لئن بايعتك يدي لم يبايعك قلبي ولا لساني، ولا حجّة لي في عليّ بعد يوم الغدير، ولا كانت بيعتي لك إلاّ ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾[1] أقول قولي هذا غير هائب منك ولا خائف من معرّتك، ولو سمعت هذا القول منك بدأة لما فتح لك منّي صلحاً.

إن كان أبي رام الخلافة فحقيق من أن يرومها بعد ما ذكرته؛ لأنّه رجل لا يُقعقَع بالشنان، ولا يُغمَز جانبه كغمز التينة، ضخم صنديد، وسمك منيف، وعزّ باذخ أشوس، بخلافك والله أيتها النعجة العرجاء، والديك النافش، لا عز صميم، ولا حسب كريم، وايم الله لئن عاودتني في أبي لألجمنّك بلجام من القول يمجّ فوك منه دماً، فدعنا نخوض في عمايتك، ونتردّى في غوايتك، على معرفة منّا بترك الحقّ، واتّباع الباطل.

وأمّا قولك: إنّ عليّاً إمامي، [فوالله] ما أُنكر إمامته، ولا أعدل عن ولايته، وكيف أنقض وقد أعطيت الله عهداً بإمامته وولايته، يسألني عنه؟ فأنا أن ألقى الله بنقض بيعتك أحبّ إليّ أن أنقض عهده وعهد رسوله وعهد وصيّه وخليله، وما أنت إلاّ أمير قومك، إن شاؤوا تركوك، وإن شاؤوا عزلوك، فتب إلى الله ممّا اجترمته، وتنصّل إليه ممّا ارتكبته، وسلّم الأمر إلى من هو أولى منك بنفسك، فقد ركبت عظيماً بولايتك دونه وجلوسك في موضعه وتسميتك باسمه، وكأنّك بالقليل من دنياك وقد انقشع عنك كما ينقشع السحاب، وتعلم أيّ الفريقين شرّ مكاناً وأضعف جنداً.

وأمّا تعييرك إيّاي بأنّه مولاي، فهو والله مولاي ومولاك ومولى المؤمنين أجمعين، آه آه! أنّى لي بثبات قدم أو تمكّن وطءٍ حتّى ألفظك لفظ المنجنيق الحجرة، ولعلّ ذلك يكون قريباً ونكتفي بالعيان عن الخبر.

ثمّ قام ونفض ثوبه ومضى، وندم أبو بكر عمّا أسرع إليه من القول إلى قيس.

وجعل خالد يدور في المدينة والقطب في عنقه أيّاماً، ثمّ أتى آتٍ إلى أبي بكر فقال له: قد وافى عليّ بن أبي طالب الساعة من سفره، وقد عرق جبينه واحمرّ وجهه. فأنفَذ إليه أبو بكر الأقرع

---

(١) النحل: ٩٢.

بن سراقة الباهلي والأشوس بن الأشجع الثقفي يسألانه المضي إلى أبي بكر في مسجد رسول الله ﷺ. فأتياه فقالا: يا أبا الحسن، إنّ أبا بكر يدعوك لأمر قد أحزنه وهو يسألك أن تصير إليه في مسجد رسول الله ﷺ. فلم يجبهما، فقالا: يا أبا الحسن، ما تردّ علينا فيما جئناك له؟ فقال: بئس والله الأدب أدبكم، أليسَ يجب على القادم أن لا يصيرَ إلى الناس في أجلبتهم إلاّ بعد دخوله في منزله، فإن كان لكم حاجة فأطلعوني عليها في منزلي حتّى أقضيها إن كانت ممكنة إن شاء الله تعالى.

فصارا إلى أبي بكر فأعلماه بذلك، فقال أبو بكر: قوموا بنا إليه. ومضى الجمع بأسرهم إلى منزله، فوجدوا الحسين عليه السلام على الباب يقلّب سيفاً ليبتاعه، قال له أبو بكر: يا أبا عبد الله، إن رأيت أن تستأذن لنا على أبيك؟ فقال: نعم، ثمّ استأذن للجماعة، فدخلوا ومعهم خالد بن الوليد.

فبدأ به الجمع بالسلام، فردّ عليهم السلام مثل ذلك، فلمّا نظر إلى خالد قال: نعمت صباحاً يا أبا سليمان، نعم القلادة قلادتك. فقال: والله يا عليّ، لا نجوت منّي إن ساعدني الأجل. فقال له عليّ عليه السلام: أفّ لك يابن دميمة، إنّك - والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة - عندي لأهون، وما روحك في يدي لو أشاء إلاّ كذبابة وقعت على إدام حار فطفقت منه، فأغن عن نفسك غناءها، ودعنا بحالنا حكماء. وإلاّ لألحقنّك بمن أنت أحقّ بالقتل منه، ودع عنك - يا أبا سليمان - ما مضى وخذ فيما بقي، والله لا تجرّعت من الجرار المختمة إلاّ علقمها، والله لقد رأيت منيّتي ومنيّتك، وروحي وروحك، فروحي في الجنّة وروحك في النار.

قال: وحجز الجمع بينهما، وسألوه قطع الكلام، فقال أبو بكر لعليّ عليه السلام: إنّا ما جئناك لما تناقض منه أبا سليمان، وإنّما حضرنا لغيره، وأنت لم تزل يا أبا الحسن مقيماً على خلافي والاجتراء على أصحابي، وقد تركناك فاتركنا، ولا تردنا فيرد عليك منّا ما يوحشك، ويزيدك تنويماً إلى تنويمك، فقال عليّ عليه السلام: لقد أوحشني الله منك ومن جمعك، وآنس بي كلّ مستوحش، وأما ابن الوليد الخاسر فإنّي أقصّ عليك نبأه: إنّه لمّا رأى تكاثف جنوده وكثرة جمعه زها في نفسه، فأراد الوضع منّي في موضع رفع، ومحلّ ذي جمع، ليصول بذلك عند أهل الجمع، فوضعت منه عند ما خطر بباله، وهمّ بي وهو عارف بي حقّ معرفته، وما كان الله ليرضى بفعله فقال له أبو بكر: فنضيف هذا إلى تقاعدك عن نصرة الإسلام، وقلّة رغبتك في الجهاد، فبهذا أمرك الله ورسوله، أم عن نفسك تفعل هذا؟

فقال عليّ عليه السلام: يا أبا بكر، وعلى مثلي يتفقّه الجاهلون؟! إنّ رسول الله ﷺ أمركم ببيعتي، وفرض عليكم طاعتي، وجعلني فيكم كبيت الله الحرام يؤتى ولا يأتي، فقال: يا عليّ، ستغدر بك أمّتي من بعدي، كما غدرت الأمم بعد مضيّ الأنبياء بأوصيائها، إلاّ قليل، وسيكون لك ولهم بعدي هنات وهنات، فاصبر، أنت كبيت الله، من دخله كان آمناً، ومن رغب عنه كان كافراً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[1]، وإنّي وأنت سواء إلاّ النبوّة، فإنّي خاتم النبيّين،

---

(١) البقرة: ١٢٥.

وأنت خاتم الوصيّين، وأعلمني عن ربّي سبحانه بأنّي لست أسلّ سيفاً إلاّ في ثلاث مواطن بعد وفاته، فقال: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ولم يقرب أوان ذلك بعد.

فقلت: فما أفعل - يا رسول الله - بمن ينكث بيعتي منهم ويجحد حقّي؟ قال: فاصبر حتّى تلقاني، وتستسلم لمحنتك حتّى تلقى ناصراً عليهم، فقلت: أفتخاف عليّ منهم أن يقتلوني؟ فقال: تالله لا أخاف عليك منهم قتلاً ولا جراحاً، وإنّي عارف بمنيّتك وسببها، وقد أعلمني ربّي، ولكنّي خشيت أن تفنيهم بسيفك فيبطل الدين وهو حديث، فيرتدّ القوم عن التوحيد، ولولا أنّ ذلك كذلك وقد سبق ما هو كائن، لكان لي فيما أنت فيه شأن من الشأن، ولرويت أسيافاً وقد ظمئت إلى شرب الدماء، وعند قراءتك صحيفتك تعرف نبأ ما احتملت من وزري، ونعم الخصم محمّد، والحكم الله.

فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إنّا لم نرد هذا كلّه، ونحن نأمرك أن تفتح لنا الآن عن عنق خالد هذه الحديدة، فقد آلمه بثقله وأثّر في حلقه بحمله، وقد شفيت غليل صدرك منه. فقال عليّ عليه السلام: لو أردت أن أشفي غليل صدري لكان السيف أشفى للداء وأقرب للفناء، ولو قتلته والله ما قدته برجل ممّن قتلهم يوم فتح مكّة، وفي كرّته هذه، وما يخالجني الشكّ في أنّ خالداً ما احتوى قلبه من الإيمان على قدر جناح بعوضة، وأمّا الحديد الذي في عنقه فلعلّي لا أقدر على فكّه فيفكّه خالد عن نفسه أو فكّوه أنتم عنه، فأنتم أولى به إن كان ما تدّعونه صحيحاً. فقام إليه بريدة الأسلمي وعامر بن الأشجع فقالا: يا أبا الحسن، والله لا يفكّه عن عنقه إلاّ من حمل باب خيبر بفرد يد، ودحا به وراء ظهره، وحمله وجعله جسراً تعبر الناس عليه، وهو فوق زنده. وقام إليه عمّار بن ياسر فخاطبه أيضاً في من خاطبه، فلم يجب أحداً إلى أن قال له أبو بكر: سألتك بالله وبحق أخيك المصطفى رسول الله إلاّ ما رحمت خالداً وفككته من عنقه.

فلمّا سأله بذلك استحيا، وكان عليه السلام كثير الحياء، فجذب خالداً إليه وجعل يخذف من الطوق قطعة قطعة، ويفتلها في يده فانفتل كالشمع، ثمّ ضرب بالأولى رأس خالد، ثمّ الثانية، فقال: آه يا أمير المؤمنين. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قلتها على كره منك، ولو لم تقلها لأخرجت الثالثة من أسفلك.

ولم يزل يقطّع الحديد جميعه إلى أن أزاله عن عنقه، وجعل الجماعة يكبّرون ويهلّلون ويتعجّبون من القوّة التي أعطاها الله سبحانه أمير المؤمنين عليه السلام، وانصرفوا شاكرين[1].

إيضاح: رأيت هذا الخبر في بعض الكتب القديمة بأدنى تغيير.

والطافي: الحوت الميّت الذي يعلو الماء ولا يرسب فيه، يقال: طفا الشيء فوق الماء، أي: علاه. ويقال: ما به حراك بفتح الحاء، أي: حركة.. وقال الجوهري: فلان حامي الذمار، أي: إذا ذمِر وغضِب حمي، وفلان أمنع ذماراً من فلان، ويقال: الذمار ما وراء الرجل ممّا يحقّ عليه أن

(١) إرشاد القلوب: ٣٧٨ ـ ٣٨٤.

يحميه، وسمّي ذماراً لأنّه يجب على أهله التذمّر له[1]. والضرام بالكسر: اشتعال النار، يقال: ما بها نافخ ضرمة، أي: أحد، وأضرمت النار: ألهبتها. والمراد بأخي ثقيف المغيرة بن شعبة، وقيل: أُريد به عمر أيضاً، كناية عن الخلل في نسبه، ويؤيّده أنّ في الرواية الأخرى: فلا جزاك الله من ابن صهّاك، وأخي ثقيف أجلسك مجلساً لست له بأهل.

والانكفاء: الرجوع. والحماليق: جمع الحِملاق بالكسر، وحِملاق العين: باطن أجفانها الذي يسوده الكحل، أو ما غطّته الأجفان من بياض المقلة. ويقال: نظر إليه شزراً، وهو نظر الغضبان بمؤخّر العين، وفي لحظه شَزَر بالتحريك، وتشازر القوم: أي نظر بعضهم إلى بعض شزراً. وفي بعض النسخ: معه رهط عتاة من الذين شزرت حماليق أعينهم من حسدك، وبدرت حنقاً عليك. وقرح جلده كعلم: خرجت به القروح. وفي الرواية الأُخرى مكان وغلام أسمر: وأخوه عقيل، وهو أظهر. وقال الفيروزآبادي: الروَيّة كسُميّة ماء[2]. والبربرة: الصوت وكلام في غضب. تقول: بربر فهو برباز. وفي الرواية الأُخرى: وأطرق موحشاً وقبض على لحيته، فبدأته بالسلام لأستكفي شرّه وأنفي وحشته.

وراغ إلى كذا، أي: مال إليه سرّاً وحاد، وقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾[3]، أي أقبل، وقيل: مال، والمراوغة أيضاً المصارعة، قالها الجوهري[4].

وبعد قوله: عند الغضب في الرواية الأُخرى: ونفرت عيناه في أُمّ رأسه، وقام عرق الهاشمي بين عينيه ككراع البعير فعلمت أنّه قد غرب عقله.

ثمّ قال: ويقال: لخِن السِقاء بالكسر، أي: أنتن، ومنه قولهم: أمة لخناء، ويقال: اللخناء التي لم تُختن[5]. وقال: دععْته أدُعُّه دعّاً، أي: دفعته[6]. وفي الرواية الأُخرى: فمدّ عنقي بيد وأخذ القطب بيد أُخرى. إلى قوله: ما كفوني شرّه فلا جزاهم الله خيراً فإنّهم لمّا نظروا إلى بريق عينيه استخذلوا فرقاً، وسالت وجوههم عرقاً، وخمدت أرواحهم، فكأنّهم نظروا إلى ملك موتهم.

وفتلت الحبل: لويته. ويقال: ما أغنى فلان شيئاً بالعين والغين، أي: لم ينفع في مهم ولم يكفِ مؤونة. وشِرّة الشباب بكسر الشين وتشديد الراء: حرصه ونشاطه، والشرّة أيضاً مصدر الشر. قوله: أو قوّة ملك بالتحريك أو بالضم، والثاني أنسب بكفره. والشجا: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره. والهم: الحزن.

والدُعابة بالضم: المزاح. وفي بعض النسخ: زَعامة وهي بالفتح: السيادة. والخلد بالخاء المعجمة محركةً: القلب، وفي أكثر النسخ بالجيم، ولعلّه تصحيف. وفي الرواية الأُخرى: فقال عمر: فيه دعابة لا يدعها حتّى تهتك منزلته، وتورطه ورطة الهلكة، وتبعده عن الدنيا. فقال له أبو بكر: دعني من تمرّدك وحديثك هذا، فوالله لو همّ بقتلي وقتلك لقتلنا بشماله دون يمينه، ثمّ قال أبو

---

(١) الصحاح: ٢/ ٦٦٥.
(٢) القاموس المحيط: ٤/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨.
(٣) الصافات: ٩٣.
(٤) الصحاح: ٤/ ١٣٢٠.
(٥) الصحاح: ٦/ ٢١٩٤.
(٦) الصحاح: ٣/ ١٢٠٦.

بكر. . . إلى قوله: وكان قيس سيّاف النبي، وكان طوله سبعة أشبار في عرض ثلاثة أشبار.

قوله: لمسألة تسألونها، أي: أحضرتموني لتلتمسوا منّي ذلك لأفعله طوعاً أو تجبروني عليه كرهاً. قوله: ما كان منك. أي: لا تقدر عليه، أو المعنى: لو جبرتني عليه كان من أعوانك وليس منك. وفي الرواية الأخرى: فقال له عمر: أقصد لما أُمرت به يا قيس، وإلاّ أُكرهت. فقال قيس: يابن صهّاك، خذل الله من يكرهه شرواك، إنّ بطنك لكبير، وإنّ كيدك لعظيم، فلو فعلت أنت ذلك ما كان بعجيب. وشروى الشيء: مثله. قوله: فاستشاط. أي: احتدم والتهب في غضبه. قوله: حمياً على فعيل. أي: حامياً للحقّ. والمعرّة: الإثم والأذى. قوله: لا يقعقع بالشنان. القعقعة: حكاية صوت السلاح، والشنان بالكسر: جمع الشن، وهو القربة الخلق. قال الزمخشري والميداني[1]: إذا أرادوا حثّ الإبل على السير يحرّكون القربة اليابسة لتفزع فتُسرع. قال النابغة:

كأنّك من جِمال بني أقيسٍ   يُقعقَع خلف رجليه بشنٍّ

يضرب للرجل الشرس الصعب الذي لا يتفزّع لما ينزل به من حوادث الدهر، ولا يروعه ما لا حقيقة له. قال الحجّاج على منبر الكوفة: إنّي والله يا أهل العراق ما يُقعقَع لي بالشنان، ولا يُغمز جانبي كتغماز التين[2]. انتهى.

وغمز التين: كناية عن سرعة الانقياد ولين الجانب، فإنّه إذا غمز في ظرف أو غيره انغمز سريعاً. والضخم: الغليظ من كلّ شيء، والمراد هنا شدّته في الأُمور، وفخامته عند الناس. والصِنديد بالكسر: السيّد الشجاع. وسَمْك البيت: سقفه. والمنيف: المشرف المرتفع. والباذخ: العالي. والشَوس بالتحريك: النظر بمؤخّر العين تكبّراً وتغيّظاً، والرجل أشوس. قوله: والديك النافش. في بعض النسخ بالقاف والشين المعجمة. والنقش: استخراج الشوك واستقصاؤك الكشف عن الشيء والجماع، وفي بعض النسخ بالفاء. وقال الفيروزآبادي: النُّفوش: الإقبال على الشيء تأكله، وتنفّش الطائر: نفض ريشه كأنّه يخاف أو يرعد[3]. وفي بعض النسخ: النافر بالفاء والراء المهملة أو بالقاف والراء.

وصميم الشيء: خالصه، يقال: هو في صميم قومه. ويقال: مَجَّ الرجل الشراب من فيه، إذا رمى به. وتنصّل فلان من ذنبه، أي: تبرّأ واعتذر. قوله عليه السلام: يابن دميمة. الدميم: الحقير، والدمامة: الإساءة. . قوله عليه السلام: فطفقت. يقال: طفق الموضع كفرح: لزِمه، وهو هنا كناية عن الموت، وفي بعض النسخ: فطفئت بالهمزة، وهو هنا أيضاً كناية عن الموت. ويقال: أغنيت عنك مُغنى فلان، أي: أجزأت عنك مجزاه ويقال: ما يُغني عنك هذا. أي: ما يُجدي عنك وما ينفعك. وفي الرواية الأُخرى: فأعزّ نفسك عنّا هباء، ودعنا عنك حلماء. ولعلّه من قولهم: هبا، إذا فرّ أو مات.

قوله عليه السلام: بمن أنت أحق. أي: بمن قتلتهم من الكفّار وأنت أحقّ بالقتل منهم. قوله عليه السلام:

---

(١) مجمع الأمثال: ٢/ ٢٦١.   (٢) المستقصى: ٢/ ٢٧٤.

(٣) القاموس المحيط: ٢/ ٢٩١.

لا تجرّعت. أي: لم أشرب من الكيزان التي ختمت رؤوسها ولم يعلم ما فيها إلاّ علقمها: أي مرّها، وكلّ شيء مرّ علقم، ولعلّه مثل. والغرض: إنّي لا أبالي بالشدائد والفتن، ولم يقدر لي في الدنيا من الأمور إلاّ شدائدها. والزهو: التكبّر والفخر. قوله عليه السلام: في موضع رفع. أي: من جهة الترفّع عليّ. وفي الرواية الأخرى: أراد الوضع منّي ليسمو بذلك عند أهل الجهل، وهمّ بي وهو عارف بي. وقال الجوهري: يقال: في فلان هنات، أي: خصلات شرّ[1]. وقال الجزري: قيل: واحدها هنة، وهو كناية عن كلّ اسم جنس. ومنه حديث سطيح: ثمّ تكون هنات وهنات، أي: شدائد وأمور عظام[2].

وفي الرواية الأخرى زيادة وهي هذه: فانصرفت الجماعة شاكرين له وهم متعجّبون من ذلك، فقال أبو بكر: لا تعجبوا من أبي الحسن والله لقد كنت بجنب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم قلع عليّ باب خيبر، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قد ضحك حتّى بدت ثناياه، ثمّ بكى حتّى اخضلّت لحيته، فقلت: يا رسول الله أضحك وبكاء في ساعة واحدة؟! قال: نعم، أمّا ضحكي ففرحت بقلع عليّ باب خيبر، وأمّا بكائي فلعليّ عليه السلام، فإنّه ما قلعه إلاّ وهو صائم مذ ثلاثة أيّام على الماء القراح، ولو كان فاطراً على طعام لدحا به من وراء السور.

٣٧ - ما[3]: هذا حديث وجدته بخط بعض المشايخ رحمهم الله، ذكر أنّه وجده في كتاب لأبي غانم الأعرج، وكان مسكنه بباب الشعير، وجد بخطّه على ظهر كتاب له حين مات، وهو: إنّ عائشة بنت طلحة دخلت على فاطمة عليها السلام فرأتها باكية، فقالت لها: بأبي أنت وأمّي ما الذي يبكيك؟ فقالت لها: أسائلتي عن هنةٍ حلّق بها الطائر، وحفي بها السّائر، ورفعت إلى السماء أثراً، ورزئت في الأرض خبراً. إن قحيف تيم وأحَيْول عدي جاريا أبا الحسن في السباق، حتّى إذا تفرّيا بالخناق أسرّا له الشنآن، وطوياه الإعلان، فلمّا خبا نور الدين وقُبض النبيّ الأمين، نطقا بفورهما، ونفثا بسورهما، وأدلاّ بفدك، فيا لها كم من ملك ملك! إنّها عطيّة الربّ الأعلى للنجيّ الأوفى، ولقد نحلنيها للصبية السواغب من نجله ونسلي، وإنّها ليعلم الله وشهادة أمينه، فإن انتزعا منّي البلغة ومنعاني اللمظة، فأحتسبها يوم الحشر زلفة، وليجدنّها آكلوها ساعرة حميم في لظى جحيم.

توضيح: عن هنة: أي شيء يسير قليل، أو قصته نكرة قبيحة. حلّق بها الطائر: تحليق الطائر ارتفاعه في الهواء، أي: انتشر خبرها، إذ كان الغالب في تلك الأزمنة إرسال الأخبار مع الطيور. وحفي بها السائر: أي أسرع السائر في إيصال هذا الخبر حتّى حفي وسقط خفّه ونعله، أو رقّ رجله أو رجل دابّته. يقال: حفِي كعلم، إذا مشى بلا خفّ ولا نعل، أو رقّت قدمه أو حافره، أو هو من الحفاوة وهي المبالغة في السؤال. وفي بعض النسخ: وخفي بها الساتر. أي: لم يبق ساتر لها، ولم يقدر الساترون على إخفائها.

ورفعت إلى السماء أثراً: أي ظهرت آثاره في السماء عاجلاً وآجلاً، من منع الخيرات وتقدير

---

(١) الصحاح: ٦/٢٥٣٧. (٢) النهاية: ٥/٢٧٩.

(٣) أمالي الطوسي: ١/٢٠٧.

شدائد العقوبات لمن ارتكبها. ورزئت في الأرض خبراً: يقال: رزأه كجعله وعمله: أصاب منه شيئاً، ورزأه رُزءاً أو مرزِئة: أصاب منه خيراً، والشيءَ: نقصه. والرزيئة: المصيبة، فيمكن أن يُقرأ على بناء المعلوم، أي: أحدثت من جهة خبرها في الأرض مصائب، أو المجهول بالإسناد المجازي، والأوّل أنسب معنىً، والثاني لفظاً، ويمكن أن يكون بتقديم المعجمة على المهملة، يقال: زرى عليه زرْياً: عابه وعاتبه فلا يكون مهموزاً. وفي بعض النسخ: ربت بالراء المهملة والباء الموحّدة، أي: نمت وكثرت. وفي بعضها: رنت من الرنين، وفي نسخة قديمة: ورويت، من الرواية.

إنّ قحيف تيم: لعلّها صلوات الله عليها أطلقت على أبي بكر قحيفاً؛ لأنّ أباه أبو قحافة، والقِحف بالكسر: العظم فوق الدماغ، والقَحف بالفتح: قَطع القِحف أو كسرُه، والقاحف: المطر يجيء فجأة فيقتحف كلَّ شيء، أي يذهب به، وسيل قُحاف كغراب: جارف والأُحيول: تصغير الأحول، وهو لو لم يكن أحول ظاهراً فكان أحول باطناً لشركه، بل أعمى، ويقال أيضاً: ما أحوله. أي: ما أحيله. . جاريا أبا حسن عليه السلام في السباق: يقال: جاراه. أي: جرى معه، والسباق: المسابقة، أي: كانا يريدان أن يسبقاه في المكارم والفضائل في حياة النبي صلى الله عليه وآله.

حتّى إذا تفرّيا بالخناق أسرّا له الشنآن: يقال: تفرّى. أي: انشقّ، والخناق ككِتاب: الحبل يُخنق به، وكغُراب: داء يمتنع معه نفوذ النفس إلى الرئة والقلب. وفي بعض النسخ بالحاء المهملة وهو بالكسر: جمع الحَنَق بالتحريك، وهو الغيظ أو شدّته، والشنآن: العداوة، أي: لمّا انشقّا بما خنقهما من ظهور مناقبه وفضائله وعجزهما عن أن يدانياه في شيء منها أو من شدّة غيظه، أكمنا له العداوة في قلبهما منتهضين للفرصة. وفي بعض النسخ: تعريا بالعين والراء المهملتين، فلعلّ المعنى: بقيا مسبوقين في العراء - وهو الفضاء والصحراء - متلبّسين بالخناق والغيظ. وفي بعض النسخ: ثغرا، أي: توقّرا وثقلا. وفي بعضها: تغرغرا من الغرغرة وهي تردّد الروح في الحلق، ويقال: يتغرغر صوته في حلقه. أي: يتردّد، وهو مناسب للخناق. وفي بعضها: تقرّرا، أي: ثبتا ولم يمكنهما الحركة، وفي بعضها: تعزّبا بالمهملة ثمّ المعجمة، أي: بعدا ولم يمكنهما الوصول إليه، وكان يحتمل تقديم المعجمة أيضاً والمعنى قريب من الأوّل. وفي بعضها: تقربا بالقاف والباء الموحدة، ويمكن توجيهه بوجه، وكان يحتمل النون وهو أوجه، فالخِناق بالخاء المكسورة، أي: اشتركا فيما يوجب عجزهما كأنّهما اقترنا بحبل واحد في عنقهما. وفي بعضها: تفردا بالفاء والراء المهملة والدال، وهو أيضاً لا يخلو من مناسبة.

وطرياه الإعلان: أي أضمرا أن يعلنا له العداوة عند الفرصة. وفي الكلام حذف وإيصال، أي: طويا له أو عنه، يقال: طوى الحديث. أي: كتمه، ويقال: خبت النار. أي: سكنت وطفئت. نطقا بفورهما: أي تكلّما فوراً، أي: بسبب فورانهما. وفي بعض النسخ: نطفا بالفاء، أي: صبّا ما في صدورهما فوراً، أو بسبب غليان حقدهما وفوران حسدهما، ويحتمل أن تكون الباء زائدة، يقال: نطف الماء. أي: صبّه، وفلاناً قذفه بفجور أو لطخه بعيب. وفي الحديث رأيت سقفاً تنطف سمناً وعسلاً، أي: تقطر، وفي قصّة المسيح: ينطف رأسه ماءً. وفار القدر فوراً وفوراناً: غلى

وجاش. وأتوا من فورهم: أي من وجههم، أو قبل أن يسكنوا. ونفثا بسورهما: نفثه كضربه: رمى به، والنفث: النفخ والبزق. وسورة الشيء: حدّته وشدّته، ومن السلطان: سطوته واعتداؤه. وسار الشراب في رأسه سوراً: دار وارتفع، والرجل إليك: وثب وثار.

وأدلاً بفدك: قال الجوهري: الدَّلّ الغنج والشَّكل، وفلان يدلّ على أقرانه في الحرب: كالبازي يدلّ على صيده، وهو يدلّ بفلان، أي: يثق به[1]. والحاصل أنّهما أخذا فدك بالجرأة من غير خوف. وفي بعض النسخ: وإذ لا بفدك، بالذال المعجمة على الندبة، ولعلّه تصحيف. فيا لها كم من ملك ملك: من قبيل يا للماء للتعجّب، أي: يا قوم تعجّبوا لفدك، وقولها: كم من ملك. بيان لوجه التعجّب. وفي بعض النسخ: فيا لها من ملك تيك، وفي بعضها: فيا لها لمزة لك تيك، واللُّمَزة بضمّ اللام وفتح الميم: العياب، وتيك: اسم إشارة، والظاهر أنّ الجميع تصحيف.

والنجي: هو المناجي المخاطب للإنسان، أي لمن خصّه الله بنجواه وسرّه، وكان أوفى الخلق بعهده وأمره. والصِبية بالكسر: جمع الصبي. والسَّغب: الجوع. والنجْل: الولد. والبُلغة بالضم: ما يُتبلّغ به من العيش. واللماظة بالضم: ما يبقى في الفم من الطعام. وقال الشاعر في وصف الدنيا:

لماظة أيّام كأحلام نائم

ويقال: ما ذقت لَماظاً بالفتح، أي: شيئاً، واللُمظة بالضم: كالنكتة من البياض، واللماظة هنا أنسب. . والزُلفة بالضم كالزُّلفى: القرب والمنزلة، أي: أعلم أنّها سبب لقربي يوم الحشر، أو أصبر عليها ليكون سبباً لقربي.

قال في النهاية[2] فيه: من صام إيماناً واحتساباً. أي طلباً لوجه الله وثوابه، والاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدّ، إنّما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: احتسبه، لأنّ له حينئذٍ أن يعتدّ عمله، فجُعل في حالِ مباشرةِ الفعل كأنّه معتدّ به. والاحتساب في الأعمال الصالحات وعند المكروهات: هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر أو باستعمال أنواع البِر، والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجوّ منها، ومنه الحديث: من مات له ولد فاحتسبه. أي: احتسب الأجر بصبره على مصيبته.

وسعر النار كمنع: أوقدها. والحميم: الماء الحار. واللظى كفتى: النار أو لهبها، ولظى معرفةً: جهنّم أو طبقة منها، أعاذنا الله تعالى منها، ومن طبقاتها ودركاتها.

٣٨ - ختص[3]: عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وجلس أبو بكر مجلسه بعَث إلى وكيل فاطمة صلوات الله عليها فأخرجه من فدك، فأتته فاطمة عليها السلام فقالت: يا أبا بكر، ادّعيت أنّك خليفة أبي وجلست مجلسه، وأنت بعثت إلى وكيلي فأخرجته من فدك، وقد تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صدّق بها عليّ، وأنّ لي بذلك شهوداً. فقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لا يورث.

(١) الصحاح: ٤/١٦٩٩. (٢) النهاية: ١/٣٨٢.
(٣) الاختصاص: ١٨٣ - ١٨٥.

فرجعت إلى عليّ عليه السلام فأخبرته، فقال: ارجعي إليه وقولي له: زعمت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[1]، وورث يحيى زكريّا، وكيف لا أرث أنا أبي؟! فقال عمر: أنت معلّمة. قالت: وإن كنت معلّمة فإنّما علّمني ابن عمّي وبعلي. فقال أبو بكر: فإنّ عائشة تشهد وعمر أنّهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: النبيّ لا يورث. فقالت: هذا أوّل شهادة زورٍ شهدا بها، وإن لي بذلك شهوداً بها في الإسلام، ثمّ قالت: فإنّ فدك إنما هي صدّق بها عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولي بذلك بيّنة. فقال لها: هلمّي ببيّنتك.

قال: فجاءت بأُمّ أيمن وعليّ عليه السلام، فقال أبو بكر: يا أمّ أيمن، إنّك سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في فاطمة؟ فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة[2]، ثمّ قالت أمّ أيمن: فمن كانت سيّدة نساء أهل الجنّة تدّعي ما ليس لها؟! وأنا امرأة من أهل الجنّة ما كنت لأشهد بما لم أكن سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال عمر: دعينا يا أُمّ أيمن من هذه القصص، بأيّ شيء تشهدين؟

فقالت: كنت جالسة في بيت فاطمة عليها السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس حتّى نزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد، قم فإنّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أخط لك فدكاً بجناحي. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع جبرئيل عليه السلام فما لبث أن رجع، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبه، أين ذهبت؟ فقال: خطّ جبرئيل عليه السلام لي فدكاً بجناحيه وحدّ لي حدودها. فقالت: يا أبه، إنّي أخاف العيلة والحاجة من بعدك فصدّق بها عليّ. فقال: هي صدقة عليك، فقبضتِها؟ قالت: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أمّ أيمن اشهدي، ويا عليّ اشهد. فقال عمر: أنت امرأة ولا نجيز شهادة امرأة وحدها، وأمّا عليّ فيجرّ إلى نفسه.

قال: فقامت مغضبة وقالت: اللهمّ إنّهما ظلما ابنة نبيّك حقّها فاشدد وطأتك عليهما. ثمّ خرجت وحملها عليّ على أتان عليه كساء له خمل، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار، والحسن والحسين عليهما السلام معها وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار، انصروا الله وابنة نبيّكم، وقد بايعتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بايعتموه أن تمنعوه وذريّته ممّا تمنعون منه أنفسكم وذراريكم، ففوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيعتكم.

قال: فما أعانها أحد ولا أجابها ولا نصرها. قال: فانتهت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل، إنّي قد جئتك مستنصرة وقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن تنصره وذريّته وتمنع ممّا تمنع منه نفسك وذرّيّتك، وإنّ أبا بكر قد غصبني على فدك وأخرج وكيلي منها. فقال: فمعي غيري؟ قالت: لا، ما أجابني أحد. قال: فأين أبلغ أنا من نصرك؟

قال: فخرجت من عنده، ودخل ابنه فقال: ما جاء بابنة محمّد إليك؟ قال: جاءت تطلب نصرتي على أبي بكر فإنّه أخذ منها فدكاً. قال: فما أجبتها به؟ قال: قلت وما يبلغ من نصرتي أنا وحدي. قال: فأبيت أن تنصرها؟ قال: نعم. قال: فأيّ شيء قالت لك؟ قال: قالت لي: والله لا

(١) النمل: ١٦.

(٢) صحيح البخاري: ٥/ ٢٩، والعمدة لابن بطريق: ٣٨٤.

نازعتك الفصيح من رأسي حتّى أرد على رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: فقال: وأنا والله لا نازعتك الفصيح من رأسي حتّى أرد على رسول الله إذ لم تجب ابنة محمّد.

قال: وخرجت فاطمة صلوات الله عليها من عنده وهي تقول: والله لا أُكلّمك كلمة حتّى أجتمع أنا وأنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمّ انصرفت، فقال عليّ عليه السلام لها: ائتي أبا بكر وحده فإنّه أرقّ من الآخر، وقولي له: ادّعيت مجلس أبي وأنّك خليفته وجلست مجلسه، ولو كانت فدك لك ثمّ استوهبتها منك لوجب ردّها عليّ. فلمّا أتته وقالت له ذلك، قال: صدقت. قال: فدعا بكتاب فكتبه لها بردّ فدك.

فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمّد، ما هذا الكتاب الذي معكِ؟ فقالت: كتاب كتب لي أبو بكر بردّ فدك. فقال: هلمّيه إليّ. فأبت أن تدفعه إليه، فرفسها برجله، وكانت عليها السلام حاملة بابن اسمه المحسن، فأسقطت المحسن من بطنها، ثمّ لطمها فكأنّي أنظر إلى قرط في أذنها حين نُقف، ثمّ أخذ الكتاب فخرقه.

فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضة ممّا ضربها عمر، ثمّ قُبضت، فلمّا حضرتها الوفاة دعت عليّاً صلوات الله عليه فقالت: إمّا تضمن وإلاّ أوصيتُ إلى ابن الزبير. فقال عليّ عليه السلام: أنا أضمن وصيّتكِ يا بنت محمّد. قالت: سألتك بحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أنا متّ أن لا يشهداني ولا يصلّيا عليّ. قال: فلك ذلك.

فلمّا قُبضت صلوات الله عليها دفنها ليلاً في بيتها، وأصبح أهل المدينة يريدون حضور جنازتها وأبو بكر وعمر كذلك، فخرج إليهما عليّ عليه السلام، فقالا له: ما فعلت بابنة محمّد؟ أخذت في جهازها يا أبا الحسن؟ فقال عليّ عليه السلام: قد والله دفنتها. قالا: فما حملك على أن دفنتها ولم تعلمنا بموتها؟ قال: هي أمرتني. فقال عمر: والله لقد هممت بنبشها والصلاة عليها. فقال عليّ صلوات الله عليه: أما والله ما دام قلبي في جوانحي وذو الفقار في يدي، فإنّك لا تصل إلى نبشها، فأنت أعلم. فقال أبو بكر: اذهب فإنّه أحقّ بها منّا. وانصرف الناس.

بيان: قال في النهاية: الوطء في الأصل: الدوس بالقدم، فسمّي به الغزو والقتل؛ لأنّ من يطأ على الشيء برجله فقد استقصى في إهلاكه وإهانته، ومنه الحديث: اللهمّ اشدد وطأتك على مضر. أي: خذهم أخذاً شديداً[1]. انتهى.

والخَمَل بالتحريك: هدب القطيفة ونحوها. قولها عليها السلام: لا نازعتك الفصيح. أي: لا أُنازعك بما يفصح عن المراد، أي: بكلمة من رأسه. فإنّ محلّ الكلام في الرأس، أو المراد بالفصيح: اللسان. قوله: حين نُقف. على بناء المجهول. أي: كُسر من لطم اللعين. والجوانح: الضلوع تحت الترائب ممّا يلي الصدر، واحدتها جانحة.

٣٩ - وروى العلاّمة في كشكوله المنسوب إليه[2]، عن المفضّل بن عمر، قال: قال مولاي

(١) النهاية: ٥/ ٢٠٠.

(٢) الكشكول فيما جرى على آل الرسول: ٢٠٣ ـ ٢٠٥، والظاهر أنّه للسيد حيدر بن علي الحسيني وليس للعلاّمة الحلي.

جعفر الصادق عليه السلام: لمّا ولي أبوبكر بن أبي قحافة قال له عمر: إنّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها، فامنع عن عليّ وأهل بيته الخمس والفيء وفدكاً، فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا عليّاً وأقبلوا إليك رغبة في الدنيا وإيثاراً ومحاباة عليها. ففعل أبو بكر ذلك وصرف عنهم جميع ذلك.

فلمّا قام أبو بكر بن أبي قحافة [أمر] مناديه: من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وآله دين أو عدة فليأتني حتّى أقضيه. وأنجز لجابر بن عبد الله ولجرير بن عبد الله البجلي. قال: [قال] عليّ عليه السلام لفاطمة عليها السلام: صيري إلى أبي بكر وذكّريه فدكاً. فصارت فاطمة إليه وذكرت له فدكاً مع الخمس والفيء، فقال: هاتي بيّنة يا بنت رسول الله.

فقالت: أمّا فدك فإنّ الله عزّ وجلّ أنزل على نبيّه قرآناً يأمر فيه أن يؤتيني وولدي حقّي، قال الله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1]، فكنت أنا وولدي أقرب الخلائق لرسول الله صلى الله عليه وآله، فنحلني وولدي فدكاً، فلمّا تلا عليه جبرئيل عليه السلام: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[2] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما حقّ المسكين وابن السبيل؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3]. فقسّم الخمس على خمسة أقسام، فقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ﴾[4] فما لله فهو لرسوله، وما لرسول الله فهو لذي القربى ونحن ذو القربى، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[5].

فنظر أبو بكر بن أبي قحافة إلى عمر بن الخطّاب وقال: ما تقول؟ فقال عمر: ومن اليتامى والمساكين وأبناء السبيل؟ فقالت فاطمة عليها السلام: اليتامى الذين يأتمّون بالله وبرسوله وبذي القربى، والمساكين الذين أُسكنوا معهم في الدنيا والآخرة، وابن السبيل الذي يسلك مسلكهم. قال عمر: فإذن الخمس والفيء كلّه لكم ولمواليكم وأشياعكم؟! فقالت فاطمة عليها السلام: أمّا فدك فأوجبها الله لي ولولدي دون موالينا وشيعتنا، وأمّا الخمس فقسّمه الله لنا ولموالينا وأشياعنا كما يقرأ في كتاب الله. قال عمر: فما لسائر المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان؟ قالت فاطمة: إن كانوا موالينا ومن أشياعنا فلهم الصدقات التي قسّمها الله وأوجبها في كتابه، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾[6] إلى آخر القصّة.

قال عمر: فدك لك خاصّة، والفيء لكم ولأوليائكم؟ ما أحسب أصحاب محمّد يرضون بهذا! قالت فاطمة: فإنّ الله عزّ وجلّ رضي بذلك ورسوله رضي به، وقسّم على الموالاة والمتابعة لا على المعاداة والمخالفة، ومن عادانا فقد عادى الله، ومن خالفنا فقد خالف الله، ومن خالف الله فقد استوجب من الله العذاب الأليم والعقاب الشديد في الدنيا والآخرة. فقال عمر: هاتي بيّنة يا بنت

(١-٢) الروم: ٣٨. (٣) الأنفال: ٤١.
(٤) الحشر: ٧. (٥) الشورى: ٢٣.
(٦) التوبة: ٦٠.

محمّد على ما تدّعين. فقالت فاطمة عليها السلام: قد صدّقتم جابر بن عبد الله وجرير بن عبد الله ولم تسألوهما البيّنة، وبيّنتي في كتاب الله. فقال عمر: إنّ جابراً وجريراً ذكرا أمراً هيّناً، وأنت تدّعين أمراً عظيماً يقع به الردّة من المهاجرين والأنصار. فقالت عليها السلام: إنّ المهاجرين برسول الله وأهل بيت رسول الله هاجروا إلى دينه، والأنصار بالإيمان بالله ورسوله وبذي القربى أحسنوا، فلا هجرة إلاّ إلينا، ولا نصرة إلاّ لنا، ولا اتّباع بإحسان إلاّ بنا، ومن ارتدّ عنّا فإلى الجاهليّة. فقال لها عمر: دعينا من أباطيلك، وأحضرينا من يشهد لك بما تقولين.

فبعثت إلى عليّ والحسين وأُمّ أيمن وأسماء بنت عميس وكانت تحت أبي بكر بن أبي قحافة، فأقبلوا إلى أبي بكر وشهدوا لها بجميع ما قالت وادّعته، فقال: أمّا عليّ فزوجها، وأمّا الحسن والحسين ابناها، وأمّا أُمّ أيمن فمولاتها، وأمّا أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن أبي طالب فهي تشهد لبني هاشم، وقد كانت تخدم فاطمة، وكلّ هؤلاء يجرّون إلى أنفسهم. فقال عليّ عليه السلام: أمّا فاطمة فبضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن آذاها فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن كذّبها فقد كذّب رسول الله، وأمّا الحسن والحسين فابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّدا شباب أهل الجنّة، من كذّبهما فقد كذّب رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان أهل الجنّة صادقين، وأمّا أنا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت منّي وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، والرادّ عليك هو الرادّ عليّ، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني... وأمّا أُمّ أيمن فقد شهد لها رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنّة، ودعا لأسماء بنت عميس وذريّتها.

قال عمر: أنتم كما وصفتم أنفسكم، ولكنّ شهادة الجارّ إلى نفسه لا تقبل. فقال عليّ عليه السلام: إذا كنّا كما نحن، كما تعرفون ولا تنكرون، وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل، وشهادة رسول الله لا تقبل، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، إذا ادّعينا لأنفسنا تسألنا البيّنة، فما من معين يعين، وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بيّنة ولا حجّة، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

ثمّ قال لفاطمة: انصرفي حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

قال المفضّل: قال مولاي جعفر عليه السلام: كلّ ظلامة حدثت في الإسلام أو تحدث، وكلّ دم مسفوك حرام، ومنكر مشهور، وأمر غير محمود، فوِزره في أعناقهما وأعناق من شايعهما أو تابعهما ورضي بولايتهما إلى يوم القيامة.

بيان: يظهر من هذا الخبر أنّ لذي القربى حقّين: حقّاً مختصّاً وحقّاً مشتركاً، وأشار سبحانه في الآية الأولى إليهما جميعاً، فلمّا سألوا عن حقّ المسكين وابن السبيل أنزل آية الخمس لبيان أنّ اشتراكهما إنّما هو في الخمس لا في سائر الفيء، فلا ينافي اختصاص فدك بهم عليهم السلام. وأمّا تفسيرها عليها السلام اليتامى بالذين يأتمّون، فلعلّ المعنى أنّ المراد بهم يتامى الشيعة لا مطلق الأيتام، فلا يكون الغرض بيان أنّ اليتيم مشتقّ من الائتمام لاختلاف بناء الكلمتين، مع أنّه يحتمل أن يكون مبنيّاً

(١) الشعراء: ٢٢٧.

على الاشتقاق الكبير، ويحتمل أن يكون تأويلاً لبطن الآية بأنّ المراد باليتيم من انقطع عن والديه الروحانيّين - أي: النبيّ والإمام عليهما السلام - من الشيعة، موافقاً للأخبار الكثيرة الواردة في ذلك[١].

وأمّا ما فسّرت به المسكين فلا ينافي البناء؛ لأنّ المسكين والمسكن والسكنى متساوقة في الاشتقاق، وهو على وزن مفعيل، يقال: تمسكن، كما يقال: تمدرع وتمندل.

وابن السبيل: أظهر، فإنّه فسّرته بسبيل الحقّ والصراط المستقيم، ثمّ إنّه يدلّ ظاهراً على عدم اختصاص الخمس ببني هاشم كما هو مذهب أكثر العامّة، فيمكن أن يكون هذا على سبيل التنزيل، أو يكون المراد أنّه غير شامل لجميع بني هاشم بل مختصّ بمن كان منهم تابعاً للحقّ.

٤٠ - قب[٢]: في كتاب أخبار الخلفاء، أنّ هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: حُدّ فدكاً حتى أردّها إليك. فيأبى حتّى ألحّ عليه، فقال عليه السلام: لا آخذها إلاّ بحدودها. قال: وما حدودها؟ قال: إن حدّدتها لم تردّها! قال: بحقّ جدّك إلاّ فعلت. قال: أمّا الحدّ الأوّل فعدن. فتغيّر وجه الرشيد، وقال: إيهاً! قال: والحدّ الثاني سمرقند. فاربد وجهه، قال: والحدّ الثالث إفريقية. فاسودّ وجهه، وقال: هيه! قال: والرابع سِيف البحر ممّا يلي الخزر وأرمينيّة. قال الرشيد: فلم يبقَ لنا شيء، فتحوّل إلى مجلسي.

قال موسى: قد أعلمتك أنّني إن حدّدتها لم تردّها. فعند ذلك عزم على قتله.

وفي رواية ابن أسباط أنّه قال: أمّا الحدّ الأوّل فعريش مصر، والثاني دومة الجندل، والثالث أُحد، والرابع سِيف البحر. فقال: هذا كلّه، هذه الدنيا! فقال عليه السلام: هذا كان في أيدي اليهود، بعد موت أبي هالة فأفاءه الله على رسوله بلا خيل ولا ركاب، فأمره الله أن يدفعه إلى فاطمة عليها السلام.

بيان: هذان التحديدان خلاف المشهور بين اللغويّين. قال الفيروزآبادي: فدك محرّكة موضع بخيبر[٣]. وقال في مصباح اللغة: بلدة بينها وبين مدينة النبيّ صلى الله عليه وآله يومان، وبينهما وبين خيبر دون مرحلة، وهي ممّا أفاء الله على رسوله وتنازعها عليّ والعبّاس في خلافة عمر، فقال عليّ عليه السلام: جعلها النبيّ صلى الله عليه وآله لفاطمة وولدها. وأنكره العبّاس، فسلّمها عمر لهما[٤]. انتهى.

ولعلّ مراده عليه السلام أنّ تلك كلّها في حكم فَدَك، وكأنّ الدعوى على جميعها، وإنّما ذكروا فدك على المثال أو تغليباً.

٤١ - كشف[٥]: روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين السادس، عن عمر، عن أبي بكر المسند منه فقط، وهو: لا نورث ما تركنا صدقة لمسلم... من رواية جويريّة بن أسماء عن مالك، وعن عائشة بطوله. أنّ فاطمة عليها السلام سألت أبا بكر أن يقسم لها ميراثها، وفي رواية أُخرى، أنّ فاطمة عليها السلام والعبّاس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وهما حينئذٍ يطلبان أرضه

---

(١) الاحتجاج: ١/١٦، وغيره.
(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ٤/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.
(٣) القاموس المحيط: ٣/ ٣١٥.
(٤) المصباح المنير: ٢/ ١٣٦.
(٥) كشف الغمة: ١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٨.

من فدك وسهمه من خيبر، فقال أبو بكر: إنّي سمعت رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال... وإنّي والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلاّ صنعته.

زاد في رواية صالح بن كيسان: إنّي أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ. قال: فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ والعبّاس فغلبه عليها عليّ، وأمّا خيبر وفدك فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانت لحقوقه التي تعروه ونوائبه، وأمرها إلى من ولي الأمر. قال: فهما على ذلك اليوم.

قال غير صالح في روايته في حديث أبي بكر: فهجرته فاطمة فلم تكلّمه في ذلك حتّى ماتت فدفنها عليّ عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، قال: وكان لعليّ وجه من الناس [في] حياة فاطمة، فلمّا توفّيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن عليّ عليه السلام، ومكثت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله ﷺ ستّة أشهر ثمّ توفّيت، فقال رجل للزهري: فلم يبايعه عليّ ستّة أشهر؟ قال: لا والله ولا أحد من بني هاشم حتّى بايعه عليّ.

في حديث عروة: فلمّا رأى عليّ عليه السلام انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر، فأرسل إلى أبي بكر: ائتنا ولا تأتنا معك بأحد. وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدّة عمر، فقال عمر: لا تأتهم وحدك. فقال أبو بكر: والله لآتينّهم وحدي، ما عسى أن يصنعوا بي؟ فانطلق أبو بكر فدخل على عليّ عليه السلام وقد جمع بني هاشم عنده، فقام عليّ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ قال: أمّا بعد فلم يمنعنا أن نبايعك - يا أبا بكر - إنكار لفضيلتك ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك، ولكنّا كنّا نرى أنّ لنا في هذا الأمر حقّاً فاستبددتم علينا. ثمّ ذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقّهم، فلم يزل عليّ عليه السلام يذكر حتّى بكى أبو بكر، وصمت عليّ وتشهّد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ قال: أمّا بعد فوالله لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي، وإنّي والله ما لكأتُ في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم عن الخير، ولكنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد ﷺ من هذا المال... وإنّي - والله - لا أدع أمراً صنعه رسول الله ﷺ إلاّ صنعته إن شاء الله. وقال عليّ عليه السلام: موعدك للبيعة العشيّة.

فلمّا صلّى أبو بكر الظهر أقبل على النّاس يعذر عليّاً عليه السلام ببعض ما اعتذر به، ثمّ قام عليّ عليه السلام فعظّم من حقّ أبي بكر وذكر فضيلته وسابقته، ثمّ قام إلى أبي بكر فبايعه، فأقبل الناس على عليّ عليه السلام فقالوا: أصبت وأحسنت. وكان المسلمون إلى عليّ عليه السلام قريباً حين راجع الأمر بالمعروف... هذا آخر ما ذكره الحميدي.

وقد خطر لي عند نقلي لهذا الحديث كلام أذكره على مواضع منه، ثمّ بعد ذلك أُورد ما نقله أصحابنا في المعنى ملتزماً بما اشترطه من العدل في القول والفعل، وعلى الله قصد السبيل.

قول أبي بكر في أوّل الحديث وآخره: وإنّي والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه

إلاّ صنعته. وهو لم يرَ النبيّ ﷺ صنع فيها إلاّ أنّه اصطفاها، وإنّما سمع سماعاً أنّه بعد وفاته لا يورث، كما روى، فكان حقّ الحديث أن يحكى ويقول: وإنّي والله لا أدع أمراً سمعت رسول الله ﷺ يقوله إلاّ عملت بمقتضى قوله، أو ما هذا معناه.

وفيه: فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ وعباس فغلبه عليها عليّ.

أقول: حكم هذه الصدقة التي بالمدينة حكم فدك وخيبر، فهلاّ منعهم الجميع كما فعل صاحبه إن كان العمل على ما رواه، أو صرفهم في الجميع إن كان الأمر بضد ذلك، فأمّا تسليم البعض ومنع البعض فإنّه ترجيح من غير مرجّح، اللهمّ إلاّ أن يكونوا فعلوا شيئاً لم يصل إلينا في إمضاء ذلك.

وفي قوله: فغلبه عليها عليّ: دليل واضح على ما ذهب إليه أصحابنا من توريث البنات دون الأعمام، فإنّ عليّاً عليه السلام لم يغلب العبّاس على الصدقة من جهة العمومة؛ إذ كان العبّاس أقرب من عليّ عليه السلام في ذلك، وغلبه إيّاه على سبيل الغلب والعنف مستحيل أن يقع من عليّ في حقّ العبّاس، ولم يبقَ إلاّ أنّه غلبه عليها بطريق فاطمة وبنيها عليهم السلام.

وقول عليّ عليه السلام: كنّا نرى أنّ لنا في هذا الأمر حقّاً فاستبددتم علينا. فتأمّل معناه يضح لك مغزاه، ولا حاجة إلى كشف مغطاه.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده ما يقارب ألفاظ ما رواه الحميدي، ولم يذكر حديث عليّ عليه السلام وأبي بكر ومجيئه إليه في هذا الحديث.

روى ابن بابويه مرفوعاً إلى أبي سعيد الخدري، قال: لمّا نزلت ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1] قال رسول الله ﷺ: يا فاطمة، لك فدك... وفي رواية أُخرى عن أبي سعيد مثله. وعن عطيّة قال: لمّا نزلت ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام فأعطاها فدك. وعن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: أقطع رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام فدك. وعن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: كان رسول الله ﷺ أعطى فاطمة عليها السلام فدك؟ قال: كان رسول الله ﷺ وقفها، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، فأعطاها رسول الله ﷺ حقّها. قلت: رسول الله ﷺ أعطاها؟ قال: بل الله تبارك وتعالى أعطاها.

وقد تظاهرت الرواية من طرق أصحابنا بذلك وثبت أنّ ذا القُربى: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وعلى هذا فقد كان أبو بكر وعمر لمّا وليا هذا الأمر يرتّبان في الأعمال والبلاد القريبة والنائية من الصحابة والمهاجرين والأنصار، من لا يكاد يبلغ مرتبة عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ولا يقاربها، فلو اعتقدا هم مثل بعض الولاة وسلّما إليهم هذه الصدقة التي قامت النائرة في أخذها، وعرّفاهم ما روياه وقالا لهم: أنتم أهل البيت، وقد شهد الله لكم بالطهارة وأذهب عنكم الرجس، وقد عرّفناكم أنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث، وقد سلّمناها إليكم

---

(١) الروم: ٣٨.

وشغلنا ذممكم بها، والله من وراء أفعالكم فيها، والله سبحانه بمرأى منكم ومسمع، فاعملوا فيها بما يقرّبكم منه ويزلفكم عنده، فعلى هذا سلّمناها إليكم وصرفناكم فيها، فإن فعلتم الواجب الذي أمرتم به وفعلتم فيها فعل رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أصبتم وأصبنا، وإن تعدّيتم الواجب وخالفتم ما حدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أخطأتم وأصبنا، فإنّ الذي علينا الاجتهاد ولم نأل في اختياركم جهداً، وما علينا بعد بذل الجهد لائمة. وهذا الحديث من الإنصاف كما ترى، والله الموفّق والمسدّد.

وروي أنّ فاطمة عليها السلام جاءت إلى أبي بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا أبا بكر، من يرثك إذا متّ؟ قال: أهلي وولدي. قالت: فما لي لا أرث رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: يا بنت رسول الله، إنّ النبيّ لا يورث، ولكن أُنفق على من كان ينفق عليه رسول الله، وأُعطي ما كان يعطيه. قالت: والله لا أُكلّمك بكلمة ما حييت. فما كلّمته حتّى ماتت.

وقيل: جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر، فقالت: أعطني ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: إن الأنبياء لا تورث، ما تركوه فهو صدقة. فرجعت إلى عليّ عليه السلام فقال: ارجعي فقولي: ما شأن سليمان عليه السلام ورث داود عليه السلام؟ وقال زكريّا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[1]؟ فأبوا وأبى.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن أبي جعفر عليه السلام: أنّ أبا بكر قال لفاطمة عليها السلام: النبيّ صلى الله عليه وآله لا يورث. قالت: قد «ورث سليمان داود»[2]، وقال زكريّا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، فنحن أقرب إلى النبيّ من زكريّا إلى يعقوب. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام لفاطمة عليها السلام: انطلقي فاطلبي ميراثك من أبيك رسول الله صلى الله عليه وآله. فجاءت إلى أبي بكر فقالت: أعطني ميراثي من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: النبيّ صلى الله عليه وآله لا يورث. فقالت: ألم يرث سليمان داود؟! فغضب وقال: النبيّ لا يورث. فقالت: ألم يقل زكريّا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾؟ فقال: النبيّ لا يورث. فقالت عليها السلام: ألم يقل: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[3]؟ فقال: النبيّ لا يورث.

وعن أبي سعيد الخدري قال: لمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت فاطمة عليها السلام تطلب فدكاً، فقال أبو بكر: إنّي لأعلم إن شاء الله أنّك لن تقولي إلاّ حقّاً، ولكن هاتي بيّنتك. فجاءت بعليّ عليه السلام فشهد، ثمّ جاءت بأُمّ أيمن فشهدت، فقال: امرأة أُخرى أو رجلاً فكتبت لك بها.

٤٢ - مصباح الأنوار[4]، كشف[5]: مثل الأحاديث الثلاثة الأخيرة.

أقول[6]: هذا الحديث عجيب، فإنّ فاطمة عليها السلام كانت مطالبة بميراث فلا حاجة بها إلى الشهود، فإنّ المستحقّ للتركة لا يفتقر إلى الشاهد إلاّ إذا لم يعرف صحّة نسبه واعتزائه إلى الدارج، وما أظنّهم شكّوا في نسب فاطمة عليها السلام وكونها ابنة النبيّ صلى الله عليه وآله، وإن كانت تطلب فدكاً وتدّعي أنّ

(١) مريم: ٥ ـ ٦.
(٢) النمل: ١٦.
(٣) النساء: ١١.
(٤) مصباح الأنوار: ٢٤٥ ـ ٢٤٦.
(٥) كشف الغمة: ١/٤٧٨.
(٦) القائل هو الإربلي في كشف الغمة، وليس العلاّمة المجلسي.

أباها ﷺ نحلها إيّاها احتاجت إلى إقامة البيّنة، ولم يبقَ لما رواه أبو بكر من قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، معنى، وهذا واضح جدّاً، فتدبّر.

٤٣ - وروى[1] مرفوعاً أنّ عمر بن عبد العزيز لمّا استخلف، قال: أيّها الناس، إنّي قد رددت عليكم مظالمكم وأوّل ما أردّ منها ما كان في يدي، قد رددت فدك على ولد رسول الله ﷺ وولد عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فكان أوّل من ردّها.

وروى أنّه ردّها بغلاّتها منذ ولي، فقيل له: نقمت على أبي بكر وعمر فعلهما، وطعنت عليهما، ونسبتهما إلى الظلم والغصب، وقد اجتمع عنده في ذلك قريش ومشايخ أهل الشام من علماء السوء. فقال عمر بن عبد العزيز: قد صحّ عندي وعندكم أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ ادّعت فدك وكانت في يدها، وما كانت لتكذب على رسول الله ﷺ مع شهادة عليّ وأُمّ أيمن وأُمّ سلمة، وفاطمة عندي صادقة فيما تدّعي، وإن لم تقم البيّنة، وهي سيّدة نساء أهل الجنّة، فأنا اليوم أردّها على ورثتها أتقرّب بذلك إلى رسول الله ﷺ، وأرجو أن تكون فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام يشفعون لي يوم القيامة، ولو كنتُ بدل أبي بكر وادّعت فاطمة كنت أُصدّقها على دعواها. فسلّمها إلى محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، فلم تزل في أيديهم إلى أن مات عمر بن عبد العزيز.

وروي أنّه لمّا صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ردّ عليهم سهام الخمس: سهم رسول الله ﷺ، وسهم ذي القربى وهما من أربعة أسهم، ردّ على جميع بني هاشم، وسلّم ذلك إلى محمّد بن عليّ وعبد الله بن الحسن.

وقيل: إنّه جعل من بيت ماله سبعين حملاً من الورق والعين من مال الخمس، فردّ عليهم ذلك، وكذلك كلّ ما كان لبني فاطمة وبني هاشم ممّا حازه أبو بكر وعمر وبعدهما عثمان ومعاوية ويزيد وعبد الملك ردّ عليهم، واستغنى بنو هاشم في تلك السنين وحسنت أحوالهم، وردّ عليهم المأمون والمعتصم والواثق، وقالا: كان المأمون أعلم منّا به، فنحن نمضي على ما مضى هو عليه. فلمّا ولي المتوكّل قبضها وأقطعها حرملة الحجّام، وأقطعها بعده لفلان النازيار من أهل طبرستان، وردّها المعتضد، وحازها المكتفي، وقيل: إنّ المقتدر ردّها عليهم.

قال شريك: كان يجب على أبي بكر أن يعمل مع فاطمة بموجب الشرع، وأقلّ ما يجب عليه أن يستحلفها على دعواها أنّ رسول الله ﷺ أعطاها فدك في حياته، فإنّ عليّاً وأُمّ أيمن شهدا لها وبقي ربع الشهادة، فردّها بعد الشاهدين لا وجه له، فإمّا أن يصدّقها أو يستحلفها ويُمضي الحكم لها.

قال شريك: الله المستعان! مثل هذا الأمر يجهله أو يتعمّده؟!

وقال الحسن بن عليّ الوشّاء: سألت مولانا أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: هل خلّف

---

(١) كشف الغمة: ١/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦.

رسول الله ﷺ غير فدك شيئاً؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ رسول الله ﷺ خلّف حيطاناً بالمدينة صدقة، وخلّف ستّة أفراس وثلاث نوق: العضباء والصهباء والديباج، وبغلتين: الشهباء والدلدل، وحماره اليعفور، وشاتين حلوبتين، وأربعين ناقة حلوباً، وسيفه ذا الفقار، ودرعه ذات الفضول، وعمامته السحاب، وحبرتين يمانيّتين، وخاتمه الفاضل، وقضيبه الممشوق، وفراشاً من ليف، وعباءتين قطوانيّتين، ومخاداً من أدم، صار ذلك إلى فاطمة عليها السلام ما خلا درعه وسيفه وعمامته وخاتمه، فإنّه جعله لأمير المؤمنين عليه السلام.

إيضاح: قال في النهاية، في حديث أبي بكر: أنْ أزيغ، أي: أجور وأعدل عن الحق[1]. وقال في حديث فدك: لحقوق رسول الله ﷺ التي تعروه، أي تغشاه وتنتابه[2]. وقال: المنافسة: الرغبة في الشيء والانفراد به، وهو من الشيء النفيس الجيّد في نوعه، ونفِست به بالكسر، أي: بخلت، ونفِست عليه الشيء نفاسة، إذا لم تره له أهلاً[3].

قوله: لكأت. قال الفيروزآبادي: لكأ كفرح: أقام ولزم، وتلكّأ عليه: اعتلّ، وعنه: أبطأ[4]. قوله: يضح لك مغزاه. أي: يتبيّن لك معناه. والدارج: الميّت. ويقال: نقمت عليه ومنه، من باب ضرب وعلم، إذا عابه وكرهه أشدّ الكراهة. وفي التنزيل: ﴿وَمَا نَنقِمُ مِنَّآ﴾[5].

وقال في النهاية: الحلوب أي ذات اللبن، يقال: ناقة حلوب أي هي ممّا يحلب، وقيل: الحلوب والحلوبة سواء، وقيل الحلوب الاسم والحلوبة الصفة، وقيل الواحدة والجماعة[6]. وقال: القطوانيّة: عباءة بيضاء قصيرة الخمل، والنون زائدة[7].

أقول: روى السيّد في الشافي[8]، عن محمد بن زكريّا الغلابي، عن شيوخه، عن أبي المقدام هشام بن زياد مولى آل عثمان قال: لمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فردّ فدك على ولد فاطمة عليها السلام، وكتب إلى واليه على المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم يأمره بذلك، فكتب إليه: إنّ فاطمة عليها السلام قد ولدت في آل عثمان وآل فلان وآل فلان. فكتب إليه: أمّا بعد فإنّي لو كتبت إليك آمرك أن تذبح شاةً لسألتني جمّاء أو قرناء؟ أو كتبت إليك أن تذبح بقرة لسألتني ما لونها؟ فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها بين ولد فاطمة عليها السلام من عليّ عليه السلام.

قال أبو المقدام: فنقمت بنو أميّة ذلك على عمر بن عبد العزيز وعاتبوه فيه، وقالوا له: قبّحت فعل الشيخين. وخرج إليه عمرو بن عبيس في جماعة من أهل الكوفة فلمّا عاتبوه على فعله، قال: إنّكم جهلتم وعلمتُ، ونسيتم وذكرتُ، إنّ أبا بكر محمّد بن عمرو بن حزم حدّثني، عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة منّي يسخطني ما يسخطها، ويرضيني ما يرضيها، وإنّ فدك كانت صافية في عهد أبي بكر وعمر، ثمّ صار أمرها إلى مروان، فوهبها لأبي عبد العزيز فورثتها أنا

(١) النهاية: ٢/٣٢٤.
(٢) النهاية: ٣/٢٢٦.
(٣) النهاية: ٥/٩٥.
(٤) القاموس المحيط: ١/٢٧ ـ ٢٨.
(٥) الأعراف: ١٢٦.
(٦) النهاية: ١/٤٢٢.
(٧) النهاية: ٤/٨٥.
(٨) الشافي في الإمامة: ٤/١٠٢ ـ ١٠٤.

وإخوتي فسألتهم أن يبيعوني حصّتهم منها، ومنهم من باعني ومنهم من وهب لي حتّى استجمعتها، فرأيت أن أردّها على ولد فاطمة عليها السلام. فقالوا: إن أبيت إلاّ هذا فأمسك الأصل واقسم الغلّة. ففعل.

أقول: سيأتي في أبواب تاريخ أبي جعفر الباقر عليه السلام ردّ عمر بن عبد العزيز فدكاً إليه عليه السلام [(١)].

فصل ١

نورد فيه خطبة خطبتها سيّدة النساء فاطمة الزهراء صلوات الله عليها احتجّت بها على من غصب فدك منها

اعلم أنّ هذه الخطبة من الخطب المشهورة التي روتها الخاصّة والعامّة بأسانيد متظافرة.

١ - قال عبد الحميد بن أبي الحديد[(٢)] في شرح كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عند ذكر الأخبار الواردة في فدك، حيث قال: الفصل الأوّل فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم. وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة وفدك. وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدّث كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدّثون ورووا عنه مصنّفاته وغير مصنّفاته.

ثمّ قال: قال أبو بكر: حدّثني محمّد بن زكريّا، عن جعفر بن محمّد بن عمارة، عن أبيه، عن الحسن بن صالح، قال: حدّثني ابن خالات من بني هاشم، عن زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال: وقال جعفر بن محمّد بن عمارة: حدّثني أبي، عن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه. قال أبو بكر: وحدّثني عثمان بن عمران العجيفي، عن نائل بن نجيح، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام. قال أبو بكر: وحدّثني أحمد بن محمّد بن زيد، عن عبد الله بن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن الحسن.

قالوا جميعاً: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار، فضربت بينهم وبينها ريطة بيضاء، وقال بعضهم: قبطيّة، وقالوا: قبطية بالكسر والضم، ثمّ أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، ثمّ أمهلت طويلاً حتّى سكتوا من فورتهم، ثمّ قالت:

أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم.. وذكر خطبة طويلة جدّاً، ثمّ قالت في آخرها: فاتّقوا الله حقّ تقاته، وأطيعوه فيما أمركم به... إلى آخر الخطبة. انتهى كلام ابن أبي الحديد.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٢٦/٤٦ - ٣٢٧، الحديث ٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢١٠/١٦ - ٢١٣.

٢ - وقد أورد الخطبة عليّ بن عيسى الإربلي في كتاب كشف الغمّة[١]، قال: نقلتها من كتاب السقيفة تأليف أحمد بن عبد العزيز الجوهري، من نسخة قديمة مقروءة على مؤلّفها المذكور، قرئت عليه في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمئة، روى عن رجاله من عدّة طرق: أنّ فاطمة عليها السلام لمّا بلغها إجماع أبي بكر. . . إلى آخر الخطبة.

وقد أشار إليها المسعودي في مروج الذهب[٢].

وقال السيّد المرتضى رحمه الله في الشافي[٣]: أخبرنا أبو عبد الله محمّد بن عمران المرزباني، عن محمّد بن أحمد الكاتب، عن أحمد بن عبيد الله النحوي، عن الزيّادي، عن شرقي بن قطامي، عن محمّد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن عروة، عن عائشة.

قال المرزباني: وحدّثني أحمد بن محمّد بن المكّي، عن محمّد بن القاسم اليماني، قال: حدّثنا ابن عائشة قالوا: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقبلت فاطمة عليها السلام في لمّة من حفدتها إلى أبي بكر.

وفي الرواية الأولى: قالت عائشة: لمّا سمعت فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمّة من حفدتها - ثمّ اتفقت الروايتان من ها هنا: - ونساء قومها. . . وساق الحديث نحو ما مرّ إلى قوله: افتتحت كلامها بالحمد لله عزّ وجلّ والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قالت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[٤]. . . إلى آخرها.

أقول: وستأتي أسانيد أُخرى سنوردها من كتاب أحمد بن أبي طاهر.

٣ - وروى الصدوق رحمه الله بعض فقراتها المتعلّقة بالعلل في علل الشرائع[٥] عن ابن المتوكّل، عن السعدآبادي، عن البرقي، عن إسماعيل بن مهران، عن أحمد بن محمّد بن جابر، عن زينب بنت عليّ عليها السلام. . . قال: وأخبرنا عليّ بن حاتم، عن محمّد بن أسلم، عن عبد الجليل الباقطاني، عن الحسن بن موسى الخشّاب، عن عبد الله بن محمّد العلوي، عن رجال من أهل بيته، عن زينب بنت عليّ، عن فاطمة عليها السلام بمثله. . . وأخبرني عليّ بن حاتم، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن عمارة، عن محمّد بن إبراهيم المصري، عن هارون بن يحيى، عن عبيد الله بن موسى العبسي، عن حفص الأحمر، عن زيد بن عليّ، عن عمّته زينب بنت عليّ، عن فاطمة عليها السلام، وزاد بعضهم على بعض في اللفظ.

أقول: قد أوردت ما رواه في المجلّد الثالث[٦] وإنّما أوردت الأسانيد هنا ليُعلم أنّه روى هذه الخطبة بأسانيد جمّة.

٤ - وروى الشيخ المفيد الأبيات المذكورة فيها بالسند المذكور في أوائل الباب[٧].

---

(١) كشف الغمّة: ١/ ٤٨٠ ـ ٤٩٢.
(٢) مروج الذهب: ٢/ ٣٠٤.
(٣) الشافي: ٤/ ٦٩ ـ ٧٢.
(٤) التوبة: ١٢٨.
(٥) علل الشرائع: ٢٤٨، الألاحاديث ٢، ٣، ٤.
(٦) من بحار الأنوار: ٦/ ١٠٧ ـ ١٠٨، الحديث ١.
(٧) أمالي الشيخ المفيد: ٢٥.

٥ - وروى السيّد ابن طاووس ﵀ في كتاب الطرائف[1] موضع الشكوى والاحتجاج من هذه الخطبة، عن الشيخ أسعد بن شفروة في كتاب الفائق عن الشيخ المعظّم عندهم الحافظ الثقة بينهم أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني في كتاب المناقب، قال: أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم عن شرفي بن قطامي، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة.

٦ - ورواها الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج[2] مرسلاً، ونحن نوردها بلفظه، ثمّ نشير إلى موضع التخالف بين الروايات في أثناء شرحها إن شاء الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى: روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه ﵈: أنّه لمّا أجمع أبو بكر على منع فاطمة ﵂ فدك وبلغها بذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ، حتّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثمّ أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجّ المجلس، ثمّ أمهلت هنيئة حتّى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله ﷺ، فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها فقالت: الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نِعَمٍ ابتداها، وسبوغ آلاءٍ أسداها، وتمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنا في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيّته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثِلةٍ امتثلها، كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيّته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلاّ تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبّداً لبريّته، وإعزازاً لدعوته، ثمّ جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته، وحياشة منه لهم إلى جنّته.

وأشهد أنّ أبي محمّداً ﷺ عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتبله، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور، ابتعثه الله تعالى إتماماً لأمره، وعزيمةً على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فرأى الأُمم فِرقاً في أديانها، عكّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بمحمّد ﷺ ظلمها، وكشف عن القلوب بُهَمها، وجلى عن الأبصار غُمَمها، وقام في الناس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، ثمّ قبضه

---

(١) الطرائف: ٢٦٣ ـ ٢٦٦، الحديث ٣٦٨.

(٢) الاحتجاج: ١/١٣١ ـ ١٤٥.

الله إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمّد ﷺ عن تعب هذه الدار في راحة، قد حفّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الربّ الغفّار، ومجاورة الملك الجبّار، صلّى الله على أبي نبيّه وأمينه على الوحي، وصفيّه وخيرته من الخلق، ورضيّه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثمّ التفتت إلى أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأُمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، وزعمتم حقّ لكم لله فيكم وعهد قدّمه إليكم، وبقيّة استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، متجلّية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان اتباعه، مؤدّ إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحجّ تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة: فـ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2].

ثمّ قالت: أيّها الناس، اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد ﷺ، أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه ﷺ، فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكث الهام، حتّى انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتّى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلّت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص، «وكنتم على شفا حفرة من النار»[4] مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد ﷺ بعد اللتيا والتي، وبعد أن مُني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب

---

(١) آل عمران: ١٠٢.
(٢) فاطر: ٢٨.
(٣) التوبة: ١٢٨.
(٤) آل عمران: ١٠٣.

﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾(١)، أو نجم قرن للشيطان وفغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، ومجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّد أولياء الله، مشمّراً ناصحاً مجدّاً كادحاً، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر، وتتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون عند القتال.

فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر من عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٢). فهيهات منكم! وكيف بكم! وأنّى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم؟ أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون؟ ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾(٣) ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾(٤) ثمّ لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادها، ثمّ أخذتم تورون وقدتها، وتهيّجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهماد سنن النبيّ الصفي، تسرّون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمر والضراء، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى، ووخز السنان في الحشا وأنتم تزعمون أن لا إرث لنا، ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾(٥) أفلا تعلمون؟ بلى تجلّى لكم كالشمس الضاحية أنّي ابنته.

أيّها المسلمون، أأُغلَبُ على إرثي؟ يابن أبي قحافة؟ أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئتَ شيئاً فريّاً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾(٦)؟ وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريّا عليه السلام إذ قال رب: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ﴾(٧)، وقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾(٨) وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾(٩)، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(١٠) - وزعمتم ألاّ حظوة لي، ولا أرث من أبي، ولا رحم بيننا؟ أفخصّكم الله بآية أخرج منها أبي صلى الله عليه وآله؟! أم هل تقولون: أهل ملّتين لا يتوارثان؟! أولست أنا وأبي

(١) المائدة: ٦٤.
(٢) التوبة: ٤٩.
(٣) الكهف: ٥٠.
(٤) آل عمران: ٨٥.
(٥) المائدة: ٥٠.
(٦) النمل: ١٦.
(٧) مريم: ٥.
(٨) الأحزاب: ٦.
(٩) النساء: ١١.
(١٠) البقرة: ١٨٠.

من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟!

فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة ما تخسرون، ولا ينفعكم إذ تندمون، و﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾(١) و﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾(٢).

ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معاشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي، والسّنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: المرء يحفظ في ولده؟! سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أُحاول، وقوّة على ما أطلب وأزاول، أتقولون: مات محمّد ﷺ؟ فخطب جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، واظلمّت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتابُ الله جلّ ثناؤه في أفنيتكم وفي ممساكم ومصبحكم، هتافاً وصراخاً، وتلاوة وألحاناً، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله، حكم فصل وقضاء حتم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(٣).

أيهاً بني قَيْلة، أأُهضم تراث أبي وأنتم بمرأىً منّي ومسمع، ومبتدأ ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدّة، والأداة والقوّة، وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنجبة التي انتجبت، والخيرة التي اختيرت، قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكدّ والتعب، وناطحتم الأُمم، وكافحتم البهم، فلا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون حتّى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأيّام، وخضعت نعرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنّى حرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان، ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٤).

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم ما هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوّغتم، فـ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(٥). ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنّها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القنا، وبثّة الصّدر، وتقدمة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها: دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد،

---

(١) الأنعام: ٦٧.
(٢) الزمر: ٣٩ـ ٤٠.
(٣) آل عمران: ١٤٤.
(٤) التوبة: ١٣.
(٥) إبراهيم: ٨.

موصولة بـ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾[١]، فبعين الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٢]، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فـ﴿ٱعْمَلُوا۟ . . . إِنَّا عَـٰمِلُونَ ۝١٢١ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٢٢﴾[٣].

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان فقال: يابنة رسول الله ﷺ لقد كان أبوكِ بالمؤمنين عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً، فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخاً لبعلك دون الأخلاّء، آثره على كلّ حميم، وساعده في كلّ أمرٍ جسيم، لا يحبّكم إلاّ كلّ سعيد، ولا يبغضكم إلاّ كلّ شقي، فأنتم عترة رسول الله ﷺ الطيّبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، وإلى الجنّة مسالكنا، وأنتِ يا خيرة النساء وابنة خير الأنبياء صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقّك، ولا مصدودة عن صدقك، ووالله ما عدوت رأي رسول الله ﷺ، ولا عملت إلاّ بإذنه، وإنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّي أُشهد الله وكفى به شهيداً أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضّة ولا داراً ولا عقاراً، وإنّما نورث الكتب والحكمة والعلم والنبوّة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه. وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل به المسلمون ويجاهدون الكفّار، ويجالدون المردة ثمّ الفجّار، وذلك بإجماع من المسلمين لم أتفرّد به وحدي، ولم أستبدّ بما كان الرأي فيه عندي، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك، لا نزوي عنك، ولا ندّخر دونك، وأنت سيّدة نساء أُمّة أبيك، والشجرة الطيّبة لبنيك، لا يدفع ما لك من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن أُخالف في ذلك أباك ﷺ؟

فقالت عليها السلام: سبحان الله! ما كان رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتّبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول: ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[٤]، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ﴾[٥]، فبيّن عزّ وجلّ فيما وزّع عليه من الأقساط، وشرّع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين، كلا ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[٦].

فقال أبو بكر: صدق الله وصدق رسوله وصدقت ابنته، أنتِ معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجّة، لا أُبعد صوابك، ولا أُنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلّدوني ما تقلّدت، وباتّفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى الناس وقالت: معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على

---

(١) الهمزة: ٦ ـ ٧.
(٢) الشعراء: ٢٢٧.
(٣) هود: ١٢١ ـ ١٣٢.
(٤) مريم: ٦.
(٥) النمل: ١٦.
(٦) يوسف: ١٨.

الفعل القبيح الخاسر، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾(١) كلاّ بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم، وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه اعتضتم، لتجدنّ والله محمله ثقيلاً، وغبّه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضرّاء، وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾(٢). ثمّ عطفت على قبر النبي ﷺ وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة	لو كنت شاهدنا لم تكبر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختلّ قومك فاشهدهم وقد نكبوا
وكلّ أهل له قربى ومنزلة	عند الإله على الأدنين مقترب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم	لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهّمتنا رجال واستخفّ بنا	لمّا فقدت وكلّ الأرض مغتصب
وكنتَ بدراً ونوراً يستضاء به	عليك تنزل من ذي العزّة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا	فقد فقدت فكلّ الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا	لمّا مضيت وحالت دونك الكثب
إنّا رزينا بما لم يُرزَ ذو شجن	من البريّة لا عجم ولا عرب

ثمّ انكفأت عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقّع رجوعها إليه، ويتطلّع طلوعها عليه، فلمّا استقرّت بها الدار، قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: يا ابن أبي طالب عليك السلام، اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحيلة أبي، وبلغة ابني، لقد أجهر في خصامي، وألفيته ألدّ في كلامي، حتّى حسبتني قَيْلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجتُ كاظمة، وعدتُ راغمة، أضرعتَ خدّك يوم أضعت حدّك، افترست الذئاب وافترشت التراب، ما كففت قائلاً، ولا أغنيت باطلاً، ولا خيار لي، ليتني متّ قبل هنيئتي ودون زلتي، عذيري الله منك عادياً، ومنك حامياً، ويلاي في كلّ شارق! مات العمد، ووهن العضد، شكواي إلى أبي، وعدواي إلى ربّي، اللهم أنت أشدّ قوّة وحولاً، وأحدّ بأساً وتنكيلاً.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل عليك، الويل لشانئك، نهنهي عن وجدك يابنة الصفوة، وبقيّة النبوّة، فما ونيت عن ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أُعدّ لكِ أفضل ممّا قطع عنك، فاحتسبي الله.

فقالت: حسبي الله. وأمسكت(٣).

أقول: وجدت هذه الخطبة في كتاب بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر فأحببت إيرادها لما فيها من الاختلاف مع ما أوردناه سابقاً.

---

(١) محمد: ٢٤. (٢) غافر: ٧٨.

(٣) الاحتجاج ١: ١٤٥.

٧ - قال أبو الفضل[1]: ذكرت لأبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إيّاها فدك، وقلت له: إنّ هؤلاء يزعمون أنّه مصنوع، وأنّه من كلام أبي العيناء... الخبر منسوق على البلاغة على الكلام.

فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلّمونه أبناءهم وقد حدّثنيه أبي، عن جدّي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية، ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء، وقد حدّث به الحسن بن علوان، عن عطية العوفي أنّه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه.

ثمّ قال أبو الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكر وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة، فيحقّقونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت؟!

ثمّ ذكر الحديث قال: لمّا أجمع أبو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليها فدك، وبلغ ذلك فاطمة عليها السلام لاثت خمارها على رأسها، وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً، حتّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فنيطت دونها ملاءة، ثمّ أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء، وارتجّ المجلس، فأمهلت حتّى سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، فافتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] فإن تعزوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، فبلغ النذارة صادعاً بالرسالة، مائلاً على مدرجة المشركين، ضارباً لثبجهم، آخذاً بكظمهم، يجذّ الأصنام، وينكت الهام، حتّى هزم الجميع، وولّوا الدبر، وتفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾[3] مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلّة خاشعين ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾[4] من حولكم، فأنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللتيّا والتي، وبعدما مُني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، كلّما حشوا ناراً للحرب، ونجم قرن للضلال، وفغرت فاغرة من المشركين، قذف بأخيه في لهواتها، ولا ينكفي حتى يطأ سماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، وأنتم في بُلَهْنِية وادعون آمنون.

حتّى إذا اختار الله لنبيّه صلى الله عليه وآله دار أنبيائه، ظهرت حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبع خامل الأقلّين، وهدر فنيق المبطلين يخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم، فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، فاستنهضكم فوجدكم

---

(١) بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن طيفور البغدادي: ١٤ ـ ٢٠.

(٢) التوبة: ١٢٨. (٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) الأنفال: ٢٦.

خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتموها غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، بداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾(١).

فهيهات منكم! وأنّى بكم، وأنّى تؤفكون؟ وهذا كتاب الله بين أظهركم، زواجره بيّنة، وشواهده لائحة، وأوامره واضحة، أرغبة عنه تدبرون، أم بغيره تحكمون؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾(٢)، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٣) ثمّ لم تريثوا أُختها إلا ريث أن تسكن نفرتها، تسرّون حسواً في ارتغاء، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٤).

ويهاً يا معشر المهاجرة! أُبتزّ إرث أبيه؟ أفي الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّاً! فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾(٥)، و﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٦). ثمّ انحرفت إلى قبر النبيّ ﷺ وهي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب

قال: فما رأينا يوماً كان أكثر باكياً ولا باكية من ذلك اليوم.

ثمّ قال أحمد بن أبي طاهر: حدّثني جعفر بن محمّد - رجل من أهل ديار مصر لقيته بالرافقة - قال: حدّثني أبي قال: أخبرنا موسى بن عيسى قال: أخبرنا عبد الله بن يونس قال: اخبرنا جعفر الأحمر، عن زيد بن عليّ رحمة الله عليه عن عمّته زينب بنت الحسين عليها السلام قالت: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها وخرجت في حشدة نسائها ولمّة من قومها تجرّ أدراعها، ما تخرم من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، حتّى وقفت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فأنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، فلمّا سكنت فورتهم قالت: أبدأ بحمد الله. ثمّ أسبلت بينها وبينهم سجفاً. ثمّ قالت: الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وإحسان منن والاها، جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن المجازاة أمدها، وتفاوت عن الإدراك آمالها، واستثنى الشكر بفضائلها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب على أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في الفكرة معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة به، ابتدع الأشياء لا من شيء قبله، واحتذاها بلا مثال، لغير فائدة زادته إلاّ إظهاراً لقدرته، وتعبّداً لبريّته، وإعزازاً لدعوته، ثمّ

---

(١) التوبة: ٤٩. (٢) الكهف: ٥٠.
(٣) آل عمران: ٨٥. (٤) المائدة: ٥٠.
(٥) الجاثية: ٢٧. (٦) الأنعام: ٦٧.

جعل الثواب على طاعته، والعقاب على معصيته، زيادة لعباده عن نقمته، وحياشاً لهم إلى جنّته. وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن يجتبله، واصطفاه قبل أن ابتعثه، وسمّاه قبل أن استنجبه، إذ الخلائق بالغيوب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله عزّوجلّ بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواضيع المقدور. ابتعثه الله عزّوجلّ إتماماً لأمره وعزيمة على إمضاء حكمه، فرأى الأمم صلى الله عليه وآله فِرقاً في أديانها، عكّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله عزّوجلّ بمحمّد صلى الله عليه وآله ظلمها، وفرّج عن القلوب بهمها، وجلا عن الأبصار غممها، ثمّ قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله قبض رأفة واختيار، رغبة بأبي صلى الله عليه [وآله] عن هذه الدار، موضوع عنه العبء والأوزار، ومتحف بالملائكة الأبرار، ومجاورة الملك الجبّار، ورضوان الربّ الغفّار، صلّى الله على محمّد نبيّ الرحمة، وأمينه على وحيه وصفيّه من الخلائق، ورضيّه، صلى الله عليه وآله وسلّم، ورحمة الله وبركاته.

ثمّ أنتم عباد الله - تريد أهل المجلس - نصب أمر الله ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأُمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، زعمتم حقاً لكم لله فيكم عهد قدّمه إليكم، ونحن بقيّة استخلفنا عليكم ومعنا كتاب الله، بيّنة بصائره، وآيٌ فينا منكشفة سرائره، وبرهان منجلية ظواهره، مديم للبريّة أسماعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدٍّ إلى النجاة استماعه، فيه بيان حجج الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وجمله الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

ففرض الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والزكاة تزييداً في الرزق، والحجّ تسلية للدين، والعدل تنسّكاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أمناً من الفرقة، وحبّنا عزّاً للإسلام، والصبر منجاة، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعرّضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخسة، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، وقذف المحصنات اجتناباً للّعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله عزّوجلّ الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة، فـ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١) وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٢).

ثمّ قالت: أيّها الناس أنا فاطمة وأبي محمّد صلى الله عليه وآله أقولها بدءاً على عودي: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾(٣)... ثمّ ساق الكلام على ما رواه زيد بن عليّ عليه السلام في رواية أبيه.

ثمّ قالت في متّصل كلامها: أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(٤)، وقال الله عزّوجلّ فيما قصّ من خبر يحيى بن زكريّا: ربّ هَبْ ﴿لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٥)، وقال عزّ ذكره: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ

---

(١) آل عمران: ١٠٢. (٢) فاطر: ٢٨.
(٣) التوبة: ١٢٨. (٤) النمل: ١٦.
(٥) مريم: ٥ ـ ٦.

بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾(١)، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾(٢)، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣) - وزعمتم الاّ حظوة لي، ولا أرث من أبي، ولا رحم بيننا؟ أفخصّكم الله بآية أخرج نبيّه ﷺ منها؟! أم تقولون: أهل ملّتين لا يتوارثون؟! أوَلستُ أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم لعلّكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبيّ صلى الله عليه [وآله]؟! ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٤)؟! أأُغلب على إرثي ظلماً وجوراً؟! ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(٥). وذكر أنّها لمّا فرغت من كلام أبي بكر والمهاجرين عدلت إلى مجلس الأنصار فقالت: معشر البقيّة، وأعضاد الملّة، وحصون الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي، والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله ﷺ يقول: المرء يحفظ في ولده؟ سرعان ما أجدبتم فأكديتم، وعجلان ذا إهالة.

أتقولون: مات رسول الله صلى الله عليه [وآله]؟ فخطب جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وبعد وقته، واظلمّت الأرض لغيبته، واكتأبت خيرة الله لمصيبته، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال، وأُضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته صلى الله عليه [وآله]، وتلك نازلة علن بها كتاب الله في أفنيتكم، في ممساكم ومصبحكم يهتف بها في أسماعكم، وقبله حلّت بأنبياء الله عزّ وجلّ ورسله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٦).

إيهاً بني قَيْلة! أأُهضم تراث أبي وأنتم بمرأىً منه ومسمع! تلبسكم الدعوة، وتشملكم الحيرة، وفيكم العدد والعدّة، وعندكم الجنن، وأنتم الأولى نخبة الله التي انتجب لدينه، وأنصار رسوله، وأهل الإسلام، والخيرة التي اختارها لنا أهل البيت، فباديتم العرب، وناهضتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح نأمركم وتأتمرون، حتّى دارت لكم بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأنام، وخضعت نعرة الشرك، وباخت نيران الحرب، وهدأت دعوة الهرج، واستوثق نظام الدين، فأنّى جرتم بعد البيان، ونكصتم بعد الإقدام، وأسررتم بعد الإعلان لقوم نكثوا أيمانهم؟ ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٧).

ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فعجتم عن الدين، ومججتم الذي وعيتم، ووسعتم الذي سوّغتم فـ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾(٨). ألا وقد قلت الذي قلته على معرفة منّي بالخذلان الذي خامر صدوركم، واستشعرته قلوبكم، ولكن قلته فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وبثّة الصدر، ومعذرة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها: مدبرة الظهر، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة بشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة(٩) فبعين

(١) الأحزاب: ٦.
(٢) النساء: ١١.
(٣) البقرة: ١٨٠.
(٤) المائدة: ٥٠.
(٥) الشعراء: ٢٢٧.
(٦) آل عمران: ١٤٤.
(٧) التوبة: ١٣.
(٨) إبراهيم: ٨.
(٩) الهمزة: ٦ ـ ٧.

الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[(١)]، وأنا ابنة نذير ﴿لَكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[(٢)]، فـ﴿اعْمَلُواْ . . . إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[(٣)]. قال أبو الفضل: وقد ذكر قوم أنّ أبا العيناء ادّعى هذا الكلام، وقد رواه قوم وصحّحوه وكتبناه على ما فيه.

وحدّثني عبد الله بن أحمد العبدي، عن الحسين بن علوان، عن عطيّة العوفي، أنّه سمع أبا بكر يومئذ يقول لفاطمة عليها السلام: يا بنت رسول الله، لقد كان صلى الله عليه وآله بالمؤمنين رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وإذا عزوناه كان أباكِ دون النساء، وأخا ابن عمّك دون الرجال، آثره على كلّ حميم، وساعده على الأمر العظيم، لا يحبّكم إلاّ العظيم السعادة، ولا يبغضكم إلاّ الرديّ الولادة، وأنتم عترة الله الطيّبون، وخيرة الله المنتجبون، على الآخرة أدلّتنا، وباب الجنّة لسالكنا.

وأمّا منعك ما سألت فلا ذلك لي، وأمّا فدك وما جعل أبوكِ لكِ فإن منعتك فأنا ظالم، وأمّا الميراث فقد تعلمين أنّه صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما أبقيناه صدقة.

قالت: إنّ الله يقول عن نبيّ من أنبيائه: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[(٤)]، وقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[(٥)] فهذان نبيّان، وقد علمت أن النبوّة لا تورث وإنّما يورث ما دونها، فما لي أُمنع إرث أبي؟ أأنزل الله في الكتاب إلاّ فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، فتدلّني عليه فأقنع به؟

فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنتِ عين الحجّة، ومنطق الرسالة، لا يد لي بجوابكِ، ولا أدفعكِ عن صوابكِ، ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك هو الذي أخبرني بما تفقّدت، وأنبأني بما أخذت وتركت. قالت: فإن يكن كذلك فصبراً لمرّ الحقّ، والحمد لله إله الحقّ. وما وجدت هذا الحديث إلا عند أبي هفّان[(٦)].

أقول: لا يخفى على ذي عينين أنّ ما ألحقوه في آخر الخبر لا يوافق شيئاً من الروايات، ولا يلائم ما مرّ من الفقرات والتظلّمات والشكايات، وسنوضح القول في ذلك إن شاء الله تعالى.

ولنوضح تلك الخطبة الغرّاء الساطعة عن سيّدة النساء صلوات الله عليها التي تحيّر من العجب منها والإعجاب بها أحلام الفصحاء والبلغاء، ونبني الشرح على رواية الاحتجاج، ونشير أحياناً إلى الروايات الأُخر.

قوله: أجمع أبو بكر. أي: أحكم النيّة والعزيمة عليه.. لاثت خمارها على رأسها: أي عصبته وجمعته. يقال: لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً، أي: شدّها وربطها.. والجِلباب بالكسر: يطلق على الملحفة والرداء والإزار والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة، والثوب كالمقنعة تغطّي به المرأة رأسها وصدرها وظهرها، والأوّل هنا أظهر.. أقبلت في لمّة من حفدتها: اللمة بضم اللام وتخفيف الميم: الجماعة. قال في النهاية: في حديث فاطمة: أنّها خرجت في لمة من نسائها، تتوطّأ ذيلها إلى أبي بكر فعاتبته، أي: في جماعة من نسائها، قيل: هي ما بين الثلاثة إلى العشرة.

---

(١) الشعراء: ٢٢٧.
(٢) سبأ: ٤٦.
(٣) هود: ١٢١ ـ ١٢٢.
(٤) مريم: ٦.
(٥) النمل: ١٦.
(٦) بلاغات النساء: ٢٠.

وقيل: اللمة المثل في السن والترب. وقال الجوهري: الهاء عوض من الهمزة الذاهبة من وسطه[١]، وهو ممّا أُخذت عينه كَسَرٍ ومذ، وأصلها فُعْلَة من الملاءمة، وهي الموافقة[٢]. انتهى.

أقول: ويحتمل أن يكون بتشديد الميم. قال الفيروزآبادي: اللمّة بالضم، الصاحب، والأصحاب في السفر، والمؤنِس للواحد والجمع[٣]. والحَفَدَة بالتحريك: الأعوان والخدم. تطأ ذيولها: أي كانت أثوابها طويلة تستر قدميها، وتضع عليها قدمها عند المشي، وجمع الذيل باعتبار الأجزاء وتعدّد الثياب. ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ: وفي بعض النسخ: من مشي رسول الله ﷺ. والخرْم: الترك والنقص والعدول، والمِشية بالكسر: الاسم من مشى يمشي مشياً. أي: لم تنقص مشيها من مشيه ﷺ شيئاً كأنّه هو بعينه. قال في النهاية: فيه ما خرَمت من صلاة رسول الله شيئاً: أي ما تركت، ومنه الحديث: لم أخرم منه حرفاً، أي: لم أدع[٤]. والحشد بالفتح وقد يُحرّك: الجماعة.

وفي الكشف: إنّ فاطمة عليها السلام لمّا بلغها إجماع أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها، وأقبلت في لميمة من حفدتها ونساء قومها، تجرّ أدراعها وتطأ في ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله ﷺ حتّى دخلت على أبي بكر وقد حشد المهاجرين والأنصار، فضُرب بينهم بريطة بيضاء، وقيل: قبطيّة، فأنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، ثمّ أمهلت طويلاً حتّى سكنوا من فورتهم، ثمّ قالت عليها السلام: أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم. فنيطت دونها مُلاءة[٥].

الملاءة بالضم والمدّ: الرَّيطة والإزار. ونِيطت بمعنى: عُلّقت. أي: ضربوا بينها عليها السلام وبين القوم ستراً وحجاباً. والرَّيطة بالفتح: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لِفقين، أو هي كلّ ثوب ليّن رقيق. والقِبطيّة بالكسر: ثياب بيض رقاق من كتّان تتّخذ بمصر، وقد يضم لأنّهم يغيرون في النسبة. والجهْش: أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء، كالصبي يفزع إلى أمّه وقد تهيّأ للبكاء، يقال: جهَش إليه كمَنع وأجهش. والارتجاج: الاضطراب. قوله: هُنيئة. أي: صبرت زماناً قليلاً. والنشيج: صوت معه توجّع وبكاء، كما يردّد الصبي بكاءه في صدره. وهدأت كمنَعت: أي سكنت. وفورة الشيء: شدّته، وفار القدر: أي جاشت. قولها عليها السلام: بما قدّم. أي: بنعم أعطاها العباد قبل أن يستحقّوها، ويحتمل أن يكون المراد بالتقديم والإيجاد والفعل من غير ملاحظة معنى الابتداء، فيكون تأسيساً. والسبوغ: الكمال. والآلاء: النعماء جمع ألى بالفتح والقصر وقد يكسر الهمزة. وأسدى وأولى وأعطى: بمعنى واحد. قولها عليها السلام: والاها. أي: تابعها بإعطاء نعمة بعد أُخرى بلا فصل. وجمّ الشيء: أي كثر، والجمّ: الكثير، والتعدية بعن لتضمين معنى التعدّي والتجاوز.

---

(١) الصحاح: ٥/٢٠٢٦.
(٢) النهاية: ٤/٢٧٣.
(٣) القاموس المحيط: ٤/١٧٧.
(٤) النهاية: ٢/٣٧.
(٥) كشف الغمّة: ٢/٤٠ ـ ٤١.

قولها عليها السلام: ونأى عن الجزاء أمدها. الأمد بالتحريك: الغاية والمنتهى، أي: بعد عن الجزاء بالشكر غايتها، فالمراد بالأمد إمّا الأمد المفروض؛ إذ لا أمد لها على الحقيقة، أو الأمد الحقيقي لكلّ حدّ من حدودها المفروضة، ويحتمل أن يكون المراد بأمدها ابتداؤها، وقد مرّ في كثير من الخطب بهذا المعنى. وقال في النهاية في حديث الحجّاج: قال للحسن: ما أمدك؟ قال: سنتان من خلافة عمر. أراد أنّه ولد لسنتين من خلافته، وللإنسان أمدان مولده وموته[1]. انتهى. وإذا حمل عليه يكون أبلغ، ويحتمل على بُعدٍ أن يقرأ بكسر الميم. قال الفيروزآبادي: الأمد: المملوّ من خير وشرّ، والسفينة المشحونة[2].

وتفاوت عن الإدراك أبدها: التفاوت: البعد، والأبد: الدهر. . والدائم والقديم: الأزلي. وبعده عن الإدراك لعدم الانتهاء. وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها: يقال: ندبه للأمر وإليه فانتدب. أي: دعاه فأجاب، واللام في قولها: لاتّصالها، لتعليل الندب، أي: رغّبهم في استزادة النعمة بسبب الشكر؛ لتكون نعمة متّصلة لهم غير منقطعة عنهم، وجعْل اللام الأُولى للتعليل والثانية للصلة بعيد، وفي بعض النسخ: لأفضالها، فيحتمل تعلّقه بالشكر.

واستحمد إلى الخلائق بإجزالها: أي طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم، يقال: أجزلت له من العطاء. اي: أكثرت، وأجزاك النعم كأنّه طلب الحمد أو طلب منهم الحمد حقيقة لإجزال النعم، وعلى التقديرين التعدية بإلى لتضمين معنى الانتهاء، أو التوجّه، وهذه التعدية في الحمد شائع بوجه آخر، يقال: أحمد إليك الله. قيل: أي أحمده معك. وقيل: أي أحمد إليك نعمة الله بتحديثك إيّاها، ويحتمل أن تكون استحمد بمعنى تحمّد، يقال: فلان يتحمّد، أي: يمتنّ فيكون إلى بمعنى على، وفيه بعد.

وثنّى بالندب إلى أمثالها: اي بعد أن أكمل لهم النعم الدنيويّة ندبهم إلى تحصيل أمثالها من النعم الأُخرويّة أو الأعم منها ومن مزيد النعم الدنيويّة، ويحتمل أن يكون المراد بالندب إلى أمثالها أمر العباد بالإحسان والمعروف، وهو إنعام على المحسن إليه وعلى المحسن أيضاً؛ لأنّه به يصير مستوجباً للأعواض والمثوبات الدنيويّة والأُخرويّة.

كلمة جعل الإخلاص تأويلها: المراد بالإخلاص جعل الأعمال كلّها خالصة لله تعالى، وعدم شوب الرياء والأغراض الفاسدة، وعدم التوسّل بغيره تعالى في شيء من الأُمور، فهذا تأويل كلمة التوحيد؛ لأنّ من أيقن بأنّه الخالق والمدبّر، وبأنّه لا شريك له في الإلهيّة فحقّ له أن لا يشرك في العبادة غيره، ولا يتوجّه في شيء من الأُمور إلى غيره.

وضمّن القلوب موصولها: هذه الفقرة تحتمل وجوهاً:

الأوّل: أنّ الله تعالى ألزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكلمة من عدم تركّبه تعالى، وعدم زيادة صفاته الكماليّة الموجودة، وأشباه ذلك ممّا يؤول إلى التوحيد.

---

(١) النهاية: ١/ ٦٥. (٢) القاموس المحيط: ١/ ٢٧٥.

الثاني: أن يكون المعنى جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكلمة مدرجاً في القلوب مما أراهم من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، أو بما فطرهم عليه من التوحيد.

الثالث: أن يكون المعنى لم يكلّف العقول الوصول إلى منتهى دقائق كلمة التوحيد وتأويلها، بل إنّما كلّف عامّة القلوب بالإذعان بظاهر معناها وصريح مغزاها، وهو المراد بالموصول.

الرابع: أن يكون الضمير في موصولها راجعاً إلى القلوب، أي: لم يلزم القلوب إلاّ ما يمكنها الوصول إليها من تأويل تلك الكلمة الطيّبة والدقائق المستنبطة منها، أو مطلقاً، ولولا التفكيك لكان أحسن الوجوه بعد الوجه الأوّل بل مطلقاً.

وأنار في الفكر معقولها: أي أوضح في الأذهان ما يتعقّل من تلك الكلمة بالتفكّر في الدلائل والبراهين، ويحتمل إرجاع الضمير إلى القلوب أو الفكر بصيغة الجمع، أي: أوضح بالتفكّر ما يعقلها العقول، وهذا يؤيّد الوجه الرابع من وجوه الفقرة السابقة. . الممتنع من الأبصار رؤيته: ويمكن أن يقرأ الإبصار بصيغة الجمع والمصدر، والمراد بالرؤية العلم الكامل والظهور التام. ومن الألسن صفته: الظاهر أنّ الصفة هنا مصدر، ويحتمل المعنى المشهور بتقدير أي بيان صفته.

لا من شيء: أي مادّة. بلا احتذاء أمثلة امتثلها: احتذى مثاله: اقتدى به، وامتثلها: اي تبعها. ولم يتعدّ عنها: أي لم يخلقها على وفق صنع غيره. وتنبيهاً على طاعته، لأنّ ذوي العقول يتنبّهون بمشاهدة مصنوعاته بأنّ شكر خالقها والمنعم بها واجب، أو أنّ خالقها مستحقّ للعبادة، أو بأنّ من قدر عليها يقدر على الإعادة والانتقام. وتعبّداً لبريّته: أي خلق البريّة ليتعبّدهم، أو خلق الأشياء ليتعبّد البرايا بمعرفته والاستدلال بها عليه. وإعزازاً لدعوته: أي خلق الأشياء ليغلب ويظهر دعوة الأنبياء إليه بالاستدلال بها. ذيادة لعباده عن نقمته وحياشة لهم إلى جنّته: الذود والذياد بالذال المعجمة: السوق والطرد والدفع والإبعاد. وحشت الصيد أحوشه: إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة، ولعلّ التعبير بذلك لنفور الناس بطباعهم عمّا يوجب دخول الجنّة.

قبل أن اجتبله: الجبل الخلق، يقال: جبلهم الله، أي: خلقهم، وجبله على الشيء، أي: طبعه عليه، ولعلّ المعنى أنّه تعالى سمّاه لأنبيائه قبل أن يخلقه، ولعلّ زيادة البناء للمبالغة تنبيهاً على أنّه خلق عظيم، وفي بعض النسخ بالحاء المهملة، يقال: احتبل الصيد، أي: أخذه بالحبالة، فيكون المراد به: الخلق أو البعث مجازاً، وفي بعضها: قبل أن اجتباه، أي: اصطفاه بالبعثة، وكلّ منها لا يخلو من تكلّف.

وبستر الأهاويل مصونة، لعلّ المراد بالستر ستر العدم أو حجب الأصلاب والأرحام، ونسبته إلى الأهاويل لما يلحق الأشياء في تلك الأحوال من موانع الوجود وعوائقه، ويحتمل أن يكون المراد أنّها كانت مصونة عن الأهاويل بستر العدم، إذ هي إنّما تلحقها بعد الوجود، وقيل: التعبير من قبيل التعبير عن درجات العدم بالظلمات.

بمآيل الأمور على صيغة الجمع: أي عواقبها، وفي بعض النسخ بصيغة المفرد. ومعرفة بمواقع المقدور: أي لمعرفته تعالى بما يصلح وينبغي من أزمنة الأمور الممكنة المقدورة وأمكنتها، ويحتمل

أن يكون المراد بالمقدور المقدّر بل هو أظهر. إتماماً لأمره: أي للحكمة التي خلق الأشياء لأجلها، والإضافة في مقادير حتمه من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة، أي: مقاديره المحتومة.

وقولها عليها السلام: عكّفاً على نيرانها. تفصيل وبيان للفرق بذكر بعضها، يقال: عكف على الشيء كضرب ونصر، أي: أقبل عليه مواظباً ولازمهُ فهو عاكف، ويجمع على عُكّف بضم العين وفتح الكاف المشدّدة كما هو الغالب في فاعل الصفة، نحو شُهّد وغُيّب. والنيران: جمع نار، وهو قياس مطّرد في جمع الأجوف، نحو تيجان وجيران. منكرة لله مع عرفانها: لكون معرفته تعالى فطريّة، أو لقيام الدلائل الواضحة الدّالة على وجوده سبحانه. والضمير في ظلمها راجع إلى الأمم، والضميران التاليان له يمكن إرجاعهما إليها وإلى القلوب والأبصار. والظُّلَم بضم الظاء وفتح اللام: جمع ظلمة، استعيرت هنا للجهالة. والبُهم: جمع بُهمة بالضم، وهي مشكلات الأمور. وجلوت الأمر: أوضحته وكشفته. والغُمَم: جمع غمّة، يقال: أمر غمّة، أي: مبهم ملتبس. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾[(١)]. قال أبو عبيدة: مجازها ظلمة وضيق[(٢)]. وتقول: غممت الشيء، إذا غطّيته وسترته.

والعماية: الغواية واللجاج. ذكره الفيروز آبادي[(٣)]. واختيار: أي من الله له ما هو خير له، أو باختيار منه صلى الله عليه وآله ورضا، وكذا الإيثار، والأوّل أظهر فيهما. بمحمّد صلى الله عليه وآله عن تعب هذه الدار: لعلّ الظرف متعلّق بالإيثار بتضمين معنى الضنّة أو نحوها، وفي بعض النسخ: محمّد بدون الباء، فتكون الجملة استئنافيّة أو مؤكّدة للفقرة السابقة، أو حاليّة بتقدير الواو، وفي بعض كتب المناقب القديمة: فمحمّد صلى الله عليه وآله، وهو أظهر. وفي رواية كشف الغمّة: رغبة بمحمّد صلى الله عليه وآله عن تعب هذه الدار، وفي رواية أحمد بن أبي طاهر: بأبي صلى الله عليه وآله عزّت هذه الدار، وهو أظهر، ولعلّ المراد بالدار دار القرار، ولو كان المراد الدنيا تكون الجملة معترضة، وعلى التقادير لا يخلو من تكلّف.

نصب أمره: قال الفيروز آبادي: النصب بالفتح: العلم المنصوب ويحرّك، وهذا نصب عيني بالضم والفتح[(٤)]. أي: نصبكم الله لأوامره ونواهيه، وهو خبر الضمير. وعباد الله: منصوب على النداء. وبلغاؤه إلى الأمم: أي تؤدّون الأحكام إلى سائر الناس؛ لأنّكم أدركتم صحبة الرسول صلى الله عليه وآله. زعمتم حقّ لكم: أي زعمتم أنّ ما ذكر ثابت لكم، وتلك الأسماء صادقة عليكم بالاستحقاق. ويمكن أن يقرأ على الماضي المجهول، وفي إيراد لفظ الزعم إشعار بأنّهم ليسوا متّصفين بها حقيقة، وإنّما يدّعون ذلك كذباً. ويمكن أن يكون حقّ لكم جملة أُخرى مستأنفة، أي: زعمتم أنّكم كذلك وكان يحقّ لكم وينبغي أن تكونوا كذلك، لكن قصّرتم، وفي بعض النسخ: وزعمتم حقّ لكم فيكم وعهد، وفي كتاب المناقب القديم: زعمتم أن لا حقّ لي فيكم عهداً قدّمه إليكم. . . فيكون عهداً منصوباً باذكروا ونحوه، وفي الكشف: إلى الأُمم حولكم لله فيكم عهد.

قولها عليها السلام: لله فيكم عهد وبقيّة: العهد الوصيّة، وبقيّة الرجلِ: ما يخلفه في أهله، والمراد

---

(١) يونس: ٧١.

(٢) لسان العرب: ١٢/ ٤٤٢.

(٣) القاموس المحيط: ٤/ ٣٦٦.

(٤) القاموس المحيط: ١/ ١٣٢ ـ ١٣٣.

بهما القرآن، أو بالأوّل ما أوصاهم به في أهل بيته وعترته، وبالثاني القرآن، وفي رواية أحمد بن أبي طاهر: وبقيّة استخلفنا عليكم، ومعنا كتاب الله. فالمراد بالبقية أهل البيت عليهم السلام، وبالعهد ما أوصاهم به فيهم. والبصائر: جمع بصيرة، وهي الحجة. والمراد بانكشاف السرائر: وضوحها عند حملة القرآن وأهله. مغتبط به أشياعه: الغبطة أن يتمنّى المرء مثل حال المغبوط من غير أن يريد زوالها منه، تقول: غبطته فاغتبط، والباء للسببيّة، أي: أشياعه مغبوطون بسبب اتّباعه، وتلك الفقرة غير موجودة في سائر الروايات.

مؤدّ إلى النجاة إسماعه. على بناء الإفعال، أي: تلاوته.. وفي بعض نسخ الاحتجاج وسائر الروايات: استماعه. والمراد بالعزائم: الفرائض، وبالفضائل: السنن، وبالرخص: المباحات، بل ما يشمل المكروهات، وبالشرائع: ما سوى ذلك من الأحكام، كالحدود والديات أو الأعم.. وأمّا الحجج والبيّنات والبراهين: فالظاهر أنّ بعضها مؤكّدة لبعض، ويمكن تخصيص كلّ منها ببعض ما يتعلّق بأصول الدين لبعض المناسبات. وفي رواية ابن أبي طاهر: وبيّناته الجالية وجمله الكافية. فالمراد بالبيّنات: المحكمات، وبالجمل: المتشابهات، ووصفها بالكافية لدفع توهّم نقص فيها لإجمالها، فإنّها كافية فيما أُريد منها، ويكفي معرفة الراسخين في العلم بالمقصود منها، فإنّهم المفسّرون لغيرهم، ويحتمل أن يكون المراد بالجمل العمومات التي يستنبط منها الأحكام الكثيرة. تزكية للنفس: أي من دنس الذنوب أو من رذيلة البخل، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1]. ونماء في الرزق: إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[2] على بعض التفاسير تثبيتاً للإخلاص: أي لتشييد الإخلاص وإبقائه أو لإثباته وبيانه، ويؤيّد الأخير أنّ في بعض الروايات: تبييناً، وتخصيص الصوم بذلك لكونه أمراً عدمياً لا يظهر لغيره تعالى، فهو أبعد من الرياء، وأقرب إلى الإخلاص، وهذا أحد الوجوه في تفسير الحديث المشهور: الصوم لي وأنا أجزي به. وقد شرحناه في حواشي الكافي، وسيأتي في كتاب الصوم إن شاء الله تعالى[3].

تشييداً للدين: إنّما خصّ التشييد به لظهوره ووضوحه وتحمّل المشاق فيه وبذل النفس والمال له، فالإتيان به أدلّ دليل على ثبوت الدين، أو يوجب استقرار الدين في النفس لتلك العلل وغيرها ممّا لا نعرفه، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما ورد في الأخبار الكثيرة[4] من أنّ علّة الحجّ التشرّف بخدمة الإمام وعرض النصرة عليه وتعلّم شرائع الدين منه، فالتشييد لا يحتاج إلى تكلّف. وفي العلل ورواية ابن أبي طاهر: تسلية للدين، فلعلّ المعنى: تسلية للنفس بتحمّل المشاقّ وبذل الأموال بسبب التقيّد بالدين، أو المراد بالتسلية: الكشف والإيضاح، فإنّها كشف الهم، أو المراد بالدين: أهل الدين، أو أُسند إليه مجازاً. والظاهر أنّه تصحيف تسنية، وكذا في الكشف وفي بعض نسخ العلل، أي: يصير سبباً لرفعة الدين وعلوّه.

---

(١) التوبة: ١٠٣. (٢) الروم: ٣٩.

(٣) بحار الأنوار: ٩٣/ ٢٥٥، كتاب الصوم، الحديث ٣١.

(٤) عيون الأخبار: ٢/ ٢٦٢، الأحاديث ٢٨، ٢٩، ٣٠، وغيره.

والتنسيق: التنظيم. وفي العلل: مسكاً للقلوب، أي: ما يمسكها. وفي القاموس المُسكة بالضم: ما يُتمسّك به، وما يُمسك الأبدان من الغذاء والشراب، والجمع كصرد، والمَسك محرّكة: الموضع يمسك[1] الماء. وفي رواية ابن أبي طاهر والكشف: تنسّكاً للقلوب، أي: عبادة لها؛ لأنّ العدل أمر نفساني يظهر آثاره على الجوارح. والصبر معونة على استيجاب الأجر، إذ به يتم فعل الطاعات وترك السيّئات. وقاية من السخط، أي: سخطهما أو سخط الله تعالى، والأوّل أظهر. منماة للعدد: المنماة اسم مكان أو مصدر ميمي، أي: يصير سبباً لكثرة عدد الأولاد والعشائر، كما أنّ قطعها يذر الديار بلاقع من أهلها. تغييراً للبخس: وفي سائر الروايات: للبخسة، أي: لئلاّ ينقص مال من ينقص المكيال والميزان؛ إذ التوفية موجبة للبركة وكثرة المال، أو لئلاّ ينقصوا أموال الناس، فيكون المقصود أنّ هذا أمر يحكم العقل بقبحه.

عن الرجس: أي النجس، أو ما يجب التنزّه عنه عقلاً، والأوّل أوضح في التعليل، فيمكن الاستدلال على نجاستها. حجاباً عن اللعنة، أي لعنة الله أو لعنة المقذوف أو القاذف، فيرجع إلى الوجه الأخير في السابقة، والأوّل أظهر، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[2]. إيجاباً للعفّة: أي للعفّة عن التصرّف في أموال الناس مطلقاً أو يرجع إلى ما مرّ، وكذا الفقرة التالية، وفي الكشف بعد قوله للعفّة: والتنزّه عن أموال الأيتام والاستئثار بفيئهم، إجارة من الظلم، والعدل في الأحكام إيناساً للرعية، والتبرّي من الشرك إخلاصاً للربوبيّة. عوداً وبدءاً: أي أوّلاً وآخراً، وفي رواية ابن أبي الحديد وغيره: أقول عوداً على بدء، والمعنى واحد.

والشطَط بالتحريك: البعد عن الحقّ ومجاوزة الحدّ في كلّ شيء، وفي الكشف: ما أقول ذلك سرفاً ولا شططاً من أنفسكم، أي: لم يصبه شيء من ولادة الجاهليّة بل عن نكاح طيّب، كما روي عن الصادق عليه السلام[3]، وقيل: أي من جنسكم، من البشر، ثمّ من العرب، ثمّ من بني إسماعيل. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: شديد شاقّ عليه عنتكم، وما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان أو مطلقاً. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: على إيمانكم وصلاح شأنكم. ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4] أي: رحيم بالمؤمنين منكم ومن غيركم. والرأفة: شدّة الرحمة، والتقديم لرعاية الفواصل. وقيل: رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين. وقيل: رؤوف بأقربائه رحيم بأوليائه. وقيل: رؤوف بمن رآه رحيم بمن لم يره، فالتقديم للاهتمام بالمتعلّق.

فإن تعزوه: يقال: عزوته إلى أبيه، أي: نسبته إليه، أي: إن ذكرتم نسبه وعرفتموه تجدوه أبي وأخا ابن عمّي، فالأخوّة ذكرت استطراداً. ويمكن أن يكون الانتساب أعم من النسب وممّا طرأ أخيراً، ويمكن أن يقرأ: وآخى بصيغة الماضي. وفي بعض الروايات: فإن تعزّروه وتوقّروه. صادعاً بالنذارة: الصدع الإظهار، تقول: صدعت الشيء، أي: أظهرته، وصدعت بالحقّ، إذا تكلّمت به

---

(١) القاموس المحيط: ٣/٣١٩. (٢) النور: ٢٣.
(٣) يراجع أصول الكافي: ١/٢٤١، وتفسير فرات الكوفي: ٢٠٧.
(٤) التوبة: ١٢٨.

جهاراً. قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[(١)]. والنذارة بالكسر: الإنذار، وهو الإعلام على وجه التخويف. والمدرَجة: المذهب والمسلك، وفي الكشف: ناكباً على سنن مدرجة المشركين، وفي رواية ابن أبي طاهر: مائلاً على مدرجة، أي: قائماً للردّ عليهم، وهو تصحيف. ضارباً ثبجهم آخذاً بأكظامهم: الثبج بالتحريك: وسط الشيء ومعظمه، والكظم بالتحريك: مخرج النفس من الحلق، أي: كان ﷺ لا يبالي بكثرة المشركين واجتماعهم، ولا يداريهم في الدعوة.

داعياً إلى سبيل ربّه: كما أمره سبحانه ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[(٢)]. وقيل: المراد بالحكمة: البراهين القاطعة وهي للخواص، وبالموعظة الحسنة: الخطابات المقنعة والعبر النافعة وهي للعوام، وبالمجادلة بالتي هي أحسن: إلزام المعاندين والجاحدين بالمقدّمات المشهورة والمسلّمة، وأمّا المغالطات والشعريات فلا يناسب درجة أصحاب النبوّات. يكسّر الأصنام وينكث الهام: النكث إلقاء الرجل على رأسه، يقال: طعنه فنكثه، والهام جمع الهامة بالتخفيف فيهما، وهي الرأس، والمراد: قتل رؤساء المشركين وقمعهم وإذلالهم، أو المشركين مطلقاً. وقيل: أُريد به إلقاء الأصنام على رؤوسها، ولا يخفى بُعده لا سيما بالنظر إلى ما بعده. وفي بعض النسخ: ينكس الهام. وفي الكشف وغيره: يجذّ الأصنام، من قولهم: جذذت الشيء، أي: كسرته، ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا﴾[(٣)].

حتّى تفرّى الليل عن صبحه وأسفر الحقّ عن محضه: والواو مكان حتّى - كما في رواية ابن أبي طاهر - أظهر، وتفرّى الليل: أي انشقّ حتّى ظهر ضوء الصباح، وأسفر الحقّ عن محضه وخالصه، ويقال: أسفر الصبح، أي: أضاء. ونطق زعيم الدين: زعيم القوم سيّدهم والمتكلّم عنهم، والزعيم أيضاً: الكفيل، والإضافة لاميّة ويحتمل البيانيّة. وخرست شقاشق الشياطين: خرِس بكسر الراء، والشقاشق جمع شِقْشِقة بالكسر: وهي شيء كالريّة يُخرجها البعير من فيه إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب: ذو شِقْشِقة فإنّما يشبّه بالفحل. وإسناد الخرس إلى الشقاشق مجازي. وطاح وشيظ النفاق: يقال: طاح فلان يطوح: إذا هلك أو أشرف على الهلاك وتاه في الأرض وسقط، والوشيظ بالمعجمتين: الرذل والسفلة من الناس، ومنه قولهم: إيّاكم والوشائظ. وقال الجوهري: الوشيظ: لفيف من الناس ليس أصلهم واحداً، وبنو فلان وشيظة في قومهم، أي: هم حشو فيهم[(٤)]. والوسيط بالمهملتين: أشرف القوم نسباً وأرفعهم محلاً، وكذا في بعض النسخ، وهو أيضاً مناسب.

وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص: يقال: فاه فلان بالكلام كقال، أي: لفظ به كتفوّه، وكلمة الإخلاص: كلمة التوحيد، وفيه تعريض بأنّه لم يكن إيمانهم عن قلوبهم. والبيض جمع أبيض، وهو من الناس خلاف الأسود، والخِماص بالكسر جمع خميص، والخَماصة تطلق على دقّة البطن خلقة وعلى خلوّه من الطعام، يقال: فلان خميص البطن من أموال الناس، أي: عفيف عنها. وفي الحديث: كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً[(٥)]. والمراد بالبيض الخماص: إمّا

(١) الحجر: ٩٤.
(٢) النحل: ١٢٥.
(٣) الأنبياء: ٥٨.
(٤) الصحاح: ٣/ ١١٨١.
(٥) النهاية: ٢/ ٨٠.

أهل البيت عليهم السلام، ويؤيّده ما في كشف الغمّة: في نفر من البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ووصفهم بالبيض لبياض وجوههم، أو هو من قبيل وصف الرجل بالأغرّ، وبالخماص لكونهم ضامري البطون بالصوم وقلّة الأكل، أو لعفّتهم عن أكل أموال الناس بالباطل، أو المراد بهم من آمن من العجم كسلمان رضي الله عنه وغيره، ويقال لأهل فارس: بيض لغلبة البياض على ألوانهم وأموالهم؛ إذ الغالب في أموالهم الفضّة، كما يقال لأهل الشام: حمر لحمرة ألوانهم وغلبة الذهب في أموالهم، والأوّل أظهر. ويمكن اعتبار نوع تخصيص من المخاطبين، فيكون المراد بهم: غير الراسخين الكاملين في الإيمان، وبالبيض الخماص: الكمّل منهم.

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾[1] شفا كلّ شيء: طرفه وشفيره، أي: كنتم على شفير جهنّم مشرفين على دخولها لشرككم وكفركم. مذقة الشارب ونهزة الطامع: مذقة الشارب شربته، والنهزة بالضم: الفرصة، أي: محل نهزته، أي: كنتم قليلين أذلاّء يتخطّفكم الناس بسهولة، وكذا قولها عليها السلام: وقبسة العجلان وموطئ الأقدام. والقبسة بالضم: شعلة من نار يقتبس من معظمها، والإضافة إلى العجلان لبيان القلّة والحقارة، ووطء الأقدام: مثل مشهور في المغلوبيّة والمذلّة. تشربون الطرق وتقتاتون الورق: الطّرْق بالفتح: ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر، والورَق بالتحريك: ورق الشجر. وفي بعض النسخ: وتقتاتون القِدّ، وهو بكسر القاف وتشديد الدال: سير يقدّ من جلد غير مدبوغ. والمقصود وصفهم بخباثة المشرب وجشوبة المأكل، لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم في دنياهم، ولفقرهم وقلّة ذات يدهم وخوفهم من الأعادي.

أذلّة خاسئين تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم: الخاسئ المبعَد المطرود، والتخطّف: استلاب الشيء وأخذه بسرعة، اقتُبس من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]. وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّ الخطاب في تلك الآية لقريش خاصّة، والمراد بالناس: سائر العرب أو الأعم. واللتيّا بفتح اللام وتشديد الياء: تصغير التي، وجوّز بعضهم فيه ضمّ اللام، وهما كنايتان عن الداهية الصغيرة والكبيرة. وبعد أن مُني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب: يقال: مُني بكذا على صيغة المجهول، أي: ابتُلي، وبهم الرجال كصرد: الشجعان منهم؛ لأنّهم لشدّة بأسهم لا يدرى من أين يؤتون، وذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين لا مال لهم ولا اعتماد عليهم، والمَرَدة: العتاة المتكبّرون المجاوزون للحدّ.

أو نجم قرن للشيطان وفغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها: نجم الشيء كنصر نجوماً: ظهر وطلع، والمراد بالقرن: القوّة، وفسّر قرن الشيطان بأُمّته ومتابعيه، وفغر فاه: أي فتحه، وفغر فوه: أي انفتح يتعدّى، ولا يتعدّى، والفاغرة من المشركين: الطائفة العادية منهم تشبيهاً بالحيّة أو السبع ويمكن تقدير الموصوف مذكّراً على أن يكون التاء للمبالغة، والقذف: الرمي، ويستعمل في الحجارة كما أنّ الحذف يستعمل في الحصا، يقال: هم بين حاذف وقاذف. واللهوات بالتحريك:

---

(١) آل عمران: ١٠٣. (٢) الأنفال: ٢٦.

جمع لهاة وهي اللحمة في أقصى سقف الفم، وفي بعض الروايات: في مهواتها بالضم، وهي بالتسكين: الحفرة وما بين الجبلين ونحو ذلك. وعلى أي حال المراد أنّه ﷺ كلّما أراده طائفة من المشركين أو عرضت له داهية عظيمة بعث عليّاً عليه السلام لدفعها وعرّضه للمهالك. وفي رواية الكشف وابن أبي طاهر: كلّما حشّوا ناراً للحرب ونجم قرن للضلال. قال الجوهري: حششت النار: أوقدتها[1].

فلا ينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه: انكفأ بالهمزة، أي: رجع من قولهم: كفأت القوم كَفْئاً، إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره، فانكفأوا، أي: رجعوا، والصّماخ بالكسرة: ثقب الأذن، والأُذن نفسها، وبالسين كما في بعض الروايات لغة فيه، والأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشي، ووطء الصماخ بالأخمص عبارة عن القهر والغلبة على أبلغ وجه، وكذا إخماد اللهب بماء السيف استعارة بليغة شائعة.

مكدوداً في ذات الله: المكدود من بلغه التعب والأذى، وذات الله: أمره ودينه وكلّ ما يتعلّق به سبحانه. وفي الكشف: مكدوداً دؤوباً في ذات الله. سيّد أولياء الله: بالجر صفة الرسول ﷺ، أو بالنصب عطفاً على الأحوال السابقة. ويؤيّد الأخير ما في رواية ابن أبي طاهر: سيّداً في أولياء الله. والتشمير في الأمر: الجد والاهتمام فيه. والكدح: العمل والسعي.

وقال الجوهري: الدعة: الخفض. تقول منه ودُع الرجل، فهو وديع، أي: ساكن ووادع أيضاً، يقال: نال فلان المكارم وادعاً من غير كلفة[2]. وقال: الفُكاهة بالضم: المزاح، وبالفتح مصدر فَكِه الرجل بالكسر، فهو فكه، إذا كان طيّب النفس مِزاحاً، والفكِه أيضاً: الأشِر والبَطِر، وقرئ: ﴿وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَكِهِينَ﴾[3] أي: أشِرين، وفاكهين: أي ناعمين، والمفاكهَة، الممازحة[4]. وفي رواية ابن أبي طاهر: وأنتم في بُلَهْنية وادعون آمنون. قال الجوهري[5]: هو في بُلَهْنِية من العيش، أي: سعة ورفاهية، وهو ملحق بالخماسي بألف في آخره، وإنّما صارت ياءً لكسرة ما قبلها. وفي الكشف: وأنتم في رفهنية، وهي مثلها لفظاً ومعنى. تتربّصون بنا الدوائر: الدوائر صروف الزمان وحوادث الأيّام والعواقب المذمومة، وأكثر ما تستعمل الدائرة في تحوّل النعمة إلى الشدّة، أي: كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا وزوال النعمة والغلبة عنّا. تتوكّفون الأخبار: التوكّف: التوقّع، والمراد: أخبار المصائب والفتن، وفي بعض النسخ: تتواكفون الأخيار، يقال: واكفه في الحرب، أي: واجهه. وتنكصون عند النزال: النكوص: الإحجام والرجوع عن الشيء، والنِزال بالكسر: أن ينزل القِرْنان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربا، والمقصود من تلك الفقرات أنّهم لم يزالوا منافقين لم يؤمنوا قط.

ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلّين، وهدف فنيق المبطلين: الحسيكة العداوة. قال الجوهري: الحسك حسك السعدان، الواحدة

---

(١) الصحاح: ٣/ ١٠٠١.
(٢) الصحاح: ٣/ ١٢٩٦.
(٣) الدخان: ٢٧.
(٤) الصحاح: ٦/ ٢٢٤٣.
(٥) الصحاح: ٦/ ٢٠٨٠.

حسكة، وقولهم: في صدره عليَّ حسيكة وحساكة، أي: ضغن وعداوة[1]. وفي بعض الروايات: حسكة النفاق، فهو على الاستعارة. وسمل الثوب كنصر: صار خلقاً، والجلباب بالكسر: الملحفة، وقيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة، وقيل: هو إزار ورداء، وقيل: هو كالمقنعة تغطّي به المرة رأسها وظهرها وصدرها، والكظوم: السكوت، ونبغ الشيء كمنع ونصر: أي ظهر، ونبغ الرجل: إذا لم يكن في إرث الشّعر، ثمّ قال وأجاد، والخامل: من خفي ذكره وصوته وكان ساقطاً لا نباهة له، والمراد بالأقلّين: الأذلّون. وفي بعض الروايات: الأوّلين. وفي الكشف: فنطق كاظم، ونبغ خامل، وهدر فنيق الكفر، يخطر في عرصاتكم. الهدر: ترديد البعير صوته في حنجرته، والفنيق: الفحل المكرَّم من الإبل الذي لا يُركب ولا يُهان لكرامته على أهله.

فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزّة فيه ملاحظين: يقال: خطر البعير بذنبه يخطِر بالكسر خَطْراً وخطَراناً، إذا رفعه مرّة بعد مرّة وضرب به فخذيه. ومنه قول الحجّاج لمّا نصب المنجنيق على الكعبة:

[أعددتها للمسجد العتيق] خطارة كالجمل الفنيق

شبّه رميها بخطران الفنيق.

ومغرز الرأس بالكسر: ما يختفي فيه. وقيل: لعلّ في الكلام تشبيهاً للشيطان بالقنفذ، فإنّه إنّما يطلع رأسه عند زوال الخوف، أو بالرجل الحريص المقدم على أمر فإنّه يمدّ عنقه إليه. والهتاف: الصياح، وألفاكم: أي وجدكم، والغرّة بالكسر: الاغترار والانخداع، والضمير المجرور راجع إلى الشيطان، وملاحظة الشيء: مراعاته، وأصله من اللحظ وهو النظر بمؤخّر العين، وهو إنّما يكون عند تعلّق القلب بشيء. أي: وجدكم الشيطان لشدّة قبولكم للانخداع كالذي كان مطمح نظره أن يغترّ بأباطيله. ويحتمل أن يكون: للعزّة بتقديم المهملة على المعجمة. وفي الكشف: وللعزّة ملاحظين، أي: وجدكم طالبين للعزّة.

ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم: النهوض القيام، واستنهضه لأمر: أي أمره بالقيام إليه. فوجدكم خفافاً: أي مسرعين إليه. وأحمشت الرجل: أغضبته، وأحمشت النار ألهبتها. أي: حملكم الشيطان على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه، أو من عند أنفسكم. وفي المناقب القديم: عطافاً - بالعين المهملة والفاء - من العطف، بمعنى الميل والشفقة، ولعلّه أظهر لفظاً ومعنى. والوسم: أثر الكي، يقال: وسمته كوعدته وسماً. والورود: حضور الماء للشرب، والإيراد: الإحضار. والشرب بالكسر: الحظ من الماء، وهما كنايتان عن أخذ ما ليس لهم بحقّ من الخلافة والإمامة وميراث النبوّة. وفي الكشف: وأوردتموها شرباً ليس لكم.

هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يقبر: الكلم الجرح،

---

(١) الصحاح: ٤/١٥٧٩.

والرحب بالضم: السعة، والجرح بالضم الاسم، وبالفتح المصدر، ولمّا يندمل: أي لم يصلح بعد، وقبرته: دفنته. ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[1]. ابتداراً: مفعول له للأفعال السابقة، ويحتمل المصدر بتقدير الفعل. وفي بعض الروايات: بداراً زعمتم خوف الفتنة، أي: ادّعيتم وأظهرتم للناس كذباً وخديعة أنّا إنّما اجتمعنا في السقيفة دفعاً للفتنة مع أنّ الغرض كان غصب الخلافة عن أهلها، وهو عين الفتنة. والالتفات في: سقطوا لموافقة الآية الكريمة.

فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم: هيهات للتبعيد، وفيه معنى التعجّب، كما صرّح به الشيخ الرضي[2]، وكذلك كيف وأنّى تستعملان في التعجّب، وأفَكه كضَربه: صرفه عن الشيء وقلبه. أي: إلى أين يصرفكم الشيطان وأنفسكم والحال أنّ كتاب الله بينكم. وفلان بين أظهُر قوم وبين ظهرانيهم: أي مقيم بينهم محفوف من جانبيه أو من جوانبه بهم. والزاهر: المتلألئ المشرق. وفي الكشف: بين أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلائله، نيّرة شرائعه، زواجره واضحة، وأوامره لائحة.

أرغبة عنه؟ بئس للظالمين بدلاً: أي من الكتاب، ما اختاروه من الحكم الباطل. ثمّ لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثمّ أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإهماد سنن النبيّ الصفي: ريث بالفتح بمعنى: قدْر، وهي كلمة يستعملها أهل الحجاز كثيراً، وقد يُستعمل مع ما، يقال: لم يلبث إلاّ ريثما فعل كذا. وفي الكشف هكذا: ثمّ لم تبرحوا ريثاً، وقال بعضهم: هذا ولم تريّثوا إلاّ ريث. وفي رواية ابن أبي طاهر: ثمّ لم تريّثوا أُختها. وعلى التقديرين ضمير المؤنّث راجع إلى فتنة وفاة الرسول ﷺ.

وحتّ الورق من الغصن: نثرها، أي لم تصبروا إلى ذهاب أثر تلك المصيبة. ونفرة الدابّة بالفتح: ذهابها وعدم انقيادها. والسلس بكسر اللام: السهل الليّن المنقاد، ذكره الفيروز آبادي[3]. وفي مصباح اللغة: سلس سلساً من باب تعب: سهُل ولان[4]. والقياد بالكسر: ما يقاد به الدابّة، من حبل وغيره. وفي الصحاح: ورى الزندُ يري ورياً: إذا خرجت ناره، وفي لغة أُخرى: وري الزند يري بالكسر فيهما، وأوريته أنا، وكذلك ورّيته تورية، وفلان يستوري زناد الضلالة[5]. ووقْدَة النار بالفتح: وَقُودها، ووقَدُها: لهبها، الجمرة: المتوقّد من الحطب، فإذا برد فهو فحم، والجمر - بدون التاء - جمعها. والهتاف بالكسر: الصياح، وهتف به: أي دعاه. وإهماد النار: إطفاؤها بالكليّة. والحاصل أنّكم إنّما صبرتم حتّى استقرّت الخلافة المغصوبة عليكم، ثمّ شرعتم في تهييج الشرور والفتن، واتّباع الشيطان، وإبداع البدع، وتغيير السنن.

---

(١) التوبة: ٤٩.
(٢) في شرحه على الكافية: ٢/ ٦٤.
(٣) القاموس المحيط: ٢/ ٢٢٢.
(٤) المصباح المنير: ١/ ٢٤٤.
(٥) الصحاح: ٦/ ٢٥٢٢.

تسرّون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمر والضراء، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى، ووخز السنان في الحشا: الإسرار: ضدّ الإعلان، والحسو بفتح الحاء وسكون السين المهملتين: شرب المرق وغيره شيئاً بعد شيء، والارتغاء: شرب الرغوة، وهو زُبْد اللبن. قال الجوهري[1]: الرغوة مثلّثة: زُبْد اللبن، وارتغيتُ: شرِبتُ الرغوة، وفي المثل: يُسِرّ حسواً في ارتغاء، يُضرب لمن يُظهر أمراً ويريد غيره، قال الشعبي - لمن سأله عن رجل قبّل أمّ امرأته - قال: يُسرّ حسواً في ارتغاء، وقد حرمت عليه امرأته. وقال الميداني: قال أبو زيد والأصمعي: أصله الرجل يُؤتى باللبن فيُظهر أنّه يريد الرغوة خاصّة ولا يُريد غيرها فيشربها وهو في ذلك ينال من اللبن، يُضرب لمن يريك أنّه يعينك وإنّما يجرّ النفع إلى نفسه[2].

والخَمَر بالتحريك: ما واراك من شجر وغيره، يقال: توارى الصيد عنّي في خَمَر الوادي، ومنه قولهم: دخل فلان في خُمَار الناس بالضم، أي: ما يواريه ويستره منهم. والضراء بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المخفّفة: الشجر الملتف في الوادي، ويقال لمن ختل صاحبه وخادعه: يدِبّ له الضراء، ويمشي له الخَمَر. وقال الميداني: قال ابن الأعرابي: الضراء ما انخفض من الأرض[3]. والحز بفتح الحاء المهملة: القطع، أو قطع الشيء من غير إبانة. والمُدى بالضم: جمع مُدية وهي السكّين والشفرة. والوخز: الطعن بالرمح ونحوه لا يكون نافذاً، يقال: وخزه بالخنجر.

وفي رواية ابن أبي طاهر: ويهاً معشر المهاجرة، أُبتزّ إرث أبيه؟ قال الجوهري: إذا أغريته بالشيء قلت ويهاً يا فلان وهو تحريض. انتهى[4]. ولعلّ الأنسب هنا التعجّب، والهاء في أبيه في الموضعين، وإرثيه بكسر الهمزة بمعنى: الميراث للسكت، كما في سورة الحاقّة «كتابيه» و«حسابيه» و«ماليه» و«سلطانيه»، تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقرئ بإثباتها في الوصل أيضاً. وفي الكشف: ثمّ أنتم أوّلاً تزعمون أن لا إرث ليه، فهو أيضاً كذلك.

كالشمس الضاحية: أي الظاهرة البيّنة، يقال: فعلت ذلك الأمر ضاحية، أي: علانية. شيئاً فريّاً: أي أمراً عظيماً بديعاً، وقيل: أي أمراً منكراً قبيحاً، وهو مأخوذ من الافتراء بمعنى الكذب.

واعلم: أنه قد وردت الروايات المتظافرة كما ستعرف في أنّها عليها السلام ادّعت أنّ فدكاً كانت نحلة لها من رسول الله صلى الله عليه وآله فلعلّ عدم تعرّضها صلوات الله عليها في هذه الخطبة لتلك الدعوى ليأسها عن قبولهم إيّاها، إذ كانت الخطبة بعدما ردّ أبو بكر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ومن شهد معه، وقد [كان] المنافقون الحاضرون معتقدين لصدقه، فتمسّكت بحديث الميراث، لكونه من ضروريّات الدين.

وزعمتم أن لا حظوة لي: الحظوة بكسر الحاء وضمّها وسكون الظاء المعجمة: المكانة والمنزلة، ويقال: حظيت المرأة عند زوجها، إذا دنت من قلبه. وفي الكشف: فزعمتم أن لا حظّ لي ولا إرث لي من أبيه، أفحكم الله بآية أخرج أبي منها؟! أم تقولون: أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أم

(١) الصحاح: ٦/ ٢٣٦٠.
(٢-٣) مجمع الأمثال: ٢/ ٤٦٧.
(٤) الصحاح: ٦/ ٢٢٥٧.

أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[(١)] الآية. إيهاً معاشر المسلمة، أأبتزّ إرثيه؟! الله! أن ترث أباك ولا أرث أبِيَه! ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾[(٢)].

فدونكها مخطومة مرحولة: الضمير راجع إلى فدك المدلول عليها بالمقام والأمر بأخذها للتهديد. والخِطام بالكسر: كلّ ما يوضع في أنف البعير ليقاد به. والرَّحْل بالفتح: للناقة كالسرج للفرس، ورَحَل البعيرَ كمنع: شدّ على ظهره الرَّحْل. شبّهتها عليها السلام في كونها مسلّمة لا يعارضه في أخذها أحد بالناقة المنقادة المهيأة للركوب. والزعيم محمّد: في بعض الروايات: والغريب، أي طالب الحقّ. وعند الساعة ما تخسرون: كلمة ما مصدريّة، أي: في القيامة يظهر خسرانكم.

و﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾[(٣)] أي: لكلّ خبر - يريد نبأ العذاب أو الإيعاد به - وقت استقرار ووقوع. وسوف تعلمون عند وقوعه من يأتيه عذاب يخزيه: الاقتباس من موضعين، أحدهما: سورة الأنعام، والآخر: في سورة هود، في قصّة نوح عليه السلام حيث قال: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[(٤)]، فالعذاب الذي يخزيهم: الغرق، والعذاب المقيم: عذاب النار. ثمّ رمت بطرفها: الطرف بالفتح: مصدر طَرَفَت عين فلان إذا نظَرت، وهو أن ينظرُ ثمّ يُغمض، والطرفُ أيضاً: العين. والمعشر: الجماعة. والفتية بالكسر: جمع فتىً وهو الشاب والكريم السخي. وفي المناقب: يا معشر البقيّة، وأعضاد الملّة، وحصنة الإسلام، وفي الكشف: يا معشر البقية، ويا عماد الملّة، وحصنة الإسلام. والأعضاد جمع عَضد بالفتح: الأعوان. يقال: عضَدتُه كنصرتُه لفظاً ومعنىً.

ما هذه الغميزة في حقّي والسنة عن ظلامتي: قال الجوهري: ليس في فلان غَمِيزَة، أي: مَطْعَن[(٥)]. ونحوه ذكر الفيروز آبادي[(٦)] وهو لا يناسب المقام إلاّ بتكلّف. وقال الجوهري: رجل غَمَز، أي: ضعيف[(٧)]. وقال الخليل في كتاب العين[(٨)]: الغَمِيزَة بفتح الغين المعجمة والزاي: ضعْفة في العمل وجهْلة في العقل، ويقال: سمِعْتُ كلمة فاغتَمَزْتُها في عقلِهِ، أي: علمت أنّه أحمق. وهذا المعنى أنسب. وفي الكشف: ما هذه الفَتْرة بالفاء المفتوحة وسكون التاء: وهو السكون، وهو أيضاً مناسب. وفي رواية ابن أبي طاهر: بالراء المهملة، ولعلّه من قولهم: غَمِرَ على أخيه، أي: حقَد وضَغن، أو من قولهم: غُمِر عليه، أي: أُغمِي عليه، أو من الغَمْر بمعنى السَتْر، ولعلّه كان بالضاد المعجمة فصحّف، فإنّ استعمال إغماض العين في مثل هذا المقام شائع. والسنة بالكسر: مصدر وسِن يوسَن، كعلم يعلم، وسناً وسنة، والسنة: أوّل النوم، أو النوم الخفيف، والهاء عوض عن الواو. والظُّلامَة بالضم كالمظلِمة بالكسر: ما أخذه الظالم منك فتطلُبُه عنده. والغرض تهييج الأنصار لنصرتها أو توبيخهم على عدمها.

---

(١) المائدة: ٥٠.
(٢) مريم: ٢٧.
(٣) الأنعام: ٦٧.
(٤) هود: ٣٨ـ٣٩.
(٥) الصحاح: ٣/ ٨٨٩.
(٦) القاموس المحيط: ٢/ ١٨٥.
(٧) الصحاح: ٣/ ٨٨٩.
(٨) العين: ٤/ ٣٨٤.

وفي الكشف بعد ذلك: أما كان لرسول الله ﷺ أن يحفظ، سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالةً. سرعان مثلّثة السين، وعجلان بفتح العين: كلاهما من أسماء الأفعال بمعنى سرُع وعجِل، وفيهما معنى التعجّب، أي: ما أسرَع وأعجَل. وفي رواية ابن أبي طاهر: سرعان ما أجدبتم فأكديتم. يقال: أجدَب القوم، أي: أصابَهُم الجدب، وأكدى الرجل: إذا قلّ خيرُه. والإهالة بكسر الهمزة: الودَك وهو دسم اللحم. وقال الفيروز آبادي: قولهم: سرعان ذا إهالة، أصله أنّ رجلاً كانت له نعجة عجفاء وكانت رُعامُها يسيل من منخريها لهزالها، فقيل له: ما هذا الذي يسيل؟ فقال: ودَكُها. فقال السائل: سَرعان ذا إهالةً، ونصب إهالة على الحال، وذا: إشارة إلى الرعام، أو تمييز على تقدير نقل الفعل، كقولهم: تصبّب زيد عرقاً، والتقدير: سرعان إهالة هذه، وهو مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته[1]. انتهى.

والرُعام بالضم: ما يسيل من أنف الشاة والخيل، ولعلّ المثل كان بلفظ عجلان فاشتبه على الفيروز آبادي أو غيره، أو كان كلّ منهما مستعملاً في هذا المثل. وغرضها صلوات الله عليها التعجّب من تعجيل الأنصار ومبادرتهم إلى إحداث البدع وترك السنن والأحكام، والتخاذل عن نصرة عترة سيّد الأنام مع قرب عهدهم به، وعدم نسيانهم ما أوصاهم به فيهم، وقدرتهم على نصرتها وأخذ حقّها ممّن ظلمها، ولا يبعد أن يكون المثل إخباراً مجملاً بما يترتّب على هذه البدعة من المفاسد الدينيّة وذهاب الآثار النبويّة.

فخطب جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، واظلمّت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته: الخطب بالفتح: الشأن والأمر عظُم أو صغُر. والوَهْي كالرمي: الشقّ والخرق، يقال: وهِيَ الثوب إذا بلي وتخرّق. واستوسع واستنهر استفعل من النَهَر بالتحريك، بمعنى: السعة، أي: اتّسع. والفتق: الشقّ. والرتق: ضدّه. وانفتق: أي انشقّ، والضمائر المجرورات الثلاثة راجعة إلى الخطب، بخلاف المجرورين بعدها فإنّهما راجعان إلى النبيّ ﷺ. وكسْف النجوم: ذهاب نورها، والفعل منه يكون متعدّياً ولازماً، والفعل كضرب.

وفي رواية ابن أبي طاهر مكان الفقرة الأخيرة: واكتأبت خيرة الله لمصيبته. والاكتئاب: افتعال من الكآبة بمعنى الحزن. وفي الكشف: واستنهر فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض، واكتأبت لخيرة الله. إلى قولها: وأُديلت الحرْمة - من الإدالة، بمعنى: الغَلَبة - وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته. يقال: أكدى فلان، أي: بخل أو قلّ خيره. وحريم الرجل: ما يحميه ويقاتل عنه. والحرْمة: ما لا يحل انتهاكه، وفي بعض النسخ: الرحمة مكان الحرمة.

فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة، عاجلة أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في أفنيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم، هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً. النازلة: الشديدة. والبائقة: الداهية. وفِناء الدار ككِساء: العرْصة المتّسِعة أمامَها. والممسي والمصبح بضم

---

(١) القاموس المحيط: ٣/ ٣٧.

الميم فيهما: مصدران وموضعان من الإصباح والإمساء. والهتاف بالكسر: الصياح. والصُراخ كغُراب: الصوت أو الشديد منه. والتلاوة بالكسر: القراءة. والإلحان: الإفهام: يقال: ألحنه القول، أي: أفهمه إيّاه، ويحتمل أن يكون من اللحن بمعنى: الغناء والطرب. قال الجوهري: اللحن واحد الألحان واللحون، ومنه الحديث: اقرأوا القرآن بلحون العرب. وقد لحَن في قراءته: إذا طرّب بها وغرّد، وهو ألحن الناس: إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء. انتهى[1]. ويمكن أن يقرأ على هذا بصيغة الجمع أيضاً والأوّل أظهر. وفي الكشف: فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله في قبلتكم، ممساكم ومصبحكم، هتافاً هتافاً، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله.

حكم فصل، وقضاء حتم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ﴾[2]: الحكم الفصل: هو المقطوع به الذي لا ريب فيه ولا مردّ له، وقد يكون بمعنى القاطع الفارق بين الحقّ والباطل. والحتم في الأصل: إحكام الأمور. والقضاء الحتم: هو الذي لا يتطرّق إليه التغيير. وخلت: أي مضت. والانقلاب على العقب: الرجوع القهقرى، أُريد به الارتداد بعد الإيمان. والشاكرون: المطيعون المعترفون بالنعم، الحامدون عليها.

قال بعض الأماثل: واعلم أنّ الشبهة العارضة للمخاطبين بموت النبيّ ﷺ إمّا عدم تحتّم العمل بأوامره وحفظ حرمته في أهله لغيبته، فإنّ العقول الضعيفة مجبولة على رعاية الحاضر أكثر من الغائب، وأنّه إذا غاب عن أبصارهم ذهب كلامه عن أسماعهم، ووصاياه عن قلوبهم، فدفعها ما أشارت إليه صلوات الله عليها من إعلان الله جلّ ثناؤه وإخباره بوقوع تلك الواقعة الهائلة قبل وقوعها، وأنّ الموت ممّا قد نزل بالماضين من أنبياء الله ورسله عليهم السلام، تثبيتاً للأُمّة على الإيمان، وإزالة لتلك الخصلة الذميمة عن نفوسهم.

ويمكن أن يكون معنى الكلام: أتقولون مات محمّد ﷺ وبعد موته ليس لنا زاجر ولا مانع عمّا نريد، ولا نخاف أحداً في ترك الانقياد للأوامر، وعدم الانزجار عن النواهي؟ ويكون الجواب ما يستفاد من حكاية قوله سبحانه: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾[3] الآية، لكن لا يكون حينئذٍ لحديث إعلان الله سبحانه وإخباره بموت الرسول مدخل في الجواب إلاّ بتكلّف. ويحتمل أن يكون شبهتهم عدم تجويزهم الموت على النبيّ ﷺ كما أفصح عنه عمر بن الخطّاب، وسيأتي في مطاعنه، فبعد تحقّق موته عرض لهم شكّ في الإيمان ووهن في الأعمال، فلذلك خذلوها، وقعدوا عن نصرتها، وحينئذٍ مدخليّة حديث الإعلان وما بعده في الجواب واضح.

وعلى التقادير لا يكون قولها صلوات الله عليها: فخطب جليل. داخلاً في الجواب، ولا مقولاً لقول المخاطبين على الاستفهام التوبيخي، بل هو كلام مستأنف لبثّ الحزن والشكوى، بل يكون الجواب بما بعد قولها: فتلك والله النازلة الكبرى. ويُحتمل أن يكون مقولاً لقولهم، فيكون

---

(١) الصحاح: ٦/٢١٩٣. (٢) آل عمران: ١٤٤.
(٣) آل عمران: ١٤٤.

حاصل شبهتهم أنّ موته ﷺ الذي هو أعظم الدواهي قد وقع فلا يبالى بما وقع بعده من المحظورات، فلذلك لم ينهضوا بنصرها والإنصاف ممّن ظلمها، ولما تضمّن ما زعموه كون مماته ﷺ أعظم المصائب سلمت عليها السلام أوّلاً في مقام جواب تلك المقدّمة لكونها محض الحقّ، ثمّ نبّهت على خطئهم في أنّها مستلزمة لقلّة المبالاة بما وقع، والقعود عن نصرة الحقّ، وعدم اتّباع أوامره ﷺ بقولها: أعلن بها كتاب الله. إلى آخر الكلام، فيكون حاصل الجواب: إنّ الله قد أعلمكم بها قبل الوقوع، وأخبركم بأنّها سنّة ماضية في السلف من أنبيائه، وحذّركم الانقلاب على أعقابكم، كي لا تتركوا العمل بلوازم الإيمان بعد وقوعها، ولا تهنوا عن نصرة الحقّ وقمع الباطل، وفي تسليمها ما سلمته أوّلاً دلالة على أنّ كونها أعظم المصائب ممّا يؤيّد وجوب نصرتي فإنّي أنا المصاب بها حقيقة، وإن شاركني فيها غيري، فمن نزلت به تلك النازلة الكبرى فهو بالرعاية أحقّ وأحرى.

ويُحتمل أن يكون قولها عليها السلام: فخطب جليل، من أجزاء الجواب، فتكون شبهتهم بعض الوجوه المذكورة، أو المركّب من بعضها مع بعض، وحاصل الجواب حينئذٍ أنّه إذا نزل بي مثل تلك النازلة الكبرى، وقد كان الله عزّ وجلّ أخبركم بها وأمركم أن لا ترتدّوا بعدها على أعقابكم، فكان الواجب عليكم دفع الضيم عنّي والقيام بنصرتي، ولعلّ الأنسب بهذا الوجه ما في رواية ابن أبي طاهر من قولها: وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله. بالواو دون الفاء. ويُحتمل أن لا تكون الشبهة العارضة للمخاطبين مقصورة على أحد الوجوه المذكورة، بل تكون الشبهة لبعضهم بعضها وللآخر أخرى، ويكون كلّ مقدّمة من مقدّمات الجواب إشارة إلى دفع واحدة منها.

أقول: ويُحتمل أن لا تكون هناك شبهة حقيقة، بل يكون الغرض أنّه ليس لهم في ارتكاب تلك الأُمور الشنيعة حجّة ومتمسّك، إلاّ أن يتمسّك أحد بأمثال تلك الأُمور الباطلة الواهية التي لا يخفى على أحد بطلانها، وهذا شائع في الاحتجاج.

أيهاً بني قَيْلة، أأُهضم تراث أبي وأنتم بمرأىً منّي ومسمع ومبتدأ ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة: أيهاً بفتح الهمزة والتنوين بمعنى: هيهات. وبنو قَيْلة: الأوس والخزرج قبيلتا الأنصار، وقَيلة بالفتح: اسم أمّ لهم قديمة، وهي قَيْلة بنت كاهل. والهضم: الكسر، يقال: هضمت الشيء: أي كسرته، وهضمه حقّه واهتضمه: إذا ظلمه وكسر عليه حقّه. والتراث بالضم: الميراث، وأصل التاء فيه واو. وأنتم بمرأىً منّي ومسمع، أي: بحيث أراكم وأسمعكم كلامكم. وفي رواية ابن أبي طاهر: منه، أي: من الرسول ﷺ. والمبتدأ في أكثر النسخ بالباء الموحّدة مهموزاً، فلعلّ المعنى: أنّكم في مكان يبتدأ منه الأُمور والأحكام. والأظهر أنّه تصحيف المنتدى بالنون غير مهموزة بمعنى المجلس، وكذا في المناقب القديم، فيكون المجمع كالتفسير له. والغرض الاحتجاج عليهم بالاجتماع الذي هو من أسباب القدرة على دفع الظلم، واللفظان غير موجودين في رواية ابن أبي طاهر.

وتلبسكم على بناء المجرّد: أي تغطيكم وتحيط بكم. والدعوة: المرّة من الدعاء، أي: النداء كالخَبرة بالفتح: من الخبر بالضم بمعنى العلم، أو الخِبرة بالكسر بمعناه. والمراد بالدعوة نداء

المظلوم للنصرة، وبالخبرة: علمهم بمظلوميّتها صلوات الله عليها. والتعبير بالإحاطة والشمول للمبالغة، او للتصريح بأنّ ذلك قد عمّهم جميعاً، وليس من قبيل الحكم على الجماعة بحكم البعض أو الأكثر. وفي رواية ابن أبي طاهر: الحيرة بالحاء المهملة، ولعلّه تصحيف، ولا يخفى توجيهه.

وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنجبة التي انتُجبت، والخيرة التي اختيرت: الكفاح استقبال العدو في الحرب بلا ترس ولا جنّة، ويقال: فلان يكافح الأمور أي يباشرها بنفسه. والنجبَة كهُمَزة: النجيب الكريم، وقيل: يحتمل أن يكون بفتح الخاء المعجمة أو سكونها بمعنى المنتخب المختار، ويظهر من ابن الأثير أنّها بالسكون تكون جمعاً[1]. والخِيَرة كعِنَبة: المفضّل من القوم المختار منهم.

قاتلتم العرب - في المناقب: لنا أهل البيت قاتلتم - وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، فلا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون: ناطحتم الأُمم، أي: حاربتم الخصوم ودافعتموهم بجد واهتمام كما يدافع الكبش قرنه بقرنه. والبُهم: الشجعان كما مرّ. ومكافحتها: التعرّض لدفعها من غير توانٍ وضعف. وقولها عليها السلام: أو تبرحون، معطوف على مدخول النفي: فالمنفي أحد الأمرين، ولا ينتفي إلاّ بانتفائهما معاً، فالمعنى: لا نبرح ولا تبرحون نأمركم فتأتمرون، أي: كنّا لم نزل آمرين وكنتم مطيعين لنا في أوامرنا. وفي كشف الغمّة: وتبرحون بالواو، فالعطف على مدخول النفي أيضاً، ويرجع إلى ما مر، وعطفه على النفي - إشعاراً بأنّه قد كان يقع منهم براح عن الإطاعة كما في غزوة أُحد وغيرها بخلاف أهل البيت عليهم السلام إذ لم يعرض لهم كلال عن الدعوة والهداية - بعيد عن المقام، والأظهر ما في رواية ابن أبي طاهر من ترك المعطوف رأساً. لا نبرح نأمركم: أي لم يزل عادتنا الأمر وعادتكم الائتمار، وفي المناقب: لا نبرح ولا تبرحون نأمركم. فيحتمل أن يكون (أو) في تلك النسخة أيضاً بمعنى الواو، أي: لا نزال نأمركم ولا تزالون تأتمرون. ولعلّ ما في المناقب أظهر النسخ وأصوبها.

حتّى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حليب الأيّام، وخضعت نعرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين: دوران الرحى كناية عن انتظام أمرها، والباء للسببيّة. ودرّ اللبن: جريانه وكثرته. والحلب بالفتح: استخراج ما في الضرع من اللبن، وبالتحريك: اللبن المحلوب، والثاني أظهر للزوم ارتكاب تجوز في الإسناد، وفي المسند إليه على الأوّل. والنُّعرَة بالنون والعين والراء المهملتين مثال هُمَزَة: الخيشوم والخُيلاء والكِبر، أو بفتح النون من قولهم: نَعَر العرق بالدم، أي: فار، فيكون الخضوع بمعنى السكون، أو بالغين المعجمة، من نغرت القدر، أي: فارت. وقال الجوهري: نَغِر الرجل بالكسر، أي: اغتاظ. قال الأصمعي: هو الذي يغلي جوفه من الغيظ. وقال ابن السكيت يقال: ظلّ فلان يتنغّر على فلان، أي: يتذمّر عليه[2]. وفي أكثر النسخ بالثاء المثلّثة المضمومة، والغين المعجمة، وهي نقرة النّحرِ بين الترقوتين، فخضوع ثغرة الشرك كناية عن محقه وسقوطه كالحيوان الساقط على الأرض، نظيره قول

(١) النهاية: ٥/ ٣١.
(٢) الصحاح: ٢/ ٨٣٢.

أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وآله: أنا وضعت كلكل العرب، أي: صدورهم.

والإفك بالكسر: الكذب، وفَورَة الإفك: غليانه وهيجانه. وخمدت النار، أي: سكن لهبها، ولم يطفأ جمرها، ويقال: همدت بالهاء إذا طفئ جمرها، وفيه إشعار بنفاق بعضهم، وبقاء مادّة الكفر في قلوبهم. وفي رواية ابن أبي طاهر: وباخت نيران الحرب. قال الجوهري: باخ الحر والنار والغضب والحُمّى، أي: سكن وفَتَر[1]. وهدأت، أي: سكنت. والهرْج: الفتنة والاختلاط، وفي الحديث: الهرَج: القتل[2]. واستوسق، أي اجتمع وانضمّ، من الوسَق بالفتح، وهو ضمّ الشيء إلى الشيء، واتّساق الشيء: انتظامه.

وفي الكشف: فناويتم العرب وبادهتم الأُمور. إلى قولها عليها السلام: حتى دارت لكم بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب البلاد، وخبت نيران الحرب. يقال: بدهه بأمرٍ، أي: استقبَلَه به. وبادَهَه: فاجأه.

فأنّى حرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام وأشركتم بعد الإيمان: كلمة أنّى: ظرف مكان بمعنى: أين، وقد يكون بمعنى: كيف، أي: من أين حرتم، وما كان منشؤه؟ وجرتم: إمّا بالجيم من الجور، وهو الميل عن القصد والعدول عن الطّريق، أي: لماذا تركتم سبيل الحقّ بعدما تبيّن لكم؟ أو بالحاء المهملة المضمومة من الحَوْر بمعنى الرُّجوع أو النُّقصان، يقال: نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر، أي: من النُّقصان بعد الزيادة. وإمّا بكسرها من الحيرة. والنكوص: الرُّجوع إلى خلف.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3]. نكث العهد بالفتح: نقضه. والأيمان جمع اليمين: وهو القسم. والمشهور بين المفسّرين أنّ الآية نزلت في اليهود الذين نقضوا عهودهم وخرجوا مع الأحزاب وهمّوا بإخراج الرسول من المدينة، وبدأوا بنقض العهد والقتال. وقيل: نزلت في مشركي قريش وأهل مكة حيث نقضوا أيمانهم التي عقدوها مع الرسول والمؤمنين على أن يعاونوا عليهم أعداءهم، فعاونوا بني بكر على خزاعة، وقصدوا إخراج الرسول صلى الله عليه وآله من مكة حين تشاوروا بدار الندوة، وأتاهم إبليس بصورة شيخ نجدي. إلى آخر ما مرّ من القصة[4]، فهم بدأوا بالمعاداة والمقاتلة في هذا الوقت، أو يوم بدر، أو بنقض العهد.

والمراد بالقوم الذين نكثوا أيمانهم في كلامها صلوات الله عليها: إمّا الذين نزلت فيهم الآية، فالغرض بيان وجوب قتال الغاصبين للإمامة ولحقّها، الناكثين لما عهد إليهم الرسول صلى الله عليه وآله في وصيّه عليه السلام وذوي قرباه وأهل بيته، كما وجب بأمره سبحانه قتال من نزلت الآية فيهم. أو المراد بهم: الغاصبون لحقّ أهل البيت عليهم السلام، فالمراد بنكثهم أيمانهم: نقضوا ما عهدوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله حين بايعوه من الانقياد له في أوامره والانتهاء عند نواهيه وألاّ يضمروا له العداوة، فنقضوه وناقضوا

---

(١) الصحاح: ١/٤١٩.
(٢) الصحاح: ١/٣٥٠.
(٣) التوبة: ١٣.
(٤) بحار الأنوار: ٢١/٩١ ـ ١٣٩، و٩/٤٦ وما بعدها.

ما أمرهم به. والمراد بقصدهم إخراج الرسول ﷺ: عزمهم على إخراج من هو كنفس الرسول ﷺ وقائم مقامه بأمر الله وأمره عن مقام الخلافة، وعلى إبطال أوامره ووصاياه في أهل بيته، النازل منزلة إخراجه من مستقرّه، وحينئذٍ يكون من قبيل الاقتباس. وفي بعض الروايات: لقوم نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أوّل مرّة أتخشونهم. فقوله: لقوم متعلق بقوله: تخشونهم.

ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم ف﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(١) الرُّؤية هنا بمعنى العلم، أو النّظر بالعين. وأخلد إليه: ركن ومال. والخفض بالفتح: سعة العيش. والمراد بمن هو أحقّ بالبسط والقبض: أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وصيغة التفضيل مثلها في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾(٢). وخلوت بالشّيء: انفردت به واجتمعت معه في خلوةٍ. والدَّعة: الرّاحة والسكون. ومجَّ الشّراب من فيه: رمى به. ووعيتم، أي: حفظتم. والدّسْع كالمَنْع: الدَّفع والقيء، وإخراج البعير جرَّته إلى فيه. وساغ الشَّراب يسوغ سوغاً: إذا سهل مدخله في الحلق، وتسوَّغه: شربه بسُهولة.

وصيغة تكفروا في كلامها عليها السلام: إمّا من الكفران وترك الشكر كما هو الظاهر من سياق الكلام المجيد حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾(٣). أو من الكفر بالمعنى الأخص، والتغيير في المعنى لا ينافي الاقتباس، مع أنّ في الآية أيضاً يحتمل هذا المعنى. والمراد: إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً من الثقلين فلا يضرّ ذلك إلاّ أنفسكم فإنّه سبحانه غني عن شكركم وطاعتكم، مستحق للحمد في ذاته، أو محمود تحمده الملائكة بل جميع الموجودات بلسان الحال، وضرر الكفران عائد إليكم حيث حرمتم من فضله تعالى ومزيد إنعامه وإكرامه.

والحاصل أنّكم إنّما تركتم الإمام بالحق وخلعتم بيعته من رقابكم ورضيتم ببيعة أبي بكر لعلمكم بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام لا يتهاون ولا يداهن في دين الله، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ويأمركم بارتكاب الشدائد في الجهاد وغيره، وترك ما تشتهون من زخارف الدنيا، ويقسم الفيء بينكم بالسوية، ولا يفضل الرؤساء والأمراء، وأنّ أبا بكر رجل سلس القياد، مداهن في الدين لإرضاء العباد، فلذا رفضتم الإيمان، وخرجتم عن طاعته سبحانه إلى طاعة الشيطان، ولا يعود وباله إلاّ إليكم.

وفي الكشف: ألا وقد أرى - والله - أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فمججتم الذي أوعيتم، ولفظتم الذي سوغتم. وفي رواية ابن أبي طاهر: فعجتم عن الدين. يقال: ركن إليه

---

(١) إبراهيم: ٨. (٢) الفرقان: ١٥.
(٣) إبراهيم: ٧ ـ ٨.

بفتح الكاف وقد يكسر، أي: مال إليه وسكن، وقال الجوهري: عجت بالمكان أعوج، أي: أقمت به وعجت غيري، يتعدّى ولا يتعدّى، وعجت البعير: عطفت رأسه بالزّمام، والعائج: الواقف، وذكر ابن الأعرابي: فلانٌ ما يعوج من شيءٍ، أي: ما يرجع عنه(١).

ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القنا، وبثّة الصدر، وتقدمة الحجة:

الخَذْلة: تَرْك النَّصر. وخامرتكم: أي خالطتكم. والغدر: ضدُّ الوفاء. واستشعره: أي لبسه، والشِّعار: الثَّوب الملاصق للبدن. والفيض في الأصل: كَثْرة الماء وسيلانه، يقال: فاض الخبر، أي: شاع، وفاض صدره بالسِّرِّ، أي: باح به وأظهره، ويقال: فاضت نفسه، أي: خرجت روحه، والمراد به هنا إظهار المضمر في النفس لاستيلاء الهمّ وغلبة الحزن. والنَّفث بالفم: شبيهٌ بالنَّفخ، وقد يكون للمغتاظ تنفس عالٍ تسكيناً لحرّ القلب وإطفاءً لنائرة الغضب. والخَوَر بالفتح والتحريك: الضَّعف. والقنا: جمع قناةٍ وهي الرُّمح، وقيل: كلُّ عصاً مستوية أو معوجَّة قناةٌ. ولعلّ المراد بخور القنا: ضعف النفس عن الصبر على الشدّة وكتمان الضر، أو ضعف ما يعتمد عليه في النصر على العدو، والأول أنسب. والبثّ: النَّشر والإظهار، والهمُّ الّذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثُّه: أي يفرِّقه. وتقدمة الحجة: إعلام الرجل قبل وقت الحاجة قطعاً لاعتذاره بالغفلة.

والحاصل أنّ استنصاري منكم، وتظلّمي لديكم، وإقامة الحجة عليكم، لم يكن رجاء للعون والمظاهرة بل تسلية للنفس، وتسكيناً للغضب، وإتماماً للحجة، لئلاّ تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾(٢).

فدونكموها فاحتقبوها: دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بـ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾(٣)، فبعين الله ما تفعلون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(٤).

والحقب بالتحريك: حبلٌ يشدُّ به الرَّحل إلى بطن البعير، يقال: أحقبتُ البعير، أي: شددته به، وكلُّ ما شدَّ في مؤخّر رحلٍ أو قَتَب فقد احتقب، ومنه قيل: احتقب فلانٌ كأنَّه جمعه واحتقبه من خلفه، فظهر أنَّ الأنسب في هذا المقام: احقبوها بصيغة الإفعال، أي: شدّوا عليها ذلك وهيِّئوها للركوب، لكن فيما وصل إلينا من الروايات على بناء الافتعال.

والدَّبَر بالتحريك: الجرح في ظهر البعير، وقيل: جرح الدّابة مطلقاً. والنَّقَب بالتحريك: رِقَّة خفّ البعير. والعار الباقي: عيب لا يكون في معرض الزوال. ووسمْتُه وسْماً وسِمَة: إذا أثّرت فيه بسمةٍ وكيٍّ. والشَّنار: العَيْب والعار. ونار الله الموقدة: المؤجّجة على الدوام. والاطلاع على الأفئدة: إشرافها على القلوب بحيث يبلغها ألمها كما يبلغ ظواهر البدن، وقيل معناه: إنّ هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر بخلاف نيران الدنيا. وفي الكشف: إنّها عليهم موصدة، والموصدة:

---

(١) الصحاح: ١/ ٣٣١.
(٢) الأعراف: ١٧٢.
(٣) الهمزة: ٦ ـ ٧.
(٤) الشعراء: ٢٢٧.

المطبقة. وبعين الله ما تفعلون: أي متلبس بعلم الله أعمالكم، ويطّلع عليها كما يعلم أحدكم ما يراه ويبصره. وقيل في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[١]: إنّ المعنى تجري بأعين أوليائنا من الملائكة والحفظة. والمنقَلَب: المرْجَع والمنصَرَف. وأيّ: منصوب على أنّه صفة مصدر محذوف والعامل فيه ينقلبون؛ لأنّ ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه، وإنّما يعمل فيه ما بعده، والتقدير سيعلم الذين ظلموا ينقلبون انقلاباً أيّ انقلاب!

وأنا ابنة نذير لكم: أي أنا ابنة من أنذركم بعذاب الله على ظلمكم، فقد تمّت الحجّة عليكم. والأمر في اعملوا وانظروا: للتهديد.

وأما قول الملعون: والرائد لا يكذب أهله، فهو مثل استشهد به في صدق الخبر الذي افتراه على النبيّ ﷺ. والرّائد: من يتقدّم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث، جعل نفسه - لاحتماله الخلافة التي هي الرئاسة العامّة - بمنزلة الرائد للأُمّة الذي يجب عليه أن ينصحهم ويخبرهم بالصدق. والمجالدة: المضاربة بالسُّيوف. واستبدَّ فلانٌ بالرَّأي: أي انفرد به واستقلَّ. ولا نزوي عنك: أي لا نَقْبضُ ولا نصرِف. ولا نوضع من فرعِكِ وأصلِكِ: أي لا نحطُّ درجتكِ ولا ننكر فضل أُصولك وأجدادك وفروعك وأولادك. وترين: من الرَّأي، بمعنى الاعتقاد.

وقولها صلوات الله عليها: سبحان الله! ما كان رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور؟!

الصّادف عن الشّيء: المعرض عنه. والأثر بالتحريك وبالكسر: أثر القدم. والقفو: الاتّباع. والسور بالضم: كلُّ مرتفعٍ عالٍ، ومنه سور المدينة، ويكون جمع سورةٍ، وهي كلُّ منزلةٍ من البناء ومنه سورة القرآن؛ لأنّها منزِلةٌ بعد منزلةٍ، وتجمع على سوَرٍ بفتح الواو. وفي العبارة يحتملها، والضمائر المجرورة تعود إلى الله تعالى أو إلى كتابه، والثاني أظهر. والاعتلال: إبداء العلّة والاعتذار. والزُّور: الكذب.

وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته: البغي: الطَّلب. والغوائل: المهالك والدَّواهي. أشارت عليها السلام بذلك إلى ما دبروا - لعنهم الله - في إهلاك النبي ﷺ واستئصال أهل بيته عليهم السلام في العقبتين وغيرهما معاً ممّا أوردناه في هذا الكتاب متفرقاً[٢].

هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[٣] و﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾[٤] فبيّن عزّ وجلّ فيما وزع عليه من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذكران والإناث، ما أزاح علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين، كلاّ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[٥].

---

(١) القمر: ١٤.

(٢) انظر: بحار الأنوار ١٨/١٨٧ ـ ١٨٨، ٢٠٩، ٢٣٤، ٢٣٥، و١٩/١، ٢، و٢٨/٩٩ ـ ١١٠، وغيرها.

(٣) مريم: ٦. (٤) النمل: ١٦.

(٥) يوسف: ١٨.

أقول: سيأتي الكلام في مواريث الأنبياء في باب المطاعن إن شاء الله تعالى.

والتَّوزيع: التَّقسيم. والقسط بالكسر: الحصَّة والنَّصيب. والإزاحة: الإذهاب والإبعاد. والتَّظنّي: إعمال الظَّن، وأصله: التظنُّن. والغابر: الباقي وقد يطلق على الماضي. والتَّسويل: تحسين ما ليس بحسنٍ وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله، وقيل: هو تقدير معنىً في النفس على الطمع في تمامه. فصبر جميل: أي فصبري جميل، أو الصبر الجميل أولى من الجزع الذي لا يغني شيئاً، وقيل: إنّما يكون الصبر جميلاً إذا قصد به وجه الله تعالى، وفعل للوجه الذي وجب، ذكره السيد المرتضى رحمه الله.

وخطابك - في قول أبي بكر -: من المصدر المضاف إلى الفاعل، ومراده: بما تقلدوا ما أخذ فدك أو الخلافة، أي: أخذت الخلافة بقول المسلمين واتّفاقهم، فلزمني القيام بحدودها التي من جملتها أخذ فدك، للحديث المذكور. والمكابرة: المغالبة. والاستبداد: الاستئثار والانفراد بالشّيء.

قولها صلوات الله عليها: معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [٢] ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [٣] ما أساتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم، وساء به ما أشرتم، وشرّ ما منه اعتضتم.

القيل: بمعنى القول وكذا القال، وقيل: القول في الخير، والقيل والقال في الشرّ. وقيل: القول مصدر، والقيل والقال اسمان له. والإغضاء: إدناء الجفون، وأغضى على الشيء: أي سكت ورضي به. وروي عن الصادق والكاظم عليهما السلام في الآية أن المعنى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [٤] فيقضوا بما عليه من الحق [٥]. وتنكير القلوب لإرادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم. والرَّين: الطَّبع، والتَّغطية وأصله: الغلبة. والتَّأوُّل والتَّأويل: التَّصيير والإرجاع ونقل الشَّيء عن موضعه، ومنه تأويل الألفاظ، أي: نقل اللَّفظ عن الظَّاهر. والإشارة: الأمر بأحسن الوجوه في أمرٍ. وشرَّ كفرَّ بمعنى: ساءَ. والاعتياض: أخذ العوض والرِّضا به، والمعنى: ساء ما أخذتم منه عوضاً عمّا تركتم.

لتجدنّ - والله - محمله ثقيلاً، وغبّه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون:

المحمل كمجلس: مصدر. والغِب بالكسر: العاقبة. والوبال في الأصل: الثِّقل والمكروه، ويراد به في عرف الشَّرع: عذاب الآخرة، والعذاب الوبيل: الشَّديد. والضراء بالفتح والتَّخفيف: الشَّجر الملتفُّ كما مرّ، يقال: توارى الصَّيد منّي في ضراءٍ. والوراء: يكون بمعنى قدّام كما يكون بمعنى خلف، وبالأول فسّر قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [٦]، ويحتمل أن

---

(١) عن مجمع البيان: ٥/٢١٨.
(٢) محمد: ٢٤.
(٣) المطففين: ١٤.
(٤) النساء: ٨٢، ومحمّد: ٢٤.
(٥) مجمع البيان: ٥/١٠٤.
(٦) الكهف: ٧٩.

تكون الهاء[1] زيدت من النساخ أو الهمزة، فيكون على الأخير بتشديد الراء من قولهم، ورّى الشّيء تورية، أي: أخفاه، وعلى التقادير فالمعنى: وظهر لكم ما ستره عنكم الضراء. وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبوه: أي ظهر لكم من صنوف العذاب ما لم تكونوا تنتظرونه، ولا تظنّونه واصلاً إليكم، ولم يكن في حسبانكم. والمبطل: صاحب الباطل من أبطل الرَّجل إذا أتى بالباطل.

قد كان بعدك أنباء وهنبثة — لو كنت شاهدها لم يكبر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها — واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا

في الكشف: ثم التفتت إلى قبر أبيها متمثّلة بقول هند ابنة أثاثة. ثم ذكر الأبيات. وقال في النهاية: الهنْبَثة واحدة الهنابِث، وهي الأمور الشّداد المختلفة، والهنْبَثة: الاختلاط في القول والنُّون زائدة[2]. وذكر فيه: أنَّ فاطمة عليها السلام قالت بعد موت النبيّ صلى الله عليه [وآله]: قد كان بعدك أنباء. إلى آخر البيتين، إلاّ أنَّه قال: فاشهدهم ولا تغب[3]. والشُّهود: الحضور. والخَطْب بالفتح: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشَّأن والحال. والوابِل: المطر الشَّديد. ونَكَب فلانٌ عن الطَّريق كنصر وفرح: أي عدل ومال.

وكلّ أهل له قربى ومنزلة — عند الإله على الأدنين مقترب

القربى في الأصل: القرابة في الرحِم. والمنزلة. المرتَبَة والدَّرجة ولا تجمع. والأدْنين: هم الأقربون. واقترب: أي تقارب. وقال في مجمع البيان: في اقترب زيادة مبالغةٍ على قرب، كما أنّ في اقتدر زيادة مبالغةٍ على قدر[4].

ويمكن تصحيح تركيب البيت وتأويل معناه على وجوه:

الأول: وهو الأظهر، أنّ جملة: له قربى. صفة لأهل، والتنوين في (منزلةٍ) للتعظيم، والظرفان متعلقان بالمنزلة لما فيها من معنى الزيادة والرجحان، ومقترب خبر لكلٍ، أي: ذو القرب الحقيقي، أو عند ذي الأهل، كلّ أهل كانت له مزيّة وزيادة على غيره من الأقربين عند الله تعالى.

والثاني: تعلّق الظرفين بقولها: مقترب، أي: كلّ أهل له قرب ومنزلة من ذي الأهل، فهو عند الله تعالى مقترب مفضل على سائر الأدنين.

والثالث: تعلّق الظرف الأول بالمنزلة والثاني بالمقترب، أي: كلّ أهل اتّصف بالقربى بالرجل وبالمنزلة عند الله، فهو مفضّل على من هو أبعد منه.

والرابع: أن يكون جملة: له قربى. خبراً للكل، ومقترب خبراً ثانياً، وفي الظرفين يجري الاحتمالات السابقة، والمعنى: أنّ كل أهل نبيّ من الأنبياء له قرب ومنزلة عند الله، ومفضّل على سائر الأقارب عند الأُمّة.

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم — لما مضيت وحالت دونك الترب

---

(١) في قولها عليها السلام: وبان وراءه الضراء.

(٢) النهاية: ٥/ ٢٧٨.

(٣) النهاية: ٥/ ٢٧٧.

(٤) مجمع البيان: ٩/ ١٨٥.

بدا الأمر بُدُوّاً: ظهر، وأبداه أظهره. والنَّجوى: الاسم من نجوته إذا ساررته، ونجوى صدورهم: ما أضمروه في نفوسهم من العداوة ولم يتمكنوا من إظهاره في حياته ﷺ، وفي بعض النسخ: فحوى صدورهم. وفحوى القول: معناه، والمآل واحد. وقال الفيروزآبادي: التُّرْب والتُّراب والتُّربة معروفٌ، وجمع التُّراب: أترِبة وتِربان، ولم يسمع لسائرها بجمع[١]، انتهى. فيمكن أن يكون بصيغة المفرد، والتأنيث بتأويل الأرض كما قيل، والأظهر أنّه بضم التاء وفتح الراء: جمع تُرْبة. قال في مصباح اللغة: التُّربة: المقبرة، والجمع تُرَبٌ مثل غرفة وغرَف[٢].

وحال الشَّيء بيني وبينك، أي منعني من الوصول إليك. ودون الشَّيء: قريبٌ منه: دون النهر جماعة، أي: قبل أن تصل إليه. والتجهّم: الاستقبال بالوجه الكريه. والمغتصَب على بناء المفعول: المغصوب. والمحتجب: على بناء الفاعل. وصادفه: وجده ولقيه. والكُثُب بضمتين: جمع كَثيب وهو التَّلُّ من الرَّمل. والرُّزْء بالضم مهموزاً: المصيبة بفقد الأعزَّة. ورزئنا: على بناء المجهول. والشَّجَن بالتحريك: الحُزْن. وفي القاموس: العجم بالضم وبالتحريك: خلاف العرب[٣]. قوله: ثم انكفأت:

أقول: وجدت في نسخة قديمة لكشف الغمة منقولة من خطّ المصنف مكتوباً على هامشها بعد إيراد خطبتها صلوات الله عليها ما هذا لفظه: وجد بخطّ السيد المرتضى علم الهدى الموسوي قدس الله روحه أنّه لمّا خرجت فاطمة عليها السلام من عند أبي بكر حين ردّها عن فدك، استقبلها أمير المؤمنين عليه السلام فجعلت تعنّفه، ثم قالت: اشتملت. إلى آخر كلامها عليها السلام.

والانكفاء: الرُّجوع. وتوقَّعت الشَّيءَ واستوقعته، أي: انتظرت وقوعه. وطلعت على القوم: أتيتهم، وتطلُّع الطُّلوع: انتظاره. فلمّا استقرَّت بها الدّار: أي سكنت، كأنّها اضطربت وتحركت بخروجها، أو على سبيل القلب، وهذا شائع، يقال: استقرَّت نوى القوم واستقرَّت بهم النَّوى، أي: أقاموا.

اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين: اشتمل بالثّوب، أي: أداره على جسده كلّه. والشَّملة بالفتح: كساءٌ يشتمل به، والشِّملة بالكسر: هيئة الاشتمال. فالشملة إمّا مفعول مطلق من غير الباب كقوله تعالى: ﴿نَبَاتًا﴾[٤]، أو في الكلام حذف وإيصال. وفي رواية السيد: مشيمة الجنين. وهي محلُّ الولد في الرَّحم، ولعله أظهر. والجنين: الولد ما دام في البطن. والحجرة بالضم: حظيرة الإبل، ومنه حجرة الدّار. والظَّنين: المتَّهم، والمعنى: اختفيت عن الناس كالجنين، وقعدت عن طلب الحق، ونزلت منزلة الخائف المتهم. وفي رواية السيد: الحجزة بالزاء المعجمة، وفي بعض النسخ: قعدت حجزة الظنين. وقال في النهاية: الحجزة: موضع شدِّ الإزار، ثمَّ قيل للإزار: حجزةٌ للمجاورة[٥]. وفي القاموس: الحجزة بالضم: معقد الإزار، ومن الفرس مركب مؤخّر الصِّفاق بالحقو، وقال: شدَّة الحجزة كنايةٌ عن الصَّبر[٦].

---

(١) القاموس المحيط: ١/ ٢٩.
(٢) المصباح المنير: ١/ ٩١.
(٣) القاموس المحيط: ٤/ ١٤٧.
(٤) آل عمران: ٣٧، ونوح: ١٧.
(٥) النهاية: ١/ ٢٤٤.
(٦) القاموس المحيط: ٢/ ١٧٦ ـ ١٧٢.

نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل: قوادم الطّير: مقاديم ريشه وهي عشرٌ في كلّ جناحٍ، واحدتها قادمةٌ. والأجدل: الصّقر. والأعزل: الّذي لا سلاح معه. قيل: لعلّها صلوات الله عليها شبّهت الصقر الذي نقضت قوادمه بمن لا سلاح له. والمعنى: تركت طلب الخلافة في أوّل الأمر قبل أن يتمكّنوا منها ويشيّدوا أركانها، وظننت أنّ الناس لا يرون غيرك أهلاً للخلافة، ولا يقدّمون عليك أحداً، فكنت كمن يتوقّع الطيران من صقر منقوضة القوادم.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد أنّك نازلت الأبطال، وخضت الأهوال، ولم تبال بكثرة الرجال حتى نقضت شوكتهم، واليوم غلبت من هؤلاء الضعفاء والأرذال، وسلّمت لهم الأمر ولا تنازعهم. وعلى هذا، الأظهر أنّه كان في الأصل: خاتك بالتاء المثناة الفوقانية، فصحّف. قال الجوهري: خات البازي واختات، أي: انقضّ [على الصيد] ليأخذه وقال الشّاعر:

يـخـوتـون أُخـرى الـقـوم خـوْت الأجـادل

والخائتة: العقاب إذا انقضّت فسمعت صوت انقضاضها، والخوات دويُّ جناح العقاب، والخوّات بالتّشديد: الرَّجل الجريء[1]. وفي رواية السيّد: نفضت بالفاء، وهو يؤيّد المعنى الأوّل.

هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحيلة ابني، لقد أجهر في خصامي، وألفيته ألدّ في كلامي:

قحافة: بضم القاف وتخفيف المهملة. والابتزاز: الاستلاب وأخذ الشّيء بقَهْر وغَلَبة من البزّ بمعنى السَّلب. والنَّحيلة فعيلة بمعنى مفعول: من النحلة بالكسر، بمعنى الهبة والعطيّة عن طيبة نفس من غير مطالبة أو من غير عوضٍ. والبُلْغة بالضم: ما يُتبلَّغ به من العيش ويكتفى به، وفي أكثر النسخ: بُلَيْغة بالتصغير، فالتصغير في النحيلة أيضاً أنسب. وابني: إمّا بتخفيف الياء فالمراد به الجنس، أو تشديدها على التثنية. وإظهار الشّيء: إعلانه. والخِصام مصدر كالمخاصمة، ويحتمل أن يكون جمع خصم، أي: أجهر العداوة أو الكلام لي بين الخصام، والأول أظهر. وألفيته: أي وجدته. والألدُّ: شديد الخصومة، وليس فعلاً ماضياً، فإنّ فعله على بناء المجرّد. والإضافة في كلامي: إما من قبيل الإضافة إلى المخاطب، أو إلى المتكلّم. وفي: للظرفية أو السببية.

وفي رواية السيد: هذا بُني أبي قحافة. إلى قولها: لقد أجهد في ظلامتي وألدّ في خصامتي. قال الجزري: يقال جَهَد الرَّجل في الأمر، إذا جدَّ وبالغ فيه، وأجهد دابَّته: إذا حمل عليها في السَّير فوق طاقتها[2].

حتى حبستني قيلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع:

قَيْلة بالفتح: اسم أمٍّ قديمةٍ لقبيلتي الأنصار، والمراد: بنو قيلة. وفي رواية السيّد: حين منعتني الأنصار نصرها. وموصوف المهاجرة: الطائفة أو نحوها. والمراد بوصلها: عونها. والطَّرْف بالفتح: العين. وغضُّه: خفضه. وفي رواية السيد - بعد قولها: ولا مانع -: ولا ناصر ولا شافع.

---

(١) الصحاح: ١/٢٤٨. (٢) النهاية: ١/٣١٩ـ٣٢٠.

خرجتُ كاظمة وعدتُ راغمة: كَظْم الغيظ: تجرُّعه والصَّبر عليه. ورَغم فلانٌ بالفتح: إذا ذَل وعجز عن الانتصاف ممَّن ظلمه. والظاهر من الخروج: الخروج من البيت وهو لا يناسب كاظمة، إلاّ أن يراد بها الامتلاء من الغيظ فإنّه من لوازم الكظم، ويُحتمل أن يكون المراد: الخروج من المسجد المعبّر عنه ثانياً بالعود، كما قيل. وفي رواية السيد مكان عدت: رجعت.

أضرعت خدّك يوم أضعت حدّك، افترست الذئاب، وافترشت التراب:

ضرع الرَّجل مثلثة: خضع وذَل، وأضرَعَه غيره، وإسناد الضراعة إلى الخذلان أظهر أفرادها وضع الخدّ على التراب، أو لأنّ الذلّ يظهر في الوجه. وإضاعة الشَّيء وتضييعه: إهماله وإهلاكه. وحَدُّ الرَّجل بالحاء المهملة: بأسه وبطشه. وفي بعض النسخ بالجيم، أي: تركت اهتمامك وسعيك. وفي رواية السيد: فقد أضعت جدك يوم أضرعت خدّك.

وفرس الأسد فريسته كضرب وافترسها: دقَّ عنقها، ويستعمل في كلِّ قتلٍ، ويمكن أن يقرأ بصيغة الغائب، فالذئاب مرفوع، والمعنى: قعدت عن طلب الخلافة ولزمت الأرض مع أنّك أسد الله، والخلافة كانت فريستك حتى افترسها وأخذها الذئب الغاصب لها، ويحتمل أن يكون بصيغة الخطاب، أي: كنت تفترس الذئاب واليوم افترشت التراب، وفي بعض النسخ: الذباب بالباءين الموحدتين: جمع ذبابةٍ، فيتعيّن الأول، وفي بعضها: افترست الذئاب وافترستك الذباب. وفي رواية السيد مكانهما: وتوسدت الوراء كالوزغ ومسّتك الهناة والنزغ. والوراء بمعنى: خلفٍ. والهناة: الشّدَّة والفتنة. والنَّزغ: الطَّعن والفساد.

ما كففت قائلاً، ولا أغنيت باطلاً ولا خيار لي، ليتني متّ قبل هينتي ودون زلّتي:

الكفُّ: المنع. والإغناء: الصَّرف والكفُّ، يقال: أغن عنّي شرَّك، أي: اصرفه وكفَّه، وبه فسّر قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[1]. وفي رواية السيد: ولا أغنيت طائلاً، وهو أظهر. قال الجوهري: يقال: هذا أمرٌ لا طائل فيه، إذا لم يكن فيه غناءٌ ومزيَّةٌ[2]. فالمراد بالغناء: النَّفع، ويقال: ما يغني عنك هذا، أي: ما يجديك وما ينفعك. والهيْنَة بالفتح: العادة في الرِّفق والسُّكون، ويقال: امش على هينتك، أي: على رسلك. أي: ليتني متّ قبل هذا اليوم الذي لا بدّ لي من الصبر على ظلمهم، ولا محيص لي عن الرفق. والزلَّة بفتح الزاي كما في النسخ: الاسم من قولك: زللت في طينٍ أو منطقٍ، إذا زلقت، ويكون بمعنى السَّقطة، والمراد بها عدم القدرة على دفع الظلم، ولو كانت الكلمة بالذال المعجمة كان أظهر وأوضح، كما في رواية السيد، فإنّ فيها:

وا لهفتاه! ليتني متّ قبل ذلّتي، ودون هينتي، عذيري الله منك عادياً، ومنك حامياً:

العَذِير: بمعنى العاذر كالسميع، أو بمعنى العذر كالأليم. وقولها: منك. أي: من أجل الإساءة إليك وإيذائك. وعذيري الله: مرفوعان بالابتدائية والخبرية. وعادياً: إمّا من قولهم: عدوت

---

(١) الجاثية: ١٩.
(٢) الصحاح: ٥/ ١٧٥٤ ـ ١٧٥٥.

فلاناً عن الأمر، أي: صرفته عنه، أو من العدوان بمعنى تجاوز الحدّ، وهو حال عن ضمير المخاطب، أي: الله يقيم العذر من قبلي في إساءتي إليك حال صرفك المكاره ودفعك الظلم عنّي، أو حال تجاوزك الحدّ في القعود عن نصري، أي: عذري في سوء الأدب أنّك قصّرت في إعانتي والذّبّ عنّي. والحماية عن الرّجل: الدّفع عنه. ويحتمل أن يكون عذيري منصوباً كما هو الشائع في هذه الكلمة، والله مجروراً بالقسم، يقال: عذيرك من فلانٍ، أي: هات من يعذرك فيه، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام حين نظر إلى ابن ملجمٍ لعنه الله:

عذيرك من خليلك من مرادِ

والأول أظهر.

ويلاي في كل شارق! مات العمد، ووهت العضد، شكواي إلى أبي وعدواي إلى ربّي، اللهم أنت أشدّ قوّةً وحولاً، وأحدّ بأساً وتنكيلاً:

قال الجوهري: ويلٌ: كلمةٌ مثل ويح، إلاّ أنّها كلمة عذابٍ يقال: ويله وويلك وويلي، وفي النُّدبة ويلاه[1]. ولعلّه جمع فيها بين ألف الندبة وياء المتكلم، ويحتمل أن يكون بصيغة التثنية فيكون مبتدأً والظرف خبره، والمراد به تكرر الويل. وفي رواية السيد: ويلاه في كلّ شارق! ويلاه في كلّ غارب! ويلاه! مات العمد وذلّ العضد. إلى قولها عليها السلام: اللهمّ أنت أشدّ قوّة وبطشاً.

والشارق: الشمس، أي: عند كلّ شروق وطلوع صباح كل يوم. قال الجوهري[2]: الشَّرق: المشرق، والشَّرق: الشّمس، يقال: طلَع الشَّرق ولا آتيك ما ذرَّ شارقٌ، وشرقت الشّمس تشرق شروقاً وشرقاً أيضاً، أي: طلعت، وأشرقت، أي: أضاءَت. والعُمُد بالتحريك وبضمتين: جمع العمود، ولعلّ المراد هنا ما يعتمد عليه في الأُمور. والشّكوى: الاسم من قولك: شكوت فلاناً شكايةً. والعدوى: طلبك إلى والٍ لينتقم لك ممّن ظلمك. والحول: القوّة والحِيلة والدَّفع والمنع، والكل هنا محتمل. والبأس: العذاب. والتّنكيل: العقوبة، وجعل الرَّجل نكالاً وعبرةً لغيره.

الويل لشانئك: أي العذاب والشّرُّ لمبغضك، والشناءة: البغض. وفي رواية السيد: لمن أحزنك. ونهنهت الرّجل عن الشّيء فتَنَهنه: أي كففته وزجرته فكفَّ. والوجْد: الغضب. اي: امنعي نفسكِ عن غضبكِ. وفي بعض النسخ: تنهنهي، وهو أظهر. والصّفْوة مثلثة: خلاصة الشّيء وخياره. والونى كفتى: الضّعف والفتور والكلال، والفعل كوقى يقي، أي: ما عجزت عن القيام بما أمرني به ربّي وما تركت ما دخل تحت قدرتي. والبُلغة بالضم: ما يتبلّغ به من العيش. والضامن والكفيل للرزق: هو الله تعالى، وما أعدّ لها: هو ثواب الآخرة. والاحتساب: الاعتداد، ويقال لمن ينوي بعمله وجه الله تعالى: احتسبه، أي: اصبري وادّخري ثوابه عند الله تعالى.

وفي رواية السيد: فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لك بل الويل لمن أحزنك، نهنهي عن وجدك يا بنية الصفوة، وبقية النبوّة، فما ونيت عن حظّك، ولا أخطأت فقد ترين مقدرتي، فإن

---

(١) الصحاح: ٥/١٨٤٦. (٢) الصحاح: ٤/١٥٠٠ـ١٥٠١.

ترزئي حقّك فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما عند الله خير لك ممّا قطع عنك. فرفعت يدها الكريمة فقالت: رضيت وسلّمت.

قال في القاموس: رزأه ماله كجعله رُزْءاً بالضمّ: أصاب منه شيئاً[١].

أقول: روى الشيخ كلامها الأخير مع جوابه قريباً ممّا رواه السيد، ولنذكره بسنده:

٨ - قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن شاذان، عن محمد بن علي بن المفضل، عن محمد بن علي بن معمر، عن محمد بن الحسين الزيات، عن أحمد بن محمد، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: لمّا انصرفت فاطمة عليها السلام من عند أبي بكر أقبلت على أمير المؤمنين عليه السلام، فقالت له: يا ابن أبي طالب، اشتملت مشيمة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة قد ابتزّني نحيلة أبي وبليغة ابني، والله لقد أجدّ في ظلامتي، وألدّ في خصامي، حتّى منعتني قَيْلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا مانع ولا دافع، خرجت - والله - كاظمة، وعدت راغمة، وليتني لا خيار لي، ليتني متّ قبل ذلّتي، وتوفّيت قبل منيّتي، عذيري فيك الله حامياً، ومنك عادياً، ويلاه في كلّ شارق! مات المعتمد ووهن العضد! شكواي إلى ربّي، وعدواي إلى أبي، اللهمّ أنت أشدّ قوّة.

فأجابها أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لكِ، بل الويل لشانئكِ، نهنهي من غربكِ يا بنت الصفوة وبقيّة النبوة، فوالله ما ونيت في ديني، ولا أخطأتُ في مقدوري، فإن كنتِ ترزئين البلغة فرزقك مضمون، ولعيلتك مأمون، وما أُعدّ لك خيرٌ ممّا قطع عنك، فاحتسبي. فقالت: حسبي الله ونعم الوكيل[٢].

ولندفع الإشكال الذي قلّما لا يخطر بالبال عند سماع هذا الجواب والسؤال، وهو: أنّ اعتراض فاطمة عليها السلام على أمير المؤمنين عليه السلام في ترك التعرّض للخلافة، وعدم نصرتها، وتخطئته فيهما - مع علمها بإمامته، ووجوب اتّباعه وعصمته، وأنّه لم يفعل شيئاً إلاّ بأمره تعالى ووصيّة الرسول صلى الله عليه وآله - ممّا ينافي عصمتها وجلالتها.

فأقول: يمكن أن يجاب عنه بأنّ هذه الكلمات صدرت منها عليها السلام لبعض المصالح، ولم تكن واقعاً منكرة لما فعله، بل كانت راضية، وإنّما كان غرضها أن يتبيّن للناس قبح أعمالهم وشناعة أفعالهم، وأنّ سكوته عليه السلام ليس لرضاه بما أتوا به، ومثل هذا كثيراً ما يقع في العادات والمحاورات، كما أنّ ملكاً يعاتب بعض خواصّه في أمر بعض الرعايا، مع علمه ببراءته من جنايتهم، ليظهر لهم عظم جرمهم، وأنّه ممّا استوجب به أخصّ الناس بالملك منه المعاتبة. ونظير ذلك ما فعله موسى عليه السلام لمّا رجع إلى قومه غضبان أسفاً، من إلقائه الألواح، وأخذه برأس أخيه يجرّه إليه ولم يكن غرضه الإنكار على هارون، بل أراد بذلك أن يعرّف القوم عظم جنايتهم، وشدّة جرمهم، كما مرّ الكلام فيه[٣].

---

(١) القاموس المحيط: ١/١٦.

(٢) أمالي الطوسي: ٢/٢٩٥ ـ ٢٩٦.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/١٩٥ ـ ٢٤٨.

وأمّا حمله على أنّ شدّة الغضب والأسف والغيظ حملتها على ذلك، مع علمها بحقّية ما ارتكبه عليه السلام، فلا ينفع في دفع الفساد، وينافي عصمتها وجلالتها التي عجزت عن إدراكها أحلام العباد.

بقي ها هنا إشكال آخر، وهو أنّ طلب الحقّ والمبالغة فيه وإن لم يكن منافياً للعصمة، لكن زهدها صلوات الله عليها، وتركها للدنيا، وعدم اعتدادها بنعيمها ولذّاتها، وكمال عرفانها ويقينها بفناء الدنيا، وتوجّه نفسها القدسية، وانصراف همّتها العالية دائماً إلى اللذات المعنوية والدرجات الأُخروية، لا تناسب مثل هذا الاهتمام في أمر فدك، والخروج إلى مجمع الناس، والمنازعة مع المنافقين في تحصيله. والجواب عنه من وجهين:

الأول: أنّ ذلك لم يكن حقّاً مخصوصاً لها، بل كان أولادها البررة الكرام مشاركين لها فيه، فلم يكن يجوز لها المداهنة والمساهلة والمحاباة وعدم المبالاة في ذلك، ليصير سبباً لتضييع حقوق جماعة من الأئمّة الأعلام والأشراف الكرام. نعم، لو كان مختصّاً بها كان لها تركه والزهد فيه وعدم التأثّر من فوته.

الثاني: أنّ تلك الأُمور لم تكن لمحبّة فدك وحبّ الدنيا، بل كان الغرض إظهار ظلمهم وجورهم... ونفاقهم، وهذا كان من أهمّ أُمور الدين وأعظم الحقوق على المسلمين. ويؤيّده أنّها صلوات الله عليها صرّحت في آخر الكلام حيث قالت: قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة. وكفى بهذه الخطبة بيّنة على...

ونشيّد ذلك بإيراد رواية بعض المخالفين في ذلك:

٩ - روى ابن أبي الحديد - في سياق أخبار فدك - عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري: أنّ أبا بكر لمّا سمع خطبة فاطمة عليها السلام في فدك شقّ عليه مقالتها، فصعد المنبر فقال: أيّها الناس، ما هذه الرعة إلى كلّ قالة؟ أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلّم، إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه، مُرِبٌّ بكلّ فتنة، هو الذي يقول: كرّوها جَذَعَة بعدما هرمت. تستعينون بالضعفة وتستنصرون بالنساء، كأُمّ طِحال أحبّ أهلها إليها البغي، ألا إنّي لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إنّي ساكت ما تركت.

ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معاشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحقّ من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، ألا وإنّي لست باسطاً يداً ولساناً على من لم يستحقّ ذلك منّا، ثم نزل. فانصرفت فاطمة عليها السلام إلى منزلها[1].

ثم قال ابن أبي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب يحيى بن أبي زيد البصريّ، فقلت له: بمن يعرّض؟ فقال: بل يصرّح. قلت: لو صرّح لم أسألك؟ فضحك وقال: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام. قلت: أهذا الكلام كلّه لعليّ عليه السلام؟! قال: نعم إنّه الملك يا بنيّ. قلت: فما مقالة

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١٤ ـ ٢١٥.

الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر عليٍّ فخاف من اضطراب الأمر عليه فنهاهم.

فسألته عن غريبه، فقال: ما هذه الرعة بالتخفيف: أي الاستماع والإصغاء. والقالة: القول. وثعالة: اسم للثعلب علم غير مصروف، مثل ذؤالة للذئب. وشهيده ذنبه: أي لا شاهد على ما يدّعي إلاّ بعضه وجزء منه، وأصله مثل، قالوا: إنّ الثعلب أراد أن يغري الأسد بالذئب، فقال: إنّه أكل الشاة التي أعددتها لنفسك، قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الأسد قد افتقد الشاة، فقبل شهادته وقتل الذئب. ومُربٌّ: ملازمٌ، أربَّ: لازم بالمكان. وكرّوها جَذَعَة: أعيدوها إلى الحال الأولى، يعني: الفتنة والهرج. وأُمّ طِحال: امرأة بغي في الجاهلية، فضرب بها المثل، يقال: أزنى من أمّ طحال[1]. انتهى.

أقول: الرعة بالراء كما في نسخ الشرح بمعنى: الاستماع، لم نجده في كلام اللغويين، ويمكن أن يكون بالدال المهملة بمعنى: السكون، ويكون الغلط من النسّاخ، ويكون تفسير النقيب بياناً لحاصل المعنى.

١٠ - وروى أيضاً عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن هشام بن محمد، عن أبيه قال: قالت فاطمة عليها السلام لأبي بكر: إنّ أُمّ أيمن تشهد لي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك. فقال لها: يابنة رسول الله، والله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من رسول الله - صلى الله عليه - أبيك، ولودِدْتُ أنّ السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لأن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من أن تفتقري، أتراني أُعطي الأسود والأحمر حقّه وأظلمكِ حقكِ وأنتِ بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم؟! إنّ هذا المال لم يكن للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، إنّما كان من أموال المسلمين يحمل النبيّ به الرجال وينفقه في سبيل الله، فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وليته كما كان يليه. قالت: والله لا كلّمتك أبداً. قال: والله لا هجرتكِ أبداً. قالت: والله لأدعون الله عليك. قال: والله لأدعونّ الله لك.

فلمّا حضرتها الوفاة أوصت أن لا يصلّي عليها، فدفنت ليلاً، وصلّى عليها العبّاس بن عبد المطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنتان وسبعون ليلة[2].

ومن رواياتهم الصحيحة الصريحة في أنّها صلوات الله عليها استمرّت على الغضب حتى ماتت: ما رواه مسلم[3] وأبو داود[4] في صحاحهما، وأورده في جامع الأُصول[5] في الفصل الثالث من كتاب المواريث في حرف الفاء، عن عائشة قالت: إنّ فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم سألت أبا بكر الصدّيق بعد وفاة رسول الله أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: لا نورث، ما تركناه صدقة. فغضبت فاطمة فهجرته، فلم تزل بذلك حتى توفّيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ستة أشهر إلاّ ليالي.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١٥. (٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١٤.

(٣) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٨١ ـ ١٣٨٢، الحديث ٥٤.

(٤) صحيح أبي داود: ٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣، الحديث ٢٩٧٠.

(٥) جامع الأُصول: ٩/ ٦٣٧، الحديث ٧٤٣٨.

وكانت تسأله أن يقسم لها نصيبها ممّا أفاء الله على رسوله من خيبر وفدك، ومن صدقته بالمدينة، فقال أبو بكر: لست بالذي أقسم من ذلك [شيئاً]، ولست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ وسلّم يعمل به فيها إلاّ عملته، فإنّي أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ. ثم فعل ذلك عمر، فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ والعباس، وأمسك خيبر وفدك، وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ وسلّم كانتا لحقوقه ونوائبه، وأمرهما إلى من ولي الأمر. قال: فهما على ذلك إلى اليوم.

وقال في جامع الأصول: أخرجه مسلم[١]، ولم يخرج منه البخاري[٢] إلاّ قوله: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركناه صدقة. ولقلّة ما أخرج منه لم تعلم له علامة، وأخرج أبو داود نحو مسلم[٣]، انتهى.

تبيين: اعلم أنّ المخالفين في صحاحهم رووا أخباراً كثيرة في أنّ من خالف الإمام وخرج من طاعته وفارق الجماعة ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتةً جاهليّة. روى في جامع الأصول من صحيح مُسلم[٤] والنسائي[٥]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله]: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتةً جاهليّة[٦].

وروى البخاري[٧] ومسلم[٨] في صحيحهما، وروى في جامع الأُصول أيضاً عنهما، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله]: من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنّ من خرج من طاعة السلطان شبراً مات ميتةً جاهليّة[٩]. وفي رواية أُخرى: فليصبر عليه، فإنّه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهليّة[١٠].

وروى مسلم في صحيحه[١١] وذكره في جامع الأُصول أيضاً، عن نافع قال: لمّا خلعوا يزيد واجتمعوا على ابن مطيع أتاه ابن عمر، فقال عبد الله: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال له عبد الله بن عمر: إنّي لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدّثك حديثاً سمعته من رسول الله صلّى الله عليه [وآله]، يقول: من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهليّة[١٢].

وأمّا من طرق أصحابنا فالأخبار فيه أكثر من أن تحصى، وستأتي في مظانّها[١٣].

فنقول: لا أظنّك ترتاب بعد ما أسلفناه من الروايات المنقولة من طريق المخالف والمؤالف في

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ٦.
(٢) صحيح البخاري: ٨/ ١٨٥.
(٣) جامع الأصول: ٩/ ٦٣٧.
(٤) صحيح مسلم: ٣/ ١٤٧٦ ـ ١٤٧٧، الحديثان ٥٣، ٥٤.
(٥) صحيح النسائي: ٧/ ١٢٣.
(٦) جامع الأصول: ٤/ ٧٠، الحديث ٢٠٥٣.
(٧) صحيح البخاري: ٩/ ٥٩.
(٨) صحيح مسلم: ٣/ ١٤٧٨، الحديث ٥٦.
(٩-١٠) جامع الأصول: ٤/ ٦٩ الحديث ٢٠٥٢.
(١١) صحيح مسلم: ٣/ ١٤٧٨، الحديث ٥٨.
(١٢) جامع الأصول: ٤/ ٧٨، الحديث ٢٠٦٤.
(١٣) بحار الأنوار: ٥١/ ١٦٠، و٥٢/ ١٤٢.

أنّ فاطمة صلوات الله عليها كانت ساخطة عليهم، حاكمةً. . . وضلالهم، غير مذعنة بإمامتهم ولا مطيعة لهم، وأنّها قد استمرّت على تلك الحالة حتّى سبقت إلى كرامة الله ورضوانه.

فمن قال بإمامة أبي بكر لا محيص له عن القول بأنّ سيّدة نساء العالمين ومن طهّرها الله في كتابه من كلّ رجس وقال النبي ﷺ في فضلها ما قال، قد ماتت ميتةً جاهليّة وميتة كفر وضلال ونفاق! ولا أظنّ ملحداً وزنديقاً رضي بهذا القول الشنيع.

ومن الغرائب أنّ المخالفين لمّا اضطرّوا وانسدّت عليهم الطرق، لجأوا إلى منع دوام سخطها عليها السلام على أبي بكر، مع روايتهم تلك الأخبار في كتبهم المعتبرة، وروايتهم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع أبا بكر في حياة فاطمة عليها السلام ولا بايعه أحدٌ من بني هاشم إلاّ بعد موتها، وأنّه كان لعليّ عليه السلام وجهٌ في الناس حياة فاطمة عليها السلام، فلمّا توفّيت انصرفت وجوه الناس عن عليّ عليه السلام، فلمّا رأى ذلك ضرع إلى مصالحة أبي بكر، روى ذلك مسلم في صحيحه[1]، وذكره في جامع الأصول في الباب الثاني من كتاب الخلافة في حرف الخاء[2].

ولا يخفى وهن هذا القول بعد ملاحظة ما تقدّم على ذي مسكةٍ.

فصل ٢

في الكلام على ما يستفاد من أخبار الباب والتنبيه على ما ينتفع به طالب الحقّ والصواب

وهو مشتمل على فوائد:

الأولى: نقول: لا شكّ في عصمة فاطمة عليها السلام، أمّا عندنا فللإجماع القطعي المتواتر، والأخبار المتواترة الآتية في أبواب مناقبها عليها السلام[3]، وأمّا الحجّة على المخالفين فبآية التطهير الدالة على أنّ عصمتها، وسيأتي إثبات نزول الآية في جماعة كانت داخلة فيهم، ودلالة الآية علىٰ العصمة في المجلد التاسع[4]، وبالأخبار المتواترة الدالّة إيذاءها إيذاء الرسول صلوات الله عليهما، وأنّ الله تعالى يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، وسيأتي في أبواب فضائلها[5] صلوات الله عليها، ولنذكر هنا بعض ما رواه المخالفون في ذلك، فمنها:

١ - ما رواه البخاري في صحيحه في باب مناقبها عليها السلام عن المسور بن مخرمة أنّ رسول الله ﷺ وسلّم قال: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني[6].

---

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٨٠، الحديث ٥٢.
(٢) جامع الأصول: ٤/١٠٣ ـ ١٠٥، الحديث ٢٠٧٨.
(٣) بحار الأنوار: ٤٣/١٩ ـ ٧٩.
(٤) بحار الأنوار: ٣٥/٢٠٦ـ٢٣٦.
(٥) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨٢ ـ ٨٣.
(٦) صحيح البخاري: ٥/٣٦، الحديث ٢٥٥.

٢ - وروى أيضاً في أبواب النكاح عن المسور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله ﷺ وسلم يقول وهو على المنبر: إنّ بني هاشم بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم عليّ بن أبي طالب فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم إلاّ أن يريد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أن يطلّق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنّما هي بضعة منّي، يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها[١].

٣ - وقد روى الخبرين مسلم في صحيحه[٢]، وروى مسلم[٣] والبخاري[٤] أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها.

٤ - وروى الترمذي في صحيحه عن ابن الزبير، قال: إنّ عليّاً ذكر بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فقال: إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها[٥].

وقد ذكر الروايات المذكورة ابن الأثير في جامع الأصول، مع روايات أُخرى تؤيّدها[٦].

٥ - وروى في المشكاة عن المسوّر أنّ رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني. قال: وفي رواية: يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها. ثم قال: متّفق عليه[٧].

وروى ابن شهرآشوب في المناقب[٨]، والسيّد في الطرائف[٩]، وابن بطريق في العمدة والمستدرك[١٠]، وعليّ بن عيسى في كشف الغمّة[١١]، وغيرهم أخباراً كثيرةً في هذا المعنى من أُصول المخالفين أوردتها في أبواب فضائلها.

ووجه الاستدلال بها على عصمتها صلوات الله عليها أنّه إذا كانت فاطمة عليها السلام ممّن تقارف الذنوب وترتكبها لجاز إيذاؤها، بل إقامة الحدّ عليها لو فعلت معصية أو ارتكبت ما يوجب حدّاً، ولم يكن رضاها رضا الله سبحانه إذا رضيت بالمعصية، ولا من سرّها في معصية سارّاً لله سبحانه، ومن أغضبها بمنعها عن ارتكابها مغضباً له جلّ شأنه.

فإن قيل: لعلّ المراد: من آذاها ظلماً فقد آذاني، ومن سرّها في طاعة الله فقد سرّني. وأمثال ذلك، لشيوع التخصيص في العمومات.

قلنا: أوّلاً: التخصيص خلاف الأصل، ولا يصار إليه إلاّ بدليل، فمن أراد التخصيص فعليه إقامة الدليل.

---

(١) صحيح البخاري: ٧/ ٤٨.
(٢) صحيح مسلم: ٤/ ١٩٠٢ ـ ١٩٠٢، الحديث ٩٣.
(٣) صحيح مسلم: ٤/ ١٠٠٣، كتاب فضائل الصحابة، الحديث ٩٤.
(٤) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة: ١٢، ١٦، ٢٩، وكتاب النكاح: ١٠٩.
(٥) صحيح الترمذي: ٥/ ٦٩٨ ـ ٦٩٩، كتاب المناقب، الحديث ٣٨٦٩.
(٦) جامع الأُصول: ٩/ ١٢٥ ـ ١٣٢، الأحاديث ٦٦٧١ ـ ٦٦٧٧.
(٧) مشكاة المصابيح: ٥٦٨.
(٨) المناقب لابن شهر آشوب: ٣/ ٣٢٥، ٣٣٢، ٣٣٤.
(٩) الطرائف: ٧٥ ـ ٢٤٧.
(١٠) العمدة: ٣٨٣ ـ ٣٩١، الأحاديث ٧٥٥ ـ ٧٧٧.
(١١) كشف الغمّة: ٢/ ٣٢.

وثانياً: أنّ فاطمة صلوات الله عليها تكون حينئذٍ كسائر المسلمين لم تثبت لها خصوصيّة ومزيّة في تلك الأخبار، ولا كان فيها لها تشريف ومدحة، وذلك باطل بوجوه:

الأوّل: أنّه لا معنى حينئذٍ لتفريع كون إيذائها إيذاء الرسول على كونها بضعة منه، كما مرّ فيما صحّحه البخاري ومسلم من الروايات وغيرها.

الثاني: أنّ كثيراً من الأخبار السالفة المتضمّنة لإنكاره ﷺ على بني هاشم في أن ينكحوا ابنتهم عليّ بن أبي طالب ﷺ، أو إنكاح بنت أبي جهل، ليس من المشتركات بين المسلمين، فإنّ ذلك النكاح كان ممّا أباحه الله سبحانه، بل ممّا رغّب فيه وحثّ عليه لولا كونه إيذاء لسيّدة النساء، وقد علّل رسول الله ﷺ عدم الإذن كونها بضعة منه يؤذيه ما آذاها ويريبه ما يريبها، فظهر بطلان القول بعموم الحكم لكافة المسلمين.

الثالث: أنّ القول بذلك يوجب إلقاء كلامه ﷺ وخلوّه عن الفائدة؛ إذ مدلوله حينئذٍ أنّ بضعته كسائر المسلمين، ولا يقول ذلك من أُوتي حظّاً من الفهم والفطانة، أو اتّصف بشيء من الإنصاف والأمانة، وقد أطبق محدّثوهم على إيراد تلك الروايات في باب مناقبها صلوات الله عليها.

فإن قيل: أقصى ما يدلّ عليه الأخبار هو أنّ إيذاءها إيذاء للرسول ﷺ ومن جوّز صدور الذنب عنه ﷺ لا يأبى عن إيذائه إذا فعل ما يستحقّ به الإيذاء.

قلنا: بعد ما مرّ من الدلائل على عصمة الأنبياء ﷺ[1]، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، فالقول بجواز إيذائه ﷺ ردٌّ لصريح القرآن، ولا يرضى به أحد من أهل الإيمان.

فإن قيل: إنّما دلّت الأخبار على عدم جواز إيذائها، وهو إنّما ينافي صدور ذنب عنها يمكن للناس الاطلاع عليه حتى يؤذيها نهياً عن المنكر، ولا ينافي صدور معصية عنها خفية فلا يدلّ على عصمتها مطلقاً.

قلنا: نتمسّك في دفع هذا الاحتمال بالإجماع المركّب على أنّ ما جرى في قصّة فدك وصدر عنها من الإنكار على أبي بكر، ومجاهرتها بالحكم... طائفة من الصحابة وفسقهم تصريحاً وتلويحاً، وتظلّمها وغضبها على أبي بكر وهجرتها وترك كلامها حتى ماتت، لو كانت معصية لكانت من المعاصي الظاهرة التي قد أعلنت بها على رؤوس الأشهاد، وأيّ ذنب أظهر وأفحش من مثل هذا الردّ والإنكار على الخليفة المفترض الطاعة على العالمين بزعمهم؟ فلا محيص لهم عن القول ببطلان خلافة خليفتهم العظمى تحرّزاً عن إسناد هذه المعصية الكبرى إلى سيّدة النساء.

ونحتجّ أيضاً في عصمتها صلوات الله عليها بالأخبار الدالّة على وجوب التمسّك بأهل

---

(١) بحار الأنوار: ١٧/ ٣٤ ـ ٩٧.

(٢) التوبة: ٦١.

(٣) الأحزاب: ٥٣، ٥٧.

البيت عليهم السلام وعدم التخلّف عنهم، وما يقرب من هذا المعنى، ولا ريب في أنّ ذلك لا يكون ثابتاً لأحد إلاّ إذا كان معصوماً؛ إذ لو كان ممّن صدر عنه الذنوب لما جاز اتّباعه عند ارتكابها، بل يجب ردعه ومنعه وإيذاؤه، وإقامة الحدّ عليه، وإنكاره بالقلب واللسان، وكلّ ذلك ينافي ما حثّ عليه الرسول صلى الله عليه وآله وأوصى به الأمّة في شأنهم، وسيأتي من الأخبار في ذلك ما يتجاوز حدّ التواتر، ولنذكر فيها قليلاً ممّا أورده المخالفون في صحاحهم:

٦ - روى في جامع الأصول عن الترمذي ممّا رواه في صحيحه[١] عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في حجّة الوداع يوم عرفة - وهو على ناقته القصواء - يخطب فسمعته يقول: إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لَن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي[٢].

٧ - وروى أيضاً، عن الترمذي[٣]، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما[٤].

٨ - وروى في المشكاة عن أبي ذرّ أنّه قال وهو آخذ بباب الكعبة: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: ألا إنّ مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك[٥].

٩ - وروى في جامع الأصول[٦] والمشكاة[٧] من صحيح الترمذي[٨]، عن زيد بن أرقم، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: أنا حربٌ لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم.

١٠ - وروى البخاري[٩] ومسلم[١٠] في صحيحهما، وأحمد في مسنده[١١] عن ابن عباس قال: لمّا نزل: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[١٢] قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما[١٣].

وسيأتي من الأخبار في ذلك ما يشبعك ويغنيك، وفيما ذكرنا كفاية للمنصف إن لم يكن يكفيك.

الثانية: في بيان ما يدلّ على كونها صلوات الله عليها محقّة في دعوى فدك، مع قطع النظر عن عصمتها:

---

(١) صحيح الترمذي: ٥/ ٦٦٢، الحديث ٣٧٨٦.
(٢) جامع الأصول: ١/ ٢٧٧، الحديث ٦٥.
(٣) صحيح الترمذي: ٥/ ٦٦٣، الحديث ٣٧٨٨.
(٤) جامع الأصول: ١/ ٢٧٨، الحديث ٦٦.
(٥) مشكاة المصابيح: ٥٧٣.
(٦) جامع الأصول: المجلد العاشر، الحديث ٦٦٩٤.
(٧) مشكاة المصابيح: ٥٦٩.
(٨) صحيح الترمذي: ٥/ ٦٩٩، الحديث ٣٨٧٠.
(٩) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، الباب ١١.
(١٠) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، البابان ١٣٩، ١٤٠.
(١١) مسند أحمد: ١/ ٢٤٨، ٢٩٤، ٣٢٠.
(١٢) الشورى: ٢٣.
(١٣) الفصول المهمة: ١٢، والصواعق المحرقة: ١٠١، ١٣٥، وغيرهما.

فنقول: لا ريب على من له أدنى تتبّع في الآثار، وتنزّل قليلاً عن درجة التعصّب والإنكار في أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يرى فدكاً حقّاً لفاطمة عليها السلام، وقد اعترف بذلك جلّ أهل الخلاف، ورووا أنّه عليه السلام شهد لها، ولذلك تراهم يجيبون تارة بعدم قبول شهادة الزوج، وتارة بأنّ أبا بكر لم يمض شهادة عليّ عليه السلام وشهادة أُمّ أيمن لقصورها عن نصاب الشهادة، وقد ثبت بالأخبار المتظافرة عند الفريقين أنّ عليّاً عليه السلام لا يفارق الحقّ والحقّ لا يفارقه، بل يدور معه حيثما دار، وقد اعترف ابن أبي الحديد بصحّة هذا الخبر[1].

١١ - وروى ابن بطريق[2] عن السمعاني في كتاب فضائل الصحابة بإسناده عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

١٢ - وروى ابن شيرويه الديلمي في الفردوس، بالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله]: رحم الله عليّاً، اللهمّ أدر الحقّ معه حيث دار[3].

وقد روى عليّ بن عيسى في كشف الغمّة[4]، وابن شهر آشوب في المناقب[5]، وابن بطريق في المستدرك والعمدة[6]، والعلاّمة رحمه الله في كشف الحقّ[7]. وغيرهم في غيرها أخباراً كثيرة من كتب المخالفين في ذلك، وسنوردها بأسانيدها في المجلد التاسع[8].

فهل يشكّ عاقل في حقيّة دعوى كان المدّعي فيها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين باتّفاق المخالفين والمؤالفين، والشاهد لها أمير المؤمنين الذي قال النبيّ صلى الله عليه وآله فيه: إنّ الحقّ لا يفارقه، وإنّه الفاروق بين الحقّ والباطل، وإنّ من اتّبعه اتّبع الحقّ ومن تركه ترك الحقّ و. غير ذلك ممّا سيأتي في أبواب فضائله ومناقبه عليه السلام[9].

وأمّا فضائل فاطمة عليها السلام فتأتي الأخبار المتواترة من الجانبين في المجلد التاسع والمجلد العاشر[10].

١٣ - وروى في جامع الأصول من صحيح الترمذي[11]، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: حسبُك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية امرأة فرعون[12].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٩/ ٨٨.
(٢) بحار الأنوار: ٣٨/ ٣٩ عن مستدرك ابن بطريق.
(٣) الفردوس: ٢/ ٣٩٠، الحديث ٣٠٥٠.
(٤) كشف الغمّة: ١/ ١٤٣ ـ ١٤٤.
(٥) المناقب: لابن شهر آشوب ٣/ ٦٠ ـ ٦٢.
(٦) العمدة: ٣٨٣ ـ ٣٩١، وحكاه في البحار ٣٨/ ٣١، ٣٢، ٣٩ عن المستدرك.
(٧) كشف الحقّ: ٨٨.
(٨) بحار الأنوار: ٣٨/ ٢٦ ـ ٤٠.
(٩) بحار الأنوار: ٣٥/ ٢٠٦ ـ ٤٢٩ و٣٦/ ١٦٢ ـ ١٦٣، والمجلد السابع والثلاثون بأجمعه، و٣٨/ ٢٦ ـ ٤٠ و١٢٥ إلى آخر المجلد، والمجلد التاسع والثلاثون بأجمعه، و٤٠/ ١ ـ ١٢٥.
(١٠) بحار الأنوار: ٣٥/ ٢٠٦ ـ ٢٢٥، ٢٣٧ ـ ٢٥٥ و٣٧/ ٩٧ و٤٣/ ١٩ ـ ٧٩.
(١١) صحيح الترمذي: ٥/ ٧٠٣، الحديث ٣٨٧٨.
(١٢) جامع الأصول: ٩/ ١٢٥، الحديث ٦٦٧٠.

١٤ - وروى البخاري[١] ومسلم[٢] والترمذي[٣] وأبو داود[٤] في صحاحهم على ما رواه في جامع الأصول، في حديث طويل قال في آخره: قال النبيّ ﷺ وسلّم لفاطمة عليها السلام: يا فاطمة، أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين أو سيّدة نساء الأمّة[٥].

وفي رواية أُخرى رواها البخاري[٦] ومسلم[٧]: أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنّك أوّل أهلي لحوقاً بي؟

١٥ - وروى ابن عبد البرّ في الاستيعاب في ترجمة خديجة عليها السلام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وسلّم: خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وابنة مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد ﷺ[٨].

١٦ - وعن ابن عبّاس: إنّهنّ أفضل نساء أهل الجنّة.

١٧ - وعن أنس: إنّهنّ خير نساء العالمين.

١٨ - وعن ابن عباس قال: خطّ رسول الله ﷺ وسلّم في الأرض أربعة خطوط ثم قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ وسلّم: أفضل نساء أهل الجنّة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

١٩ - وروى في ترجمة فاطمة عليها السلام بالإسناد عن عمران بن حصين أنّ النبيّ ﷺ وسلّم عاد فاطمة رضي الله عنها وهي مريضة، فقال لها: كيف تجدينكِ يا بنيّة؟ قالت: إنّي لوجعة، وإنّي ليزيدني أنّي ما لي طعام آكله، قال: يا بنيّة، ألا ترضين أنّك سيّدة نساء العالمين؟ فقالت: يا أبه، فأين مريم بنت عمران؟ قال: تلك سيّدة نساء عالمها، وأنتِ سيّدة نساء عالمكِ، أما والله لقد زوّجتك سيّداً في الدنيا والآخرة[٩].

٢٠ - وقال البخاري في عنوان باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ وسلّم أنّه قال النبيّ ﷺ: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة[١٠].

٢١ - وروى من طريق أصحابنا الكراجكي في كنز الفوائد، عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن شاذان، عن أبيه، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن الصفار، عن محمد بن زياد، عن المفضّل بن عمر، عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال جدّي رسول الله ﷺ:

---

(١) صحيح البخاري: ٨/ ٧٩. (٢) صحيح مسلم: ٤/ ١٩٠٤ـ١٩٠٦، الحديثان ٩٨، ٩٩.
(٣) صحيح الترمذي: ٥/ ٧٠٠ ـ ٧٠١، الحديثان ٣٨٧٢، ٣٨٧٣.
(٤) صحيح أبي داود: ٤/ ٣٥٥، الحديث ٥٢١٧.
(٥) جامع الأصول: ٩/ ١٢٩ ـ ١٣١، الحديث ٦٦٧٧.
(٦) صحيح البخاري: ٤/ ٢٤٨. (٧) صحيح مسلم: ٤/ ١٩٠٤، الحديث ٩٧.
(٨) الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة: ٤/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥.
(٩) الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة: ٤/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦.
(١٠) صحيح البخاري: ٥/ ٢٥، ٣٦.

ملعون ملعون من يظلم بعدي فاطمة ابنتي ويغصبها حقّها ويقتلها. ثم قال: يا فاطمة، أبشري فلكِ عند الله مقام محمود تشفعين فيه لمحبّيكِ وشيعتكِ فتشفّعين، يا فاطمة، لو أنّ كلّ نبيّ بعثه الله وكلّ ملك قرّبه شفعوا في كلّ مبغض لكِ غاصب لكِ ما أخرجه الله من النار أبداً[1].

الثالثة: في أنّ فدكاً كانت نحلة لفاطمة عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ أبا بكر ظلمها بمنعها:

قال أصحابنا رضوان الله عليهم: كانت فدك ممّا أفاء الله على رسوله بعد فتح خيبر، فكانت خاصّة له صلى الله عليه وآله؛ إذ لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وقد وهبها لفاطمة صلوات الله عليها وتصرّف فيها وكلاؤها ونوابها، فلما غصب أبو بكر الخلافة انتزعها، فجاءته فاطمة عليها السلام مستعدية فطالبها بالبيّنة فجاءت بعليّ والحسنين صلوات الله عليهم وأُمّ أيمن المشهود لها بالجنّة، فردّ شهادة أهل البيت عليهم السلام بجرّ النفع، وشهادة أُمّ أيمن بقصورها عن نصاب الشهادة، ثم ادّعتها على وجه الميراث فردّ عليها بما مرّ وسيأتي، فغضبت عليه وعلى عمر فهجرتهما، وأوصت بدفنها ليلاً لئلاّ يصلّيا عليها، فأسخطا بذلك ربّهما ورسوله واستحقّا أليم النكال وشديد الوبال، ثم لمّا انتهت الإمارة إلى عمر بن عبد العزيز ردّها على فاطمة عليها السلام، ثم انتزعها منهم يزيد بن عبد الملك، ثم دفعها السفّاح إلى الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم أخذها المنصور، ثم أعادها المهديّ، ثم قبضها الهادي، ثم ردّها المأمون لمّا جاءه رسول بني فاطمة فنصب وكيلاً من قبلهم وجلس محاكماً فردّها عليهم، وفي ذلك يقول دعبل الخزاعي:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا ... بردّ مأمون هاشمٍ فدكا[2]

ولنبيّن خطأ أبي بكر في تلك القضية مع وضوحها بوجوه:

أما أنّ فدكاً كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله فممّا لا نزاع فيه، وقد أوردنا من رواياتنا وأخبارنا لمخالفين ما فيه كفاية، ونزيده وضوحاً بما رواه في:

٢٢ - جامع الأصول ممّا أخرجه من صحيح أبي داود[3] عن عمر قال: إنّ أموال بني النضير ممّا أفاء الله على رسوله ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصّة قرى عرينة وفدك وكذا وكذا. ينفق على أهله منها نفقة سنتهم، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدّة في سبيل الله، وتلا: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾. الآية[4].

٢٣ - وروى أيضاً عن مالك بن أوس قال: كان فيما احتجّ عمر أن قال: كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث صفايا: بنو النضير وخيبر وفدك[5]. إلى آخر الخبر.

٢٤ - وروى ابن أبي الحديد في شرح كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف، عن

---

(١) كنز الفوائد: ١/ ١٥٠.
(٢) ديوان دعبل الخزاعي: ٢٤٧ـ٢٤٨.
(٣) سنن أبي داود: ٣/ ١٤١.
(٤) جامع الأصول: ٢/ ٧٠٧، الحديث ١٢٠٢، والآية ٧ من سورة الحشر.
(٥) جامع الأصول: ٢/ ٧٠٦، الحديث ١٢٠٢.

أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدّثني أبو إسحاق عن الزهري قال: بقيت بقيّةٌ من أهل خيبر تحصّنوا، فسألوا رسول الله ﷺ أن يحقِن دماءهم ويسيّرهم، ففعل ذلك، فسمع أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك، فكانت للنبيّ ﷺ خاصّة؛ لأنّه لم يوجف عليها بخيلٍ ولا ركاب.

قال: وقال أبو بكر: وروى محمد بن إسحاق أنّ رسول الله ﷺ لمّا فرغ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النّصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق أو بعدما قدم المدينة فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول الله ﷺ خاصّةً؛ لأنّه لم يوجف عليها بخيلٍ ولا ركاب.

قال: وقد روي أنّه صالحهم عليها كلّها، والله أعلم أيّ الأمرين كان(١). انتهى.

وسيأتي اعتراف عمر بذلك في تنازع عليّ عليه السلام والعباس.

وأمّا أنّه وهبها لفاطمة عليها السلام فلأنّه لا خلاف في أنّها صلوات الله عليها ادّعت النحلة مع عصمتها الثابتة بالأدلّة المتقدّمة، وشهد لها من ثبتت عصمته بالأدلّة الماضية والآتية، والمعصوم لا يدّعي إلاّ الحقّ، ولا يشهد إلاّ بالحقّ، ويدور الحقّ معه حيثما دار.

وأمّا أنها كانت في يدها صلوات الله عليها فلأنّها ادّعتها بعد وفاة النبيّ ﷺ على وجه الاستحقاق، وشهد المعصوم لها بذلك، فإن كانت الهبة قبل الموت تبطل بموت الواهب كما هو المشهور، ثبت القبض، وإلاّ فلا حاجة إليه في إثبات المدّعى، وقد مرّ من الأخبار الدّالة على نحلتها، وأنّها كانت في يدها عليها السلام ما يزيد على كفاية المنصف، بل يسدّ طريق إنكار المتعسّف.

ويدلّ على أنّها كانت في يدها صلوات الله عليها ما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف حيث قال: بلى كانت في أيدينا فدك، من كلِّ ما أظلّته السَّماء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله(٢).

وأمّا أنّ أبا بكر وعمر أغضبا فاطمة عليها السلام، فقد اتّضح بالأخبار المتقدّمة.

ثم اعلم أنّا لم نجد أحداً من المخالفين أنكر كون فدك خالصة لرسول الله ﷺ في حياته، ولا أحداً من الأصحاب طعن على أبي بكر بإنكاره ذلك، إلاّ ما تفطّن به بعض الأفاضل من الأشارف، مع أنّه يظهر من كثير من أخبار المؤالف والمخالف ذلك، وقد تقدّم ما رواه ابن أبي الحديد في ذلك عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري وغيرها من الأخبار، ولا يخفى أنّ ذلك يتضمّن إنكار الآية وإجماع المسلمين؛ إذ القائل بأنّ رسول الله ﷺ كان يصرف شيئاً من غلّة فدك وغيرها من الصفايا في بعض مصالح المسلمين، لم يقل بأنّها لم تكن لرسول الله ﷺ، بل قال بأنّه فعل ذلك على وجه التفضّل وابتغاء مرضاة الله تعالى، وظاهر الحال أنّه أنكر ذلك دفعاً لصحّة النحلة، فكيف كان يسمع الشهود على النحلة مع ادّعائه أنّها كانت من أموال المسلمين؟

واعتذر المخالفون من قبل أبي بكر بوجوه سخيفة:

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١٠.

(٢) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٤١٧.

الأوّل: منع عصمتها صلوات الله عليها، وقد تقدّمت الدلائل المثبتة لها.

الثاني: أنّه لو سلّم عصمتها فليس للحاكم أن يحكم بمجرّد دعواها وإن تيقّن صدقها.

وأجاب أصحابنا بالأدلّة على أنّ الحاكم يحكم بعلمه.

وأيضاً اتّفقت الخاصّة والعامّة على رواية قصّة خزيمة بن ثابت وتسميته بذي الشهادتين لما شهد للنبيّ ﷺ بدعواه[١]، ولو كان المعصوم كغيره لما جاز للنبيّ ﷺ قبول شاهد واحد والحكم لنفسه، بل كان يجب عليه الترافع إلى غيره.

وقد روى[٢] أصحابنا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطّأ شريحاً في طلب البيّنة منه، وقال: إنّ إمام المسلمين يؤتمن من أُمورهم على ما هو أعظم من ذلك، وأخذ ما ادّعاه من درع طلحة بغير حكم شريح، والمخالفون حرّفوا هذا الخبر وجعلوه حجّة لهم، واعتذروا بوجوه أُخرى سخيفة لا يخفى على عاقل - بعد ما أوردنا في تلك الفصول - ضعفها ووهنها، فلا نطيل الكلام بذكرها.

الرابعة: في توضيح بطلان ما ادّعاه أبو بكر من عدم توريث الأنبياء عليهم السلام: استدلّ أصحابنا على بطلان ذلك بآيٍ من القرآن:

الأولى: قوله تعالى مخبراً عن زكريّا عليه السلام: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلِيًّا﴾ أي: ولداً يكون أولى بميراثي، وليس المراد بالولي من يقوم مقامه، ولداً كان أو غيره، لقوله تعالى حكايةً عن زكريّا: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[٤]، وقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾[٥]. والقرآن يفسّر بعضه بعضاً.

واختلف المفسّرون في أنّ المراد بالميراث العلم أو المال، فقال ابن عبّاس والحسن والضحّاك: إنّ المراد به في قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِى﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ ميراث المال[٦]، وقال أبو صالح: المراد به في الموضعين ميراث النبوّة. وقال السدّي ومجاهد والشعبي: المراد به في الأوّل ميراث المال وفي الثاني ميراث النبوّة، وحكي هذا القول عن ابن عباس والحسن والضحّاك، وحكي عن مجاهد أنّه قال: المراد من الأوّل العلم ومن الثاني النبوّة[٧].

وأمّا وجه دلالة الآية على المراد، فهو أنّ لفظ الميراث في اللغة والشريعة والعرف إذا أُطلق ولم يقيّد لا يفهم منه إلاّ الأموال وما في معناها ولا يستعمل في غيرها إلاّ مجازاً، وكذا لا يفهم من قول القائل: لا وارث لفلان. إلاّ من ينتقل إليه أمواله وما يضاهيها دون العلوم وما يشاكلها، ولا يجوز العدول عن ظاهر اللفظ وحقيقته إلاّ لدليل، فلو لم يكن في الكلام قرينة توجب حمل اللفظ

---

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: ٤/ ٣٧٨ ـ ٣٨١، والكافي ٧/ ٤٠٠ ـ ٤٠١، الحديث ١.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦، والكافي ٧/ ٣٨٥، الحديث ٥.

(٣) مريم: ٥ ـ ٦.

(٤) آل عمران: ٣٨.

(٥) الأنبياء: ٨٩ ـ ٩٠.

(٦) تفسير الفخر الرازي: ٢١/ ١٨٤.

(٧) مجمع البيان: ٦/ ٥٠٣.

على أحد المعنيين لكفى في مطلوبنا، كيف والقرائن الدالّة على المقصود موجودة في اللفظ؟

أمّا أوّلاً: فلأنّ زكريّا عليه السلام اشترط في وارثه أن يكون رضيّاً، وإذا حمل الميراث على العلم والنبوّة لم يكن لهذا الاشتراط معنىً، بل كان لغواً عبثاً؛ لأنّه إذا سأل من يقوم مقامه في العلم والنبوّة فقد دخل في سؤاله الرضا وما هو أعظم منه فلا معنى لاشتراطه، ألا ترى أنّه لا يحسن أن يقول أحد: اللهم ابعث إلينا نبيّاً واجعله مكلّفاً عاقلاً؟

وأمّا ثانياً: فلأنّ الخوف من بني العم ومن يحذو حذوهم يناسب المال دون النبوّة والعلم، وكيف يخاف مثل زكريّا عليه السلام من أن يبعث الله تعالى إلى خلقه نبيّاً يقيمه مقام زكريّا ولم يكن أهلاً للنبوّة والعلم، سواء كان من موالي زكريّا أو من غيرهم؟ على أنّ زكريّا عليه السلام كان إنّما بعث لإذاعة العلم ونشره في الناس فلا يجوز أن يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته. فإن قيل: كيف يجوز على مثل زكريّا عليه السلام الخوف من أن يرث الموالي ماله؟ وهل هذا إلاّ الضنّ والبخل؟

قلنا: لمّا علم زكريّا عليه السلام من حال الموالي أنّهم من أهل الفساد، خاف أن ينفقوا أمواله في المعاصي ويصرفوه في غير الوجوه المحبوبة، مع أنّ في وراثتهم ماله كان يقوّي فسادهم وفجورهم، فكان خوفه خوفاً من قوّة الفسّاق وتمكّنهم في سلوك الطرائق المذمومة، وانتهاك محارم الله عزّ وجلّ، وليس مثل ذلك من الشحّ والبخل.

فإن قيل: كما جاز الخوف على المال من هذا الوجه جاز الخوف على وراثتهم العلم لئلاّ يُفسدوا به الناس ويضلّوهم، ولا ريب في أنّ ظهور آثار العلم فيهم كان من دواعي اتّباع الناس إيّاهم وانقيادهم لهم.

قلنا: لا يخلو هذا العلم الذي ذكرتموه من أن يكون هو كتباً علميّةً وصحفاً حكمية؛ لأنّ ذلك قد يسمّى علماً مجازاً، أو يكون هو العلم الذي يملأ القلوب وتعيه الصدور. فإن كان الأوّل فقد رجع إلى معنى المال وصحّ أنّ الأنبياء عليهم السلام يورثون الأموال، وكان حاصل خوف زكريّا عليه السلام أنّه خاف من أن ينتفعوا ببعض أمواله نوعاً خاصّاً من الانتفاع، فسأل ربّه أن يرزقه الولد حذراً من ذلك. وإن كان الثاني فلا يخلو أيضاً من أن يكون هو العلم الذي بُعث النبيّ لنشره وأدائه إلى الخلق، أو أن يكون علماً مخصوصاً لا يتعلّق لشريعة ولا يجب اطّلاع الأمّة عليه، كعلم العواقب وما يجري في مستقبل الأوقات ونحو ذلك.

والقسم الأوّل: لا يجوز أن يخاف النبيّ من وصوله إلى بني عمّه، وهم من جملة أُمّته المبعوث إليهم لأن يهديهم ويعلّمهم، وكان خوفه من ذلك خوفاً من غرض البعثة.

والقسم الثاني: لا معنى للخوف من أن يرثوه؛ إذ كان أمره بيده ويقدر على أن يلقيه إليهم، ولو صحّ الخوف على القسم الأوّل لجرى ذلك فيه أيضاً، فتأمّل.

هذا خلاصة ما ذكره السيّد المرتضى رحمه الله في الشافي عند تقرير هذا الدليل[1]، وما أورد عليه

(١) الشافي: ٤/ ٦٣ ـ ٦٦.

من تأخّر عنه يندفع بنفس التقرير، كما لا يخفى على الناقد البصير، فلذا لا نسوّد بإيرادها الطوامير.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾(١).

وجه الدلالة هو أنّ المتبادر من قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَهُۥ﴾ أنه ورث ماله(٢) كما سبق في الآية المتقدّمة، فلا يعدل عنه إلاّ لدليل.

وأجاب قاضي القضاة في المغني(٣): بأنّ في الآية ما يدلّ على أنّ المراد وراثة العلم دون المال، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ فإنّه يدلّ على أنّ الذي ورث هو هذا العلم وهذا الفضل، وإلاّ لم يكن لهذا تعلّق بالأوّل.

وقال الرازي في تفسيره(٤): لو قال تعالى: ورث سليمان داود ماله، لم يكن لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ معنىً، وإذا قلنا ورث مقامه من النبوّة والملك حسن ذلك؛ لأنّ علم منطق الطير يكون داخلاً في جملة ما ورثه، وكذلك قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ لأنّ وارث العلم يجمع ذلك ووارث المال لا يجمعه، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ يليق أيضاً بما ذكر دون المال الذي يحصل للكامل والناقص، وما ذكره الله تعالى من جنود سليمان بعده لا يليق إلاّ بما ذكرنا، فبطل بما ذكرنا قول من زعم أنّه لا يورث إلاّ المال، فأمّا إذا ورث المال والملك معاً فهذا لا يبطل بالوجوه التي ذكرنا، بل بظاهر قوله ﷺ: نحن معاشر الأنبياء لا نورث.

وردّ السيّد المرتضى رحمه الله في الشافي(٥) كلام المغني بأنّه لا يمتنع أن يريد ميراث المال خاصّة، ثم يقول مع ذلك: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾، ويشير بـ﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ إلى العلم والمال جميعاً، فله في الأمرين جميعاً فضل على من لم يكن كذلك، وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتمل المال كما يحتمل العلم فليس بخالص لما ظنّه، ولو سلم دلالة الكلام على العلم لما ذكره فلا يمتنع أن يريد أنّه ورث المال بالظاهر، والعلم بهذا النوع من الاستدلال فليس يجب إذا دلّت الدلالة في بعض الألفاظ على المجاز أن نقتصر بها عليه، بل يجب أن نحملها على الحقيقة التي هي الأصل، إذا لم يمنع من ذلك مانع.

وقد ظهر بما ذكره السيّد قدس سره بطلان قول الرازي أيضاً، وكان القاضي يزعم أنّ العطف لو لم يكن للتفسير لم يكن للمعطوف تعلّق بما عطف عليه وانقطع نظام الكلام، وما اشتهر من أنّ التأسيس أولى من التأكيد من الأغلاط المشهورة، وكأنّ الرازي يذهب إلى أنّه لا معنى للعطف إلاّ إذا كان المعطوف داخلاً في المعطوف عليه، فعلى أيّ شيء يعطف حينئذٍ قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾؟ فتدبّر.

---

(١) النمل: ١٦.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ٢٤/١٨٦، ومجمع البيان ٤/٢١٤.

(٣) المغني: ٢٠/ ٣٣٠.

(٤) تفسير الفخر الرازي: ٢٤/ ١٨٦.

(٥) الشافي: ٢/٧٩.

وأمّا قوله: إنّ المال يحصل للكامل والناقص. فلو حمل الميراث على المال لم يناسبه قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾، فيرد عليه أنّه إنّما يستقيم إذا كانت الإشارة إلى أوّل الكلام فقط وهو وراثة المال، وبُعده ظاهر، ولو كانت الإشارة إلى مجموع الكلام كما هو الظاهر، أو إلى أقرب الفقرات أعني قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾. لم يبقَ لهذا الكلام مجال، وكيف لا يليق دخول المال في جملة المشار إليه، وقد منّ الله تعالى على عباده في غير موضع من كلامه المجيد بما أعطاهم في الدنيا من صنوف الأموال، وأوجب على عباده الشكر عليه، فلا دلالة فيه على عدم إرادة وراثة المال سواء كان من كلام سليمان أو كلام الملك المنّان.

وقد ظهر بذلك بطلان قوله أخيراً: إنّ ما ذكره الله تعالى من جنود سليمان لا يليق إلاّ بما ذكرنا، بل الأظهر أنّ حشر الجنود من الجن والإنس والطير قرينة على عدم إرادة الملك من قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، فإنّ تلك الجنود لم تكن لداود حتى يرثها سليمان، بل كانت عطيّة مبتدأة من الله تعالى لسليمان عليه السلام، وقد أجرى الله تعالى على لسانه أخيراً الاعتراف بأنّ ما ذكره لا يبطل قول من حمل الآية على وراثة الملك والمال معاً، فإنّه يكفينا في إثبات المدّعى، وسيأتي الكلام في الحديث الذي تمسّك به.

الآية الثالثة: ما يدلّ على وراثة الأولاد والأقارب، كقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[(٢)]، وقد أجمعت الأُمّة على عمومها[(٣)] إلاّ من أخرجه الدليل، فيجب أن يتمسّك بعمومها إلاّ إذا قامت دلالة قاطعة، وقد قال سبحانه عقيب آيات الميراث: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[(٤)]، ولم يقم دليل على خروج النبيّ صلى الله عليه وآله عن حكم الآية، فمن تعدّى حدود الله في نبيّه يدخله الله النار خالداً فيها وله العذاب المهين.

وأجاب المخالفون بأنّ العمومات مخصّصة بما رواه أبو بكر عن النبيّ صلى الله عليه وآله من قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.

قال صاحب المغني: لم يقتصر أبو بكر على رواية حتى استشهد عليه عمر وعثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف فشهدوا به، فكان لا يحلّ لأبي بكر وقد صار الأمر إليه أن يقسّم التركة ميراثاً، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وآله بأنّها صدقة وليس بميراث، وأقلّ ما في الباب أن يكون الخبر من أخبار الآحاد، فلو أنّ شاهدين شهدا في التركة أنّ فيها حقّاً أليس كان يجب أن يصرفه عن الإرث؟ فعلمه بما قال الرسول صلى الله عليه وآله مع شهادة غيره أقوى، ولسنا نجعله مدّعياً؛ لأنّه لم يدّع ذلك

---

(١) النساء: ٧. (٢) النساء: ١١.

(٣) يراجع مثلاً تفسير الكشّاف: ١/٥٠٢، ٥٠٥، والتبيان للشيخ الطوسي ٢/ ١٢٠ ـ ١٢٨،

(٤) النساء: ١٣ ـ ١٤.

لنفسه، وإنّما بيّن أنّه ليس بميراث وأنّه صدقة، ولا يمتنع تخصيص القرآن بذلك كما يخصّ في العبد والقاتل وغيرهما[١].

ويرد عليه: أنّ الاعتماد في تخصيص الآيات إمّا على سماع أبي بكر ذلك الخبر من رسول الله ﷺ ويجب على الحاكم أن يحكم لعلمه، وإمّا على شهادة من زعموهم شهوداً على الرواية، أو على مجموع الأمرين، أو على سماعه من حيث الرواية مع انضمام الباقين إليه. فإن كان الأوّل فيرد عليه وجوه من الإيراد:

الأوّل: ما ذكره السيّد رحمه الله في الشافي من أنّ أبا بكر في حكم المدّعي لنفسه والجارّ إليها نفعاً في حكمه؛ لأنّ أبا بكر وسائر المسلمين سوى أهل البيت عليهم السلام تحلّ لهم الصدقة، ويجوز أن يصيبوا منها، وهذه تهمة في الحكم والشهادة.

ثم قال رحمه الله تعالى: وليس له أن يقول: هذا يقتضي أن لا تقبل شهادة شاهدين في تركة فيها صدقة بمثل ما ذكرتم؛ وذلك لأنّ الشاهدين إذا شهدا بالصدقة فحظّهما منها كحظّ صاحب الميراث، بل سائر المسلمين، وليس كذلك حال تركة الرسول ﷺ؛ لأنّ كونها صدقة يحرّمها على ورثته ويبيحها لسائر المسلمين[٢]. انتهى.

ولعلّ مراده رحمه الله أنّ لحرمان الورثة في خصوص تلك المادّة شواهد على التهمة، بأن كان غرضهم إضعاف جانب أهل البيت عليهم السلام لئلاّ يتمكّنوا من المنازعة في الخلافة ولا يميل الناس إليهم لنيل الزخارف الدنيويّة، فيكثر أعوانهم وأنصارهم، ويظفروا بإخراج الخلافة والإمارة من أيدي المتغلّبين؛ إذ لا يشكّ أحد ممّن نظر في أخبار العامّة والخاصّة في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان في ذلك الوقت طالباً للخلافة مدّعياً لاستحقاقه لها، وأنّه لم يكن انصراف الأعيان والأشراف عنه وميلهم إلى غيره إلاّ لعلمهم بأنّه لا يفضل أحداً منهم على ضعفاء المسلمين، وأنّه يسوّي بينهم في العطاء والتقريب، ولم يكن انصراف سائر الناس عنه إلاّ لقلّة ذات يده، وكون المال والجاه مع غيره.

والأولى أن يقال في الجواب: إنّه لم تكن التهمة لأجل أنّ له حصّة في التركة، بل لأنّه كان يريد أن يكون تحت يده، ويكون حاكماً فيه يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء.

ويؤيّده قول أبي بكر فيما رواه في جامع الأصول من سنن أبي داود عن أبي الطفيل قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها من أبيها، فقال لها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله إذا أطعم نبيّاً طعمة فهو للّذي يقوم من بعده[٣].

ولا ريب في أنّ ذلك ممّا يتعلّق به الأغراض، ويعدّ من جلب المنافع، ولذا لا تقبل شهادة الوكيل فيما هو وكيل فيه والوصيّ فيما هو وصيّ فيه. وقد ذهب قوم إلى عدم جواز الحكم بالعلم

---

(١) المغني: ٢٠/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩. (٢) الشافي: ٤/ ٦٨.

(٣) جامع الأصول: ٩/ ٦٣٩، الحديث ٧٤٤٠ عن سنن أبي داود ٣/ ١٤٤، الحديث ٢٩٧٣.

مطلقاً؛ لأنّه مظنّة التهمة، فكيف إذا قامت القرائن عليه من عداوة ومنازعة وإضعاف جانب ونحو ذلك؟

والعجب أن بعضهم في باب النحلة منعوا - بعد تسليم عصمة فاطمة عليها السلام - جواز الحكم بمجرّد الدعوة وعلم الحاكم بصدقها، وجوّزوا الحكم بأنّ التركة صدقة للعلم بالخبر مع معارضته للقرآن، وقيام الدليل على كذبه.

الثاني: أنّ الخبر معارض للقرآن لدلالة الآية في شأن زكريّا عليه السلام وداود عليه السلام على الوراثة، وليست الآية عامّة حتى يخصّص بالخبر، فيجب طرح الخبر.

لا يقال: إذا كانت الآية خاصّة ينبغي تخصيص الخبر بها، وحمله على غير زكريّا وداود عليهما السلام.

لأنّا نقول: الحكم بخروجهما عن حكم الأنبياء مخالف لإجماع الأُمّة، لانحصارها في الحكم بالإيراث مطلقاً وعدمه مطلقاً، فلا محيص عن الحكم بكذب الخبر وطرحه.

الثالث: أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يرى الخبر موضوعاً باطلاً، وكان عليه السلام لا يرى إلاّ الحقّ والصدق، فلا بدّ من القول بأنّ من زعم أنّه سمع الخبر كاذب.

أمّا الأُولى: فلما رواه مسلم في صحيحه وأورده في جامع الأُصول أيضاً عن مالك بن أوس في رواية طويلة قال: قال عمر لعليّ عليه السلام والعباس... قال أبو بكر: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله]: لا نورث ما تركناه صدقة. فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّه لصادق بارّ راشد تابع للحقّ، ثم توفي أبو بكر فقلت: أنا وليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ووليّ أبو بكر. فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّي لصادق بارّ تابع للحقّ فوليتُها[1].

وعن البخاري في منازعة عليّ عليه السلام والعباس فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله من بني النضير أنّه قال عمر بن الخطاب: فقال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقبضها فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتما حينئذٍ - وأقبل على عليّ عليه السلام والعباس - تزعمان أنّ أبا بكر فيها كذا، والله يعلم أنّه فيها صادق بارّ راشد تابع للحقّ، وكذلك زاد في حقّ نفسه قال: والله يعلم أنّي فيها صادق بارّ راشد تابع للحقّ. إلى آخر الخبر[2].

وقد روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة[3] من كتاب السقيفة عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري مثله بأسانيد.

وأما المقدّمة الثانية: فلما مرّ وسيأتي من الأخبار المتواترة في أنّ عليّاً عليه السلام لا يفارق الحقّ والحقّ لا يفارقه، بل يدور معه حيثما دار.

---

(١) جامع الأُصول: ٢/٧٠٦، الحديث ١٢٠٢ عن صحيح مسلم ٢/١٣٧٧، الحديث ٤٩.
(٢) صحيح البخاري: ٤/١٨٧، الحديث ٣، وراجع ٥/٣ ـ ١٠.
(٣) شرح نهج البلاغة: ١٦/٢٢١ ـ ٢٢٢.

ويؤيّده روايات السفينة والثقلين وأضرابها[1].

الرابع: أنّ فاطمة صلوات الله عليها أنكرت رواية أبي بكر وحكمت بكذبه فيها، ولا يجوز الكذب عليها، فوجب كذب الرواية وراويها.

أمّا المقدّمة الأولى: فلما مرّ في خطبتها وغيرها وسيأتي من شكايتها في مرضها وغيرها، وقد رووا في صحاحهم[2] أنّها صلوات الله عليها انصرفت من عند أبي بكر ساخطة، وماتت عليه واجدة، وقد اعترف بذلك ابن أبي الحديد[3].

وأمّا الثانية: فلما مرّ وسيأتي من عصمتها وجلالتها.

الخامس: أنّه لو كانت تركة الرسول صلى الله عليه وآله صدقة، ولم يكن لها صلوات الله عليها حظّ فيها لبيّن النبيّ صلى الله عليه وآله الحكم لها؛ إذ التكليف في تحريم أخذها يتعلّق بها، ولو بيّنه لها لما طلبتها لعصمتها، ولا يرتاب عاقل في أنّه لو كان بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله لأهل بيته عليهم السلام أنّ تركتي صدقة لا تحلّ لكم لما خرجت ابنته وبضعته من بيتها مستعدية ساخطة صارخة في معشر المهاجرين والأنصار، تعاتب إمام زمانها بزعمكم، وتنسبه إلى الجور والظلم في غصب تراثها، وتستنصر المهاجرة والأنصار في الوثوب عليه وإثارة الفتنة بين المسلمين، وتهييج الشرّ، ولم تستقرّ بعد أمور الإمارة والخلافة.

وقد أيقنت بذلك طائفة من المؤمنين أنّ الخليفة غاصب للخلافة ناصب لأهل الإمامة، فصبّوا عليه اللعن والطعن إلى نفخ الصور وقيام النشور، وكان ذلك من آكد الدواعي إلى شقّ عصا المسلمين وافتراق كلمتهم وتشتّت أُلفتهم، وقد كانت تلك النيران تخمدها بيانُ الحكم لها صلوات الله عليها أو لأمير المؤمنين عليه السلام، ولعلّه لا يجسر من أُوتي حظّاً من الإسلام على القول بأنّ فاطمة صلوات الله عليها مع علمها بأن ليس لها في التركة بأمر الله نصيب، كانت تقدم على مثل ذلك الصنيع، أو كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه مع علمه بحكم الله لم يزجرها عن التظلّم والاستعداء، ولم يأمرها بالقعود في بيتها راضية بأمر الله فيها، وكان ينازع العبّاس بعد موتها ويتحاكم إلى عمر بن الخطاب، فليت شعري هل كان ذلك الترك والإهمال لعدم الاعتناء بشأن بضعته التي كانت يؤذيه ما آذاها ويريبه ما رابها؟ أو بأمر زوجها وابن عمّه وأخيه المساوي لنفسه ومواسيه بنفسه؟ أو لقلّة المبالاة بتبليغ أحكام الله وأمر أُمّته وقد أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً للعالمين؟

السادس: أنّا مع قطع النظر عن جميع ما تقدّم نحكم قطعاً بأنّ مدلول هذا الخبر كاذب باطل، ومن أُسند إليه هذا الخبر لا يجوز عليه الكذب، فلا بدّ من القول بكذب من رواه والقطع بأنّه وضعه وافتراه.

---

(١) انظر: الغدير ٢/ ٣٠١، و٣/ ٦٥ ـ ٨٠، ٢٩٧، و١٠/ ٢٧٨.

(٢) انظر: صحيح مسلم: ٢/ ٧٢، ومسند أحمد ١/ ٦، ٧٩ وسنن البيهقي ٦/ ٣٠٠، وكثيراً غيرها.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٥٣.

أمّا المقدّمة الثانية: فغنيّة عن البيان.

وأمّا الأولى: فبيانها أنّه قد جرت عادة الناس قديماً وحديثاً بالإخبار عن كلّ ما جرى بخلاف المعهود بين كافة الناس وخرج عن سنن عاداتهم، سيّما إذا وقع في كلّ عصر وزمان، وتوفّرت الدواعي إلى نقله وروايته، ومن المعلوم لكلّ أحد أنّ جميع الأمم على اختلافهم في مذاهبهم يهتمون بضبط أحوال الأنبياء عليهم السلام وسيرتهم وأحوال بلادهم وما يجري عليهم بعد آبائهم، وضبط خصائصهم وما يتفرّدون به عن غيرهم، ومن المعلوم أيضاً أنّ العادة قد جرت من يوم خلق الله الدنيا وأهلها إلى زمان انقضاء مدّتها وفنائها بأن يرث الأقربون من الأولاد وغيرهم أقاربهم وذوي أرحامهم، وينتفعوا بأموالهم وما خلّفوه بعد موتهم، ولا شكّ لأحد في أنّ عامّة الناس عالمهم وجاهلهم وغنيّهم وفقيرهم وملوكهم ورعاياهم يرغبون إلى كلّ ما نسب إلى ذي شرف وفضيلة، ويتبرّكون به، ويحرزه الملوك في خزائنهم، ويوصون به لأحبّ أهلهم، فكيف بسلاح الأنبياء وثيابهم وأمتعتهم؟ ألا ترى إلى الأعمى إذا أبصر في مشهد من المشاهد المشرّفة أو توهّمت العامّة أنّه أبصر اقتطعوا ثيابه، وتبرّكوا بها، وجعلوها حرزاً من كلّ بلاء؟

إذا تمهّدت المقدّمات فنقول: لو كان ما تركه الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله صدقة، لقسّمت بين الناس بخلاف المعهود من توارث الآباء والأولاد وسائر الأقارب، ولا يخلو الحال إمّا أن يكون كلّ نبيّ يبيّن هذا الحكم لورثته بخلاف نبيّنا صلى الله عليه وآله، أو يتركون البيان كما تركه صلى الله عليه وآله، فيجري على سنّة الذين خلوا من قبله من أنبياء الله عليهم السلام.

فإن كان الأوّل فمع أنّه خلاف الظاهر كيف خفي هذا الحكم على جميع أهل الملل والأديان، ولم يسمعه أحد إلاّ أبو بكر ومن يحذو حذوه؟ ولم ينقل أحد أنّ عصا موسى عليه السلام انتقلت على وجه الصدقة إلى فلان، وسيف سليمان عليه السلام صار إلى فلان، وكذا ثياب سائر الأنبياء وأسلحتهم وأدواتهم فُرّقت بين الناس ولم يكن في ورثة أكثر من مئة ألف نبي قوم ينازعون في ذلك، وإن كان بخلاف حكم الله عزّ وجلّ، وقد كان أولاد يعقوب عليه السلام مع علوّ قدرهم يحسدون على أخيهم ويلقونه في الجبّ لما رأوه أحبّهم إليه، أو وقعت تلك المنازعة كثيراً ولم ينقلها أحد في الملل السابقة وأرباب السير مع شدّة اعتنائهم بضبط أحوال الأنبياء وخصائصهم، وما جرى بعدهم كما تقدّم.

وإن كان الثاني فكيف كانت حال ورثة الأنبياء؟ أكانوا يرضون بذلك ولا ينكرون؟ فكيف صارت ورثة الأنبياء جميعاً يرضون بقول القائمين بالأمر مقام الأنبياء ولم ترض به سيّدة النساء؟ أو كانت سنّة المنازعة جارية في جميع الأمم ولم ينقلها أحد ممّن تقدّم ولا ذكر من انتقلت تركات الأنبياء إليهم؟! إنّ هذا لشيء عجاب!

وأعجب من ذلك أنّهم ينازعون في وجود النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام مع كثرة الناقلين له من يوم السقيفة إلى الآن، ووجود الأخبار في صحاحهم، وادّعاء الشيعة تواتر ذلك من أوّل الأمر إلى الآن، ويستندون في ذلك إلى أنّه لو كان حقّاً لما خفي ذلك لتوفّر الدواعي إلى نقله وروايته.

فانظر بعين الإنصاف أنّ الدواعي لشهرة أمر خاصّ ليس الشاهد له إلاّ قوم مخصوصون من أهل قرن معيّن أكثر، أم لشهرة أمر قلّ زمان من الأزمنة من لدن آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله عن

وقوعه فيه؟ مع أنّه ليس يدعو إلى كتمانه وإخفائه في الأمم السالفة داع، ولم يذكره رجل في كتاب، ولم يسمعه أحد من أهل ملّة.

ولعمري لا أشكّ في أنّ من لزم الإنصاف، وجانب المكابرة والاعتساف، وتأمّل في مدلول الخبر، وأمعن النظر، يجزم قطعاً بكذبه وبطلانه.

وإن كان القسم الثاني، وهو أن يكون اعتماد أبي بكر في تخصيص الآيات بالخبر من حيث رواية الرواة له دون علمه بأنّه من كلام الرسول ﷺ لسماعه بأذنه، فيرد عليه أيضاً وجوه من النظر:

الأول: أنّ ما ذكره قاضي القضاة من أنّه شهد بصدق الرواية في أيّام أبي بكر: عمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن، باطل غير مذكور في سيرة ورواية من طرقهم وطرق أصحابنا، وإنّما المذكور في رواية مالك بن أوس التي رووها في صحاحهم أنّ عمر بن الخطّاب لمّا تنازع عنده أمير المؤمنين عليه السلام والعباس استشهد نفراً فشهدوا بصدق الرواية، ولنذكر ألفاظ صحاحهم في رواية مالك بن أوس على اختلافها، حتى يتّضح حقيقة الحال.

روى البخاري[1] ومسلم[2] وأخرجه الحميدي وحكاه في جامع الأصول في الفرع الرابع من كتاب الجهاد من حرف الجيم عن مالك أنّه قال: أرسل إليّ عمر فجئته حين تعالى النهار، قال: فوجدته في بيته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله متّكئاً على وسادة من أُدم، فقال لي: يا مال، إنّه قد دفّ أهل أبيات قومك، وقد أمرت فيهم برضخ، فخذه، فاقسم بينهم. قال: قلت: لو أمرت بهذا غيري. قال: خذه يا مال. قال: فجاء يرفاه، فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد؟ فقال عمر: نعم. فأذن لهم، فدخلوا، ثم جاء فقال: هل لك في عباس وعليّ؟ قال: نعم. فأذن لهما، فقال العباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا. فقال القوم: أجَل يا أمير المؤمنين فاقض بينهم وأرحهم.

قال مالك بن أوس: فخيّل إليّ أنّهم قد كانوا قدموهم لذلك. فقال عمر: اتئدوا أُنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة؟ قالوا: نعم. ثم أقبل على العباس وعليّ قال: أُنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمان أنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة؟ قالا: نعم. إلى آخر الخبر[3].

ثم حكى في جامع الأصول عن البخاري ومسلم أنه قال عمر لعليّ عليه السلام: قال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: لا نورث ما تركناه صدقة. فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً... وتزعمان أنه فيها كذا[4]. كما نقلنا سابقاً.

---

(١) صحيح البخاري: ١٢/ ٤ ـ ٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب حكم الفيء، الحديث ١٧٥٧.

(٣) جامع الأصول: ٢/ ٦٩٧ ـ ٦٩٨، الحديث ١٢٠٢.

(٤) جامع الأصول: ٢/ ٧٠١ ـ ٧٠٣، عن صحيح البخاري ١٢/ ٤ ـ ٥، كتاب الفرائض، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب حكم الفيء، الحديث ١٧٥٧.

وحكى في جامع الأُصول عن أبي داود أنّه قال أبو البختري: سمعت حديثاً من رجل فأعجبني، فقلت: اكتبه لي. فأتى به مكتوباً مدبّراً: دخل العباس وعليّ على عمر - وعنده طلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد - وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد: ألم تعلموا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: كلّ مال النبيّ صدقة إلاّ ما أطعمه أهله أو كساهم، إنّا لا نورث؟! قالوا: بلى[1]...

توضيح[2]: قوله: مفضِياً إلى رماله، أي: ملقياً نفسه على الرمال لا حاجز بينهما.. ورمال السّرير بالكسر: ما رُمل، أي: نُسج، جمع رَمْلٍ بمعنى مرمولٍ كالخلق بمعنى المخلوق. والمراد به أنّه كان السّرير قد نسج وجهه بالسّعف ولم يكن على السّرير وطاءٌ سوى الحصير. والوسادة: المخدَّة. ودفَّ أهل أبيات: أي دخلوا المصر، يقال: دفَّ دافَّةٌ من العرب. والرَّضخ بالضاد والخاء المعجمتين: العطاء القليل. ويرفأ بالراء والفاء والهمزة، على صيغة المضارع كيمنع: علم، مولى عمر بن الخطّاب. واتَّئد: أمرٌ من التُّؤدَة، أي: التَّأنّي والتّثبّت.. ومدبراً: أي مسنداً. وألفاظ باقي الأُصول مذكورة في جامع الأُصول.

ولا يذهب على ذي فطنة أنّ شهادة الأربعة التي تضمّنتها الرواية الأولى والثانية على اختلافهما لم يكن من حيث الرواية والسماع عن الرسول صلّى الله عليه وآله، بل لثبوت الرواية عندهم بقول أبي بكر، بقرينة أنّ عمر ناشد عليّاً عليه السلام والعباس: أتعلمان أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة؟ فقالا: نعم... وذلك لأنّه لا يقدر أحد في ذلك الزمان على تكذيب تلك الرواية، وقد قال عمر في آخر الرواية: رأيتماه - يعني أبا بكر - كاذباً آثماً غادراً خائناً.. وكذا في حقّ نفسه.

والعجب أنّ القاضي لم يجعل عليّاً عليه السلام والعباس شاهدين على الرواية مع تصديقهما كما صدّق الباقون، بل جميع الصحابة؛ لأنّهم يشهدون بصدقهما.

وقال ابن أبي الحديد - بعد حكاية كلام السيّد رحمه الله - في أنّ الاستشهاد كان في خلافة عمر دون أبي بكر، وأنّ معوّل المخالفين على إمساك الأُمّة عن النكير على أبي بكر دون الاستشهاد، ما هذا لفظه: قلت: صدق المرتضى رحمه الله فيما قال، أمّا عقيب وفاة النبي صلّى الله عليه وآله ومطالبة فاطمة عليها السلام بالإرث فلم يروِ الخبر إلاّ أبو بكر وحده، وقيل: إنّه رواه معه مالكُ بن أوس بن الحدثان، وأمّا المهاجرون الذين ذكرهم قاضي القضاة فقد شهدوا بالخبر في خلافة عمر، وقد تقدّم ذكرُ ذلك[3].

وقال - في الموضع المتقدم الذي أشار إليه وهو الفصل الذي ذكر فيه روايات أبي البختريّ على ما رواه أحمد بن عبد العزيز الجوهري - بإسناده عنه - قال: جاء عليّ والعباس إلى عمر وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد: أُنشدُكم الله، أسمعتم رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: كلّ مال نبيّ فهو صدقة إلاّ ما أطعمه أهله، إنّا لا نورث؟! فقالوا: نعم. قال: فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يتصدّق به ويقسم فضله، ثم توفّي فوليه أبو بكر سنتين يصنع فيه ما كان يصنعُ رسول

---

(١) جامع الأُصول: ٣/ ٣١١ عن سنن أبي داود، الحديث ٢٩٧٥.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٤٥.

الله ﷺ وسلّم وأنتما تقولان: إنّه كان بذلك خاطئاً، وكان بذلك ظالماً؟ وما كان بذلك إلاّ راشداً، ثم وليته بعد أبي بكر فقلت لكما: إن شئتما قبلتماه على عمل رسول الله ﷺ وسلّم وعهده الذي عهد فيه. فقلتما: نعم. وجئتماني الآن تختصمان، يقول هذا: أُريد نصيبي من ابن أخي، ويقول هذا: أُريد نصيبي من امرأتي! والله لا أقضي بينكما إلاّ بذلك(١).

قال ابن أبي الحديد: قلت: هذا مشكل؛ لأنّ أكثر الروايات أنّه لم يرو هذا الخبر إلاّ أبو بكر وحده، ذكر ذلك معظم المحدّثين، حتى إنّ الفقهاء في أُصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم بالخبر برواية الصحابيّ الواحد. وقال شيخنا أبو عليّ: لا يقبل في الرواية إلاّ رواية اثنين كالشهادة، فخالفه المتكلّمون والفقهاء كلّهم، واحتجّوا عليه بقول الصحابة رواية أبي بكر وحده، قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث. . حتى إنّ بعض أصحاب أبي عليّ تكلّف لذلك جواباً فقال: قد روي أنّ أبا بكر يوم حاجّ فاطمة عليها السلام، قال: أنشدُ الله امرأً سمع من رسول الله ﷺ وسلّم، وهذا الحديث ينطق بأنّه استشهد عمر طلحة والزبير وعبد الرحمن وسعداً، فقالوا: سمعناه من رسول الله ﷺ. فأين كانت هذه الروايات أيّام أبي بكر؟ ما نقل أنّ أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمة عليها السلام وأبي بكر روى من هذا شيئاً(٢). انتهى.

فظهر أنّ قول هذا القاضي ليس إلاّ شهادة زور، ولو كان لما ذكره من استشهاد أبي بكر مستند لأشار إليه كما هو الدأب في مقام الاحتجاج.

وأمّا هذه الرواية التي رواها ابن أبي الحديد، فمع أنّها لا تدلّ على الاستشهاد في خلافة أبي بكر فلا تخلو من تحريف، لما عرفت من أنّ لفظ رواية أبي البختري على ما رواه أبو داود، وحكاه في جامع الأُصول: ألم تعلموا أنّ رسول الله ﷺ قال: كلّ مال النبيّ صدقة، لا: أسمعتم رسول الله ﷺ. . كما رواه الجوهري، على أنه لا يقوم فيما تفرّدوا به من الأخبار حجّة علينا، وإنّما الاحتجاج بالمتّفق عليه، أو ما اعترف به الخصم، والاستشهاد على الرواية لم يثبت عندنا لا في أيّام أبي بكر ولا في زمن عمر.

ثم أورد السيّد رحمه الله على كلام صاحب المغني: بأنّا لو سلّمنا استشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجّة؛ لأنّ الخبر على كلّ حال لا يخرج من أن يكون غير موجب للعلم، وهو في حكم أخبار الآحاد، وليس يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن بما يجري هذا المجرى؛ لأنّ المعلوم لا يخصّ إلاّ بمعلوم.

قال: على أنّه لو سلّم لهم أنّ الخبر الواحد يعمل به في الشرع لاحتاجوا إلى دليل مستأنف، على أنّه يقبل في تخصيص القرآن؛ لأنّ ما دلّ على العمل به في الجملة لا يتناول هذا الموضع، كما لا يتناول جواز النسخ به(٣).

وتحقيق هاتين المسألتين من وظيفة أُصول الفقه.

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/٢٢٧ ـ ٢٢٨. (٢) شرح نهج البلاغة ١٦/٢٢٧ ـ ٢٢٨.
(٣) الشافي: ٤/٦٦ ـ ٦٧.

والثاني: أنّ رواة الخبر كانوا متّهمين في الرواية بجلب النفع من حيث حلّ الصدقة عليهم كما تقدّم في القسم الأوّل، وما أجاب به شارح كشف الحقّ من الفرق بين الرواية والشهادة، وأنّ التهمة إنّما تضرّ في الشهادة دون الرواية، فسخيف جداً ولم يقل أحد بهذا الفرق غيره.

الثالث والرابع: ما تقدّم في الإيراد الثالث والرابع من القسم الأوّل.

والخامس: ما تقدّم من وجوب البيان للورثة.

السادس: ما تقدّم في السادس.

وأمّا القسم الثالث: وهو أن يكون مناط الحكم على علم أبي بكر مع شهادة النفر، وكذلك الرابع: وهو أن يكون الاعتماد على روايته معهم، فقد ظهر بطلانهما ممّا سبق، فإنّ المجموع وإن كان أقوى من كلّ واحد من الجزئين إلاّ أنّه لا يدفع التهمة ولا مناقضة الآيات الخاصّة ولا باقي الوجوه السابقة.

وقد ظهر بما تقدّم أنّ الجواب عن قول أبي عليّ: أتعلمون كذب أبي بكر أم تجوّزون صدقه؟ - وقد علم أنّه لا شيء يعلم به كذبه قطعاً، فلا بدّ من تجويز كونه صادقاً، كما حكاه في المغني -: هو أنّا نعلم كذبه قطعاً، والدليل عليه ما تقدّم من الوجوه الستّة المفصّلة، وأنّ تخصيص الآيات بهذا الخبر ليس من قبيل تخصيصها في القاتل والعبد كما ذكره قاضي القضاة؛ إذ مناط الثاني روايات معلومة الصدق، والأوّل خبر معلوم الكذب، وقد سبق في خطبة فاطمة صلوات الله عليها استدلالها بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1]، وبثلاث من الآيات السابقة، وهو يدلّ مجملاً على بطلان ما فصّلوه من الأجوبة.

ثمّ إن بعض الأصحاب حمل الرواية على وجه لا يدلّ على ما فهم منها الجمهور، وهو أن يكون: ما تركنا صدقة، مفعولاً ثانياً للفعل، أعني: نورث، سواء كان بفتح الراء على صيغة المجهول من قولهم: ورثت أبي شيئاً، أو بكسرها من قولهم: أورثه الشيء أبوه، وأمّا بتشديد الراء، فالظاهر أنّه لحن، فإنّ التوريث إدخال أحد في المال على الورثة كما ذكره الجوهري[2]، وهو لا يناسب شيئاً من المحامل، ويكون صدقه منصوباً على أن يكون مفعولاً لتركنا، والاعراب لا تضبط في أكثر الروايات، ويجوز أن يكون النبيّ ﷺ وقف على الصدقة فتوهّم أبو بكر أنّه بالرفع، وحينئذٍ يدلّ على أنّ ما جعلوه صدقة في حال حياتهم لا ينتقل بموتهم إلى الورثة، أي: ما نووا فيه الصدقة من غير أن يخرجوه من أيديهم لا يناله الورثة حتى يكون للحكم اختصاص بالأنبياء عليهم السلام، ولا يدلّ على حرمان الورثة ممّا تركوه مطلقاً.

والحقّ أنّه لا يخلو عن بعد، ولا حاجة لنا إليه لما سبق. وأما الناصرون لأبي بكر فلم يرضوا به وحكموا ببطلانه، وإن كان لهم فيه التخلّص عن القول بكذب أبي بكر، فهو إصلاح لم يرض به أحد المتخاصمين، ولا يجري في بعض رواياتهم.

---

(١) الأنفال: ٧٥.

(٢) الصحاح: ١/٢٩٦.

واعلم: أنّ بعض المخالفين استدلّوا على صحّة الرواية وما حكم به أبو بكر بترك الأمّة النكيرَ عليه، وقد ذكر السيّد الأجل رحمه الله في الشافي كلامهم ذلك على وجه السؤال وأجاب عنه بقوله[1]:

فإن قيل: إذا كان أبو بكر قد حكم بخطأ في دفع فاطمة عليها السلام من الميراث واحتجّ بخبر لا حجّة فيه، فما بال الأمّة أقرّته على هذا الحكم ولم تنكر عليه، وفي رضاها وإمساكها دليل على صوابه؟!

قلنا: قد مضى أنّ ترك النكير لا يكون دليل الرضا إلاّ في الموضع الذي لا يكون له وجه سوى الرضا، وبينّا في الكلام على إمامة أبي بكر هذا الموضوع بياناً شافياً.

وقد أجاب أبو عثمان الجاحظ في كتاب العباسيّة عن هذا السؤال جواباً جيّد المعنى واللفظ، نحن نذكره على وجهه ليقابل بينه وبين كلامه في العثمانيّة وغيرها، قال: وقد زعم ناس أنّ الدليل على صدق خبرهما - يعني أبا بكر وعمر - في منع الميراث وبراءة ساحتهما تركُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم النكير عليهما. . . ثم قال: فيقال لهم: لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ليكوننّ ترك النكير على المتظلّمين منهما والمحتجين عليهما والمطالبين لهما بدليل دليلاً على صدق دعواهم واستحسان مقالتهم، لا سيّما وقد طالت المشاحّات، وكثرت المراجعة والملاحاة، وظهرت الشكيمة، واشتدّت المؤجِدة، وقد بلغ ذلك من فاطمة عليها السلام حتى إنّها أوصت أن لا يصلّي عليها أبو بكر، وقد كانت قالت له حين أتته طالبةً بحقّها ومحتجّة برهطها: من يرثك يا أبا بكر إذا متّ؟ قال: أهلي وولدي. قالت: فما بالنا لا نرث النبيّ صلّى الله عليه [وآله]؟! فلمّا منعها ميراثها، وبخسها حقّها، واعتلّ عليها، ولجّ في أمرها، وعاينت التهضّم، وأيست من النزوع، ووجدت مسّ الضّعف وقلّة الناصر، قالت: والله لأدعونّ الله عليك. قال: والله لأدعونّ الله لك. قالت: والله لا أُكلّمك أبداً. قال: والله لا أهجرك أبداً. . فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعه، إنّ في ترك النكير على فاطمة عليها السلام دليلاً على صواب طلبها، وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلتْ، وتذكيرها ما نسيت، وصرفها عن الخطأ، ورفع قدرها عن البذاء وأن تقول هجراً، أو تجوّر عادلاً، أو تقطع واصلاً، فإذا لم نجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأُمور واستوت الأسباب، والرجوع إلى أصل حكم الله في المواريث أولى بنا وبكم، وأوجبُ علينا وعليكم.

وإن قالوا: كيف يظنّ ظلمها والتعدّي عليها، وكلّما ازدادت فاطمة عليها السلام عليه غلظةً ازداد لها ليناً ورقّة؟ حيث تقول: والله لا أُكلّمك أبداً، فيقول: والله لا أهجرك أبداً، ثم تقول: والله لأدعونّ الله عليك، فيقول: والله لأدعونّ الله لك. ثم يحتمل هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة، وبحضرة قريش والصحابة، مع حاجة الخلافة إلى البهاء والرفعة، وما يجب لها من التنويه والهيبة، ثم لم يمنعه ذلك أن قال معتذراً أو متقرّباً، كلام المعظّم لحقّها، المكبر لمقامها، والصائن لوجهها، والمتحنّن عليها: ما أحدٌ أعزّ عليّ منك فقراً، ولا أحبّ إليّ منك غنىً، ولكن سمعت

---

(١) الشافي: ٤/ ٨٤.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول: إنّا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة!

قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءة من الظّلم، والسلامة من الجور، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم وذلّة المنتصف، وجدة الوامق، ومِقَة المحقّ.

وكيف جعلتم ترك النكير حجّة قاطعة ودلالة واضحة، وقد زعمتم أنّ عمر قال على منبره: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله: متعة النساء ومتعة الحجّ، أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما[1]... فما وجدتم أحداً أنكر قوله، ولا استشنع مخرج نهيه، ولا خطّأه في معناه، ولا تعجّب منه ولا استفهمه؟!

وكيف تقضون بترك النكير؟ وقد شهد عمر يوم السّقيفة وبعد ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: الأئمّة من قريش... ثمّ قال في مكانه: لو كان سالم حيّاً ما خالجني فيه شكّ[2]... حين أظهر الشكّ في استحقاق كلّ واحد من الستّة الذين جعلهم شورى، وسالمٌ عبدٌ لامرأة من الأنصار وهي أعتقته وحازت ميراثه، ثم لم ينكر ذلك من قريش قوله منكر، ولا قابل إنسان بين قوليه، ولا تعجّب منه.. وإنّما يكون ترك النّكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وثواب عمله، فأمّا ترك النّكير على من يملك الضّعة والرّفعة، والأمر والنهي، والقتل والاستحياء، والحبس والإطلاق، فليس بحجّة تشفي، ولا دليل يغني.

قال: وقال آخرون: بل الدليل على صدق قولهما وصواب عملهما، إمساك الصحابة عن خلعهما والخروج عليهما، وهم الذين وثبوا على عثمان في أيسر من جَحْد التنزيل، وردّ النصوص، ولو كانوا كما يقولون ويصفون ما كان سبيل الأمّة فيهما إلاّ كسبيلهم فيه، وعثمان كان أعزّ نفراً، وأشرف رهطاً، وأكثر عدداً، وثروة، وأقوى عُدّة.

قلنا: إنّهما لم يجحدا التنزيل ولم ينكرا المنصوص، ولكنّهما بعد إقرارهما بحكم الميراث وما عليه الظاهر من الشريعة ادّعيا روايةً، وتحدّثا بحديث لم يكن محالاً كونه، ولا يمتنع في حجج العقول مجيئه، وشهد لهما عليه من علّته مثل علّتهما فيه، ولعلّ بعضهم كان يرى التصديق للرجل إذا كان عدلاً في رهطه، مأموناً في ظاهره، ولم يكن قبل ذلك عرفه بفجرة، ولا جرب عليه غدرة، فيكون تصديقه له على جهة حسن الظنّ وتعديل الشاهد؛ ولأنّه لم يكن كثيرٌ منهم يعرف حقائق الحجج، والذي يقطع بشهادته على الغيب، وكان ذلك شبهة على أكثرهم، فلذلك قلّ النّكير، وتواكل الناس، واشتبه الأمر، فصار لا يتخلّص إلى معرفة حقّ ذلك من باطله إلاّ العالم المتقدّم، والمؤيّد المرشد؛ ولأنّه لم يكن لعثمان في صدور العوام، وفي قلوب السّفِلة والطّغام ما كان لهما من الهيبة والمحبّة؛ ولأنّهما كانا أقلّ استئثاراً بالفيء، وأقلّ تفكّهاً بمال الله منه، ومن شأن الناس إهمال السلطان ما وفّر عليهم أموالهم، ولا يستأثر بخراجهم، ولم يعطّل ثغورهم؛ ولأنّ الذي صنع

(١) أحكام القرآن للجصاص: ١/٣٤٢، ٣٤٥، و٢/١٨٤، وتفسير القرطبي ٢/٣٧٠.
(٢) الطبقات لابن سعد: ٣/٢٤٨، والاستيعاب ٢/٥٦١.

أبو بكر من منع العترة حظّها والعمومة ميراثها، قد كان موافقاً لجلّة قريش ولكبراءِ العرب؛ ولأنّ عثمان أيضاً كان مضعوفاً في نفسه مستخفّاً بقدره، لا يمنع ضيماً ولا يقمع عدوّاً، ولقد وثب ناس على عثمان بالشتم والقذف والتشنيع والتنكير، لأمور لو أتى عمر أضعافها وبلغ أقصاها، لما اجترأوا على اغتيابه فضلاً عن مباداته والإغراء به ومواجهته، كما أغلظ عيينة بن حصن له، فقال له: أما إنّه لو كان عمر لقمعك ومنعك؟ فقال عيينة: إنّ عمر كان خيراً لي منك، أرهبني فأبقاني.

ثم قال: والعجب أنّا وجدنا جميع من خالفنا في الميراث على اختلافهم في التشبيه والقدر والوعيد يردّ كلّ صنف منهم من أحاديث مخالفيه وخصومه ما هو أقرب استناداً، وأوضح رجالاً، وأحسن اتّصالاً، حتّى إذا صاروا إلى القول في ميراث النبيّ ﷺ وسلّم نسخوا الكتاب، وخصّوا الخبر العام بما لا يداني بعض ما رووه، وأكذبوا ناقليه؛ وذلك أنّ كلّ إنسان منهم إنّما يجري إلى هواه، ويصدق ما وافق رضاه[1]... هذا آخر كلام الجاحظ.

ثم قال السيّد رحمه الله: فإن قيل: ليس ما عارض به الجاحظ من الاستدلال بترك النكير، وقوله: كما لم ينكروا على أبي بكر فلم ينكروا أيضاً على فاطمة عليها السلام ولا غيرها من المطالبين بالميراث كالأزواج وغيرهنّ، معارضة صحيحة؛ وذلك أنّ نكير أبي بكر لذلك ودفعه والاحتجاج عليه يكفيهم ويغنيهم عن تكلّف نكير، ولم ينكر على أبي بكر ما رواه منكر فيستغنوا بإنكاره. قلنا: أوّل ما يُبطل هذا السؤال أنّ أبا بكر لم ينكر عليها ما أقامت عليه بعد احتجاجها بالخبر من التظلّم والتألّم، والتعنيف والتبكيت، وقولها على ما رُوي: والله لأدعونّ الله عليك، ولا كلّمتك أبداً... وما جرى هذا المجرى، فقد كان يجب أن ينكره غيره، فمن المنكر الغضب على المنصف. وبعد.. فإن كان إنكار أبي بكر مقنعاً أو مغنياً عن إنكار غيره من المسلمين، فإنكار فاطمة عليها السلام حكمه، ومقامها على التظلّم منه يغني عن نكير غيرها، وهذا واضح لمن أنصف من نفسه[2]. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

الخامسة: قال ابن أبي الحديد: اعلم أنّ الناس يظنّون أنّ نزاع فاطمة عليها السلام أبا بكر كان في أمرين: في الميراث والنّحلة، وقد وجدتُ في الحديث أنّها نازعت في أمر ثالث، ومنعها أبو بكر إيّاه أيضاً، وهو سهم ذي القربى.

روى أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن أنس: أنّ فاطمة عليها السلام لما أتت أبا بكر فقالت: قد علمت الذي حرّم علينا أهل البيت من الصدقات، وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى... ثم قرأت عليه قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾... الآية[3].

فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأُمّي ووالدِ ولدك، السمع والطاعة لكتاب الله ولحقّ رسوله ﷺ وحقّ قرابته، وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرئين، ولم يبلغ علمي منه أنّ هذا السّهم من الخمس مسلّم إليكم كاملاً. قالت: أملكٌ هو لك ولأقربائك؟! قال: لا، بل أُنفق عليكم منه وأصرف الباقي

(١) رسائل الجاحظ: ٣٠٠. (٢) الشافي: ٤/ ٨٤ـ ٩٠.
(٣) الأنفال: ٤١.

في مصالح المسلمين. قالت: ليس هذا بحكم الله تعالى. فقال: هذا حكم الله، فإن كان رسول الله ﷺ عهد إليك في هذا عهداً صدّقتك وسلّمته كلّه إليك وإلى أهلك. قالت: إنّ رسول الله ﷺ لم يعهد إليّ في ذلك بشيءٍ، إلاّ أنّي سمعته يقول لمّا أُنزلت هذه الآية: أبشروا آل محمّد فقد جاءكم الغنى... قال أبو بكر: لم يبلغ [علمي] من هذه الآية أن أُسلّم إليكم هذا السّهم كلّه كاملاً، ولكن لكم الغنى الذي يغنيكم ويفضل عنكم، وهذا عمر بن الخطّاب وأبو عبيدة بن الجرّاح وغيرهما فاسأليهم عن ذلك وانظري هل يوافقك على ما طلبت أحد منهم؟ فانصرفت إلى عمر فقالت له مثلما قالت لأبي بكر، فقال لها مثل ما قال لها أبو بكر، فتعجّبت فاطمة عليها السلام من ذلك وتظنّت أنّهما قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه.

ثم قال: قال أحمد بن عبد العزيز: حدّثنا أبو زيد بإسناده إلى عروة، قال: أرادت فاطمة عليها السلام أبا بكر على فدك وسهم ذي القربى، فأبى عليها وجعلهما في مال الله تعالى.

ثم روى عن الحسن بن عليّ عليه السلام: أنّ أبا بكر منع فاطمة عليها السلام وبني هاشم سهم ذي القربى وجعلها في سبيل الله في السّلاح والكراع.

ثم روى بإسناده عن محمّد بن إسحاق قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام قلت: أرأيت عليّاً عليه السلام حين ولي العراق وما ولي من أمر الناس، كيف صنع في سهم ذي القربى؟ قال: سلك بهم طريق أبي بكر وعمر. قلت: كيف، ولم، وأنتم تقولون ما تقولون؟ قال: أما والله ما كان أهله يصدرون إلاّ عن رأيه. فقلت: فما منعه؟ قال: يكره أن يدّعى عليه مخالفة أبي بكر وعمر[1]. انتهى ما أخرجه ابن أبي الحديد من كتاب أحمد بن عبد العزيز.

وروى في جامع الأُصول من سنن أبي داود عن جبير بن مطعم أنّ رسول الله ﷺ وسلّم لم يكن يقسم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل من الخمس شيئاً كما قسم لبني هاشم، قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله ﷺ وسلّم غير أنّه لم يكن يعطي منه قربى رسول الله ﷺ وسلّم كما يعطيهم رسول الله ﷺ وسلّم، وكان عمر يعطيهم ومن كان بعده منهم.

وروى مثله بسند آخر عن جبير بن مطعم.

ثم قال: وفي أُخرى له والنسائي[2]: لمّا كان يوم خيبر وضع رسول الله ﷺ سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب.

ثم قال: وأخرج النسائي أيضاً بنحو من هذه الروايات من طرق متعدّدة بتغيير بعض ألفاظها واتّفاق المعنى[3]. وروى أيضاً عن أبي داود بإسناده عن يزيد بن هرمز أنّ ابن الزبير أرسل إلى ابن العباس يسأله عن سهم ذي القربى لمن يراه؟ فقال له: لقربى رسول الله صلّى الله عليه [وآله]، قسمه رسول الله لهم وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقّنا ورددناه عليه وأبينا أن

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢.

(٢-٣) جامع الأُصول: ٣/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ عن سنن النسائي ٧/ ١٣٠ ـ ١٣١ في كتاب الفيء.

نقبله[١]. وروى مثله عن النسائي أيضاً، وقال: وفي أخرى له مثل أبي داود، وفيه: وكان الذي عرض عليهم أن يعين ناكحهم، ويقضي عن غارمهم، ويعطي فقيرهم، وأبى أن يزيدهم على ذلك[٢].

وروى العياشي في تفسيره[٣] رواية ابن عباس ورويناه في موضع آخر.

وروى أيضاً عن أبي جميلة عن بعض أصحابه عن أحدهما عليه السلام قال: قد فرض الله الخمس نصيباً لآل محمّد عليهم السلام فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم حسداً وعداوة، وقد قال الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٤].

والأخبار من طريق أهل البيت عليهم السلام في ذلك أكثر من أن تحصى، وسيأتي بعضها في أبواب الخمس والأنفال إن شاء الله تعالى[٥].

فإذا اطّلعت على ما نقلناه من الأخبار من صحاحهم نقول: لا ريب في دلالة الآية على اختصاص ذي القربى بسهم خاصّ سواء كان هو سدس الخمس كما ذهب إليه أبو العالية وأصحابنا ورووه عن أئمّتنا عليهم السلام وهو الظاهر من الآية كما اعترف به البيضاوي[٦] وغيره.. أو خمس الخمس لاتّحاد سهم الله وسهم رسوله صلى الله عليه وآله، وذكر الله للتعظيم كما زعم ابن عباس وقتادة وعطاء[٧].. أو ربع الخمس والأرباع الثلاثة الباقية للثلاثة الأخيرة كما زعمه الشافعي[٨].. وسواء كان المراد بذي القربى أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله في حياته وبعده الإمام من أهل البيت عليهم السلام كما ذهب إليه أكثر أصحابنا[٩].. أو جميع بني هاشم كما ذهب إليه بعضهم[١٠] - وعلى ما ذهب إليه الأكثر يكون دعوى فاطمة عليها السلام نيابة عن أمير المؤمنين عليه السلام تقيّة - أو كان المراد بني هاشم وبني المطلب كما زعمه الشافعي[١١]، أو آل عليّ وعقيل وآل عبّاس وولد الحارث بن عبد المطلب كما قال أبو حنيفة[١٢].

وعلى أيّ حال، فلا ريب أيضاً في أنّ الظاهر من الآية تساوي الستّة في السهم، ولم يختلف

---

(١) جامع الأصول: ٣/ ٢١٨ عن سنن أبي داود، برقم ٢٩٧٨ ـ ٢٩٨٠.
(٢) جامع الأصول: ٣/ ٢٩٩ عن سنن النسائي ٧/ ١٢٨ ـ ١٢٩، وسنن أبي داود، برقم ٢٩٨٢.
(٣) تفسير العياشي: ٢/ ٦١، الحديث ٥٢.
(٤) تفسير العياشي: ١/ ٣٢٥، الحديث، ١٣٠، والآية ٤٧ من سورة المائدة.
(٥) بحار الأنوار: ٩٦/ ١٩١، ١٩٦ ـ ٢١٣.
(٦) تفسير البيضاوي: ١/ ٣٨٤.
(٧) التفسير الكبير: ١٥/ ١٦٥، وانظر مجمع البيان ٤/ ٥٤٣ ـ ٥٤٥ وغيرهما.
(٨) بداية المجتهد: ١/ ٤٠٧، وفيه تقسيم الشافعي للخمس إلىٰ خمسة أقسام.
(٩) الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة: ٢/ ٧٨ ـ ٨٢، وجامع المقاصد ٣/ ٥٣ ـ ٥٥، وغيرهما.
(١٠) الجواهر: ١٦/ ٨٦ ـ ٨٩، وغيره.
(١١) السراج الوهّاج: ٣٥١، والجواهر ١٦/ ٨٧، وغيرهما.
(١٢) السراج الوهّاج: ٣٥١، والجواهر ١٦/ ٨٧، وغيرهما.

الفقهاء في أنّ إطلاق الوصيّة والأقوال لجماعة معدودين يقتضي التسوية لتساوي النسبة، ولم يشترط الله عَزَّوَجَلَّ في ذي القربى فقراً أو مسكنةً بل قرنه بنفسه وبرسوله صلى الله عليه وآله للدلالة على عدم الاشتراط، وقد احتجّ بهذا الوجه الرضا عليه السلام على علماء العامّة في حديث طويل[1] بيّن فيه فضل العترة الطاهرة، وسيأتي في محلّه[2].

وأمّا التقييد اجتهاداً فمع بطلان الاجتهاد الغير المستند إلى حجّة فعل النبيّ صلى الله عليه وآله يدفع التقييد، لدلالة خبر جبير وغيره على أنّه لم يعطهم ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيهم، وقد قال أبو بكر في رواية أنس: لكم الغنى الذي يغنيكم ويفضل عنكم... فما زعمه أبو بكر من عدم دلالة الآية على أنّ السهم مسلّم لذي القربى ووجوب صرف الفاضل من السهم عن حاجتهم في مصالح المسلمين مخالف للآية والأخبار المتّفق على صحّتها، وقد قال سبحانه في آخر الآية: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[3]. واعترف الفخر الرازي في تفسيره بأنّ من لم يحكم بهذه القسمة خرج عن الإيمان[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[5]، وقال: ﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[6]، وقال: ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[7]، فاستحقّ بما صنع ما يستحقّه الرادّ على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله.

السادسة: ما دلّت عليه الروايات السالفة وما سيأتي في باب شهادة فاطمة عليها السلام من أنّها أوصت أن تُدفن سرّاً، وأن لا يصلّي عليها أبو بكر وعمر لغضبها عليهما في منع فدك وغيره من أعظم الطعون عليهما.

وأجاب عنه قاضي القضاة في المغني بأنّه قد روي أنّ أبا بكر هو الذي صلّى على فاطمة عليها السلام وكبّر أربعاً، وهذا أحد ما استدلّ به كثير من الفقهاء في التكبير على الميّت، ولا يصحّ أنّها دفنت ليلاً، وإن صحّ ذلك فقد دُفن رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً، وعمر دُفن ليلاً، وقد كان أصحاب رسول الله يدفنون بالنهار ويدفنون بالليل، فما في هذا ممّا يطعن به، بل الأقرب في النساء أنّ دفنهنّ ليلاً أستر وأولى بالسنّة[8].

وردّ عليه السيّد الأجل في الشافي: بأنّ ما ادّعيت من أنّ أبا بكر هو الذي صلّى على فاطمة عليها السلام وكبّر أربعاً، وأنّ كثيراً من الفقهاء يستدلّون به في التكبير على الميّت فهو شيء ما سمع إلاّ منك، وإن كنت تلقّيته عن غيرك فممّن يجري مجراك في العصبية، وإلاّ فالروايات المشهورة وكتب الآثار والسير خالية من ذلك، ولم يختلف أهل النقل في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صلّى على فاطمة عليها السلام إلاّ رواية شاذّة نادرة وردت بأنّ العباس صلّى عليها.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢٣٣.
(٢) بحار الأنوار: ٩٦/ ١٩٨.
(٣) الأنفال: ٤١.
(٤) تفسير الفخر الرازي: ١٥/ ١٦٥.
(٥) المائدة: ٤٤.
(٦) المائدة: ٤٧.
(٧) المائدة: ٤٥.
(٨) المغني: ٢٠/ ٣٣٥.

روى الواقدي بإسناده عن عكرمة قال: سألت ابن العباس: متى دُفنت فاطمة عليها السلام؟ قال: دفنّاها بليلٍ بعد هدأةٍ. قال: قلت: فمن صلّى عليها؟ قال: عليّ عليه السلام.

وروى الطبري، عن الحرث بن أبي أُسامة، عن الميداني، عن أبي زكريّا العجلاني: أنّ فاطمة عليها السلام عُمل لها نعش قبل وفاتها، فنظرت وقالت: سترتموني ستركم الله. قال أبو جعفر محمّد بن جرير: والثابت في ذلك أنّها زينب؛ لأنّ فاطمة عليها السلام دُفنت ليلاً ولم يحضرها إلاّ العبّاس وعليّ والمقداد والزبير.

وروى القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بإسناده في تاريخه عن الزهري قال: حدّثني عروة بن الزبير: أنّ عائشة أخبرته أنّ فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليه وعليها عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها عليّ عليه السلام ليلاً، وصلّى عليها عليّ بن أبي طالب عليه السلام.. وذكر في كتابه هذا أنّ أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام دفنوها ليلاً وغيّبوا قبرها وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن الحسن بن محمّد: أنّ فاطمة عليها السلام دُفنت ليلاً.. وروى عبد الله بن أبي شيبة، عن يحيى بن سعيد العطّار، عن معمّر، عن الزهري مثل ذلك.

وقال البلاذري في تاريخه أنّ فاطمة عليها السلام لم تُرَ متبسّمة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه [وآله]، ولم يعلم أبو بكر وعمر بموتها... والأمر في هذا أوضح وأظهر من أن يطنب في الاستشهاد عليه ويذكر الروايات فيه.

فأمّا قوله: ولا يصحّ أنّها دُفنت ليلاً، وإن صحّ فقد دُفن فلان وفلان ليلاً... فقد بينّا أن دفنها ليلاً في الصحّة كالشمس الطالعة، وأنّ منكر ذلك كدافع المشاهدات. ولم نجعل دفنها ليلاً بمجرّده هو الحجّة فيقال: فقد دُفن فلان وفلان ليلاً، بل مع الاحتجاج بذلك على ما وردت به الروايات المستفيضة الظاهرة التي هي كالمتواتر أنّها عليها السلام أوصت بأن تُدفن ليلاً حتى لا يصلّي عليها الرجلان، وصرّحت بذلك، وعهدت فيه عهداً بعد أن كانا استأذنا عليها في مرضها ليعوداها، فأبت أن تأذن لهما، فلمّا طال عليهما المدافعة رغبا إلى أمير المؤمنين عليه السلام في أن يستأذن لهما، وجعلاها حاجة إليه، فكلّمها أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك وألحّ عليها فأذنت لهما في الدخول، ثم أعرضت عنهما عند دخولهما ولم تكلّمهما، فلمّا خرجا قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: قد صنعت ما أردت؟ قال: نعم. قالت: فهل أنت صانع ما آمرك؟ قال: نعم. قالت: فإنّي أُنشدك الله أن لا يصلّيا على جنازتي، ولا يقوما على قبري.

وروي أنّه عليه السلام عمّى على قبرها ورشّ أربعين قبراً في البقيع ولم يرشّ على قبرها حتى لا يهتديا إليه، وأنّهما عاتباه على ترك إعلامهما بشأنها وإحضارهما للصلاة عليها، فمن ها هنا احتججنا بالدفن ليلاً، ولو كان ليس غير الدفن بالليل من غير ما تقدّم عليه وتأخّر عنه لم يكن فيه حجّة(١). انتهى كلامه رفع الله مقامه.

---

(١) الشافي: ٤/١١٣ ـ ١١٥.

وممّا يدلّ من صحاح أخبارهم على دفنها ليلاً، وأنّ أبا بكر لم يصلّ عليها، وعلى غضبها عليه وهجرتها إيّاه، ما رواه مسلم في صحيحه[١] وأورده في جامع الأصول في[٢] الباب الثاني من كتاب الخلافة والإمارة من حرف الخاء عن عائشة في حديث طويل بعد ذكر مطالبة فاطمة عليها السلام أبا بكر في ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وفدك وسهمه من خيبر، قالت: فهجرته فاطمة عليها السلام فلم تكلّمه في ذلك حتّى ماتت، فدفنها عليّ عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، قالت: فكان عليّ وجه من الناس حياة فاطمة فلمّا توفّيت فاطمة عليها السلام انصرفت وجوه الناس عن عليّ عليه السلام، ومكثت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر ثم توفيت.

وروى ابن أبي الحديد[٣] عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن هشام بن محمد عن أبيه قال: قالت فاطمة عليها السلام لأبي بكر: إنّ أُمّ أيمن تشهد لي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك. فقال: يا بنت رسول الله، والله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أبيك ولودِدت أنّ السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لأن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من أن تفتقري، أتراني أُعطي الأسود والأحمر حقّه وأظلمك حقّك وأنت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ إنّ هذا المال لم يكن للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم وليته كما كان يليه! قالت: والله لا كلّمتك أبداً. قال: والله لا هجرتك أبداً. قالت: والله لأدعونّ الله عليك. قال: والله لأدعونّ الله لك. فلمّا حضرتها الوفاة أوصت أن لا يصلّي عليها، فدفنت ليلاً، وصلّى عليها العباس بن عبد المطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها صلى الله عليه وآله اثنتان وسبعون ليلة.

وممّا يؤيّد إخفاء دفنها جهالةُ قبرها والاختلاف فيه بين الناس إلى يومنا هذا، ولو كان بمحضر من الناس لما اشتبه على الخلق ولا اختلف فيه.

السابعة: ممّا يرد من الطعون على أبي بكر في تلك الواقعة أنّه مكّن أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله من التصرّف في حجراتهنّ بغير خلاف، ولم يحكم فيها بأنّها صدقة، وذلك يناقض ما منعه في أمر فدك وميراث الرسول صلى الله عليه وآله، فإنّ انتقالها إليهنّ إمّا على جهة الإرث أو النحلة، والأول مناقض لروايته في الميراث، والثاني يحتاج إلى الثبوت ببيّنة ونحوها، ولم يطالبهنّ بشيء منها كما طالب فاطمة عليها السلام في دعواها، وهذا من أعظم الشواهد لمن له أدنى بصيرة، على أنّه لم يفعل ما فعل إلاّ عداوة لأهل بيت الرسالة، ولم يقل ما قال إلاّ افتراء على الله وعلى رسوله.

ولنكتفِ بما ذكرنا، فإنّ بسط الكلام في تلك المباحث ممّا يوجب كثرة حجم الكتاب وتعسّر تحصيله على الطلاب، فانظر أيّها العاقل المنصف بعين البصيرة فيما اشتمل عليه تلك الأخبار الكثيرة التي أوردوها في كتبهم المعتبرة عندهم من حكم سيّدة النساء صلوات الله عليها مع عصمتها وطهارتها باغتصابهم للخلافة وأنّهم أتباع الشيطان، وأنّه ظهر فيهم حسيكة النفاق، وأنّهم أرادوا إطفاء نور الدين، وإهماد سنن سيّد المرسلين صلوات الله عليه وآله أجمعين، وأنّهم آذوا أهل بيته

---

(١) صحيح مسلم: ٥/ ١٥٤، باب حكم الفيء.
(٢) جامع الأصول: ٤/ ٤٨٢، الحديث ٢٠٧٩.
(٣) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١٤.

وأضمروا لهم العداوة، وغير ذلك ممّا اشتملت عليه الخطبة الجليلة.. فهل يبقى بعد ذلك شكّ في بطلان خلافة أبي بكر... أتباعه؟!

ثم إنّها عليها السلام حكمت بظلم أبي بكر في منعها الميراث صريحاً بقولها عليها السلام: لقد جئتَ شيئاً فريّاً... ودعت الأنصار إلى قتاله، فثبت جواز قتله، ولو كان إماماً لم يجز قتله.

ثم انظر إلى هذا... كيف شبّه أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وأخا سيّد المرسلين وزوجه الطاهرة بثعالة شهيده ذنبه، وجعله مربّاً لكلّ فتنة؟! ثم إلى موت فاطمة صلوات الله عليها ساخطة على أبي بكر مغضبة عليه منكرة لإمامته، وإلى إنكار أبي بكر كون فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله مع كونه مخالفاً للآية والإجماع وأخبارهم، وإلى أنّه انتزع فدك من يد وكلاء فاطمة وطلب منها الشهود، مع أنّها لم تكن مدّعية، فحكم بغير حكم الله وحكم الرسول صلى الله عليه وآله وصار بذلك من... بنصّ القرآن، وإلى طلب الشاهد من المعصومة وردّ شهادة المعصومين الذين أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل، وقال فيهم النبيّ صلى الله عليه وآله ما قال، ومنعها الميراث خلافاً لحكم الكتاب، وافترائه على الرسول صلى الله عليه وآله بما شهد الكتاب والسنّة... وظلمه عليها صلوات الله عليها في منع سهم ذي القربى خلافاً لله تعالى، ومناقضته لما رواه حيث مكّن الأزواج من التصرّف في الحجر وغيرها ممّا يستنبط من فحاوي ما ذكر من الأخبار، ولا يخفى طريق استنباطها على أولي الأبصار.

باب ١٢

العلّة التي من أجلها ترك أمير المؤمنين عليه السلام فدك لمّا ولي الناس

١ - ع[1]: الدقّاق، عن الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن عليّ بن سالم، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لِم لمْ يأخذ أمير المؤمنين عليه السلام فدك لمّا ولي الناس؟ ولأيّ علّة تركها؟ فقال له: لأنّ الظالم والمظلومة قد كانا قدما على الله عزّ وجلّ، وأثاب الله المظلومة وعاقب الظالم، فكره أن يسترجع شيئاً قد عاقب الله عليه غاصبه وأثاب عليه المغصوبة.

٢ - ع[2]: ابن هشام، عن أبيه، عن جدّه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم الكرخي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: لأيّ علّة ترك أمير المؤمنين عليه السلام فدكاً لمّا ولي الناس؟ فقال: للاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله لمّا فتح مكّة وقد باع عقيل بن أبي طالب داره، فقيل له: يا رسول الله، ألا ترجع إلى دارك؟ فقال[3]: : وهل ترك عقيل لنا داراً؟ إنّا أهل بيت لا نسترجع شيئاً يؤخذ منّا ظلماً، فلذلك لم يسترجع فدكاً لمّا ولي.

٣ - ن، ع[4]: القطّان، عن أحمد الهمداني عن عليّ بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن أمير المؤمنين عليه السلام لِمَ لمْ يسترجع فدك لمّا ولي الناس؟ فقال: لأنّا

(١-٢) علل الشرائع: ١/ ١٥٤ ـ ١٥٥، الباب ١٢٤، الحديثان ١، ٢.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٨٦، الحديث ٣١، وعلل الشرائع ١/ ١٥٥، الباب ١٢٤، الحديث ٣.

أهل بيت وليّنا الله عزّوجلّ لا يأخذ لنا حقوقنا ممّن يظلمنا إلاّ هو، ونحن أولياء المؤمنين، إنّما نحكم لهم ونأخذ حقوقهم ممّن يظلمهم، ولا نأخذ لأنفسنا.

تبيين[1]: اعلم أنّ بعض المخالفين تمسّكوا في تصحيح ما زعموه في أمر الميراث وقصّة فدك بإمضاء أمير المؤمنين عليه السلام ما فعلته الخلفاء لمّا صار الأمر إليه، وقد استدلّ قاضي القضاة بذلك على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن شاهداً في قضيّة فدك؛ إذ لو كان هو الشاهد فيها لكان الأقرب أن يحكم بعلمه، وكذلك في ترك الحجر لنساء النبيّ صلى الله عليه وآله، ثم قال: وليس لهم بعد ذلك إلاّ التعلّق بالتقيّة التي هي مفزعهم عند لزوم الكلام، ولو علموا ما عليهم في ذلك لاشتدّ هربهم منه؛ لأنّه إن جاز للأئمّة التقيّة وحالهم في العصمة ما يقولون، ليجوزنّ ذلك من رسول الله، وتجويز ذلك فيه يوجب أن لا يوثق بنصّه على أمير المؤمنين عليه السلام لتجويز التقيّة، ومتى قالوا يعلم بالمعجز إمامته، فقد أبطلوا كون النصّ طريقاً للإمامة، والكلام مع ذلك لازم لهم، بأن يقال: جوّزوا مع ظهور المعجز أن يدّعي الإمامة تقيّة، وأن يفعل سائر ما يفعله تقيّة؟

وكيف يوثق مع ذلك بما ينقل عن الرسول وعن الأئمّة؟ وهلاّ جاز أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام نبيًّا بعد الرسول وترك ادّعاء ذلك تقيّة وخوفاً؟! فإنّ الشبهة في ذلك أوكد من النصّ؛ لأنّ التعصّب للنبيّ في النبوّة أعظم من التعصّب لأبي بكر وغيره في الإمامة، فإن عوّلوا في ذلك على علم الاضطرار فعندهم أنّ الضرورة في النصّ على الإمامة قائمة، وإن فزعوا في ذلك إلى الإجماع، فمن قولهم أنّه لا يوثق به ويلزمهم في الإجماع أن يجوز أن يقع على طريق التقيّة؛ لأنّه لا يكون أوكد من قول الرسول وقول الإمام عندهم.. وبعد، فقد ذكر الخلاف في ذلك كما ذكر الخلاف في أنّه إله، فلا يصحّ على شروطهم أن يتعلّقوا بذلك[2].

وأجاب عنه السيّد الأجل رحمه الله في الشافي بما هذا لفظه:

أمّا قوله: إن جازت التقيّة للأئمّة وحالهم في العصمة ما يدّعون، جازت على الرسول صلى الله عليه وآله... فالفرق بين الأمرين واضح؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله مبتدئ بالشرع، ومفتتح لتعريف الأحكام التي لا تعرف إلاّ من جهته وبيانه، فلو جازت عليه التقيّة لأخلّ ذلك بإزاحة علّة المكلّفين، ولفقدوا الطريق إلى معرفة مصالحهم الشرعيّة، وقد بيّنّا أنّها لا تعرف إلاّ من جهته.

والإمام بخلاف هذا الحكم؛ لأنّه منفّذ للشرائع التي قد علمت من غير جهته، وليس يقف العلم بها والحقّ فيها على قوله دون غيره، فمن اتّقى في بعض الأحكام بسبب يوجب ذلك لم يخل تقيّته بمعرفة الحقّ وإمكان الوصول إليه.

والإمام والرسول وإن استويا في العصمة، فليس يجب أن يستويا في جواز التقيّة للفرق الذي ذكرناه، لا أنّ الإمام لم يجز التقيّة عليه لأجل العصمة، وليس للعصمة تأثير في جواز التقيّة ولا نفي جوازها.

(٤) المغني: ٢٠/ ٣٣٣ ـ ٣٣٥.

فإن قيل: أليس من قولكم: إنّ الإمام حجّة في الشرائع وقد يجوز عندكم أن ينتهي الأمر إلى أن يكون الحقّ لا يعرف إلاّ من جهته وبقوله، بأن يعرض الناقلون عن النقل فلا يرد إلاّ من جهة من يقوم الحجّة بقوله، وهذا يوجب مساواة الإمام للرسول فبمَ فرّقتم بينهما فيه؟

قلنا: إذا كانت الحال في الإمام ما صوّرتموه وتعيّنت الحجّة في قوله، فإنّ التقيّة لا تجوز عليه كما لا تجوز على النبيّ ﷺ.

فإن قيل: فلو قدّرنا أنّ النبيّ ﷺ قد بيّن جميع الشرائع والأحكام التي يلزمه بيانها حتّى لم يبقَ شبهة في ذلك ولا ريب، لكان يجوز عليه والحال هذه التقيّة في بعض الأحكام.

قلنا: ليس يمنع عند قوّة أسباب الخوف الموجبة للتقيّة أن يتّقي إذا لم يكن التقيّة مخلّة بالوصول إلى الحقّ ولا منفرة عنه.

ثم يقال له: أليست التقيّة عندك جائزة على جميع المؤمنين عند حصول أسبابها وعلى الإمام والأمير؟ فإن قال: هي جائزة على المؤمنين وليست جائزة على الإمام والأمير.

قلنا: وأيّ فرق بين ذلك؟ والإمام والأمير عندك ليسا بحجّة في شيء كما أنّ النبيّ ﷺ حجّة فيمنع من ذلك لمكان الحجّة بقولهما، فإن اعترف بجوازها عليهما قيل له: فألا جاز على النبيّ ﷺ قياساً على الأمير والإمام؟

فإن قال: لأنّ قول النبيّ ﷺ حجّة، وليس الإمام والأمير كذلك.

قيل له: وأيّ تأثير في الحجّة في ذلك إذا لم تكن التقيّة مانعة من إصابة الحقّ، ولا بمخلّة بالطريق إليه، وخبرنا عن الجماعة التي نقلها في باب الأخبار حجّة لو ظفر بهم جبّار ظالم متفرّقين أو مجتمعين فسألهم عن مذاهبهم، وهم يعلمون أو يغلب في ظنونهم أنّهم متى ذكروها على وجهها قتلهم وأباح حريمهم، أليست التقيّة جائزة على هؤلاء مع الحجّة في أقوالهم؟ فإن منع من جواز التقيّة على ما ذكرناه دفع ما هو معلوم.

وقيل له: وأيّ فرق بين هذه الجماعة وبين من نقص عن عدّتها في جواز التقيّة؟ فلا يجد فرقاً.
فإن قال: إنّما جوّزنا التقيّة على من ذكرتهم لظهور الإكراه والأسباب الملجئة إلى التقيّة، ومنعناكم من مثل ذلك؛ لأنّكم تدعون تقيّة لم تظهر أسبابها ولا الأمور الحاملة عليها من إكراه وغيره.

قيل له: هذا اعتراف بما أردناه من جواز التقيّة عند وجود أسبابها، وصار الكلام الآن في تفصيل هذه الجملة، ولسنا نذهب في موضع من المواضع إلى أن الإمام اتّقى بغير سبب موجب لتقيّة، وحامل على فعله، والكلام في التفصيل غير الكلام في الجملة، وليس كلّ الأسباب التي توجب التقيّة تظهر لكلّ أحد، ويعلمها جميع الخلق، بل ربّما اختلفت الحال فيها.. وعلى كلّ حال فلا بدّ أن تكون معلومة لمن وجب تقيّته، ومعلومة أو مجوّزة لغيره، ولهذا قد نجد بعض الملوك يسأل رعيّته عن أمر فيصدقه بعضهم في ذلك ولا يصدقه آخرون، ويستعملون ضرباً من التورية، وليس ذلك إلاّ لأنّ من صدق لم يخف على نفسه ومن جرى مجرى نفسه، ومن ورّى فلأنّه خاف على نفسه وغلب في ظنّه وقوع الضرر به متى صدق فيما سُئل عنه، وليس يجب أن يستوي حال

الجميع، وأن يظهر لكلّ أحد السبب في تقيّة من اتّقى ممّن ذكرناه بعينه حتى يقع الإشارة إليه على سبيل التفصيل، وحتى يجري مجرى العرض على السيف في الملأ من الناس، بل ربّما كان ظاهراً كذلك، وربّما كان خافياً.

فإن قيل: مع تجويز التقيّة على الإمام كيف السبيل إلى العلم بمذاهبه واعتقاده؟ وكيف يتخلّص لنا ما يفتي به على سبيل التقيّة من غيره؟

قلنا: أوّل ما نقوله في ذلك: إنّ الإمام لا يجوز أن يتّقي فيما لا يعلم إلاّ من جهته، والطريق إليه إلاّ من ناحيته وقوله وإنّما يجوز التقيّة عليه فيما قد بان بالحجج والبيّنات ونصبت عليه الدلالات حتى لا يكون تقيّته فيه مزيلة لطريق إصابة الحقّ وموقعة للشبهة، ثم لا تبقى في شيء إلاّ ويدلّ على خروجه منه مخرج التقيّة، إمّا لما يصاحب كلامه أو يتقدّمه أو يتأخّر عنه، ومن اعتبر جميع ما روي عن أئمّتنا عليهم السلام على سبيل التقيّة وجده لا يعرى ممّا ذكرناه.

ثم إنّ التقيّة إنّما تكون من العدوّ دون الوليّ، ومن المتّهم دون الموثوق به، فما يصدر منهم إلى أوليائهم وشيعتهم ونصحائهم في غير مجالس الخوف يرتفع الشكّ في أنّه على غير جهة التقيّة، وما يفتون به العدوّ أو يمتحنون به في مجالس الجور يجوز أن يكون على سبيل التقيّة كما يجوز أن يكون على غيرها.

ثم يُقلب هذا السؤال على المخالف فيقال له: إذا أجزت على جميع الناس التقيّة عند الخوف الشديد وما يجري مجراه، فمن أين تعرف مذاهبهم واعتقادهم؟ وكيف تفصل بين ما يفتي به المفتي منهم على سبيل التقيّة وبين ما يفتي به وهو مذهب له يعتقد بصحّته؟ فلا بدّ من الرجوع إلى ما ذكرناه. فإن قال: أعرف مذهب غيري وإن أجزت عليه التقيّة بأن يضطرّني إلى اعتقاده، وعند التقيّة لا يكون ذلك.

قلنا: وما المانع لنا من أن نقول هذا بعينه فيما سألت عنه؟ فأمّا ما تلا كلامه الذي حكيناه عنه من الكلام في التقيّة، وقوله: إنّ ذلك يوجب أن لا يوثق بنصّه على أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّما بناه على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يجوز عليه التقيّة في كلّ حال، وقد بينّا ما في ذلك واستقصيناه.

وقوله: ألا جاز أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام نبيّاً، وعدل عن ادّعاء ذلك تقيّة... فيبطله ما ذكرنا من أنّ التقيّة لا يجوز على النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام فيما لا يعلم إلاّ من جهته، ويبطله زائداً على ذلك ما نعلمه نحن وكلّ عاقل ضرورة من نفي النبوّة بعده على كلّ حال من دين الرسول صلى الله عليه وآله.

وقوله: إن عوّلوا على علم الاضطرار فعندهم أنّ الضرورة في النصّ على الإمام قائمة... فمعاذ الله أن ندّعي الضرورة في العلم بالنصّ على من غاب عنه فلم يسمعه، والذي نذهب إليه أنّ كل من يشهده لا يعلمه إلاّ باستدلال وليس كذلك نفي النبوّة؛ لأنّه معلوم من دينه صلى الله عليه وآله ضرورة، ولو لم يشهد بالفرق بين الأمرين إلاّ اختلاف العقلاء في النصّ مع تصديقهم بالرسول صلى الله عليه وآله وأنّهم لم يختلفوا في نفي النبوّة، لكفى، ولا اعتبار بقوله في ذلك خلاف ما قد ذكر، كما ذكر في أنّه عليه السلام إلهٌ، لأنّ هذا الخلاف لا يعتدّ به، والمخالف فيه خارج عن الإسلام فلا يعتبر في إجماع

المسلمين بقوله، كما لا يعتبر في إجماع المسلمين بقول من خالف في أنّه إله، على أنّ من خالف وادّعى نبوّته لا يكون مصدّقاً للرسول ﷺ ولا عالماً بنبوّته ولا يدّعي علم الاضطرار في أنّه لا نبيّ بعده، وإنّما يعلم ضرورة من دينه ﷺ نفي النبوّة بعده من أقرّ بنبوّته.

فأمّا قوله: إنّ الإجماع لا يوثق به عندهم... فمعاذ الله أن نطعن في الإجماع وكونه حجّة، فإن أراد أنّ الإجماع الذي لا يكون فيه قول إمام ليس بحجّة، فذلك ليس بإجماع عندنا وعندهم، وما ليس بإجماع فلا حجّة فيه، وقد تقدّم عند كلامنا في الإجماع من هذا الكتاب ما فيه الكفاية.

وقوله: يجوز أن يقع الإجماع على طريق التقيّة لأنّه لا يكون أوكد من قول الرسول ﷺ أو قول الإمام عليه السلام عندهم... باطل؛ لأنّا قد بينّا أنّ التقيّة لا تجوز على الرسول ﷺ والإمام عليه السلام على كلّ حال، وإنّما تجوز على حال دون أُخرى، على أنّ القول بأنّ الأُمّة بأسرها تجمع على طريق التقيّة طريف؛ لأنّ التقيّة سببها الخوف من الضرر العظيم، وإنّما يتّقي بعض الأُمّة من بعض لغلبته عليه وقهره له، وجميع الأُمّة لا تقيّة عليها من أحد. فإن قيل: يتّقي من مخالفيها في الشرائع.

قلنا: الأمر بالضدّ من ذلك؛ لأنّ من خالطهم وصاحبهم من مخالفيهم في الحال أقلّ عدداً وأضعف بطشاً منهم، فالتقيّة لمخالفيهم منهم أولى، وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى الإطالة والاستقصاء[١]. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

ولنذكر بعض ما يدلّ على جواز التقيّة لكثرة تشنيع المخالفين في ذلك علينا مع كثرة الدلائل القاطعة عليها:

فمنها: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾[٢].

ومنها: قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾[٣].

ومنها: ما رواه الفخر الرازي وغيره من المفسّرين[٤] عن الحسن قال: أخذ مسيلمة الكذّاب رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لأحدهما: أتشهد أنّ محمّداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أفتشهد أنّي رسول الله؟ قال: نعم. وكان مسيلمة يزعم أنّه رسول بني حنيفة، ومحمّداً ﷺ رسول قريش، فتركه، ودعا الآخر فقال: أتشهد أنّ محمّداً رسول الله؟ قال: نعم نعم نعم! قال: أفتشهد أنّي رسول الله؟ قال: إنّي أصمّ... ثلاثاً. فقدّمه وقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أمّا هذا المقتول فمضى على صدقه ويقينه فهنيئاً له، وأمّا الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه[٥].

ومنها: ما رواه الخاصّة والعامّة أنّ أُناساً من أهل مكّة فُتنوا فارتدّوا عن الإسلام بعد دخولهم

(١) الشافي: ٤/ ١٠٥ ـ ١١٠. (٢) النحل: ١٠٦.
(٣) آل عمران: ٢٨.
(٤) يراجع مجمع البيان: ٢/ ٤٣٠، وأحكام القرآن للجصّاص ٢/ ١٠، وغيرهما.
(٥) تفسير الفخر الرازي: ٨/ ١٣.

فيه، وكان فيهم من أُكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه مع أنّه كان بقلبه مصرّاً على الإيمان، منهم عمّار وأبواه ياسر وسميّة، وصهيب وبلال وخباب وسالم، عذّبوا، وأمّا سميّة فقد ربطت بين بعيرين ووجئت في قُبُلها بحربة، وقالوا: إنّك أسلمت من أجل الرجال. فقتلت، وقتل ياسر، وهما أوّل قتيلين في الإسلام، وأمّا عمّار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً، فقيل: يا رسول الله، إنّ عمّاراً كفر. فقال: كلاّ إنّ عمّاراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه. فأتى عمّار رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح عينيه ويقول: ما لك؟ إن عادوا لك فعد لهم بما قلت[1].

ومنهم: خبر مولى الحضرمي أكرهه سيّده فكفر ثم أسلم مولاه فأسلم وحسن إسلامهما وهاجرا[2].

وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب في ترجمة عمّار: إنّ نزول الآية فيهم ممّا أجمع أهل التفسير عليه[3].

ويدل عليها أيضاً ما يدلّ على الحرج نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[4] ولزوم الحرج في مواضع التقيّة، سيّما إذا انتهت الحال إلى القتل وهتك العرض، واضح.

ويدلّ عليه عموم قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[5].

وقد فسّر مجاهد الاضطرار في آية الأنعام[6] باضطرار الإكراه خاصّة.

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[7] على بعض التفاسير[8]. ولا خلاف في شرعيّتها مع الخوف على النفس من الكفّار الغالبين.

وقال الشافعي من العامّة بأنّ الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحال بين المسلمين والمشركين حلّت التقيّة[9]. ذكر ذلك الفخر الرازي في تفسير الآية الثانية، وقال: التقيّة جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز، لقوله صلى الله عليه وآله وسلّم: حرمة مال المسلم كحرمة دمه... ولقوله صلى الله عليه وآله: من قُتل دون ماله فهو شهيد... ولأنّ الحاجة إلى المال شديدة، والماء إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء وجاز الاقتصار على التيمّم دفعاً لذلك القدر من نقصان الماء، فكيف لا يجوز ها هنا[10]؟

وقال في تفسير الآية الأولى: اعلم أنّ للإكراه مراتب:

---

(١) يراجع مثلاً تفسير الفخر الرازي: ٢٠/١٢١، وتفسير التبيان ٦/٤٢٨، وغيرهما.

(٢) الإصابة: ٢/٢٤٩، الرقم ٤٣٨٠.

(٣) الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة: ٢/٤٧٧.

(٤) الحج: ٧٨.

(٥) البقرة: ١٧٣.

(٦) الأنعام: ١٤٥.

(٧) البقرة: ١٩٥.

(٨) مجمع البيان: ١/٢٨٩، والكشّاف ١/٢٣٧، وغيرهما.

(٩) الأم: ٣/٢٣٦ و٤/١٨٨.

(١٠) تفسير الفخر الرازي: ٨/١٣.

إحداها: أن يجب فعل المكره عليه، مثل ما إذا أكره على شرب الخمر وأكل الخنزير وأكل الميتة، فإذا أكرهه عليه بالسيف فها هنا يجب الأكل؛ وذلك لأنّ صون الروح عن الفوات واجب ولا سبيل إليه في هذه الصورة إلاّ بهذا الأكل، وليس في هذا الأكل ضرر على حيوان ولا إهانة بحقّ الله، فوجب أن يجب، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

المرتبة الثانية: أن يكون ذلك الفعل مباحاً ولا يصير واجباً، ومثاله إذا أكرهه على التلفظ بكلمة الكفر، مباح له ذلك ولكنّه لا يجب.

قال: وأجمعوا على أنّه لا يجب عليه التكلّم بكلمة الكفر، ويدلّ عليه وجوه:

أحدها: أنّا روينا أنّ بلالاً صبر على ذلك العذاب وكان يقول: أحد أحد... ولم يقل رسول الله ﷺ: بئسما صنعت، بل عظّمه عليه، فدلّ ذلك على أنّه لا يجب عليه التكلّم بكلمة الكفر.

وثانيها: ما روي من قصّة مسيلمة، التي سبق ذكرها. قال:

المرتبة الثالثة: أنّه لا يجب ولا يباح بل يحرم، وهذا مثل ما أكرهه إنسان على قتل إنسان آخر أو على قطع عضوٍ من أعضائه، فها هنا يبقى الفعل على الحرمة الأصليّة[١]. انتهى.

ولا خلاف ظاهراً في أنّه متى أمكن التخلّص من الكذب في صورة التقيّة بالتورية لم يجز ارتكاب الكذب، واختلفوا فيما لو ضيّق المكره الأمر عليه وشرح له كلّ أقسام التعريضات وطلب منه أن يصرّح بأنّه ما أراد شيئاً منها ولا أراد إلاّ ذلك المعيّن، ولم يتفطّن في تلك الحال بتورية يتخلّص منه فالخاصّة[٢] وأكثر العامّة[٣] ذهبوا إلى جواز الكذب حينئذٍ.

وحكى الفخر الرازي عن القاضي أنّه قال: يجب حينئذٍ تعريض النفس للقتل؛ لأنّ الكذب إنّما يقبح لكونه كذباً، فوجب أن يقبح على كلّ حال، ولو جاز أن يخرج من القبح لرعاية بعض المصالح، لم يمتنع أن يفعل الله الكذب لرعاية بعض المصالح، وحينئذٍ لا يبقى وثوق بوعد الله ولا بوعيده، لاحتمال أنّه فعل ذلك الكذب لرعاية المصالح التي لا يعرفها إلاّ الله تعالى[٤].

ويرد عليه: أنّ الكذب وإن كان قبيحاً إلاّ أنّ جواز ارتكابه في محلّ النزاع لأنّه أقلّ القبيحين، والتعريض للقتل لو سلّمنا عدم قبحه لذاته، جاز أن يغلب المفسدة العرضيّة فيه على الذاتيّة في الكذب، ويلزمه تجويز تعريض نبيّ من الأنبياء للقتل والتحرّز عن الكذب في درهم، وبطلانه لا يخفى على أحد.

وأمّا ما تمسّك به من تطرّق الكذب إلى وعد الله سبحانه ووعيده، فيتوجّه عليه:

أوّلاً: أنّ العقل يجزم ببطلان الاحتمال المذكور؛ لأنّه سبحانه هو الذي بيده أزمّة الأمور، وهو

---

(١) تفسير الفخر الرازي: ٢٠/ ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٢) يراجع الكافي: ٢/ ١٧٢، والمحاسن: ٢٥٥ باب التقيّة، وأمالي الشيخ الصدوق: ٥٣١، وغيرها كثير.

(٣) يراجع تفسير الطبري: ١٤/ ١٢١، وتفسير البحر المحيط ٢/ ٤٢٣، و٥/ ٥٣٧ ـ ٥٤١، وتفسير الكشّاف ١/ ٤٢٢، و٢/ ٤٣٠، وغيرها كثير.

(٤) تفسير الفخر الرازي: ٢٠/ ١٢٢.

القادر الذي لا يضادّه في ملكه أحد، والعالم بالعواقب، فلا يجوز عليه نظم الأُمور على وجه لا يمكن فيه رعاية المصلحة إلاّ بالكذب.

وثانياً: أنّ ذلك باطل بالضرورة من الدين وإجماع المليّين لا من حيث عدم جواز الكذب، لرعاية المصالح، وهو واضح.

ثم إنّ الشهيد رحمه الله عرّف التقيّة في قواعده بأنّها: مجاملة الناس بما يعرفون وترك ما ينكرون حذراً من غوائلهم، قال: وأشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام[١] فيما يعتقده ظلماً والفاسق المتظاهر بفسقه اتّقاء شرّهما، من باب المداهنة الجائزة ولا تكاد تسمّى تقيّة[٢].

وقسّمها بانقسام الأحكام الخمسة، وعدّ من الحرام التقيّة في قتل الغير، وقال: التقيّة تبيح كلّ شيء حتّى إظهار كلمة الكفر ولو تركها حينئذٍ أثم، أمّا في هذا المقام ومقام التبرّي من أهل البيت عليهم السلام فإنّه لا يأثم بتركها، بل صبره إمّا مباح أو مستحب، وخصوصاً إذا كان ممّن يُقتدى به[٣]. انتهى.

وحكى الشيخ الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان عن الشيخ المفيد قدس سره أنه قال: التقيّة قد تجب أحياناً وتكون فرضاً، وتجوز أحياناً من غير وجوب ويكون في وقت أفضل من تركها، وقد يكون تركها أفضل وإن كان فاعلها معذوراً ومعفوّاً عنه، متفضّلاً عليه بترك اللوم عليها[٤].

وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله: ظاهر الروايات يدلّ على أنّها واجبة عند الخوف على النفس، وقد روى رخصة في جواز الإفصاح بالحقّ عنده[٥].

وأنت إذا وقفت على ما حكيناه ظهر لك أنّ القول بالتقيّة ليس من خصائص الخاصّة حتّى يعيّروا به، كما يوهمه كلام قاضي القضاة والفخر الرازي وغيرهما، وأكثر أحكامها ممّا قال به جلّ العامّة أو طائفة منهم.

ثم إنّ ما جعله قاضي القضاة من مفاسد القول بجواز التقيّة على الإمام - أعني لزوم جوازها على الرسول صلى الله عليه وآله - ممّا رووه في أخبارهم واتّفقوا على صحّته.

روى البخاري في صحيحه في باب فضل مكّة وبنيانها بأربعة أسانيد، ومسلم في صحيحه، ومالك في الموطأ، والترمذي والنسائي في صحيحيهما، وذكرهما في جامع الأُصول في فضل الأمكنة من حرف الفاء بألفاظ مختلفة[٦].

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة: ٤/ ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) القواعد والفوائد: ٢/ ١٥٥.

(٣) القواعد والفوائد: ٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٤) مجمع البيان: ١/ ٤٣٠ عن أوائل المقالات: ١٣٥.

(٥) تفسير التبيان: ٢/ ٤٣٥.

(٦) صحيح البخاري: ٢/ ١٧٩، كتاب الحج، وصحيح مسلم ٢/ ٩٦٩، الباب ٦٩، كتاب الحج، الحديث ٣٣٩، وموطأ مالك ١/ ٣٦٣، الباب ٣٣، كتاب الحج، الحديث ١٠٤، وسنن الترمذي: ٣/ ٢٢٤، الباب ٤٧، كتاب الحج، الحديث ٨٧٥، وسنن النسائي ٥/ ٢١٤، باب بناء الكعبة، وجامع الأُصول: ٩/ ٢٩٤، الحديث ٦٩٠٧.

منها: وهو لفظ البخاري ومسلم والموطأ والنسائي: أنّ عبد الله بن محمّد بن أبي بكر أخبر عن عبد الله بن عمر عن عائشة: أنّ رسول الله ﷺ قال لها: ألم تري أنّ قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم؟ فقلت: يا رسول الله، ألا تردّها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت. قال عبد الله: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين الذين يليان الحجر إلاّ أنّ البيت لم يتم على قواعد إبراهيم.

ومن لفظ البخاري ومسلم عن الأسود بن يزيد عن عائشة قالت: سألت النبيّ ﷺ عن الجدار: أمن البيت هو؟ قال: نعم. قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: إنّ قومك قصرت بهم النفقة. قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا، ولولا أنّ قومك حديث عهدهم بالجاهليّة فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أُدخل الجدار في البيت وأن أُلصق بابه بالأرض[1].

ومن لفظ البخاري، عن جرير، عن يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة: أنّ النبيّ ﷺ قال لها: يا عائشة، لولا أنّ قومك حديث عهد بالجاهليّة لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أُخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين: باباً شرقياً وباباً غربياً، فبلغت به أساس إبراهيم... فذلك الذي حمل ابن الزبير على هدمه. قال يزيد: وشهدت ابن الزبير حين هدمه وبناه وأدخل فيه من الحجر، وقد رأيت أساس إبراهيم عليه السلام حجارة كأسنمة الإبل. قال جرير: فقلت له أين موضعه؟ قال: أُريكه الآن. فدخلت معه الحجر، فأشار إلى مكان فقال: ها هنا. فخررت من الحجر ستة أذرع أو نحوها[2]... وباقي ألفاظ الروايات مذكورة في جامع الأُصول[3].

ولا ريب في أنّ الظاهر أنّ تعليق الإمضاء بحدثان عهد القوم وقربه من الكفر والجاهليّة يستلزم خوفه ﷺ في ارتدادهم وخروجهم عن الإسلام أن يعود بذلك ضرر إلى نفسه ﷺ أو إلى غيره، ويتطرّق بذلك الوهن في الإسلام، وذلك هو الذي جعله قاضي القضاة مفزعاً للشيعة عند لزوم الكلام.

ثم إنّ هذه الروايات تدلّ دلالة ظاهرة على أنّ إيمان القوم لم يكن ثابتاً مستقراً، وإلاّ لما كان الرسول ﷺ خائفاً وجلاً من تغيير ما أسّسه أئمّة القوم في الجاهليّة والكفر، وإنّهم ممّن قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[4]، بل الظاهر من الكلام لمن أنصف وراجع الوجدان الصحيح أنّ القوم لم يكونوا مذعنين لرسالته ﷺ إلاّ بألسنتهم، وإلاّ لما خاف ارتدادهم لأمر لا يعود بإبقائه إليهم نفع في آخرتهم ودنياهم، وكانوا يحبّون بقاءه لكونه من قواعد الجاهليّة وأساس الكفر، ولا ريب في أنّ توجيه الكلام إلى عائشة والتعبير عن القوم بلفظ يفيد نوعاً من الاختصاص

(١) صحيح البخاري: ٢/١٧٩ ـ ١٨٠، وصحيح مسلم ٢/٩٧٣، الباب، ٧٠، الحديث ٤٠٥.
(٢) صحيح البخاري: ٢/١٨٠.
(٣) جامع الأُصول: ٩/٢٩٤، الحديث ٦٩٠٧ ـ ٦٩١٢.
(٤) الحج: ١١.

بها يقتضي كون الحكم أخصّ وأقرب إلى من كان أقرب إليها وأخصّ بها؛ لكونه متّبعاً في القوم أو أشدّ عصبيّة منهم، أو نحو ذلك، وليس في القوم أقرب إلى عائشة من أبيها.

فإن قيل: تركه عليه السلام لهدم ما أسّسه القوم لم يكن لخوفه على نفسه أو غيره حتى يدخل في التقيّة، بل هو من قبيل رعاية المصالح في تأليف قلوب القوم وميلهم إلى الإسلام، وذلك من قبيل أمره سبحانه بمشاورة القوم والرفق بهم في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[1].

قلنا: **أوّلاً**: هذا بعيد من الظاهر؛ إذ الخوف من إنكار قلوب عامّة القوم، كما يظهر من إضافة ما يفيد مفاد الجمع لحدثان عهدهم بالجاهليّة والكفر مع الأمن من لحوق الضرر ولو إلى أحد من المسلمين، ممّا لا معنى له عند الرجوع إلى فطرة سليمة.

وثانياً: أنّه يجوز أن يكون المانع لأمير المؤمنين عليه السلام من نقض أحكامهم مثل ذلك، ولم يكن أئمّة الكفر والجاهليّة في صدور قوم عائشة أمكن من أبي بكر وعمر في قلوب القوم الذين كانوا يبايعون أمير المؤمنين عليه السلام على سيرتهما واقتفاء أثرهما، وإذا لم يكن ذلك من التقيّة بطل قول قاضي القضاة، وليس لهم بعد ذلك إلاّ التعلّق بالتقيّة التي هي مفزعهم عند لزوم الكلام.

وثالثاً: إذا جاز على الرسول صلى الله عليه وآله ترك الإنكار على تغيير ما حرّم الله خوفاً من هذا النوع من الضعف في الإسلام الذي يؤول إلى خروج قوم منافقين أو متزلزلين في الإسلام عن الإسلام من غير أن يعود به ضرر إلى المسلمين ولا إلى نفسه صلى الله عليه وآله، فبالأولى أن يجوز لأمير المؤمنين إمضاء الباطل من أحكام القوم للخوف على نفسه أو غيره من المسلمين؛ لكون ذلك أضرّ في الإسلام، وكما لم تمنع العصمة في النبيّ صلى الله عليه وآله عن تركه إنكار المنكر لم تمنع في أمير المؤمنين عليه السلام، ويتوجه على قول قاضي القضاة: جوّزوا مع ظهور المعجز أن يدّعي الإمامة تقيّة... أنّه كان المراد تجويز ظهور المعجز بعد ادّعاء الإمامة مع كونه غير نبيّ ولا إمام، فبطلانه واضح.. وإن كان المراد من الإمامة النبوّة لكن لم يعرف ذلك أحد من الناس وكانوا معتقدين لإمامته متديّنين بها لا بنبوّته، فهو أيضاً باطل؛ إذ في ظهور المعجز مع تلك الدعوى إغراء للمكلّفين بالباطل، وهو قبيح.

باب ١٣

علّة قعوده عليه السلام عن قتال من تأمّر عليه من الأوّلين وقيامه إلى قتال من بغى عليه من الناكثين والقاسطين والمارقين وعلّة إمهال الله من تقدّم عليه، وفيه علّة قيام من قام من سائر الأئمّة وقعود من قعد منهم عليهم السلام

١ - ج[2]: رُوي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً في بعض مجالسه بعد رجوعه عن النهروان فجرى الكلام حتى قيل: لم لا حاربت أبا بكر وعمر كما حاربت طلحة والزبير ومعاوية؟

---

(١) آل عمران: ١٥٩. (٢) الاحتجاج: ١/ ٣٧٩ـ ٢٨٠.

فقال عليه السلام: إنّي كنت لم أزل مظلوماً مستأثراً على حقّي. فقام إليه أشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين، لِمَ لَمْ تضرب بسيفك وتطلب بحقّك؟ فقال: يا أشعث، قد قلت قولاً فاسمع الجواب وعه واستشعرالحجّة: إنّ لي أُسوة بستّة من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين: أوّلهم: نوح عليه السلام حيث قال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[1]. فإن قال قائل: إنّه قال لغير خوف.. فقد كفر، وإلاّ فالوصي أعذر.

وثانيهم: لوط عليه السلام حيث قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[2]. فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف.. فقد كفر، وإلاّ فالوصيّ أعذر.

وثالثهم: إبراهيم خليل الله حيث قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[3]. فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف.. فقد كفر، وإلاّ فالوصيّ أعذر.

ورابعهم: موسى عليه السلام حيث قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[4]. فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف.. فقد كفر، وإلاّ فالوصيّ أعذر.

وخامسهم: أخوه هارون عليه السلام حيث قال: ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[5]. فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف.. فقد كفر، وإلاّ فالوصيّ أعذر.

وسادسهم: أخي محمّد سيّد البشر صلى الله عليه وآله حيث ذهب إلى الغار ونوّمني في فراشه، فإن قال قائل: إنّه ذهب إلى الغار لغير خوف.. فقد كفر، وإلاّ فالوصيّ أعذر. فقام إليه الناس بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين، قد علمنا أنّ القول قولك ونحن المذنبون التائبون، وقد عذرك الله.

٢ - ج[6]: عن إسحاق بن موسى عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه خطبة بالكوفة، فلمّا كان في آخر كلامه قال: إنّي لأولى الناس بالناس وما زلت مظلوماً منذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله. فقام الأشعث بن قيس لعنه الله فقال: يا أمير المؤمنين، لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق إلاّ وقلت: والله إنّي لأولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً منذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله ولمّا ولي تيم وعدي.. ألا ضربت بسيفك دون ظلامتك؟!

فقال له أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: يابن الخمّارة، قد قلت قولاً فاستمع: والله ما منعني الجبن ولا كراهية الموت، ولا منعني ذلك إلاّ عهد أخي رسول الله صلى الله عليه وآله، خبّرني وقال: يا أبا الحسن، إنّ الأُمّة ستغدر بك وتنقض عهدي، وإنّك منّي بمنزلة هارون من موسى. فقلت: يا رسول الله، فما تعهد إليّ إذا كان كذلك؟ فقال: إن وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحقن دمك حتّى تلحق بي مظلوماً. فلمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله اشتغلت بدفنه والفراغ من شأنه، ثم آليت يميناً أنّي لا أرتدي إلاّ للصلاة حتّى أجمع القرآن، ففعلت، ثم أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين ثم درت على أهل بدر وأهل السابقة فناشدتهم حقّي

---

(١) القمر: ١٠.
(٢) هود: ٨٠.
(٣) مريم: ٤٨.
(٤) الشعراء: ٢١.
(٥) الأعراف: ١٥٠.
(٦) الاحتجاج: ١/ ٢٨٠ - ٢٨١.

ودعوتهم إلى نصري، فما أجابني منهم إلاّ أربعة رهط: سلمان وعمّار والمقداد وأبو ذرّ، وذهب من كنت أعتضد بهم على دين الله من أهل بيتي، وبقيت بين خفيرتين قريبي العهد بجاهليّة: عقيل والعباس.

فقال له الأشعث: يا أمير المؤمنين، كذلك كان عثمان لمّا لم يجد أعواناً كفّ يده حتّى قتل مظلوماً! فقال أمير المؤمنين: يابن الخمّارة، ليس كما قست، إنّ عثمان لمّا جلس جلس في غير مجلسه، وارتدى بغير ردائه، وصارع الحقّ فصرعه الحقّ، والذي بعث محمّداً بالحقّ لو وجدت يوم بويع أخو تيم أربعين رهطاً لجاهدتهم في الله إلى أن أُبلي عذري، ثم أيّها النّاس، إنّ الأشعث لا يزِن عند الله جناح بعوضة، وإنّه أقلّ في دين الله من عفطة عنز.

إيضاح: قوله عليه السلام: بين خفيرتين بالخاء المعجمة والراء المهملة. أي: طليقين معاهدين أُخذا في الحرب وحقن دمهما بالأمان والفداء، أو ناقضين للعهد. قال في القاموس: الخفِير: المُجار والمُجِير. وخفَره: أخذ منه جُعْلاً ليجيره، وبه خَفْراً وخُفُوراً: نقض عهْده وغدَره كأخفره[1]. وفي بعض النسخ بالحاء المهملة والزاي المعجمة من قوله: حفزه، أي: دفعه من خلفه، وبالرُّمح: طعنه، وعن الأمر أعجله وأزعَجَه. قاله الفيروزآبادي[2]، وقال: أبلاه عذراً: أدّاه إليه فقبله[3]، وعفطة العَنْز، ضرْطته[4].

٣ - ج[5]: روي عن أُمّ سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله أنّها قالت: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله تسع نسوة، وكانت ليلتي ويومي من رسول الله صلى الله عليه وآله، فأتيت الباب فقلت: أُدخل يا رسول الله؟ فقال: لا. قالت: فكبوت كبوة شديدة مخافة أن يكون ردّني من سخط، أو نزل فيّ شيء من السماء، ثم لم ألبث أن أتيت الباب ثانية فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: لا. قالت: فكبوت كبوة أشدّ من الأولى، ثم لم ألبث حتّى أتيت الباب ثالثة فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: ادخلي يا أُمّ سلمة، فدخلت وعليّ عليه السلام جاثٍ بين يديه، وهو يقول: فداك أبي وأمّي يا رسول الله إذا كان كذا وكذا فما تأمرني؟ قال: آمرك بالصبر. ثم أعاد عليه القول ثانية فأمره بالصبر ثم أعاد عليه القول ثالثة، فقال له: يا علي يا أخي، إذا كان ذلك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك واضرب قدماً قدماً حتّى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم. ثم التفت إليّ وقال: ما هذه الكآبة يا أُمّ سلمة؟ قلت: للذي كان من ردّك إيّاي يا رسول الله. فقال لي: والله ما رددتك إلاّ لشيء خير من الله ورسوله، ولكن أتيتني وجبرئيل عليه السلام يخبرني بالأحداث التي تكون بعدي، وأمرني أن أُوصي بذلك عليّاً، يا أُمّ سلمة، اسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب وزيري في الدنيا ووزيري في الآخرة، يا أُمّ سلمة، اسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب وصيّي وخليفتي من بعدي وقاضي عداتي والذائد عن حوضي، اسمعي واشهدي، هذا عليّ بن أبي طالب سيّد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجّلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

---

(١) القاموس المحيط: ٢/ ٢٢.
(٢) القاموس المحيط: ٢/ ١٧٣.
(٣) القاموس المحيط: ٤/ ٣٠٥.
(٤) القاموس المحيط: ٢/ ٣٧٤.
(٥) الاحتجاج: ١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

قلت: يا رسول الله، من الناكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة ويقاتلونه بالبصرة. قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام. قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان.

٤ - لي[١]: ابن الوليد، عن محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي الصيرفي، عن محمد بن سنان، عن المفضّل، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام: مثله.

٥ - ما[٢]: الغضائري، عن الصدوق مثله.

بيان: كبا كبواً: انكبَّ على وجهه. ويقال: مضى قُدُماً بضمّتين، أي: لم يُعرج ولم ينثنِ.

٦ - ج[٣]: روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بأيّام حاكياً عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله: يا عليّ، إنّك باقٍ بعدي ومبتلٍ بأُمّتي، ومخاصم بين يدي الله، فأعدّ للخصوم جواباً. فقلت: بأبي أنت وأمّي بيّن لي ما هذه الفتنة التي أبتلى بها؟ وعَلامَ أُجاهد بعدك؟ فقال لي: إنّك ستقاتل بعدي الناكثة والقاسطة والمارقة - وحلاّهم وسمّاهم رجلاً رجلاً - وتجاهد من أُمّتي كلّ من خالف القرآن وسنّتي ممّن يعمل في الدين بالرأي، فلا رأي في الدين، إنّما هو أمر الربّ ونهيه. فقلت يا رسول الله، فأرشدني إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة؟

فقال: نعم، إذا كان ذلك فاقتصر على الهدى إذا قومك عطفوا الهدى على الهوى، وعطفوا القرآن على الرأي فيتأوّلوه برأيهم بتتبّع الحجج من القرآن بمشتبهات الأشياء الطارئة عند الطمأنينة إلى الدنيا، فاعطف أنت الرأي على القرآن إذا قومك حرّفوا الكلم عن مواضعه عند الأهواء الناهية والآراء الطامحة، والقادة الناكثة، والفرقة القاسطة، والأُخرى المارقة أهل الإفك المُردي، والهوى المُطغي، والشبهة الحالقة، فلا تنكلنّ عن فضل العاقبة، فإنّ العاقبة للمتّقين.

٧ - ج[٤]: عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: لمّا نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[٥] قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لأجاهدنّ العمالقة. يعني: الكفّار والمنافقين، فأتاه جبرئيل فقال: أنت أو عليّ.

٨ - ج[٦]: روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إنّي كنت لأدناهم من رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع بمنى فقال: لأعرفنكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لو فعلتموها لتعرفنّني في الكتيبة التي تضاربكم. ثم التفت إلى خلفه فقال: أو عليّاً... ثلاثاً، فرأينا أنّ جبرئيل عليه السلام غمزه، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[٧] بعليّ ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾[٨].

بيان: لعلّه صلى الله عليه وآله لمّا أخبر بما نزل عليه من أنّه يقاتل المنافقين المرتدّين بعده، نزل

(١) أمالي الطوسي: ٢/٣٨ ـ ٤٠.
(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ٣١١، الباب ٦، الحديث ١٠.
(٣) الاحتجاج: ١/٢٨٩ ـ ٢٩٠.
(٤) الاحتجاج: ١/٢٩٠.
(٥) التوبة: ٧٣.
(٦) الاحتجاج: ١/٢٩٠ ـ ٢٩١.
(٧) الزخرف: ٤١ ـ ٤٢.
(٨) الزخرف: ٤١ ـ ٤٢.

جبرئيل عليه السلام فأخبره بالبداء فيه، وأنّه إنّما يقاتلهم عليّ عليه السلام، فقال: أو عليّاً... أي: أو لتعرفنّ عليّاً عليه السلام تبهيماً عليهم، أو كلمة أو، بمعنى بل.

٩ - ج[١]: عن ابن عبّاس: أنّ عليّاً عليه السلام كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[٢] والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قُتل لأُقاتلنّ على ما قاتل عليه حتى أموت؛ لأنّي أخوه وابن عمّه ووارثه، فمن أحقّ به منّي؟

١٠ - ج[٣]: عن أحمد بن همّام قال: أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر فقلت: يا أبا عمارة، كان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف؟ فقال: يا أبا ثعلبة، إذا سكتنا عنكم فاسكتوا ولا تبحثوا، فوالله لعلي بن أبي طالب كان أحقّ بالخلافة من أبي بكر كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أحقّ بالنبوّة من أبي جهل. قال: وأزيدك: إنّا كنّا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء عليّ وأبو بكر وعمر إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل أبو بكر ثم دخل عمر ثم دخل عليّ على إثرهما فكأنّما سفي على وجه رسول الله صلى الله عليه وآله الرماد، ثم قال: يا عليّ، أيتقدّمانك هذان وقد أمّرك الله عليهما؟! قال أبو بكر: نسيت يا رسول الله. وقال عمر: سهوت يا رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما نسيتما ولا سهوتما، وكأنّي بكما قد استلبتما ملكه وتحاربتما عليه، وأعانكما على ذلك أعداء الله وأعداء رسوله، وكأنّي بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار بعضهم يضرب وجوه بعض بالسيف على الدنيا، ولكأنّي بأهل بيتي وهم المقهورون المتشتّتون في أقطارها، وذلك لأمر قد قُضِي. ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى سالت دموعه، ثم قال: يا علي، الصبر الصبر حتى ينزل الأمر، ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، فإنّ لك من الأجر في كلّ يوم ما لا يحصيه كاتباك، فإذا أمكنك الأمر فالسيف السيف، فالقتل القتل حتى يفيئوا إلى أمر الله وأمر رسوله، فإنّك على الحقّ ومن ناواك على الباطل، وكذلك ذريّتك من بعدك إلى يوم القيامة.

توضيح: سفت الرِّيح التُّراب تسفيه سفياً: أي أذرَته.

١١ - فس[٤]: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل فقال: يا علي، علامَ تقاتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله؟! فقال عليّ عليه السلام: آية في كتاب الله أباحت لي قتالهم. فقال: وما هي؟ قال: قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٥]. فقال الرجل: كفر - والله - القوم.

١٢ - فس[٦]: الحسين بن محمد، عن المعلّى، عن أحمد بن محمد بن عبد الله، عن يعقوب

(١) الاحتجاج: ١/ ٢٩١.
(٢) آل عمران: ١٤٤.
(٣) الاحتجاج: ١/ ٢٩١ - ٢٩٢.
(٤) تفسير القمي: ١/ ٨٤.
(٥) البقرة: ٢٥٣.
(٦) تفسير القمي: ٢/ ٣٧٧.

بن يزيد، عن سليمان الكاتب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[1]، قال: هكذا نزلت، فجاهد رسول الله صلى الله عليه وآله الكفار، وجاهد عليّ عليه السلام المنافقين، فجاهد عليّ عليه السلام جهاد رسول الله صلى الله عليه وآله.

تبيين: أقول: قد أشكل على المفسّرين ما ورد في الآية من الأمر بجهاد المنافقين. قال في مجمع البيان: اختلفوا في كيفيّة جهاد المنافقين. فقيل: إنّ جهادهم باللسان والوعظ. وقيل: جهادهم بإقامة الحدود عليهم، وكان ما يصيبهم من الحدود أكثر. وقيل: بالأنواع الثلاثة بحسب الإمكان باليد ثم اللسان ثم القلب. وروي في قراءة أهل البيت عليهم السلام: جاهد الكفّار بالمنافقين.. قالوا: لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يكن يقاتل المنافقين وإنّما كان يتألّفهم[2]. انتهى.

وهذه الآية كرّرت في القرآن في الموضعين: إحداهما: في التوبة[3]، والأُخرى في التحريم. وقال علي بن إبراهيم في الأُولى: إنّما نزلت: بالمنافقين؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يجاهد المنافقين بالسيف. ثم روى عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بإلزام الفرائض.. وروى في الثانية هذه الرواية: وقوله عليه السلام: هكذا نزلت.. يدلّ على عدم صحّة القراءة الشاذّة، ويمكن الجمع بأنّ إحدى الآيتين كانت بالباء والأُخرى بدونها، وفي توزيع عليّ بن إبراهيم رحمه الله النقل إشعار بذلك، وفيه فائدة أُخرى وهي عدم تكرار الآية بعينها[4].

١٣ - فس[5]: أحمد بن عليّ، عن الحسين بن عبد الله السعدي، عن الخشّاب، عن عبد الله بن الحسين، عن بعض أصحابه، عن فلان الكرخي، قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: ألم يكن عليّ قوياً في بدنه قوياً في أمر الله؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: بلى. قال: فما منعه أن يدفع أو يمتنع؟ قال: قد سألت فافهم الجواب: منع علياً من ذلك آية من كتاب الله. فقال: وأيّ آية؟ قال: فقرأ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[6]، إنّه كان لله ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن عليّ صلوات الله عليه ليقتل الآباء حتّى يخرج الودائع، فلمّا خرجت ظهر على من ظهر وقتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى يخرج ودائع الله، فإذا خرجت يظهر على من يظهر فيقتله.

تبيان: هذا التأويل الجليل لم يذكره المفسّرون، وقالوا: أراد أنّه لو تميّز المؤمنون المستضعفون بمكّة من الكافرين لعذّبنا الذين كفروا منهم بالسيف والقتل بأيديكم، وما ورد في الخبر أنسب من جهة لفظ التنزيل المشتمل على المبالغة المناسبة لإخراج ما في الأصلاب، فتأمّل.

١٤ - فس[7]: أبي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام قال: جاء العباس إلى أمير

---

(١) التحريم: ٩.
(٢) مجمع البيان: ٣/ ٥٠.
(٣) التوبة: ٧٣.
(٤) تفسير القمي: ٢/ ٣٧٧.
(٥) تفسير القمي: ٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧.
(٦) الفتح: ٢٥.
(٧) تفسير القمي: ٢/ ١٤٨.

المؤمنين صلوات الله عليه فقال: انطلق نبايع لك الناس. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أتراهم فاعلين؟ قال: نعم. قال: فأين قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: اختبرناهم ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

١٥ - فس[2]: قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم﴾... الآية[3]، فإنّها نزلت في أصحاب الجمل، وقال أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل: والله ما قاتلت هذه الفئة الناكثة إلاّ بآية من كتاب الله، يقول الله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[4].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الزهراء: والله لقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله غير مرّة ولا اثنتين ولا ثلاث ولا أربع، فقال: يا عليّ، إنّك ستقاتل من بعدي الناكثين والمارقين والقاسطين، أفأُضيّع ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وآله وأكفر بعد إسلامي؟!

بيان: قال في مجمع البيان: قال ابن عباس: أراد بأئمّة الكفر: رؤساء قريش، مثل الحارث بن هشام وأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد، وكان حذيفة بن اليمان يقول: لم يأت أهل هذه الآية بعد. وقال مجاهد: هم أهل فارس والروم. وقرأ عليّ عليه السلام هذه الآية يوم البصرة، ثم قال: أما والله لقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا عليّ ستقاتلنّ الفئة الناكثة والفئة الباغية والفئة المارقة[5].

١٦ - ما[6]: المفيد، عن عليّ بن محمد الكاتب، عن الحسن بن عليّ الزعفراني، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن المسعودي، عن محمد بن كثير، عن يحيى بن حمّاد القطّان، عن أبي محمد الحضرمي، عن أبي علي الهمداني: أنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي سائلك لآخذ عنك، وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم تقله، ألا تحدّثنا عن أمرك هذا؟ كان بعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله أو شيء رأيته؟ فإنّا قد أكثرنا فيك الأقاويل، وأوثقه عندنا ما نقلناه عنك وسمعناه من فيك، إنّا كنّا نقول: لو رجعت إليكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدري إذا سُئلت ما أقول؟ أأزعم أنّ القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك؟ فإن قلت ذلك، فعلام نصَبَك رسول الله صلى الله عليه وآله بعد حجّة الوداع فقال: أيّها الناس من كنت مولاه فعليّ مولاه؟ وإن كنت أولى منهم بما كانوا فيه فعلامَ تتولاّهم؟!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبد الرحمن، إنّ الله تعالى قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي هذا، وقد كان من نبيّ الله إليّ عهد لو خزمتموني بأنفي لأقررت سمعاً وطاعةً، وإنّا أوّل ما انتُقصنا بعده إبطال حقّنا في الخمس، فلمّا دقّ أمرنا طمعت رعيان قريش فينا، وقد كان لي على الناس حقّ لو ردّوه إليّ عفواً قبلته وقمت به، وكان إلى أجل معلوم، وكنت كرجل له على

---

(١) العنكبوت: ١ - ٣.
(٢) تفسير القمي: ١/ ٢٨٣.
(٣-٤) التوبة: ١٢.
(٥) مجمع البيان: ٣/ ١١.
(٦) أمالي الطوسي: ١/ ٧-٨.

الناس حقّ إلى أجل، فإن عجّلوا له ماله أخذه وحمدهم عليه، وإن أخّروه أخذه غير محمودين، وكنت كرجل يأخذ السهولة وهو عند الناس محزون، وإنّما يعرف الهدى بقلّة من يأخذه من الناس، فإذا سكتُّ فاعفوني فإنّه لو جاء أمر تحتاجون فيه إلى الجواب أجبتكم، فكفّوا عنّي ما كففت عنكم.

فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين، فأنت لعمرك كما قال الأوّل:

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أُذنان

توضيح[1]: قوله: خزمتموني بالمعجمتين من خزَم البعير: إذا جعَل في جانب مَنخِره الخِزامَة، أو بإهمال الراء من خَرَمَه: أي شقّ وتَرَة أنفه.. والرُعيان بالضّم وقد يكسر: جمع الرّاعي.. ويقال: أعطيته عفواً، أي: بغير مسألةٍ.

قوله: وهو عند الناس محزون. لعلّ الأصوب: حَرُونٌ، وهو الشّاة السَّيِّئة الخُلق.. ولمّا لم يمكنه عليه السلام في هذا الوقت التصريح بجور الغاصبين أفهم السائل بالكناية التي هي أبلغ.

١٧ - ما[2]: المفيد، عن المظفّر بن محمد البلخي، عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج، عن عيسى بن مهران، عن الحسن بن الحسين، عن الحسن بن عبد الكريم، عن جعفر بن زياد الأحمر، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه جندب بن عبد الله قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد بويع لعثمان بن عفّان، فوجدته مطرقاً كئيباً، فقلت له: ما أصابك - جعلت فداك - من قومك؟ فقال: صبرٌ جميل. فقلت: سبحان الله! والله إنّك لصبور. قال: فأصنع ماذا؟ قلت: تقوم في الناس وتدعوهم إلى نفسك وتخبرهم أنّك أولى بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبالفضل والسابقة، وتسألهم النصر على هؤلاء المتظاهرين عليك، فإن أجابك عشرة من مئة شددت بالعشرة على المئة، فإن دانوا لك كان ذلك ما أحببت، وإن أبوا قاتلهم، فإن ظهرت عليهم فهو سلطان الله الذي آتاه نبيّه صلى الله عليه وآله وكنت أولى به منهم، وإن قُتلت في طلبه قُتلت إن شاء الله شهيداً، وكنت أولى بالعذر عند الله، لأنّك أحقّ بميراث رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتراه يا جندب كان يبايعني عشرة من مئة؟ فقلت: أرجو ذلك. فقال: لكنّي لا أرجو، ولا من كلّ مئة اثنان وسأُخبرك من أين ذلك، إنّما ينظر الناس إلى قريش، وإنّ قريشاً تقول: إنّ آل محمّد يرون لهم فضلاً على سائر قريش، وأنّهم أولياء هذا الأمر دون غيرهم من قريش، وإنّهم إن ولوه لم يخرج منهم هذا السلطان إلى أحد أبداً، ومتى كان في غيرهم تداولوه بينهم، ولا والله لا تدفع إلينا هذا السلطان قريش أبداً طائعين. فقلت له: أفلا أرجع فأُخبر الناس بمقالتك هذه، وأدعوهم إلى نصرك؟ فقال: يا جندب، ليس ذا زمان ذاك.

قال جندب: فرجعت بعد ذلك إلى العراق، فكنت كلّما ذكرت من فضل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام شيئاً زبروني ونهروني حتّى رفع ذلك من قولي إلى الوليد بن عقبة، فبعث إليّ فحبسني حتى كُلّم فيّ، فخلّى سبيلي.

---

(١) أمالي الطوسي: ١/ ٢٣٩. (٢) الإرشاد: ١٢٩.

١٨ - شا[١]: عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه: مثله.

بيان: قوله عليه السلام: على هؤلاء المتظاهرين. في الإرشاد: على هؤلاء المتمالين بقلب الهمزة ثم حذف المقلوب. قال الجوهري: مالأتُهُ على الأمر ممالأة: ساعدته عليه وشايعته. ابن السِّكِّيت: تمالوا على الأمر: اجتمعوا عليه[٢].

قوله: كلّما ذكرت من فضل أمير المؤمنين عليه السلام. في الإرشاد: كلّما ذكرت للناس شيئاً من فضائله ومناقبه وحقوقه زبروني.

١٩ - ل[٣]: محمد بن الفضل المذكر، عن أبي عبد الله البراوستاني، عن عليّ بن مسلمة، عن محمد بن بشير، عن قطر بن خليفة، عن حكيم بن جبير، عن إبراهيم قال: سمعت علقمة يقول: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

٢٠ - ن[٤]: بإسناد التميمي، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ عليه السلام: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

٢١ - ن[٥]: بهذا الإسناد، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من جاءكم يريد أن يفرّق الجماعة ويغصب الأُمّة أمرها ويتولّى من غير مشورة فاقتلوه، فإنّ الله عزّ وجلّ قد أذن في ذلك.

٢٢ - ع، ن[٦]: الطالقاني، عن الحسن بن عليّ العدوي، عن الهيثم بن عبد الله الرماني قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله، أخبرني عن عليّ عليه السلام: لِمَ لمْ يجاهد أعداءه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله ثم جاهد في أيّام ولايته؟ فقال: لأنّه اقتدى برسول الله صلى الله عليه وآله في تركه جهاد المشركين بمكّة بعد النبوّة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة تسعة عشر شهراً وذلك لقلّة أعوانه عليهم، وكذلك عليّ عليه السلام ترك مجاهدة أعدائه لقلّة أعوانه عليهم، فلمّا لم تبطل نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله مع تركه الجهاد ثلاث عشرة سنة وتسعة عشر شهراً، كذلك لم تبطل إمامة عليّ عليه السلام مع تركه الجهاد خمساً وعشرين سنة، إذ كانت العلّة المانعة لهما من الجهاد واحدة.

٢٣ - ع[٧]: أبي، عن سعد، عن النهدي، عن أبي محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّما أشار عليّ عليه السلام بالكفّ عن عدوّه من أجل شيعتنا، لأنّه كان يعلم أنّه سيظهر عليهم بعده، فأحبّ أن يقتدي به من جاء بعده فيسير فيهم بسيرته، ويقتدي بالكفّ عنهم بعده.

٢٤ - ك، ع[٨]: ابن مسرور، عن ابن عامر، عن عمّه، عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن

---

(١) الصحاح: ١/٧٣.
(٢) الخصال: ١/٤٥، باب الثلاثة، الحديث ١٧١.
(٣-٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٦١، ٦٢، الباب ٣١، الحديثان ٢٤١، ٢٥٤.
(٥) علل الشرائع: ١/١٤٨، الباب ١٢٢، الحديث ٥، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/٨١، الباب ٣٢، الحديث ١٦.
(٦) علل الشرائع: ١/١٤٦ـ١٤٧، الباب ١٢٢، الحديث ١.
(٧) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢/٦٤١، الباب ٥٤، وعلل الشرائع ١/١٤٧، الباب ١٢٢، الحديث ٢.

أبي عبد الله عليه السلام، قلت له: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل فلاناً وفلاناً وفلاناً؟ قال: لآية في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]. قال: قلت: وما يعني بتزايلهم؟ قال: ودائع المؤمنين في أصلاب قوم كافرين، وكذلك القائم عليه السلام لن يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله عزّ وجلّ، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله فقتلهم.

٢٥ - ك، ع[2]: المظفّر العلوي، عن ابن العياشي، عن أبيه، عن عليّ بن محمد، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن إبراهيم الكرخي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام - أو قال له رجل -: أصلحك الله ألم يكن عليّ عليه السلام قويّاً في دين الله عزّ وجلّ؟ قال: بلى. قال: فكيف ظهر عليه القوم؟ وكيف لم يدفعهم؟ وما منعه من ذلك؟ قال: آية في كتاب الله عزّ وجلّ منعته. قال: قلت: وأيّ آية؟ قال: قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ إنّه كان لله عزّ وجلّ ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن عليّ عليه السلام ليقتل الآباء حتى تخرج الودائع، فلمّا خرجت الودائع ظهر على من ظهر فقاتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله عزّ وجلّ، فإذا ظهرت ظهر على من ظهر فقتله.

٢٦ - ك، ع[3]: المظفّر العلوي، عن ابن العياشي، عن أبيه، عن جبرئيل بن أحمد، عن اليقطيني، عن يونس، عن ابن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: لو أخرج الله ما في أصلاب المؤمنين من الكافرين وما في أصلاب الكافرين من المؤمنين لعذّب الذين كفروا.

٢٧ - ع[4]: الهمداني، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، أنّه سُئِل أبو عبد الله عليه السلام: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتلهم؟ قال: للذي سبق في علم الله أن يكون، وما كان له أن يقاتلهم وليس معه إلاّ ثلاثة رهط من المؤمنين.

٢٨ - غط[5]: ابن أبي جيد، عن ابن الوليد، عن محمد بن أبي القاسم، عن أبي سمينة، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سليم بن قيس الهلالي، عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيّته لأمير المؤمنين عليه السلام: يا علي، إنّ قريشاً ستظاهر عليك وتجتمع كلمتهم على ظلمك وقهرك، فإن وجدت أعواناً فجاهدهم وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحقن دمك، فإنّ الشهادة من ورائك، لعن الله قاتلك.

٢٩ - ع[6]: حمزة العلوي، عن ابن عقدة، عن الفضل بن حباب الجمحي، عن محمد بن

---

(١) الفتح: ٢٥.
(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢/ ٦٤١ ـ ٦٤٢، الباب ٥٤، وعلل الشرائع ١/ ١٤٧، الباب ١٢٢، الحديث ٣.
(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢/ ٦٤٢، الباب ٥٤، وعلل الشرائع ١/ ١٤٧ ـ ١٤٨، الباب ١٢٢، الحديث ٤.
(٤) علل الشرائع: ١/ ١٤٨، الباب ١٢٢، الحديث ٦.
(٥) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٠٣.
(٦) علل الشرائع: ١/ ١٤٨ ـ ١٤٩، الباب ١٢٢، الحديث ٧.

إبراهيم الحمصي، عن محمد بن أحمد بن موسى الطائي، عن أبيه، عن ابن مسعود قال: احتجّوا في مسجد الكوفة فقالوا: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الثلاثة كما نازع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية؟ فبلغ ذلك علياً عليه السلام فأمر أن ينادى: الصلاة جامعة.. فلمّا اجتمعوا صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: معاشر الناس، إنّه بلغني عنكم كذا وكذا؟ قالوا: صدق أمير المؤمنين، قد قلنا ذلك. قال: فإنّ لي بستة من الأنبياء أسوة فيما فعلت. قال الله عزّ وجلّ في محكم كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]. قالوا: ومن هم يا أمير المؤمنين؟ قال: أولهم إبراهيم عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2]، فإن قلتم: إنّ إبراهيم عليه السلام اعتزل قومه لغير مكروه أصابه منهم، فقد كفرتم، وإن قلتم: اعتزلهم لمكروه منهم، فالوصيّ أعذر.

ولي بابن خالته لوط أسوة إذ قال لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[3]، فإن قلتم: إنّ لوطاً كانت له بهم قوّة، فقد كفرتم، وإن قلتم: لم يكن له بهم قوّة فالوصيّ أعذر.

ولي بيوسف عليه السلام أسوة إذ قال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾[4]، فإن قلتم: إنّ يوسف دعا ربّه وسأله السجن بسخط ربّه، فقد كفرتم، وإن قلتم: إنّه أراد بذلك لئلاّ يسخط ربّه عليه فاختار السجن، فالوصيّ أعذر.

ولي بموسى عليه السلام أسوة إذ قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[5]، فإن قلتم: إنّ موسى عليه السلام فرّ من قومه بلا خوف كان له منهم فقد كفرتم، وإن قلتم: إنّ موسى خاف منهم فالوصيّ أعذر.

ولي بأخي هارون عليه السلام أسوة إذ قال لأخيه: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾[6]، فإن قلتم: لم يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله، فقد كفرتم، وإن قلتم استضعفوه وأشرفوا على قتله فلذلك سكت عنهم، فالوصيّ أعذر.

ولي بمحمّد صلى الله عليه وآله أسوة حين فرّ من قومه ولحق بالغار من خوفهم وأنامني على فراشه، فإن قلتم: فرّ من قومه لغير خوف منهم، فقد كفرتم، وإن قلتم: خافهم وأنامني على فراشه ولحق هو بالغار من خوفهم، فالوصيّ أعذر.

٣٠ - ع[7]: أحمد بن حاتم، عن أحمد بن محمد بن موسى، عن محمد بن حمّاد الشاشي، عن الحسين بن راشد، عن عليّ بن إسماعيل الميثمي، عن ربعي، عن زرارة قال: قلت: ما منع أمير المؤمنين عليه السلام أن يدعو الناس إلى نفسه؟ قال: خوفاً أن يرتدّوا. قال عليّ: وأحسب في الحديث: ولا يشهدوا أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣١ - ع[8]: أحمد بن الحسين، عن أبيه، عن محمد بن أبي الصهبان، عن ابن أبي عمير، عن

---

(١) الأحزاب: ٢١. (٢) مريم: ٤٨.
(٣) هود: ٨٠. (٤) يوسف: ٣٣.
(٥) الشعراء: ٢١. (٦) الأعراف: ١٥٠.
(٧) علل الشرائع: ١/١٤٩، الباب ١٢٢، الحديث ٨.
(٨) علل الشرائع: ١/١٥١، الباب ١٢٢، الحديث ١١.

بعض أصحابنا، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لم كفّ عليّ عليه السلام عن القوم؟ قال: مخافة أن يرجعوا كفّاراً.

٣٢ - ع[1]: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن حمّاد، عن حريز، عن بريد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ عليّاً عليه السلام لم يمنعه من أن يدعو إلى نفسه إلاّ أنّهم أن يكونوا ضلالاً، لا يرجعون عن الإسلام أحبّ إليه من أن يدعوهم فيأبوا عليه فيصيرون كفّاراً كلّهم.

٣٣ - ل[2]: ماجيلويه وابن المتوكل والعطار جميعاً، عن محمد العطار، عن ابن أبي الخطاب، عن النضر، عن خالد بن ماد، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: جاء رجل إلى عليّ عليه السلام وهو على منبره فقال: يا أمير المؤمنين، ائذن لي أتكلم بما سمعت من عمّار بن ياسر يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: اتّقوا الله ولا تقولوا على عمّار إلاّ ما قاله... حتّى قال ذلك ثلاث مرّات، ثم قال: تكلّم. قال: سمعت عمّاراً يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا أُقاتل على التنزيل وعليٌّ يقاتل على التأويل. فقال عليه السلام: صدق عمّار وربّ الكعبة، إنّ هذه عندي لفي ألف كلمة تتبع كلّ كلمة ألف كلمة.

٣٤ - ما[3]: المفيد، عن ابن قولويه، عن عليّ بن حاتم، عن الحسن بن عبيد الله، عن الحسن بن موسى، عن ابن أبي نجران، ومحمد بن عمر بن يزيد معاً، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعي، عن الفضيل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لمن كان الأمر حين قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لنا أهل البيت. فقلت: كيف صار في تيم وعديّ؟ قال: إنّك سألت فافهم الجواب: إنّ الله تعالى لمّا كتب أن يُفسَد في الأرض وتُنكح الفروج الحرام، ويُحكم بغير ما أنزل الله، خلّى بين أعدائنا وبين مرادهم من الدنيا حتّى دفعونا عن حقّنا وجرى الظلم على أيديهم دوننا.

بيان: لعلّ الكتابة مؤوّلة بالعلم، أو هي كتابة تبيين لا كتابة تقدير.

٣٥ - ع[4]: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن يزيد، عن ربعي، عن حمّاد، عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي جعفر أو لأبي عبد الله عليه السلام: حين قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله لمن كان الأمر بعده؟ فقال: لنا أهل البيت. قلت: فكيف صار في غيركم؟ قال: إنّك قد سألت فافهم الجواب.. إنّ الله عزّ وجلّ لمّا علم أن يُفسَد في الأرض، وتُنكح الفروج الحرام، ويُحكم بغير ما أنزل الله تبارك وتعالى، أراد أن يلي ذلك غيرنا.

٣٦ - قب[5]: قال ضرار لهشام بن الحكم: ألا دعا عليّ الناس عند وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الائتمام به إن كان وصيّاً؟ قال: لم يكن واجباً عليه؛ لأنّه قد دعاهم إلى موالاته والائتمام به

(١) علل الشرائع: ١/ ١٥٠، الباب ١٢٢، الحديث ١٠.
(٢) الخصال: ٢/ ٦٥٠، الحديث ٤٨.
(٣) أمالي الطوسي: ١/ ٢٣٠.
(٤) علل الشرائع: ١/١٥٣ ـ ١٥٤، الباب ١٢٢، الحديث ١٤.
(٥) المناقب لابن شهرآشوب: ١/ ٢٧٠.

النبيّ ﷺ يوم الغدير ويوم تبوك وغيرهما فلم يقبلوا منه، ولو كان ذلك جائزاً لجاز على آدم عليه السلام أن يدعو إبليس إلى السجود له بعد أن دعاه ربّه إلى ذلك، ثم إنّه صبر كما صبر أُولو العزم من الرسل.

وسأل أبو حنيفة الطاقي فقال له: لِمَ لَم يطلب عليّ بحقّه بعد وفاة الرسول إن كان له حقّ؟ قال: خاف أن يقتله الجنّ كما قتلوا سعد بن عبادة بسهم المغيرة بن شعبة!

وقيل لعليّ بن ميثم: لم قعد عن قتالهم؟ قال: كما قعد هارون عن السامريّ وقد عبدوا العجل قبلاً فكان ضعيفاً. قال: كان كهارون حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾[1]، وكنوح عليه السلام إذ قال: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[2]، وكلوط إذ قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[3]، وكموسى وهارون إذ قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾[4].

بيان: قال الجوهري: رأيته قَبلاً وقُبُلاً بالضم: أي مقابلةً وعياناً، ورأيته قِبلاً بكسر القاف: أي عياناً[5].

٣٧ - قب[6]: وفي الخصال في آداب الملوك أنّه قال عليه السلام: ولي في موسى أُسوة وفي خليلي قدوة، وفي كتاب الله عبرة، وفيما أودعني رسول الله ﷺ برهان، وفيما عرفت تبصرة، إن يكذّبوني فقد كذّبوا الحقّ من قبلي، وإن أُبتلى به فتلك سيرتي، المحجّة العظمى والسبيل المفضية لمن لزمها إلى النجاة لم أزل عليها لا ناكلاً ولا مبدّلاً، لن أضيع بين كتاب الله وعهد ابن عمّي به.. في كلام له، ثم قال:

لن أطلب العذر في قومي وقد جهلوا   فرض الكتاب ونالوا كلّ ما حرما
حبل الإمامة لي من بعد أحمدنا   .... الأبيات

ومن كلام له عليه السلام رواه محمد بن سلام: فنزل بي من وفاة رسول الله ﷺ ما لم يكن الجبال لو حملته لحملته، ورأيت أهل بيته بين جازع لا يملك جزعه، ولا يضبط نفسه، ولا يقوى على حمل ما نزل به، قد أذهب الجزع صبره، وأذهل عقله، وحال بينه وبين الفهم والإفهام، وبين القول والاستماع. ثم قال بعد كلام: وحملت نفسي على الصبر عند وفاته، ولزمت الصمت والأخذ فيما أمرني به من تجهيزه... الخبر.

قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[7] كان قتل واحداً على وجه الدفع ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا﴾[8] ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا﴾[9] ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[10] ﴿رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ﴾[11]

---

(١) الأعراف: ١٥٠.
(٢) القمر: ١٠.
(٣) هود: ٨٠.
(٤) المائدة: ٢٥.
(٥) الصحاح: ٥/١٧٩٦.
(٦) المناقب لابن شهرآشوب: ١/ ٢٧١ ـ ٢٧٦.
(٧) القصص: ١٥.
(٨) القصص: ١٨.
(٩) القصص: ٢١.
(١٠) الشعراء: ٢١.
(١١) القصص: ٣٣.

فكيف لا يخاف عليّ وقد وترهم بالنهب، وأفناهم بالحصد، واستأسرهم فلم يدع قبيلة من أعلاها إلى أدناها إلاّ وقد قتل صناديدهم؟

قيل لأمير المؤمنين عليه السلام في جلوسه عنهم؟ قال: إنّي ذكرت قول النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي رأيت القوم نقضوا أمرك، واستبدّوا بها دونك، وعصوني فيك، فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر، فإنّهم سيغدرون بك وأنت تعيش على ملّتي، وتُقتل على سنّتي، من أحبّك أحبّني، ومن أبغضك أبغضني، وإنّ هذه ستخضب من هذا. . .

زرارة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما منع أمير المؤمنين عليه السلام أن يدعو الناس إلى نفسه ويجرّد سيفه؟ فقال: الخوف من أن يرتدّوا فلا يشهدوا أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله.

وسأل صدقة بن مسلم عمر بن قيس الماصر عن جلوس عليّ في الدار، فقال: إنّ عليّاً في هذه الأُمّة كان فريضة من فرائض الله، أدّاها نبيّ الله إلى قومه مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج، وليس على الفرائض أن تدعوهم إلى شيء إنّما عليهم أن يجيبوا الفرائض، وكان عليّ أعذر من هارون لمّا ذهب موسى إلى الميقات، فقال لهارون: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾(1)، فجعله رقيباً عليهم، وإنّ نبيّ الله نصب عليّاً عليه السلام لهذه الأُمّة علماً ودعاهم إليه، فعليّ في عذر لمّا جلس في بيته، وهم في حرج حتى يخرجوه فيضعوه في الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله. فاستحسن منه جعفر الصادق عليه السلام.

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عن أمرهما: وكنت كرجل له على الناس حقّ، فإن عجّلوا له ماله أخذه وحمدهم، وإن أخّره أخذه غير محمودين، وكنت كرجل يأخذ بالسهولة وهو عند الناس حزون، وإنّما يعرف الهدى بقلّة من يأخذه من الناس، فإذا سكتّ فاعفوني. وقال عليه السلام لعبد الرحمن بن عوف يوم الشورى: إنّ لنا حقّاً إن أُعطيناه أخذناه، وإن منعناه ركبنا أعجاز الإبل وإن طال بنا السرى.

وسُئل متكلّم: لِمَ لَم يقاتل الأوّلين على حقّه وقاتل الآخرين؟ فقال: لِمَ لَم يقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله على إبلاغ الرسالة في حال الغار ومدّة الشعب وقاتل بعدهما؟

وقال بعض النواصب لصاحب الطاق: كان عليّ يُسلّم على الشيخين بإمرة المؤمنين، أفصدق أم كذب؟ قال: أخبرني أنت عن الملكين اللذين دخلا على داود، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾(2)، كذب أم صدق؟ فانقطع الناصبي.

وسأل سليمان بن حريز هشام بن الحكم: أخبرني عن قول عليّ لأبي بكر: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله. أكان صادقاً أم كاذباً؟ فقال هشام: وما الدليل على أنّه قال؟ ثم قال: وإن كان قاله فهو كقول إبراهيم: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾(3)، وكقوله: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾(4)، وكقول يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾(5).

---

(1) الأعراف: ١٤٢.
(2) ص: ٢٣.
(3) الصافات: ٨٩.
(4) الأنبياء: ٦٣.
(5) يوسف: ٧٠.

وقيل لعلي بن ميثم: لم صلّى عليّ خلف القوم؟ قال: جعلهم بمنزلة السواري. قيل: فلم ضرب الوليد بن عقبة بين يدي عثمان؟ قال: لأنّ الحدّ له وإليه، فإذا أمكنه إقامته أقامه بكلّ حيلة. قيل: فلم أشار على أبي بكر وعمر؟ قال: طلباً منه أن يُحيي أحكام القرآن وأن يكون دينه القيّم كما أشار يوسف عليه السلام على ملك مصر نظراً منه للخلق؛ ولأنّ الأرض والحكم فيها إليه، فإذا أمكنه أن يظهر مصالح الخلق فعل، وإن لم يمكنه ذلك بنفسه توصّل إليه على يدي من يمكنه طلباً منه لإحياء أمر الله. قيل: لم قعد في الشورى؟ قال: اقتداراً منه على الحجّة وعلماً بأنّهم إن ناظروه أو أنصفوه كان هو الغالب، ومن كان له دعوى فدعي إلى أن يناظر عليه فإن ثبتت له الحجّة أُعطيه، فإن لم يفعل بطل حقّه وأدخل بذلك الشبهة على الخلق، وقد قال عليه السلام يومئذٍ: اليوم أُدخلت في باب إذا أُنصفت فيه وصلت إلى حقّي... يعني أنّ الأوّل استبدّ بها يوم السقيفة ولم يشاوره، قيل: فلم زوّج عمر ابنته؟ قال: لإظهاره الشهادتين وإقراره بفضل رسول الله صلى الله عليه وآله وإرادته استصلاحه وكفّه عنه، وقد عرض نبيّ الله لوط عليه السلام بناته على قومه وهم كفّار ليردّهم عن ضلالتهم، فقال: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾[1]، ووجدنا آسية بنت مزاحم تحت فرعون.

وسُئل الشيخ المفيد: لم أخذ عطاءهم، وصلّى خلفهم، ونكح سبيهم، وحكم في مجالسهم؟ فقال: أمّا أخذه العطاء فأخذ بعض حقّه. وأمّا الصلاة خلفهم فهو الإمام، من تقدّم بين يديه فصلاته فاسدة، على أنّ كلاً مؤدّ حقّه. وأمّا نكاحه من سبيهم فمن طريق الممانعة، إنّ الشيعة روت أنّ الحنفيّة زوّجها أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن مسلم الحنفي، واستدلّوا على ذلك بأنّ عمر بن الخطّاب لمّا ردّ من كان أبو بكر سباه لم يردّ الحنفيّة، فلو كانت من السبي لردّها، ومن طريق المتابعة أنّه لو نكح من سبيهم لم يكن لكم ما أردتم؛ لأنّ الذين سباهم أبو بكر كانوا عندكم قادحين في نبوّة رسول الله كفّاراً، فنكاحهم حلال لكلّ أحد، ولو كان الذين سباهم يزيد وزياد، وإنّما كان يسوغ لكم ما ذكرتموه إذا كان الذين سباهم قادحين في إمامته ثم نكح أمير المؤمنين عليه السلام. وأمّا حكمه في مجالسهم فإنّه لو قدر أن لا يدعهم يحكمون حكماً لفعل، إذ الحكم إليه وله دونهم.

وفي كتاب الكرّ والفرّ قالوا: وجدنا عليّاً عليه السلام يأخذ عطاء الأوّل، ولا يأخذ عطاء ظالم إلاّ ظالم؟ قلنا: فقد وجدنا دانيال يأخذ عطاء بخت نصر.

وقالوا: قد صحّ أنّ عليّاً عليه السلام لم يبايع ثم بايع، ففي أيّهما أصاب وأخطأ في الأُخرى؟ قلنا: وقد صحّ أن النبيّ صلى الله عليه وآله لم يدع في حال ودعا في حال، ولم يقاتل ثم قاتل.

وقال رجل للمرتضى: أيّ خليفة قاتل ولم يسب ولم يغنم؟ فقال: ارتدّ غلام في أيّام أبي بكر فقتلوه ولم يعرض أبو بكر لماله، وروي مثل ذلك في مرتدّ قتل في أيام عمر فلم يعرض لماله، وقتل عليّ عليه السلام مستورد العجلي ولم يتعرّض لماله، فالقتل ليس بأمارة على تناول المال.

وقال رجل لشريك: أليس قول عليّ لابنه الحسين يوم الجمل: يا بني، يودّ أبوك أنّه مات قبل هذا اليوم بثلاثين سنة.. يدلّ على أنّ في الأمر شيئاً؟ فقال شريك: ليس كلّ حقّ يشتهى أن يُتعب

---

(١) هود: ٧٨.

فيه، وقد قالت مريم في حقّ لا يشكّ فيه: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[١]. ولمّا قيل لأمير المؤمنين عليه السلام في الحكمين: شككت؟ قال عليه السلام: أنا أولى بأن لا أشك في ديني أم النبيّ صلى الله عليه وآله؟ أوما قال الله تعالى لرسوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٢].

٣٨ - شي[٣]: عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الناس لعلي عليه السلام: إن كان له حقّ فما منعه أن يقوم به؟ قال: فقال: إنّ الله لم يكلّف هذا إلاّ إنساناً واحداً رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] فليس هذا إلاّ للرسول. وقال لغيره: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾[٥] فلم يكن يومئذٍ فئة يعينونه على أمره.

بيان: لعلّ المعنى أنّه إذا كان مع وجود الجيش يجوز الفرار للتحيّز إلى فئة أُخرى أقوى، فيجوز ترك الجهاد مع عدم الفئة أصلاً بطريق أولى، وإنّ هذه الآية تدلّ على اشتراط الفئة التزاماً.

٣٩ - شي[٦]: عن حريز، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة حتى لا تخطئون طريقهم ولا تخطئكم سنّة بني إسرائيل، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ... يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾[٧] فردّوا عليه وكانوا ستمئة ألف فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾[٨] أحدهما يوشع بن نون و[الآخر] كالب بن يوفنا، قال: وهما ابنا عمّه فقالا: ﴿ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[٩] قال: فعصى ستمئة ألف، وسلم هارون وابناه ويوشع بن نون كالب بن يوفنا، فسمّاهم الله فاسقين، فقال: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[١٠] فتاهوا أربعين سنة لأنّهم عصوا.. فكان حذو النعل بالنعل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قُبض لم يكن على أمر الله إلاّ عليّ والحسن والحسين وسلمان والمقداد وأبو ذرّ، فمكثوا أربعين حتى قام عليّ فقاتل من خالفه.

بيان: قوله: فمكثوا أربعين. كذا في النسخة التي عندنا، وهو لا يوافق التاريخ؛ إذ هو عليه السلام قاتلهم بعد نحو من خمس وعشرين، ولعلّه من تحريف النسّاخ، وكون الأربعين من الهجرة، وأنّه

---

(١) مريم: ٢٣.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب: ١/ ٢٧١ ـ ٣٧٦، والآية ٤٩ من سورة القصص.

(٣) تفسير العياشي: ١/ ٢٦١، الحديث ٢١١.

(٤) النساء: ٨٤. (٥) الأنفال: ١٦.

(٦) تفسير العياشي: ١/ ٣٠٣، برقم ٦٨.

(٧) المائدة: ٢٠ ـ ٢٢. (٨) المائدة: ٢٢ ـ ٢٣.

(٩) المائدة: ٢٤. (١٠) المائدة: ٢٦.

أُريد هنا انتهاء غزواته عليه السلام بعيد، ويحتمل أن يكون المراد: نحواً من أربعين، أي: مدّة مديدة يقرب منها، ويكفي هذا للمشابهة.

٤٠ - شي[١]: عن ابن نباتة قال: كنت واقفاً مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل، فجاء رجل حتّى وقف بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، كبّر القوم وكبّرنا، وهلّل القوم وهلّلنا، وصلّى القوم وصلّينا، فعلام نقاتلهم؟ فقال: على هذه الآية: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾[٢] فنحن الذين من بعدهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٣] فنحن الذين آمنّا وهم الذين كفروا. فقال الرجل: كفر القوم وربّ الكعبة. ثم حمل فقاتل حتّى قُتل رحمه الله.

٤١ - شي[٤]: عن أبي جعفر عليه السلام: ما شأن أمير المؤمنين عليه السلام حين ركب منه ما ركب، لم يقاتل؟ فقال: للّذي سبق في علم الله أن يكون، ما كان لأمير المؤمنين عليه السلام أن يقاتل وليس معه إلاّ ثلاثة رهط، فكيف يقاتل؟ ألم تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٥] فكيف يقاتل أمير المؤمنين عليه السلام بعد هذا؟ وإنّما هو يومئذٍ ليس معه مؤمن غير ثلاثة رهط.

٤٢ - شي[٦]: عن زيد الشحّام قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك، إنّهم يقولون: ما منع عليّاً إن كان له حقّ أن يقوم بحقّه؟ فقال: إن الله لم يكلّف هذا أحداً إلاّ نبيّه عليه وآله السلام، قال له: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾[٧]، وقال لغيره: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾[٨] فعليّ لم يجد فئة، ولو وجد فئة لقاتل، ثم قال: لو كان جعفر وحمزة حيّين، إنّما بقي رجلان.

بيان: قوله عليه السلام: لو كان. كلمة لو للتمنّي، أو الجزاء محذوف، أي: لم يترك القتال، أو يكون تفسيراً للفئة، والمراد بالرجلين: الضعيفان: عباس وعقيل، كما مرّ.

٤٣ - شي[٩]: عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: يابن رسول الله، زعم ولد الحسن عليه السلام أنّ القائم منهم وأنّهم أصحاب الأمر، ويزعم ولد ابن الحنفيّة مثل ذلك. فقال: رحم الله عمّي الحسن، لقد غمد الحسن أربعين ألف سيف حين أُصيب أمير المؤمنين عليه السلام وأسلمها إلى معاوية، ومحمد بن عليّ سبعين ألف سيف قاتله لو حظر عليهم حظيرة ما خرجوا منها حتى يموتوا جميعاً، وخرج الحسين عليه السلام فعرض نفسه على الله في سبعين رجلاً، من أحقّ بدمه منّا؟ نحن والله

---

(١) تفسير العياشي: ١/ ١٣٦، برقم ٤٤٨.
(٢-٣) البقرة: ٢٥٣.
(٤) تفسير العياشي ٢/ ٥١، برقم ٣٠.
(٥) الأنفال: ١٥.
(٦) تفسير العياشي: ٢/ ٥١، برقم ٣١.
(٧) النساء: ٨٤.
(٨) الأنفال: ١٦.
(٩) تفسير العياشي: ٢/ ٢٩١، برقم ٦٩.

أصحاب الأمر وفينا القائم ومنّا السفّاح والمنصور، وقد قال الله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[1]، نحن أولياء الحسين بن عليّ عليه السلام وعلى دينه.

٤٤ - قب[2]: كتاب أبي عبد الله محمد بن السرّاج، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خبر: من ظلم عليّاً مجلسي هذا كمن جحد نبوّتي ونبوّة من كان قبلي.

عمران بن حصين في خبر: أنّه عاد النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً فقال عمر: يا رسول الله، ما عليّ إلاّ لما به. فقال رسول الله: لا، والذي نفسي بيده - يا عمر - لا يموت عليّ حتى يُملأ غيظاً، ويُوسع غدراً، ويوجد من بعدي صابراً.

تاريخ بغداد[3] وكتاب إبراهيم الثقفي[4]: روى عمرو بن الوليد الكرابيسي بإسناده عن أبي إدريس عن عليّ عليه السلام قال: عهد إليّ النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الأمّة ستغدر بك.

وفي حديث سلمان، قال صلى الله عليه وآله لعليّ: إنّ الأمّة ستغدر بك، فاصبر لغدرها.

الحارث بن الحصين، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ، إنّك لاقٍ بعدي كذا وكذا. فقال: يا رسول الله، إنّ السيف لذو شَفرتين وما أنا بالفشِل ولا الذليل. قال صلى الله عليه وآله: فاصبر يا علي. قال علي: أصبر يا رسول الله.

٤٥ - قب[5]: ابن شيرويه في الفردوس[6]، عن وهب بن صيفي، وروى غيره، عن زيد بن أرقم قالا: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا أُقاتل على التنزيل وعليّ يقاتل على التأويل.

وممّا يمكن أن يستدلّ بالقرآن قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[7]، والباغي من خرج على الإمام، فافترض قتال أهل البغي كما افترض قتال المشركين. وأمّا اسم الإيمان عليهم فكقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[8] أي: الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم آمنوا بقلوبكم.

وقيل لزين العابدين عليه السلام: إنّ جدّك كان يقول: إخواننا بغوا علينا. فقال: أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[9] فهم مثلهم أنجاه الله والذين معه وأهلك عاداً بالريح العقيم، وقد ثبت أنّه نزل فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾... الآية[10].

وفي حديث الأصبغ بن نباتة، قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: هؤلاء القوم الذين نقاتلهم: الدعوة واحدة، والرسول واحد، والصلاة واحدة، والحجّ واحد، فبم نسمّيهم؟ قال: سمِّهم بما سمّاهم الله في كتابه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا

---

(١) الإسراء: ٣٣.
(٢) المناقب لابن شهرآشوب: ٣/٢١٦.
(٣) تاريخ بغداد: ١١/٢١٦، الحديث ٥٩٢٨.
(٤) الغارات: ٢/٤٨٦.
(٥) المناقب لابن شهرآشوب: ٣/٢١٨ ـ ٢١٩.
(٦) الفردوس: ١/٤٦، الحديث ١١٥.
(٧) الحجرات: ٩.
(٨) النساء: ١٣٦.
(٩) الأعراف: ٦٥.
(١٠) المائدة: ٥٤.

عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾[١] فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله وبالنبيّ وبالكتاب وبالحقّ.

الباقرين عليهما السلام في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[٢] يا محمّد، من مكّة إلى المدينة فإنّا رادّوك منها، ومنتقمون منهم بعليّ... أورده النطنزي في الخصائص، والصفواني في الإحن والمحن عن السدّي والكلبي وعطاء وابن عباس والأعمش وجابر بن عبد الله الأنصاري أنّها نزلت في عليّ عليه السلام.

ابن جريح، عن مجاهد، عن ابن عباس، وعن سلمة بن كهيل، عن عبد خير، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّهم رووا ذلك على اتّفاق واجتماع أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خطب في حجّة الوداع فقال: لأقتلنّ العمالقة في كتيبة. فقال له جبرئيل عليه السلام: أو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وفي رواية جابر وابن عباس: ألا لألفينّكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، أما والله لئن فعلتم ذلك لتعرفنّني في كتيبة فأضرب وجوهكم فيها بالسيف، فكأنّه غُمز من خلفه، فالتفت ثم أقبل علينا فقال: أو علي، فنزل: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[٣] بعليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم نزل: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾[٤] إلى قوله: ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾[٥]، ثم نزل: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾[٦] من أمر عليّ بن أبي طالب عليه السلام ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٧]، وإنّ عليّاً عليه السلام لعَلَم الساعة ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[٨] عن محبّة عليّ عليه السلام.

أبو حرب بن أبي الأسود الدؤلي، عن عمر بن الخطاب، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لمّا نزلت: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[٩] قال: أو بعليّ بن أبي طالب، ثم قال: بذلك حدّثني جبرئيل.

بيان: قوله عليه السلام: وإنّ عليّاً لعلم الساعة. في القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾[١٠].. ولعلّه عليه السلام فسّر الذكر بعلم الساعة، فإنّه الدابّة الذي هو من أشراط الساعة.

٤٦ - فض[١١]: الحسين بن أحمد المدني، عن الحسين بن عبد الله البكري، عن عبد الله بن هشام، عن الكلبي، عن ميمون بن مصعب المكّي بمكّة قال: كنّا عند أبي العباس بن سابور المكّي فأجرينا حديث أهل الردّة، فذكرنا خولة الحنفيّة ونكاح أمير المؤمنين عليه السلام لها فقال: أخبرني عبد الله بن الخير الحسيني، قال: بلغني أنّ الباقر محمد بن عليّ عليه السلام قال: كان جالساً ذات يوم إذ جاءه رجلان، فقالا: يا أبا جعفر، ألست القائل: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يرضَ بإمامة من تقدّمه؟فقال: بلى. فقالا له: هذه خولة الحنفيّة نكحها من سبيهم ولم يخالفهم على أمره مدّة

---

(١) البقرة: ٢٥٣.
(٢) الزخرف: ٤١.
(٣) الزخرف: ٤١.
(٤) المؤمنون: ٩٣.
(٥) المؤمنون: ٩٦.
(٦) الزخرف: ٤٣.
(٧-٨) الزخرف: ٤٤.
(٩) الزخرف: ٤١.
(١٠) الزخرف: ٤٤.
(١١) الفضائل لابن شاذان القمي: ٩٩ - ١٠١.

حياتهم! فقال الباقر عليه السلام: من فيكم يأتيني بجابر بن عبد الله؟ وكان محجوباً قد كفّ بصره، فحضر وسلّم على الباقر عليه السلام فردّ عليه وأجلسه إلى جانبه. فقال له: يا جابر، عندي رجلان ذكرا أنّ أمير المؤمنين رضي بإمامة من تقدّم عليه، فاسألهما ما الحجّة في ذلك؟ فسألهما فذكرا له حديث خولة، فبكى جابر حتى اخضلّت لحيته بالدموع، ثم قال: والله - يا مولاي - لقد خشيت أن أخرج من الدنيا ولا أُسأل عن هذه المسألة، والله إنّي كنت جالساً إلى جنب أبي بكر وقد سبى بني حنيفة مع مالك بن نويرة من قبل خالد بن الوليد، وبينهم جارية مراهقة، فلمّا دخلت المسجد قالت: أيّها الناس، ما فعل محمّد صلى الله عليه وآله؟ قالوا: قُبض. قالت: هل له بنية تقصد؟ قالوا: نعم هذه تربته وبنيته. فنادت وقالت: السلام عليك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أشهد أنّك تسمع صوتي وتقدر على ردّ جوابي، وإنّنا سبينا من بعدك، ونحن نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك محمّد رسول الله.

ثم جلست فوثب إليها رجلان من المهاجرين أحدهما طلحة والآخر الزبير وطرحا عليها ثوبيهما، فقالت: ما بالكم - يا معاشر الأعراب - تغيّبون حلائلكم وتهتكون حلائل غيركم؟ فقيل لها: لأنّكم قلتم لا نصلّي ولا نصوم ولا نزكّي؟ فقال لها الرجلان اللذان طرحا ثوبيهما: إنّا لغالون في ثمنك. فقالت: أقسمت بالله وبمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه لا يملكني ويأخذ رقبتي إلاّ من يخبرني بما رأت أمّي وهي حاملة بي؟ وأيّ شيء قالت لي عند ولادتي؟ وما العلامة التي بيني وبينها؟ وإلاّ بقرت بطني بيدي فيذهب ثمني ويطالب بدمي. فقالوا لها: اذكري رؤياك حتى نعبرها لك. فقالت: الذي يملكني هو أعلم بالرؤيا منّي. فأخذ طلحة والزبير ثوبيهما وجلسا.

فدخل أمير المؤمنين عليه السلام وقال: ما هذا الرجف في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقالوا: يا أمير المؤمنين، امرأة حنفيّة حرّمت نفسها على المسلمين وقالت: من أخبرني بالرؤيا التي رأت أمّي وهي حاملة بي يملكني. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما ادّعت باطلاً، أخبروها تملكوها. فقالوا: يا أبا الحسن، ما منّا من يعلم، أما علمت أنّ ابن عمّك رسول الله صلى الله عليه وآله قد قُبض وأخبار السماء قد انقطعت من بعده؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أُخبرها بغير اعتراض منكم؟ قالوا: نعم. فقال عليه السلام: يا حنفيّة، أُخبرك وأملكك؟ فقالت: من أنت أيّها المجتري دون أصحابه؟ فقال: أنا عليّ بن أبي طالب. فقالت: لعلّك الرجل الذي نصبه لنا رسول الله صلى الله عليه وآله في صبيحة يوم الجمعة بغدير خم علماً للناس؟ فقال: أنا ذلك الرجل. قالت: من أجلك نُهبنا. ومن نحوك أُتينا لأنّ رجالنا قالوا: لا نسلّم صدقات أموالنا ولا طاعة نفوسنا إلاّ لمن نصبه محمّد صلى الله عليه وآله فينا وفيكم علماً. قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ أجركم غير ضائع، وإنّ الله يوفي كلّ نفس ما عملت من خير.

ثم قال: يا حنفيّة، ألم تحمل بك أُمّك في زمان قحط قد منعت السماء قطرها، والأرضون نباتها، وغارت العيون والأنهار حتّى أنّ البهائم كانت ترد المرعى فلا تجد شيئاً، وكانت أُمّك تقول لك: إنّك حمل مشؤوم في زمان غير مبارك، فلمّا كان بعد تسعة أشهر رأت في منامها كأن قد وضعت بك، وأنّها تقول: إنّكِ حمل مشوم في زمان غير مبارك، وكأنّك تقولين: يا أُمّي لا تتطيّرن بي فإنّي حمل مبارك أنشأ منشأً مباركاً صالحاً، ويملكني سيّد، وأُرزق منه ولداً يكون للحنفيّة عزّاً؟ فقالت: صدقت. فقال عليه السلام: إنّه كذلك وبه أخبرني ابن عمّي رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت: ما العلامة

التي بيني وبين أُمّي؟ فقال لها: لمّا وضعتك كتبت كلامك والرؤيا في لوح من نحاس وأودعته عتبة الباب، فلمّا كان بعد حولين عرضته عليك فأقررت به، فلمّا كان بعد ستّ سنين عرضته عليك فأقررت به، ثم جمعت بينك وبين اللّوح وقالت لك: يا بنيّة، إذا نزل بساحتكم سفّاكٌ لدمائكم، وناهب لأموالكم، وسابٍ لذراريكم، وسُبيت في من سُبي، فخذي اللوح معك واجتهدي أن لا يملكك في الجماعة إلاّ من عبّرك بالرؤيا وبما في هذا اللوح. فقالت: صدقت يا أمير المؤمنين. ثم قالت: فأين هذا اللوح؟ فقال: هو في عقيصتك. فعند ذلك دفعت اللوح إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فملكها والله يا أبا جعفر بما ظهر من حجّته وثبت من بيّنته، فلعن الله من اتّضح له الحقّ ثم جحد حقّه وفضله، وجعل بينه وبين الحقّ ستراً.

بيان: الرَّجف: الزَّلْزلة والاضطراب الشَّديد.. والعقيصة: الشَّعر المنسوج على الرَّأس عَرْضاً.

٤٧ - يل، فض[1]: بالإسناد يرفعه إلى ابن عباس قال: ما حسدت عليّاً عليه السلام بشيء ممّا سبق من سوابقه بأفضل من شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: يا معاشر قريش، أنتم كفرتم فرأيتموني في كتيبة أضرب بها وجوهكم. فأتى جبرئيل عليه السلام فغمزه وقال: يا محمّد، قل إن شاء الله أو عليّ بن أبي طالب. فقال محمّد: إن شاء الله أو عليّ بن أبي طالب.

٤٨ - يل، فض[2]: بالإسناد يرفعه إلى أبي الأسود الدؤلي، عن عمّه، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: نزلت هذه الآية: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[3] بعليّ بن أبي طالب، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام.

٤٩ - يل، فض[4]: بالإسناد يرفعه إلى سلمان الفارسي والمقداد وأبي ذرّ، قالوا: إنّ رجلاً فاخر عليّاً عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا عليّ، فاخر أهل الشرق والغرب والعرب والعجم فأنت أقربهم نسباً، وابن عمّك رسول الله صلى الله عليه وآله، وأكرمهم نفساً، وأعلاهم رفعةً، وأكرمهم ولداً، وأكرمهم أخاً، وأكرمهم عمّاً، وأعظمهم حلماً، وأقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم عزّاً في نفسك ومالك، وأنت أقرؤهم لكتاب الله عزّ وجلّ وأعلاهم نسباً، وأشجعهم قلباً في لقاء الحرب، وأجودهم كفّاً، وأزهدهم في الدنيا، وأشدّهم جهاداً، وأحسنهم خلقاً، وأصدقهم لساناً، وأحبّهم إلى الله وإليّ، وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله وتصبر على ظلم قريش لك، ثم تجاهد في سبيل الله إذا وجدت أعواناً، تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، ثم تقتل شهيداً تخضب لحيتك من دم رأسك، قاتلك يعدل قاتل ناقة صالح في البغضاء لله والبعد من الله. يا عليّ، إنّك من بعدي مغلوب مغصوب تصبر على الأذى في الله وفيّ محتسباً أجرك غير ضائع، فجزاك الله عن الإسلام خيراً.

(١-٢) الروضة لشاذان بن جبرئيل: ١٤٢، مخطوط.

(٣) الزخرف: ٤١.

(٤) الفضائل لابن شاذان: ١٤٥ ـ ١٤٦، والروضة لشاذان بن جبرئيل: ١٤٢، مخطوط.

٥٠ - فر[١]: الحسين بن محمد بن مصعب معنعناً، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[٢]، والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأُقاتلنّ على ما قاتل عليه، ومن أولى به منّي وأنا أخوه ووارثه وابن عمّه عليه السلام؟!

٥١ - فر[٣]: جعفر بن محمد الفزاري، عن محمد بن الحسين بن عمر، عن محمد بن عبد الله بن مهران قال: أردت زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام مع أبي عبد الله عليه السلام فلمّا صرنا في الطريق إذا شيخ قد عارضنا عليه ثياب حسان. فقال: لِمَ لَم يقاتل أمير المؤمنين فلاناً وفلاناً؟ فقال له عليه السلام: لمكان آية في كتاب الله. قال: وما هي؟ قال: قوله: ﴿لَوْ تَـزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا﴾[٤] - الآية - كان أمير المؤمنين عليه السلام قد علم أنّ في أصلاب المنافقين قوماً من المؤمنين، فعند ذلك لم يقتلهم ولم يستسبهم. قال: ثم التفتّ فلم أرَ أحداً.

٥٢ - فر[٥]: عبيد بن كثير معنعناً عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، كيف أنت إذا رأيت زهد الناس في الآخرة، ورغبوا في الدنيا، وأكلوا التراث أكلاً لمّاً، وأحبّوا المال حبّاً جمّاً، واتّخذوا دين الله دغلاً، ومال الله دولاً؟ قال: قلت: أتركهم وما اختاروا، وأختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأصبر على مصائب الدنيا ولأوائها حتى ألقاك إن شاء الله. قال: فقال: هديت، اللّهمّ افعل به ذلك.

٥٣ - وقال أبو عبد الله عليه السلام نزلت الآية: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾[٦] في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٧].

٥٤ - نهج[٨]: من خُطبةٍ له عليه السلام: ولَعَمْري ما عليَّ مِن قتال مَن خالف الحقَّ، وخابط الغيَّ من إدهانٍ ولا إيهانٍ، فاتَّقوا الله عباد الله، وفِرُّوا إلى الله من الله، وامضوا في الّذي نَهَجه لكم، وقوموا بما عصبه بكم، فعليٌّ ضامنٌ لفَلْجكم آجلاً إن لم تمنحوه عاجلاً.

بيان: قيل: إنّما قال عليه السلام ذلك في ردّ قول من قال: إنّ مصانعته عليه السلام لمحاربيه ومخالفيه ومداهنتهم أولى من محاربتهم.

قوله عليه السلام: وخابطاً الغيّ. ذكر المخابطة هنا للمبالغة لكونه من الجانبين. والإدهان: المصانعة. ونهجه: أوضحه. قوله عليه السلام: عصبه بكم. أي: ناطه وربطه بكم، وجعله كالعصابة التي تُشدُّ بها الرَّأس. والمِنحة: العطيّة.

٥٥ - كتاب سليم بن قيس الهلالي[٩]: قال: كنّا جلوساً حول أمير المؤمنين عليّ بن أبي

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٢٧. (٢) آل عمران: ١٤٤.
(٣) تفسير فرات الكوفي: ١٦٠ ـ ١٦١.
(٤) الفتح: ٢٥. (٥) تفسير فرات الكوفي: ٢١٠.
(٦) الفجر: ٢٧. (٧) تفسير فرات الكوفي: ٢١٠.
(٨) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٦٦، الخطبة ٢٤.
(٩) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ١٢٥ ـ ١٣٢.

طالب عليه السلام وحوله جماعة من أصحابه، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين، لو استنفرت الناس؟ فقام وخطب فقال: أما إنّي قد استنفرتكم فلم تنفروا، ودعوتكم فلم تسمعوا، فأنتم شهود كغياب، وأحياء كأموات، وصمّ ذوو أسماع، أتلو عليكم الحكمة وأعظكم بالموعظة الشافية الكافية، وأحثّكم على جهاد أهل الجور، فما آتي على آخر كلامي حتى أراكم متفرّقين حلقاً شتّى تتناشدون الأشعار، وتضربون الأمثال، وتسألون عن سعر التمر واللبن.

تبّت أيديكم! لقد دعوتكم إلى الحرب والاستعداد لها وأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأباطيل والأضاليل، اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزي قوم قطّ في عقر دارهم إلاّ ذلّوا، وايم الله ما أظنّ أن تفعلوا حتى يفعلوا، ثم وددت أنّي قد رأيتهم فلقيت الله على بصيرتي ويقيني، واسترحت من مقاساتكم وممارستكم، فما أنتم إلاّ كإبل جمّة ضلّ راعيها، فكلّما ضُمّت من جانب انتشرت من جانب، كأنّي بكم والله فيما أرى لو قد حمس الوغى واحمرّ الموت قد انفرجتم عن عليّ بن أبي طالب انفراج الرأس، وانفراج المرأة عن قبلها لا تمنع عنها.

قال الأشعث بن قيس: فهلاّ فعلت كما فعل ابن عفّان؟ فقال: أوكما فعل ابن عفّان رأيتموني فعلت؟! أنا عائذ بالله من شرّ ما تقول، يابن قيس، والله إنّ التي فعل ابن عفّان لمخزاة لمن لا دين له ولا وثيقة معه، فكيف أفعل ذلك وأنا على بيّنة من ربّي، والحجّة في يدي، والحقّ معي؟! والله إنّ امرأً أمكن عدوّه من نفسه يجزّ لحمه، ويفري جلده، ويهشم عظمه، ويسفك دمه، وهو يقدر على أن يمنعه، لعظيم وزره، ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره، فكن أنت ذاك يابن قيس، فأمّا أنا فوالله دون أن أُعطي بيدي ضرب بالمشرفي تطير له فراش الهام، وتطيح منه الأكفّ والمعاصم، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

ويلك يابن قيس! إنّ المؤمن يموت كلّ ميتة غير أنّه لا يقتل نفسه، فمن قدر على حقن دمه ثم خلّى عمّن يقتله فهو قاتل نفسه، يابن قيس! إنّ هذه الأمّة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة واحدة في الجنّة واثنتان وسبعون في النار، وشرّها وأبغضها [إلى الله] وأبعدها منه السامرة الذين يقولون: لا قتال، وكذبوا، قد أمر الله بقتال الباغين في كتابه وسنّة نبيّه، وكذلك المارقة. فقال ابن قيس وغضب من قوله: فما منعك يابن أبي طالب حين بويع أبو بكر أخو بني تيم وأخو بني عدي بن كعب وأخو بني أُميّة بعدهم أن تقاتل وتضرب بسيفك؟! وأنت لم تخطبنا خطبة مذ كنت قدمت العراق إلاّ قلت فيها قبل أن تنزل عن المنبر: والله إنّي لأولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً مذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله.. فما يمنعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك؟!

قال عليه السلام: يابن قيس، اسمع الجواب: لم يمنعني من ذلك الجبن ولا كراهة للقاء ربّي، وأن لا أكون أعلم أنّ ما عند الله خير لي من الدنيا والبقاء فيها، ولكن منعني من ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده إليّ، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بما الأمّة صانعة بعده، فلم أكُ بما صنعوا حين عاينته بأعلم به ولا أشدّ استيقاناً منّي به قبل ذلك، بل أنا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ يقيناً منّي بما عاينت وشهدت، فقلت: يا رسول الله، فما تعهد إليّ إذا كان ذلك؟ قال: إن وجدت أعواناً فانبذ

إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحقن دمك حتّى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنّتي أعواناً. .

وأخبرني ﷺ أنّ الأمّة ستخذلني وتبايع غيري، وأخبرني ﷺ أنّي منه بمنزلة هارون من موسى، وأنّ الأمّة سيصيرون بعده بمنزلة هارون ومن تبعه والعجل ومن تبعه، إذ قال له موسى: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾[1] وإنّما يعني أنّ موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم إن ضلّوا فوجد أعواناً أن يجاهدهم وإن لم يجد أعواناً أن يكفّ يده ويحقن دمه ولا يفرّق بينهم، وإنّي خشيت أن يقول ذلك أخي رسول الله ﷺ: لم فرّقت بين الأمّة ولم ترقب قولي وقد عهدت إليك أنّك إن لم تجد أعواناً أن تكفّ يدك وتحقن دمك ودم أهلك وشيعتك؟

فلمّا قُبض رسول الله ﷺ مال الناس إلى أبي بكر فبايعوه وأنا مشغول برسول الله ﷺ بغسله، ثم شغلت بالقرآن، فآليت يميناً بالقرآن أن لا أرتدي إلاّ للصلاة حتى أجمعه في كتاب، ففعلت، ثم حملت فاطمة عليها السلام وأخذت بيد الحسن والحسين عليهما السلام فلم أدع أحداً من أهل بدر وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار إلاّ ناشدتهم الله حقّي ودعوتهم إلى نصرتي، فلم يستجب من جميع الناس إلاّ أربعة رهط: الزبير وسلمان وأبو ذرّ والمقداد، ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به ولا أقوى به، أمّا حمزة فقُتل يوم أُحد، وأمّا جعفر فقُتل يوم مؤتة، وبقيت بين جلفين خائفين ذليلين حقيرين: العباس وعقيل، وكانا قريبي عهد بكفر، فأكرهوني وقهروني، فقلت كما قال هارون لأخيه: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾[2] فلي بهارون أُسوة حسنة، ولي بعهد رسول الله ﷺ حجّة قويّة.

قال الأشعث: كذلك صنع عثمان: استغاث بالناس ودعاهم إلى نصرته، فلم يجد أعواناً، فكفّ يده حتى قُتل مظلوماً.

قال: ويلك يابن قيس! إنّ القوم حين قهروني واستضعفوني وكادوا يقتلونني لو قالوا لي: نقتلنّك البتة. . لامتنعت من قتلهم إيّاي، ولو لم أجد غير نفسي وحدي، ولكن قالوا: إن بايعت كففنا عنك وأكرمناك وقرّبناك وفضّلناك، وإن لم تفعل قتلناك. . فلمّا لم أجد أحداً بايعتهم، وبيعتي لهم لما لا حقّ لهم فيه لا يوجب لهم حقّاً ولا يلزمني رضاً، ولو أنّ عثمان لمّا قال له الناس: اخلعها ونكفّ عنك. . خلعها، لم يقتلوه، ولكنّه قال: لا أخلعها. قالوا: فإنّا قاتلوك. فكفّ يده عنهم حتّى قتلوه، ولعمري لخلعه إيّاها كان خيراً له؛ لأنّه أخذها بغير حقّ، ولم يكن له فيها نصيب، وادّعى ما ليس له، وتناول حقّ غيره.

ويلك يابن قيس! إنّ عثمان لا يعدو أن يكون أحد رجلين: إمّا أن يكون دعا الناس إلى نصرته فلم ينصروه، وإمّا أن يكون القوم دعوه إلى أن ينصروه فنهاهم عن نصرته، فلم يكن يحلّ له أن ينهى المسلمين عن أن ينصروا إماماً هادياً مهتدياً لم يحدث حدثاً ولم يؤوِ محدثاً، وبئس ما صنع حين

---

(١) طه: ٩٢ ـ ٩٤. (٢) الأعراف: ١٥٠.

نهاهم، وبئس ما صنعوا حين أطاعوه، فإما أن يكونوا لم يروه أهلاً لنصرته لجوره وحكمه بخلاف الكتاب والسنّة، وقد كان مع عثمان من أهل بيته ومواليه وأصحابه أكثر من أربعة آلاف رجل ولو شاء أن يمتنع بهم لفعل، ولم ينههم عن نصرته، ولو كنت وجدت يوم بويع أخو تيم أربعين رجلاً مطيعين لجاهدتهم، فأمّا يوم بويع عمر وعثمان فلا ؛ لأنّي كنت بايعت ومثلي لا ينكث بيعته.

ويلك يابن قيس! كيف رأيتني صنعت حين قتل عثمان ووجدت أعواناً؟ هل رأيت منّي فشلاً، أو جبناً، أو تقصيراً في وقعتي يوم البصرة وهم حول جملهم الملعون من معه، الملعون من قتل حوله، الملعون من ركبه، الملعون من بقي بعده لا تائباً ولا مستغفراً؟! فإنّهم قتلوا أنصاري، ونكثوا بيعتي، ومثّلوا بعاملي، وبغوا عليّ، وسرت إليهم في اثني عشر ألفاً (وفي رواية أُخرى: أقلّ من عشرة آلاف) وهم نيّف على عشرين ومئة ألف (وفي رواية: زيادة على خمسين ألفاً) فنصرني الله عليهم وقتلهم بأيدينا وشفى صدور قوم مؤمنين.

وكيف رأيت - يابن قيس - وقعتنا بصفّين، وما قتل الله منهم بأيدينا خمسين ألفاً في صعيد واحد إلى النار (وفي رواية أُخرى: زيادة على سبعين ألفاً)؟ وكيف رأيتنا يوم النهروان إذ لقيت المارقين وهم مستبصرون متديّنون، قد ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]، فقتلهم الله في صعيد واحد إلى النار لم يبقَ منهم عشرة ولم يقتلوا من المؤمنين عشرة؟

ويلك يابن قيس! هل رأيت لي لواءً رُدَّ؟ أو راية ردّت؟ إيّاي تعيّر يابن قيس! وأنا صاحب رسول الله ﷺ في جميع مواطنه ومشاهده، والمتقدّم إلى الشدائد بين يديه، ولا أفرّ ولا ألوذ ولا أعتلّ ولا أنحاز ولا أمنح اليهود دبري، إنّه لا ينبغي للنبيّ ولا للوصيّ إذا لبس لامته وقصد لعدوّه أن يرجع أو ينثني حتى يقتل أو يفتح الله له.

يابن قيس، هل سمعت لي بفرار قطّ أو نَبوة؟ يابن قيس، أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو وجدت يوم بويع أبو بكر الذي عيّرتني بدخولي في بيعته أربعين رجلاً كلّهم مثل بصيرة الأربعة الذين وجدت، لما كففت يدي، ولناهضت القوم، ولكن لم أجد خامساً.

قال الأشعث: ومن الأربعة يا أمير المؤمنين؟ قال: سلمان وأبو ذرّ والمقداد والزبير بن صفيّة قبل نكثه بيعتي، فإنّه بايعني مرتين، أمّا بيعته الأولى التي وفى بها، فإنّه لمّا بويع أبو بكر أتاني أربعون رجلاً من المهاجرين والأنصار فبايعوني وفيهم الزبير، فأمرتهم أن يصبحوا عند بابي محلقين رؤوسهم عليهم السلاح، فما وافى منهم أحد ولا صبّحني منهم غير أربعة: سلمان وأبو ذرّ والمقداد والزبير.. وأمّا بيعته الأُخرى: فإنّه أتاني هو وصاحبه طلحة بعد قتل عثمان فبايعاني طائعين غير مكرهين، ثم رجعا عن دينهما مرتدّين ناكثين مكابرين معاندين حاسدين، فقتلهما الله إلى النّار.. وأمّا الثلاثة: سلمان وأبو ذرّ والمقداد فثبتوا على دين محمّد ﷺ وملّة إبراهيم عليه السلام حتّى لقوا الله، يرحمهم الله.

---

(١) الكهف: ١٠٤.

يابن قيس، فوالله لو أنّ أولئك الأربعين الذين بايعوني وفوا لي وأصبحوا على بابي محلّقين قبل أن تجب لعتيق في عنقي بيعة لناهضته وحاكمته إلى الله عَزَّوَجَلَّ ، ولو وجدت قبل بيعة عثمان [عمر] أعواناً لناهضتهم وحاكمتهم إلى الله، فإنّ ابن عوف جعلها لعثمان، واشترط عليه فيما بينه وبينه أن يردّها عليه عند موته، فأمّا بعد بيعتي إيّاهم فليس إلى مجاهدتهم سبيل. فقال الأشعث: والله لئن كان الأمر كما تقول لقد هلكت الأمّة غيرك وغير شيعتك. فقال: إنّ الحقّ والله معي يابن قيس كما أقول، وما هلك من الأمّة إلاّ الناصبين والمكابرين والجاحدين والمعاندين، فأمّا من تمسّك بالتوحيد والإقرار بمحمّد والإسلام ولم يخرج من الملّة، ولم يظاهر علينا الظلمة، ولم ينصب لنا العداوة، فإنّ ذلك مسلم مستضعف يرجى له رحمة الله ويتخوّف عليه ذنوبه.

قال أبان: قال سليم بن قيس: فلم يبقَ يومئذٍ من شيعة عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أحد إلاّ تهلّل وجهه وفرح بمقالته؛ إذ شرح أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الأمر وباح به، وكشف الغطاء، وترك التقيّة، ولم يبقَ أحد من القرّاء ممّن كان يشكّ في الماضين ويكفّ عنهم ويدع البراءة منهم ورعاً وتأثماً إلاّ استيقن واستبصر وحسن وترك الشكّ والوقوف، ولم يبقَ أحد حوله أبى بيعته على وجه ما بويع عثمان والماضون قبله إلاّ رئي ذلك في وجهه وضاق به أمره، وكره مقالته، ثم إنّهم استبصر عامّتهم وذهب شكّهم.

قال أبان، عن سليم: فما شهدت يوماً قطّ على رؤوس العامّة أقرّ لأعيننا من ذلك اليوم؛ لما كشف للناس من الغطاء، وأُظهر فيه من الحقّ، وشرح فيه من الأمر، وأُلقي فيه التقيّة والكتمان، وكثرت الشيعة بعد ذلك المجلس مذ ذلك اليوم، وتكلّموا وقد كانوا أقلّ أهل عسكره، وصار الناس يقاتلون معه على علم بمكانه من الله ورسوله، وصارت الشيعة بعد ذلك المجلس أجلّ الناس وأعظمهم (وفي رواية أخرى: جلّ الناس وأعظمهم) وذلك بعد وقعة النهروان، وهو يأمر بالتهيئة والمسير إلى معاوية، ثم لم يلبث أن قتل صلوات الله عليه، قتله ابن ملجم لعنه الله غيلةً وفتكاً، وقد كان سيفه مسموماً قبل ذلك.

توضيح: قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : تبّت أيديكم. التّباب: الخُسران والهلاك، وفي بعض النسخ كما في النهج: تربت، وهي كلمة يدعى على الإنسان بها، أي: لا أصَبتم خيراً، وأصل ترب: أصابه التُّراب، فكأنّه يدعو عليه بأن يفتقر. . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : حمس الوغى. أي: اشتدَّ الحرب، وأصل الوغى: الصَّوت والجلبة، سمِّيت الحرب بها لما فيها من الأصوات والجلبة.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : واحمرّ الموت. قال في النهاية: فيه الموت الأحمر يعني: القتل لما فيه من حمرة الدم أو لشدَّته، يقال موتٌ أحمر: أي شديدٌ[(١)]. وفي النهج: واستحر الموت[(٢)]. قال في النِّهاية: أي: اشتدَّ وكثر، وهو استفعل من الحَرِّ: الشِّدَّة، ومنه حديث عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : حمِس الوغى واستحرَّ الموتُ. وقيل: يحتمل أن يكون المراد شدّته الشبيهة بالحرارة مجازاً أو خلوصه وحضوره، فيكون اشتقاقه من الحرية.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : انفراج الرأس. أي: تتفرّقون عنّي أشدّ تفرّق، وهو مثل، وقيل: أوّل من تكلّم به

---

(١) النهاية: ١/٤٣٨. (٢) النهاية: ١/ ٣٦٤.

أكثم بن صيفي في وصيّته: يا بنيّ، لا تتفرّقوا في الشدائد انفراج الرأس، فإنّكم بعد ذلك لا تجتمعون على عسر. وفي معناه أقوال:

أحدها: ما ذكره ابن دريد، وهو أنّ المراد به انفراج الرأس عن البدن، فإنّه لا يقبل الالتئام ولا يكون بعده اتّصال.

ثانيها: قال المفضّل: الرأس اسم رجل ينسب إليه قرية من قرى الشام، يقال لها: بيت الرأس، وفيها يباع الخمر، قال حسّان:

كأنّ سبيئته من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

وهذا الرجل كان قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد إليه، فضرب به المثل في المفارقة.

ثالثها: قال بعضهم: معناه أنّ الرأس إذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان ذلك بعيد الالتئام والعود إلى الصحّة.

رابعها: قال القطب الراوندي رحمه الله [1]: معناه: انفرجتم عنّي رأساً، أي: بالكليّة.. واعترض عليه ابن أبي الحديد[2] بأنّه لا يعرف، وفيه نظر.

خامسها: ما قاله الراوندي أيضاً، أي: انفراج من أدلى برأسه إلى غيره ثم حرف رأسه عنه.. واعترض ابن أبي الحديد بأنّه لا خصوصيّة للرأس في ذلك، ولا يخفى ضعفه، فإنّ وجه التخصيص ظاهر، وهو مثل مشهور بين العرب والعجم.

سادسها: أنّ معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع، فإنّه يكون في غاية الشدّة وتفرّق الاتّصال والانفراج.

وأمّا انفراج المرأة عن قبلها فقيل: انفراج المرأة البغيّة وتسليمها لقبلها. وقيل: أُريد انفراجها وقت الولادة. وقيل: وقت الطعان.

والأوسط أظهر. وعلى التقدير إنّما شبّه عليه السلام هذا التشبيه ليرجعوا إلى الأنفة.

قوله عليه السلام: يجزّ لحمه. في النهج: يعرق لحمه، يقال: عُرق اللحم: إذا لم يبقَ على العظم منه شيء. والفرْي: القطع. والهَشْم: كسر العظام. والجوانح: الأضلاع ممّا يلي الصَّدر، الواحد جانحةٌ. وفراش الهام: العظام الرَّقيعة على القِحف، وهو بالكسر: العظم فوق الدِّماغ. وطاح يطُوح ويطِيح: هلك وأشرف على الهلاك، وذهب وسقط وتاه في الأرض. والمعاصم جمع مِعصم بالكسر: وهو موضع السّوار من السّاعد. وفي النهج: تطيح السواعد والأقدام. ونابَذَه الحرب: كاشفه. والنيِّف ككيِّس وقد يخفَّف: الزِّيادة بين العددين.

قوله: أو نبوةً. أي: كلالاً وتقصيراً، يُقال نبا السَّيف عن الضَّريبة أي: كلَّ، والسَّهم عن الهدف، أي: قصَّر. وفي بعض النسخ: أو سوأةً. أي: قبيحاً.

أقول: أورده الديلمي في إرشاد القلوب[3] مع اختصار.

---

(١) منهاج البراعة: ١/ ٢٣٩. (٢) شرح نهج البلاغة: ٢/ ١٩١.

(٣) إرشاد القلوب: ٣٩٤ ـ ٣٩٨.

باب ١٤
العلّة التي من أجلها ترك الناس عليّاً عليه السلام

١ - ع، لي[١]: أحمد بن يحيى المكتب، عن أحمد بن محمد الورّاق، عن محمد بن الحسن بن دريد، عن العبّاس بن الفرج الرياشي، عن أبي زيد النحوي قال: سألت الخليل بن أحمد العروضي فقلت: لم هجر الناس عليّاً عليه السلام وقُرباه من رسول الله صلى الله عليه وآله قرباه، وموضعه من المسلمين موضعه، وعناؤه في الإسلام عناؤه؟ فقال: بهر - والله - نوره أنوارهم، وغلبهم على صفو كلّ منهل، والناس إلى أشكالهم أميل، أما سمعت الأوّل حيث يقول:

وكلّ شكل لشكله إلف أما ترى الفيل يألف الفيلا

قال: وأنشدنا الرياشي في معناه عن العباس بن الأحنف:

وقائل كيف تهاجرتما فقلت قولاً فيه إنصافُ

لم يكُ من شكلي فهاجرته والناس أشكال وأُلاّفُ

بيان: القُربى بالضم: مصدرٌ بمعنى القرابة. والعناء: التَّعب والنَّصَب. وبهره بهْراً: غلبَه. والمنهل: عين ماءٍ ترِده الإبل في المراعي. أي: أخذ منهم من كلّ منهل من مناهل الخيرات والسعادات صفوه وخالصه. والإلف بالكسر: الأليف، والأُلاّف بالضم والتشديد: جمع آلِفٍ، ككافرٍ وكفّارٍ.

٢ - ن، ع[٢]: الطالقاني، عن أحمد الهمداني، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن أمير المؤمنين عليه السلام كيف مال الناس عنه إلى غيره، وقد عرفوا فضله وسابقته ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: إنّما مالوا عنه إلى غيره وقد عرفوا فضله؛ لأنّه قد كان قتل من آبائهم وأجدادهم وإخوانهم وأعمامهم وأخوالهم وأقربائهم المحادّين لله ولرسوله عدداً كثيراً، وكان حقدهم عليه لذلك في قلوبهم، فلم يحبّوا أن يتولّى عليهم، ولم يكن في قلوبهم على غيره مثل ذلك؛ لأنّه لم يكن له في الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ما كان [له]، فلذلك عدلوا عنه ومالوا إلى سواه.

٣ - قب[٣]: سأل أبو زيد النحوي الخليل بن أحمد: ما بال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كأنّهم بنو أُمّ واحدة، وعليّ عليه السلام كأنّه ابن علّة؟! قال: تقدّمهم إسلاماً، وبذّهم شرفاً، وفاقهم علماً، ورجحهم حلماً، وكثرهم هدىً، فحسدوه، والناس إلى أمثالهم وأشكالهم أميل.

وقيل لمسلمة بن نميل: ما لعليّ عليه السلام رفضه العامّة وله في كلّ خير ضرس قاطع؟ فقال: لأنّ ضوء عيونهم قصر عن نوره، والناس إلى أشكالهم أميل.

---

(١) علل الشرائع: ١/١٤٥، الحديث ١، وأمالي الشيخ الصدوق: ١٩٠، الحديث ١٤.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٨١، الحديث ١٥، وعلل الشرائع ١/١٤٦، الحديث ٣.
(٣) المناقب لابن شهرآشوب: ٣/٢١٣ ـ ٢١٥.

قال الشعبي: ما ندري ما نصنع بعليّ بن أبي طالب؟ إن أحببناه افتقرنا، وإن أبغضناه كفرنا؟ وقال النظام: عليّ بن أبي طالب محنة على المتكلّم: إن وفى حقّه غلا، وإن بخسه حقّه أساء، والمنزلة الوسطى دقيقة الوزن، حادّة الشأن، صعب الترقّي إلاّ على الحاذق الدين. وقال أبو العيناء لعليّ بن الجهم: إنّما تبغض علياً عليه السلام؛ لأنّه كان يقتل الفاعل والمفعول وأنت أحدهما. فقال له: يا مخنّث! فقال أبو العيناء: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾[1].

بيان: قال في النهاية: أولاد العَلاّت: الذين أمّهاتهم مختلفةٌ وأبوهم واحدٌ[2].

٤ - قب[3]: قال ابن عمر لعليّ عليه السلام: كيف تحبّك قريش وقد قتلت في يوم بدر وأُحُد من ساداتهم سبعين سيّداً تشرب أُنوفهم الماء قبل شفاههم؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

ما تركت بدرٌ لنا مذيقا ... ولا لنا من خلفنا طريقا

وسُئل زين العابدين عليه السلام وابن عباس أيضاً: لم أبغضت قريش علياً عليه السلام؟ قال: لأنّه أورد أوّلهم النار وقلّد آخرهم العار.

معرفة الرجال، عن الكشّي: أنّه كانت عداوة أحمد بن حنبل لأمير المؤمنين عليه السلام أنّ جدّه ذا الثدية قتله أمير المؤمنين يوم النهروان.

كامل المبرد: أنّه كان أصمع بن مظهر جدّ الأصمعي قطعه عليّ عليه السلام في السرقة، فكان الأصمعي يبغضه، قيل له: من أشعر الناس؟ قال: من قال:

كأنّ أكفّهم الهمام تهوي ... عن الأعناق تلعب بالكرينا

فقالوا: السيّد الحميري. فقال: هو والله أبغضهم إليّ[4].

بيان: شرب أنوفهم الماء قبل شفاههم: كناية عن طول أُنوفهم لبيان حسنهم، فإنّ العرب تمتدح بذلك، وقد روى نحوه في أوصاف النبيّ صلى الله عليه وآله، أو لبيان شرفهم وفخرهم فإنّهما ممّا ينسب إلى الأنف، والأول أظهر.

والمذِيق: اللَبن الممزوج بالماء، وقد مذَقت اللَبن فهو ممْذوقٌ ومذِيقٌ، ورجلٌ مماذِقٌ: غير مخلصٍ في الودّ. وفي الديوان: صديقاً، مكان: مذيقاً. والكُرِين بضم الكاف وكسرها: جمع كرة[5].

٥ - ع، لي[6]: الحسين بن عبد الله العسكري، عن إبراهيم بن رعد العبشمي، عن ثبيت بن محمد، عن أبي الأحوص المصري، عن جماعة من أهل العلم، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: بينما أمير المؤمنين صلوات الله عليه في أصعب موقف بصفّين إذ قام إليه

---

(١) يس: ٧٨.
(٢) النهاية: ٣/ ٢٩١.
(٣) المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١.
(٤) إلى هنا جاء في المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.
(٥) ديوان الإمام علي عليه السلام: ٥٤.
(٦) علل الشرائع: ١/ ١٤٥، الحديث ٢، وأمالي الشيخ الصدوق: ٤٩٤، الحديث ٥.

رجل من بني دُودان فقال: ما بال قومكم دفعوكم عن هذا الأمر، وأنتم الأعلون نسباً، وأشدّ نوطاً بالرسول ﷺ، وفهماً بالكتاب والسنّة؟ فقال: سألت يا أخا بني دودان ولك حقّ المسألة وذمام الصهر، وإنّك لقلق الوضين ترسل عن ذي مسدٍ.. إنّها إمرة شحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله.

فدع عنك نهباً صيح في حجراته ....

وهلمّ الخطب في ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه.

ولا غرو إلاّ جارتي وسؤالها ألا هل لنا أهل سألت كذلك

بئس القوم من خفضني وحاولوا الإدهان في دين الله، فإن ترفع عنّا محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه، وإن تكن الأخرى فلا تأس على القوم الفاسقين، إليكَ عنّي يا أخا بني دودان.

٦ - نهج[1]: ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقُّ به؟ فقال:

يا أخا بني أسدٍ، إنّك لقلق الوضين ترسل في غير سددٍ، ولك بعدُ ذِمامة الصِّهر وحقُّ المسألة، وقد استعلمت فاعلم: أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً، والأشدُّ بالرَّسول ﷺ نوطاً، فإنّها كانت أثَرة شحت عليها نفوس قومٍ وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم الله، والمعود إليه القيامة.

ودع عنك نهباً صيح في حجراته ....

وهلمَّ الخطب في ابن أبي سفيان فلقد أضحكني الدَّهر بعد إبكائه، ولا غرو والله، فيا له خَطْباً يستفرغ العجب ويكثر الأود! حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسدَّ فوّارِه من ينبوعه، وجدحوا بيني وبينهم شِرباً وبيئاً، فإن يرتفع عنّا وعنهم محن البلوى، أحملهم من الحقِّ على محضه، وإن تكن الأخرى، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[2].

ولنوضح روايتي الصدوق والسيّد رحمهما الله: قال الفيروزآبادي: دودان بن أسدٍ: أبو قبيلةٍ[3]... فلا ينافي ما في النهج أنّه كان من بني أسد.

وقال الجوهري: ناط الشّيء ينوطه نوطاً: علّقه[4].

قوله عليه السلام: ذمام الصهر. الذِّمام بالكسر: الحرمة، وأمّا كونه صهراً فقيل: لأنّ زينب بنت جحش زوجة النبيّ ﷺ كانت أسديّة. ونقل الراوندي رحمه الله أنّه كان متزوّجاً في بني أسد[5]، وأنكره ابن أبي الحديد[6]. وقال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام: إنّك لقلق الوضِين.. الوضين: بِطانٌ

(١) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٢٣١ - ٢٣٢، الخطبة ١٦٢.
(٢) فاطر: ٨.
(٣) القاموس المحيط: ١/ ٢٩٢.
(٤) الصحاح: ٣/ ١١٦٥.
(٥) منهاج البراعة: ٢/ ١٢٣.
(٦) شرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٤٢.

منسوجٌ بعضه على بعضٍ يُشدُّ به الرَّحل على البعير كالحزام للسَّرج، أراد به أنّه سريع الحركة، يصفه بالخِفَّة، وقلَّة الثَّبات، كالحزام إذا كان رخواً[١].

قوله عليه السلام: ترسل في غير سدد. الإرسال: الإطلاق والإهمال والتَّوجيه، والسَّدد والسداد: الاستقامة والصَّواب، أي: تطلق عنان دابّتك أو تهملها وتوجّهها في غير مواضعها، أي: تتكلّم في غير موضع الكلام، وتسأل مثل هذا الأمر الذي لا يمكن التصريح بمخّ الحقّ فيه في مجمع الناس.

وفي رواية الصدوق: عن ذي مسد. والمسد: الحبل الممسود، أي: المفتول من نباتٍ أو لحاء شجرةٍ، وقيل: المسد: مِرْوَد البكرة الَّذي تدور عليه، ذكرهما في النهاية[٢]، فيمكن أن يُقرأ على بناء المعلوم، أي: ترسل الكلام كما يُرسل البكرة على المرود عند الاستقاء، أو المعنى تطلق حيواناً له مسد رُبط به، كناية عن التكلّم بما له مانع عن التكلّم به، وعلى المجهول، أي: تنطق بالكلام عن غير تأمّل ثم تصير معلّقاً بالحبل بين السماء والأرض لا تدري الحيلة فيه، أو بتشديد الدال، أي: تُرسل الماء عن مجرىً له محل سدّ أو وسُد، والأظهر أنّه تصحيف، وفيما سيأتي من رواية المفيد: من غير ذي مسد، وهو أظهر.

والاستبداد بالشَّيْءِ: التَّفرُّد به. والضمير في قوله عليه السلام: فإنّها. راجعة إلى الخلافة أو الدنيا لظهورهما بقرينة المقام. وقيل: إلى الأثرة المفهومة من الاستبداد، وهو بعيد.. وفي الأمالي: امرأة، وكأنّه تصحيف إمرةٍ بالكسر، أي: إمارةٍ.

قوله عليه السلام: شحَّت: أي: بخِلت، والنفوس الشاحّة: نفوس أهل السقيفة.. قوله عليه السلام: والمعود إليه: اسم مكانٍ، ويروى يومَ القيامة بالنصب على أن يكون ظرفاً، والعامل فيه العود على أن يكون مصدراً.

قوله عليه السلام:

دع عنك نهباً صيح في حجراته

البيت لامرئ القيس وتمامه:

ولكن حديثاً ما حديث الرواحل[٣]

وكان من قصّة هذا الشّعر أنّ امرأ القيس لمّا انتقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جديلة طي يقال له: طريف، فأحسن جواره، فمدحه وأقام عنده، ثم إنّه خاف أن لا يكون له منعة فتحوّل ونزل على خالد بن سدوس النبهاني، فأغارت بنو جديلة على امرئ القيس وهو في جوار خالد فذهبوا بإبله، فلمّا أتاه الخبر ذكر ذلك لجاره فقال له: أعطني رواحلك ألحق عليها القوم فأردّ عليك إبلك. ففعل، فركب خالد في أثر القوم حتى أدركهم، فقال: يا بني جديلة، أغرتم على إبل جاري؟ فقالوا: ما هو لك بجار! قال: بلى والله وهذه رواحله. قالوا: كذلك؟ قال: نعم.

(١) النهاية: ٥/١٩٩. (٢) النهاية: ٤/٣٢٩.
(٣) ديوان امرىء القيس: ١٤٦.

فرجعوا إليه وأنزلوه عنهنّ وذهبوا بهنّ وبالإبل. وقيل: بل انطوى خالد على الإبل فذهب بها، فقال امرؤ القيس:

دع عنك... إلى آخر القصيدة.

والمعنى: دع عنك نهباً، أي: اتركه، والنَّهب: الغنيمة. والحَجَرات: النَّواحي جمع حَجْرةٍ كجَمرةٍ وجَمَراتٍ. والصياح: صياح الغارة. والرَّواحل جمع راحلةٍ: وهي النّاقة التي تصلح لأن يُشدَّ الرَّحل على ظهرها.

وانتصب حديثاً بإضمار فعل، أي: حدّثني أو هات أو اسمع، ويروى بالرفع، أي: غرضي حديث فحذف المبتدأ.. وما ها هنا تحتمل أن تكون إبهاميّة، هي التي إذا اقترنت بنكرة زادته إبهاماً، أو صلة مؤكّدة كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾[1]. وأمّا حديث الثاني فقد ينصب على البدل من الأول، وقد يرفع على أن يكون ما موصولة وصلتها الجملة، أي: الذي هو حديث الرواحل، ثم حذف صدرها كما حذف في: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾[2]، أو على أن تكون استفهاميّة بمعنى: أيّ.

وقوله عليه السلام: وهلمّ الخطب. يؤيّد أنّه عليه السلام لم يستشهد إلاّ بصدر البيت، فإنّه قائم مقام قول امرئ القيس: ولكن حديثاً ما... وهلُمَّ يستعمل لازماً ومتعدّياً، فاللازم بمعنى: تعال، ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث في لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: هلمّا وهلمُّوا. والمتعدّي بمعنى: هات، قال تعالى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾[3]. وهنا يحتمل الوجهين، وإن كان الثاني أظهر، أي: لا تسأل عن اللصوص الثلاثة الماضية، فإنّهم نهبوا الخلافة وصاحوا في حجراته ومضوا، ولكن هات ما نحن فيه الآن من خطب ابن أبي سفيان لنتكلّم فيه ونشتغل بدفعه، فإنّه أعجب وأغرب، والتعرّض له أهمّ.. والخطب: الحادث الجليل والأمر العظيم.

قوله عليه السلام: بعد إبكائه. قيل: الإبكاء إشارة إلى ما كان عليه من الكآبة لتقدّم الخلفاء، والضحك للتعجب من أنّ الدهر لم يقنع بذلك حتى جعل معاوية منازعاً له في الخلافة، والأظهر أنّ كليهما في أمر معاوية، أو في أمره وأمر من تقدّمه فإنّهما محل للحزن والتعجب معاً... والغَرْوَ بالغين المعجمة المفتوحة والراء المهملة الساكنة: العجب، أي: لا عجب والله، ثم فسّره بما بعده فقال: يستفرغ العجب. أي: لم يبقَ منه ما يطلق عليه لفظ التعجب، وهذا من المبالغة في المبالغة، أي: هذا أمر يجلّ عن التعجب كقول ابن هاني المغربي:

قد سرتُ في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت لا أتعجّب[4]

والأود: العِوَج، ويحتمل أن يكون: لا غرو، معناه: أنّ ما ورد عليّ ليس بعجب من تقلّبات الدنيا وأحوالها، وقوة الباطل وغلبة أهله فيها، فيكون قوله عليه السلام: فيا له، استئنافاً لاستعظام الأمر، أو المعنى: لا عجب إلاّ من جارتي وسؤالها عنّي: لِمَ لَم تنتصر ممّن ظلمك؟ هل كان لي أهل

---

(١) النساء: ١٥٥.
(٢) الأنعام: ١٥٤.
(٣) الأنعام: ١٥٠.
(٤) ديوان ابن هاني الأندلسي: ٤٤.

يعينني فأسأل عن ذلك؟ أي: مع علمك بتفرّدي وتخذّل الناس عنّي ما كنت تحتاج إلى السؤال عن علّة الأمر.

وفَوّار الينبوع بالفتح وتشديد الواو: ثقب البئر، والفُوار بالضم والتخفيف: ما يفور من حرّ القدر، وقرئ بهما، والأول أظهر. وجدحوا، أي: خلطوا ومزجوا وأفسدوا. والوبيُّ: ذو الوباء والمرض. والشِّرب بالكسر: الحظُّ من الماء. والشرب الوبي: هو الفتنة الحاصلة من عدم انقيادهم له عليه السلام كالشرب المخلوط بالسمّ. قوله عليه السلام: فإن يرتفع. أي: بأن يتّبعوا أمري.

٧ - قل[1]: حكى أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل[2] عند ذكر أبي الهيثم بن التيهان: أنّه أوّل من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وآله في ابتداء أمر نبوّته، ثم قال بإسناده: إنّ أبا الهيثم قام خطيباً بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:

إنّ حسد قريش إيّاك على وجهين: أمّا خيارهم فتمنّوا أن يكونوا مثلك منافسةً في الملأ وارتفاع الدرجة، وأمّا شرارهم فحسدوا حسداً أثقل القلوب وأحبط الأعمال، وذلك أنّهم رأوا عليك نعمةً قدّمها إليك الحظّ وأخّرهم عنها الحرمان، فلم يرضوا أن يلحقوا حتّى طلبوا أن يسبقوك، فبعدت - والله - عليهم الغاية، وقطعت المضمار، فلمّا تقدّمتهم بالسبق وعجزوا عن اللحاق بلغوا منك ما رأيت.

وكنت - والله - أحقّ قريش بشكر قريش، نصرت نبيّهم حيّاً، وقضيت عنه الحقوق ميّتاً، والله ما بغيهم إلاّ على أنفسهم، ولا نكثوا إلاّ بيعة الله، يد الله فوق أيديهم فيها، ونحن معاشر الأنصار أيدينا وألسنتنا معك، فأيدينا على من شهد وألسنتنا على من غاب.

أقول: روى ابن أبي الحديد في شرح النهج[3]: عن عليّ بن محمد بن أبي سيف المدائني، عن فضيل بن الجعد، قال: آكد الأسباب كان في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال، فإنّه لم يكن يُفضّل شريفاً على مشروف، ولا عربيّاً على عجميّ، ولا يُصانع الرؤساء وأُمراء القبائل كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحداً إلى نفسه، وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك الناس عليّاً عليه السلام والتحقوا بمعاوية، فشكا عليّ عليه السلام إلى الأشتر تخاذل أصحابه وفرار بعضهم إلى معاوية، فقال الأشتر:

يا أمير المؤمنين، إنّا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة ورأي الناس واحد، وقد اختلفوا بعد وتعادلوا وضعفت النيّة وقلّ العدد، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتُنصف للوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلةٍ، فضجّت طائفة ممّن تبعك من الحقّ إذ عمّوا به واغتمّوا من الحقّ إذ صاروا فيه، ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغناء والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقلّ من ليس للدنيا [بصاحبها]، وأكثرهم يجتوي الحقّ ويشتري الباطل ويؤثر الدنيا، فإن تبذل المال - يا أمير المؤمنين - تمِلْ إليك أعناق الرجال وتصفو نصيحتهم، ويَستخلِص ودّهم لك - يا أمير المؤمنين - وكبَت أعداءك، وفضّ جمعهم، وأوهن كيدهم، وشتّت أمورهم، إنّه بما يعملون خبير.

---

(١) إقبال الأعمال: ٤٦٠.
(٢) كتاب الأوائل: ١٥٠.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٢/١٩٧ ـ ١٩٨.

فقال عليّ عليه السلام: أمّا ما ذكرت من علمنا وسيرتنا بالعدل، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1]، وأنا من أن أكون مقصّراً فيما ذكرت أخوف.. وأمّا ما ذكرت من أنّ الحقّ ثقيل عليهم ففارقوا بذلك، فقد علم الله أنّهم لم يفارقونا من جور ولا لجؤوا إذا فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلاّ دنيا زائلة عنهم كأن قد فارقوها، وليُسألُنّ يوم القيامة: أللدنيا أرادوا أم للّه عملوا؟ وأمّا ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال فإنّه لا يسعنا أن نؤتي امرأً من الفيء أكثر من حقّه، وقد قال الله سبحانه وقوله الحق: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2] وقد بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله وحده، وكثّره بعد القلّة، وأعزّ فئته بعد الذلّة، وإن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذلّل لنا صعبه، ويسهّل لها حزنه، وأنا قابل من رأيك ما كان لله عزّ وجلّ رضا، وأنت من آمن الناس عندي، وأنصحهم لي، وأوثقهم في نفسي إن شاء الله.

وروى أيضاً في الكتاب المذكور[3]، عن هارون بن سعد قال: قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين، لو أمرت لي بمعونةٍ أو نفقة! فوالله ما لي نفقة إلاّ أن أبيع دابّتي. فقال: لا والله، ما أجد لك شيئاً إلاّ أن تأمر عمّك يسرق فيعطيك.

٨ - ما[4]: جماعة، عن أبي المفضّل، عن محمد بن العباس النحوي، عن الخليل بن أسد، عن محمد بن سلام، قال: حدّثني يونس بن حبيب النحوي وكان عثمانياً قال: قلت للخليل بن أحمد: أريد أن أسألك عن مسألة فتكتمها عليّ؟ قال: إنّ قولك يدلّ على أنّ الجواب أغلظ من السؤال، فتكتمه أنت أيضاً؟ قال: قلت: نعم أيّام حياتك. قال: سل. قال: ما بال أصحاب رسول صلى الله عليه وآله وسلم ورحمهم كأنّهم كلّهم بنو أمّ واحدة وعليّ بن أبي طالب عليه السلام من بينهم كأنّه ابن علة؟ قال: من أين لك هذا السؤال؟ قال: قلت: قد وعدتني الجواب. قال: قد ضمنت لي الكتمان. قال: قلت أيّام حياتك. فقال: إنّ علياً عليه السلام تقدّمهم إسلاماً وفاقهم علماً، وبذهم شرفاً، ورجحهم زهداً، وطالهم جهاداً، فحسدوه، والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان منهم، فافهم.

باب ١٥
شكاية أمير المؤمنين صلوات الله عليه عمّن تقدّمه من المتغلّبين الغاصبين

١ - مع، ع[5]: ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين

(١) فصلت: ٤٦. (٢) البقرة: ٢٤٩.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٢٠٠.
(٤) أمالي الطوسي: ٢/ ٢٢١.
(٥) معاني الأخبار: ٢٤٣ ـ ٢٤٤، وعلل الشرائع ١/ ١٥٠ ـ ١٥١، الحديث ١٢.

عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: والله لقد تقمّصها أخو تيم وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء، يشيب فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً. حتّى إذا مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده، عقدها لأخي عديّ بعده، فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، فصيّرها - والله - في حوزة خشناء، يخشن مسّها، ويغلظ كلمها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة: إن عنف بها حرن وإن أسلس بها غسق، فمُني الناس - لعمر الله - بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض، وبلوى وهو مع هن وهني. فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي منهم، فيا لله وللشورى! متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر؟

فمال رجل بضبعه، وأصغى لصهره، وقام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقاموا معه بني أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبت الربيع، حتّى أجهز عليه عمله، وكبت به مطيّته، فما راعني إلاّ والناس إليّ كعرف الضبع قد انثالوا عليّ من كلّ جانب، حتى لقد وطىء الحسنان وشق عطفاي حتّى إذا نهضت بالأمر نكثت طائفة، وفسقت أُخرى، ومرق آخرون، كأنّهم لم يسمعوا الله تبارك وتعالى يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]. بلى والله لقد سمعوها ووعوها لكن احلولت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها. والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقرّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه عندي أزهد من حبقة عنز. وناوله رجل من أهل السواد كتاباً فقطع كلامه وتناول الكتاب، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو اطردت مقالتك إلى حيث بلغت؟! فقال: هيهات هيهات يابن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرّت. فما أسفت على كلام قط كأسفي على كلام أمير المؤمنين عليه السلام إذ لم يبلغ حيث أراد.

قال الصدوق نوّر الله ضريحه[2]: سألت الحسين بن عبد الله بن سعيد العسكري عن تفسير هذا الخبر ففسّره لي قال: تفسير الخبر: قوله عليه السلام: لقد تقمّصها. أي: لبسها مثل القميص، يقال: تقمّص الرجل وتدرّع وتردّى وتمندل.. وقوله: محل القطب من الرحى. أي: تدور عليّ كما تدور الرحى على قطبها. قوله عليه السلام: ينحدر عنه السيل ولا يرتقي إليه الطير. يريد أنّها ممتنعة على غيري ولا يتمكّن منها ولا تصلح له. وقوله: فسدلت دونها ثوباً. أي: أعرضت عنها ولم أكشف وجوبها لي. والكشح: الجنب والخاصرة، فمعنى قوله: طويت عنها كشحاً. أي: أعرضت عنها، والكاشح الذي يوليك كشحه: أي جنبه. وقوله: طفقت. أي: أقبلت. وأخذت أرتئي: أي أفكّر وأستعمل الرأي وأنظر في أن أصول بيد جذّاء وهي المقطوعة، وأراد قلّة الناصر.

---

(١) القصص: ٨٣.
(٢) علل الشرائع: ١/ ١٥٢.

وقوله: أو أصبر على طخية. فللطخية موضعان: فأحدهما الظلمة، والآخر الغمّ والحزن. وقوله: يكدح مؤمن. أي: يدأب ويكسب لنفسه ولا يُعطى حقّه. وقوله: أحجى. أي: أولى، يقال: هذا أحجى من هذا وأخلق وأحرى وأوجب كلّه قريب المعنى. وقوله: في حوزة. أي: في ناحية، يقال: حزت الشيء أحوزه حوزاً إذا جمعته، والحوزة ناحية الدار وغيرها. وقوله: كراكب الصعبة. يعني: الناقة التي لم ترض. إن عنف بها: العنف ضدّ الرفق.

وقوله: حرن. أي: وقف فلم يمش، وإنّما يستعمل الحران في الدواب، فأمّا في الإبل فيقال: خلأت الناقة وبها خلاء، وهو مثل حران الدواب، إلاّ أنّ العرب ربّما تستعيره في الإبل. وقوله: وإن أسلس بها غسق. أي: أدخله في الظلمة. وقوله: مع هن وهني. يعني: الأدنياء من الناس، تقول العرب: فلان هني وهو تصغير هن، أي: هو دون من الناس، ويريدون بذلك تصغير أموره. وقوله: فمال رجل بضبعه. ويروى بضلعه، وهما قريب، وهو أن يميل بهواه ونفسه إلى الرجل بعينه. وقوله: وأصغى آخر لصهره. فالصغو: الميل، يقال: صغوك مع فلان، أي: ميلك معه.

وقوله: نافجاً حضنيه. يقال في الطعام والشراب وما أشبههما: قد انتفج بطنه بالجيم، ويقال في كلّ داء يعتري الإنسان: قد انتفخ بطنه بالخاء. والحضنان جانبا الصدر. وقوله: بين ومعتلفه. فالثيل: قضيب الجمل، وإنّما استعاره للرجل ها هنا، والمعتلف: الموضع الذي يعتلف فيه، أي: يأكل، ومعنى الكلام بين مطعمه ومنكحه. وقوله: يخضمون. أي: يكثرون وينقضون، ومنه قوله: خضمني الطعام، أي: نقض. وقوله: أجهز. أي: أتى عليه وقتله، يقال: أجهزت على الجريح إذا كانت به جراحة فقتلته.

وقوله: كعرف الضبع. شبّههم به لكثرته، والعرف: الشعر الذي يكون على عنق الفرس، فاستعاره للضبع. وقوله: وقد انثالوا. أي: انصبّوا عليّ وكثروا، ويقال: انتثلت ما في كنانتي من السهام، إذا صببته. وقوله: وراقهم زبرجها. أي: أعجبهم حسنها، وأصل الزبرج النقش، وهو ها هنا زهرة الدنيا وحسنها. وقوله: أن لا يقرّوا على كظة ظالم. فالكظة: الامتلاء، يعني: أنّهم لا يصبرون على امتلاء الظالم من المال الحرام ولا يقارّوه على ظلمه. . وقوله: ولا سغب مظلوم. فالسغب: الجوع، ومعناه منعه من الحقّ الواجب له.

وقوله: لألقيت حبلها على غاربها. مثل، تقول العرب: ألقيت حبل البعير على غاربه ليرعى كيف شاء. ومعنى قوله: ولسقيت آخرها بكأس أوّلها. أي: تركتهم في ضلالهم وعماهم. وقوله: أزهد عندي. فالزهيد: القليل. قوله: من حبقة عنز. فالحبقة: ما يخرج من دبر العنز من الريح، والعفطة: ما يخرج من أنفها. وقوله: تلك شقشقة هدرت. فالشقشقة: ما يخرجه البعير من جانب فيه إذا هاج وسكر.

٢ - مع، ع[1]: الطالقاني، عن الجلودي، عن أحمد بن عمّار بن خالد، عن يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن عيسى بن راشد، عن علي بن حذيفة، عن عكرمة، عن ابن عباس: مثله.

---

(١) معاني الأخبار: ٣٤٣، الحديث ١، وعلل الشرائع ١/١٥٣، الحديث ١٣.

٣ - ما[١]: الحفّار، عن أبي القاسم الدعبلي، عن أبيه، عن أخي دعبل، عن محمد بن سلامة الشامي، عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، والباقر عليه السلام، عن ابن عبّاس قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة... وذكر نحوه بأدنى تغيير.

٤ - شا[٢]: روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة، عن ابن عباس قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام بالرحبة فذكرت الخلافة وتقديم من تقدّم عليه، فتنفّس الصعداء ثم قال: أَمَ والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة... وساق الخبر إلى آخره.

إيضاح: هذه الخطبة من مشهورات خطبه صلوات الله عليه روتها الخاصّة والعامّة في كتبهم وشرحوها وضبطوا كلماتها، كما عرفت رواية الشيخ الجليل المفيد وشيخ الطائفة والصدوق، ورواها السيّد الرضيّ في نهج البلاغة[٣] والطبرسي في الاحتجاج[٤] قدّس الله أرواحهم، وروى الشيخ قطب الدين الراوندي قدس سره في شرحه على نهج البلاغة[٥] بهذا السند: أخبرني الشيخ أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم، عن الحاجب أبي الوفا محمد بن بديع والحسين بن أحمد بن بديع والحسين بن أحمد بن عبد الرحمن، عن الحافظ أبي بكر بن مردويه الأصفهاني، عن سليمان بن أحمد الطبراني، عن أحمد بن عليّ الأبار، عن إسحاق بن سعيد أبي سلمة الدمشقي، عن خليد بن دعلج، عن عطا بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: كنّا مع عليّ عليه السلام بالرحبة فجرى ذكر الخلافة ومن تقدّم عليه فيها، فقال: أما والله لقد تقمّصها فلان... إلى آخر الخطبة.

ومن أهل الخلاف رواها ابن الجوزي في مناقبه[٦]، وابن عبد ربّه في الجزء الرابع من كتاب العقد[٧]، وأبو عليّ الجبائي في كتابه، وابن الخشّاب في درسه على ما حكاه بعض الأصحاب، والحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في كتاب المواعظ والزواجر على ما ذكره صاحب الطرائف[٨]، وفسّر ابن الأثير في النهاية لفظ الشقشقة، ثم قال: ومنه حديث عليّ عليه السلام في خطبة له: تلك شقْشِقةٌ هدرت ثمَّ قرَّت[٩]... وشرح كثيراً من ألفاظها.

وقال الفيروزآبادي في القاموس عند تفسيرها: الشِّقْشِقة بالكسر: شيء كالرِّئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج. والخطبة الشقشقيّة العلويّة: لقوله لابن عبّاس - لما قال: لو اطَّرَدَت مقالتك من حيث أفضيت -: يابن عبّاس، هيهات تلك شقشقةٌ هدرت ثمَّ قرَّت[١٠].

وقال عبد الرحمن بن أبي الحديد - ردّاً على من قال: إنّها تأليف السيّد الرضي -: قد وجدت

---

(١) أمالي الطوسي: ١/ ٣٨٢.
(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ١٥٢ ـ ١٥٣.
(٣) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٤٨، الخطبة ٣.
(٤) الاحتجاج: ١٩١ ـ ١٩٤.
(٥) نهج البلاغة: ١/ ١٣١ ـ ١٣٣.
(٦) نقلها في تذكرته: ٧٣.
(٧) العقد الفريد: ٤/ ٧١ ـ ٧٢.
(٨) الطرائف: ٤١٧ ـ ٤١٩.
(٩) النهاية: ٢/ ٤٩٠.
(١٠) القاموس المحيط: ٣/ ٢٥١.

أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخيّ إمام البغداديّين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق السيّد الرضيّ بمدّة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبّة أحد متكلّمي الإماميّة، وكان من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي، ومات قبل أن يكون الرضيّ موجوداً[١].

ثم حكى[٢] عن شيخه مصدّق الواسطي أنّه قال: لمّا قرأت هذه الخطبة على الشيخ أبي محمّد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب، قلت له: أتقول إنّها منحولة؟! فقال: لا والله وإنّي لأعلم أنّها كلامه كما أعلم أنّك مصدّق. قال: فقلت له: إنّ كثيراً من الناس يقولون: إنّها من كلام الرضيّ. فقال لي: أنّى للرضيّ ولغير الرضيّ هذا النَّفس وهذا الأُسلوب؟ قد وقفنا على رسائل الرضيّ، وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور. ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب قد صنِّفت قبل أن يخلق الرضيّ بمئتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرف أنّها خطوط من هي من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضيّ.

وقال ابن ميثم البحراني قدس سره: وجدت هذه الخطبة بنسخة عليها بخطّ الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات وزير المقتدر بالله، وذلك قبل مولد الرضيّ بنيّف وستين سنة[٣]. انتهى.

ومن الشواهد على بطلان تلك الدعوى الواهية الفاسدة أنّ القاضي عبد الجبّار الذي هو من متعصّبي المعتزلة، قد تصدّى في كتاب المغني[٤] لتأويل بعض كلمات الخطبة، ومنع دلالتها على الطعن في خلافة من تقدّم عليه، ولم ينكر استناد الخطبة إليه.

وذكر السيّد المرتضى رحمه الله كلامه في الشافي[٥] وزيفه، وهو أكبر من أخيه الرضيّ قدّس الله روحهما، وقاضي القضاة متقدّم عليهما، ولو كان يجد للقدح في استناد الخطبة إليه عليه السلام مساغاً لما تمسّك بالتأويلات الركيكة في مقام الاعتذار، وقدح في صحّتها كما فعل في كثير من الروايات المشهورة، وكفى للمنصف وجودها في تصانيف الصدوق رحمه الله، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلاثمئة، وكان مولد الرضيّ رحمه الله سنة تسع وخمسين وثلاثمئة.

ولنشرح الخطبة ثانياً لمزيد الإيضاح والتبيين، وللإشارة إلى ما ذكره في تفسيرها وشرحها بعض المحقّقين، ونبني الشرح على ما أورده السيّد قدس سره في النهج، ليظهر مواضع الاختلاف بينه وبين ما سلف من الروايات، مستعيناً بخالق البريّات.

٥ - قال السيّد[٦]: ومن خطبة له عليه السلام المعروفة بالشقشقيّة: أما والله لقد تقمّصها فلانٌ. أي: اتّخذها قميصاً، وفي التشبيه بالقميص الملاصق للبدن دون سائر الأثواب تنبيهٌ على شدّة حرصه

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦.
(٢) ابن أبي الحديد في شرح لنهج البلاغة: ١/ ٢٠٥.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣.
(٤) المغني: ٢٠/ ٢٩٥.
(٥) الشافي: ٣/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(٦) في نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٤٨، الخطبة: ٣.

عليها، والضمير راجع إلى الخلافة كما ظهر من سائر الروايات، وفلان كناية عن أبي بكر، وكان في نسخة ابن أبي الحديد[(١)]: ابن أبي قُحافة بضم القاف وتخفيف الحاء، كما في بعض الروايات الأخر، وفي بعضها: أخو تيم. والظاهر أنّ التعبير بالكناية نوع تقيّة من السيّد رحمه الله، والنسخة المقروءة عليه كانت متعدّدة، فلعلّه عدل في بعضها عن الكناية لزوال الخوف، ويمكن أن تكون التقيّة من النسّاخ. ويدلّ على أنّ الكناية ليست من لفظه عليه السلام أنّ قاضي القضاة في المغني[(٢)] تصدّى لدفع دلالة تعبيره عليه السلام عن أبي بكر بابن أبي قحافة دون الألقاب المادحة على استخفاف به، بأنّه قد كانت العادة في ذلك الزمان أن يسمّي أحدهم صاحبه ويكنّيه ويضيفه إلى أبيه، حتى كانوا ربّما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمّد! فليس في ذلك استخفاف ولا دلالة على الوضع.

فأجاب السيّد رحمه الله بما في الشافي[(٣)] عنه: بأنّه ليس ذلك صنع من يريد التعظيم والتبجيل، وقد كانت لأبي بكر عندهم من الألقاب الجميلة ما يقصد إليه من يريد تعظيمه، وقوله: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينادى باسمه. فمعاذ الله، ما كان ينادي باسمه إلاّ شاكٌّ فيه، أو جاهلٌ من طغام الأعراب. وقوله: إنّ ذلك عادة العرب، فلا شكّ أنّ ذلك عادتهم في من لا يكون له من الألقاب أفخمها وأعظمها كالصدّيق ونحوه.

وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى: الواو للحال، وقطب الرَّحى: الحديدة المنصوبة في وسَط السُّفلى من حجري الرَّحى التّي تدور حولها العُلْيا. أي: تقمّص الخلافة مع علمه بأنّي مدار أمرها، ولا تنتظم إلاّ بي، ولا عوض لها عنّي، كما أنّ الرحى لا تدور إلاّ بالقطب ولا عوض لها عنه.

وقال ابن أبي الحديد[(٤)]: عندي أنّه أراد أمراً آخر، وهو أنّي من الخلافة في الصميم وفي وسطها وبُحْبُوحتها، كما أنّ القطب في دائرة الرحى.. ولا يخفى نقصان التشبيه حينئذٍ.

وقال في المغني[(٥)]: أراد أنّه أهلٌ لها وأنّه أصلح منه للقيام بها، يبيّن ذلك أنّ القطب من الرحى لا يستقلّ بنفسه ولا بدّ في تمامه من الرحى، فنبّه بذلك على أنّه أحقّ وإن كان قد تقمّصها.

وردّه السيّد رحمه الله [(٦)] بأنّ هذا التأويل - مع أنّه لا يجري في غير هذا اللفظ من الألفاظ المرويّة عنه عليه السلام - فاسد؛ لأنّ مفاد هذا الكلام ليس إلاّ التفرّد في الاستحقاق، وأنّ غيره لا يقوم مقامه لا أنّه أهل للأمر وموضع له، وقوله: إنّ القطب لا يستقلّ بنفسه، تأويل على عكس المراد، فإنّ المستفاد من هذا الكلام عند من يعرف اللغة عدم انتظام دوران الرحى بدون القطب، لا عدم استقلال القطب بدون الرحى.

ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير: انحدار السيل لعلّه كناية عن إفاضة العلوم والكمالات وسائر النعم الدنيويّة والأُخرويّة على المواد القابلة. وقيل: المعنى أنّي فوق السيل بحيث لا يرتفع

(١) شرح نهج البلاغة: ١/١٥١.
(٢) المغني: ٢٠/٢٩٥.
(٣) الشافي: ٣/٢٦٨.
(٤) شرح نهج البلاغة: ١/١٥٣.
(٥) المغني: ٢٠/٢٩٥.
(٦) الشافي: ٣/٢٦٨.

إليّ، وهو كما ترى.. ثم إنّه عليه السلام ترقّى في الوصف بالعلوّ بقوله: ولا يرقى إليّ الطير. فإنّ مرقى الطير أعلى من منحدر السيل فكيف ما لا يرقى إليه؟ والغرض إثبات أعلى مراتب الكمال للدلالة على بطلان خلافة من تقمّصها، لقبح تفضيل المفضول.

فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً: يقال: سَدَل الثّوب يسْدُله بالضم. أي: أرخاه وأرسله، ودون الشّيء: أمامه وقريب منه. والمعنى: ضربت بيني وبينها حجاباً وأعرضت عنها ويئست منها. والكَشْح: ما بين الخاصرة إلى أقصر الأضلاع، ويقال: فلانٌ طوى كَشْحه. أي: أعرض مهاجراً ومال عنّي، وقيل: أراد غير ذلك، وهو أنّ من أجاع نفسه فقد طوى كشحه كما أنّ من أكل وشبع فقد ملأ كشحه.

وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء؛ يقال: طفق في كذا. أي: أخذ وشرع. وأرتئي في الأمر: أي أفكر في طلب الأصلح، وهو افتعل من رؤية القلب أو من الرّأي. والصّولة: الحَمْلة والوثبة. والجذّاء بالجيم والذال المعجمة: المقطوعة والمكسورة أيضاً كما ذكره الجوهري[١]. وقال في النهاية: في حديث عليّ عليه السلام: أصول بيدٍ جذّاء. كنّى به عن قصور أصحابه وتقاعدهم عن الغزو، فإنّ الجند للأمير كاليد، ويروى بالحاء المهملة[٢]. وفسّره في موضعه باليد القصيرة الّتي لا تُمدُّ إلى ما يراد، قال: وكأنّها بالجيم أشبه[٣].

والطخية بالضم كما صحّح في أكثر النسخ: الظلمة أو الغيم، وفي بعضها: بالفتح. في القاموس: الطَّخْيَة: الظُّلمة، ويثلّث[٤]. ولم يذكر الجوهري سوى الضّم، وفسّره بالسَّحاب[٥]. وفي النهاية: الطَّخية: الظُّلمة والغيم[٦]. والعمياء: تأنيث الأعمى. ووصف الطخية بها؛ لأنّ الرائي لا يبصر فيها شيئاً. يقال: مفازة عمياء. أي: لا يهتدي فيها الدليل، وهي مبالغة في وصف الظلمة بالشدّة وحاصل المعنى: إنّي لمّا رأيت الخلافة في يد من لم يكن أهلاً لها كنت متفكّراً مردّداً بين قتالهم بلا أعوان وبين معاينة الخلق على جهالة وضلالة وشدّة.

يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه: يقال: هرِم كفرح. أي: بلغ أقصى الكِبر. والشَّيب بالفتح: بياض الشّعر. والكدح: الكدُّ والعمل والسَّعي. والجمل الثلاثة أوصاف للطخية العمياء، وإيجابها لهرم الكبير وشيب الصغير إمّا لكثرة الشدائد فيها، فإنّها ممّا يسرع بالهرم والشيب، أو لطول مدّتها وتمادي أيّامها ولياليها، أو للأمرين جميعاً. وعلى الوجهين الأوّلين فسّر قوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[٧] وكدح المؤمن يمكن أن يراد به لازمه، أعني: التعب ومقاساة الشدّة في الوصول إلى حقّه، وقيل: يسعى فلا يصل إلى حقّه، فالكدح بمعناه، وقيل: المراد به أنّ المؤمن المجتهد في الذبّ عن الحقّ والأمر بالمعروف يسعى فيه ويكدّ ويقاسي الشدائد

---

(١) الصحاح: ٢/ ٥٦١.
(٢) النهاية: ١/ ٢٥٠.
(٣) النهاية: ٣٥٦.
(٤) القاموس المحيط: ٤/ ٣٥٦.
(٥) الصحاح: ٦/ ٢٤١٢.
(٦) النهاية: ٣/ ١١٦.
(٧) المزمل: ١٧.

حتى يموت. وفي رواية الشيخ[1] والطبرسي[2]: يرضع فيها الصغير ويدبّ فيها الكبير. وهو كناية عن طول المدّة أيضاً، أي يمتدّ إلى أن يدبّ كبيراً من كان صغيراً، يقال: دبَّ يدِبُّ دبيباً. أي: مشى على هنيئةٍ.

فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى تراثي نهباً: كلمة ها في: هاتا للتّنبيه، وتا للإشارة إلى المؤنّث، أشير بها إلى الطخية الموصوفة. وأحجى: أي أولى وأجدر وأحقُّ، من قولهم: حجا بالمكان، إذا أقام وثبت. ذكره في النهاية[3]. وقيل: أي أليق وأقرب بالحجى وهو العقل. والقذى: جمع قذاةٍ وهي ما يسقط في العين وفي الشّراب أيضاً من تبنٍ أو ترابٍ أو وسخ. والشجا: ما اعترض في الحلق ونشب من عظمٍ ونحوه. والتُّراث: ما يُخْلِفه الرَّجل لورثته، والتّاء فيها بدلٌ من الواو. والنَّهب: السَّلب والغارة والغنيمة، والجملة بيان لوجود القذى والشجا. وفي رواية الشيخين[4] والطبرسي[5]: فرأيت الصبر. وفي رواية الشيخ[6]: تراث محمّد ﷺ نهباً[7]. وفي تلخيص الشافي: من أن أرى تراثي نهباً. والحاصل أنّي بعد التردّد في القتال استقرّ رأيي على أنّ الصبر أجدر؛ وذلك لأداء القتال إلى استئصال آل الرسول ﷺ واضمحلال كلمة الإسلام لغلبة الأعداء.

وقال بعض الشارحين[8]: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: ولا يرقى إليّ الطير فطفقت أرتئي بين كذا وكذا، فرأيت الصبر على هاتا أحجى فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وصبرت وفي العين قذى. . . إلى آخر الفصل؛ لأنّه لا يجوز أن يسدل دونها ثوباً ويطوي عنها كشحاً ثم يرتئي. . والتقديم والتأخير شائع في لغة العرب، قال الله تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا﴾[9]. انتهى.

ويمكن أن يقال: سدل الثوب وطيّ الكشح لم يكن على وجه البت وتصميم العزم على الترك، بل المراد ترك العجلة والمبادرة إلى الطلب من غير تدبّر في عاقبة الأمر، ولعلّ الفقرتين بهذا المعنى أنسب.

حتى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده: قيل: تقديره مضى على سبيله. . وأدلى بها إلى فلانٍ: أي ألقاها إليه ودفعها. والتعبير بلفظ فلان كما مرّ، وفي نسخة ابن أبي الحديد بلفظ: ابن الخطاب[10]، وفي بعض الروايات: إلى عمر. وإدلاؤه إليه بها: نصبه للخلافة. وكان ابن الخطاب يسمّي نفسه خليفة أبي بكر، ويكتب إلى عمّاله من خليفة أبي بكر حتى جاءه لبيد بن أبي ربيعة وعديّ

---

(١) أمالي الطوسي: ١/ ٣٨٢.
(٢) الاحتجاج: ١/ ٢٨٣.
(٣) النهاية: ١/ ٣٤٨.
(٤) الإرشاد للشيخ المفيد: ١٥٢، وأمالي الطوسي ١/ ٣٨٢.
(٥) الاحتجاج للطبرسي: ١/ ٢٨٣.
(٦) أمالي الطوسي: ١/ ٣٨٢.
(٧) تلخيص الشافي: ٣/ ٥٣.
(٨) ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة: ١/ ١٥٥.
(٩) الكهف: ١ ـ ٢.
(١٠) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٦٢.

بن حاتم فقالا لعمرو بن العاص: استأذن لنا على أمير المؤمنين. فخاطبه عمرو بن العاص بأمير المؤمنين فجرى ذلك في المكاتيب من يومئذٍ، ذكر ذلك ابن عبد البرّ في الاستيعاب(١). ثم تمثّل عليه السلام بقول الأعشى:

فشتّان ما يومي على كورها ويوم حيّان أخي جابر(٢)

تمثّل بالبيت: أنشده للمثل. والأعشى: ميمون بن جندل. وشتّان: اسم فعل بمعنى: بعُد وفيه معنى التعجُّب. والكُور بالضم: رحل البعير بأداته، والضمير راجع إلى الناقة. حيّان: كان صاحب حصنٍ باليمامة، وكان من سادات بني حنيفة مطاعاً في قومه يصله كسرى في كلّ سنة، وكان في رفاهية ونعمة مصوناً من وعثاء السفر، لم يكن يسافر أبداً، وكان الأعشى ينادمه، وكان أخوه جابر أصغر سنّاً منه، ويروى أنّ حيّان عاتب الأعشى في نسبته إلى أخيه، فاعتذر بأنّ الروي اضطرّني إلى ذلك فلم يقبل عذره.

ومعنى البيت كما أفاده السيّد المرتضى رحمه الله(٣): إظهار البعد بين يومه ويوم حيّان لكونه في شدّة من حرّ الهواجر، وكون حيّان في راحة وخفض، وكذا غرضه عليه السلام بيان البعد بين يومه صابراً على القذى والشجا وبين يومهم فائزين بما طلبوا من الدنيا، وهذا هو الظاهر المطابق للبيت التالي له، وهو ممّا تمثّل به عليه السلام على ما في بعض النسخ، وهو قوله:

أرمي بها البيد إذا هجّرت وأنت بين القرو والعاصر(٤)

والبيد بالكسر: جمع البيداء وهي المفازة. والتّهجير: السّير في الهاجرة، وهي نصف النّهار عند شدّة الحرّ. والقَرْو: قدحٌ من الخشب، وقيل: إناءٌ صغيرٌ أو إجّانةٌ للشُّرب. والعاصر: الّذي يعصِر العِنب للخمر. أي: أنا في شدّة حرّ الشمس أسوق ناقتي في الفيافي وأنت في عيش وشرب. وقال بعض الشارحين(٥): المعنى: ما أبعد ما بين يومي على كور الناقة أدأب وأنصب وبين يومي منادماً حيّان أخي جابر في خفض ودعة.

فالغرض من التمثيل إظهار البعد بين يومه عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مقهوراً ممنوعاً عن حقّه وبين يومه في صحبة النبيّ صلى الله عليه وآله.

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته: أصل يا عجبا: يا عجبي، قلبت الياء ألفاً، كأنّ المتكلّم ينادي عجبه ويقول له: احضر فهذا أوان حضورك. وبينا: هي بين الظّرفيّة أشبعت فتحتها فصارت ألفاً، وتقع بعدها إذا الفجائيّة غالباً. والاستقالة: طلب الإقالة، وهو في البيع فسخه للندم، وتكون في البيعة والعهد أيضاً. واستقالته قوله بعدما بويع: أقيلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم.

وقد روى خبر الاستقالة الطبري في تاريخه(٦)، والبلاذري في أنساب الأشراف، والسمعاني

---

(١) الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة: ٢/٤٦٦.

(٢) ديوان الأعشى: ٩٦.

(٣) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١٠.

(٤) لسان العرب: ٢/ ٣٤.

(٥) ابن ميثم في شرحه لنهج البلاغة: ١/ ٢٥٧.

(٦) تاريخ الطبري: ٢/ ٤٥٠.

في الفضائل، وأبو عبيدة في بعض مصنّفاته على ما حكاه بعض أصحابنا، ولم يقدح الرازي في نهاية العقول في صحّته، وإن أجاب عنه بوجوه ضعيفة، وكفى كلامه عليه السلام شاهداً على صحّته، وكون العقد لآخر بين أوقات الاستقالة لتنزيل اشتراكهما في التحقيق والوجود منزلة اتّحاد الزمان، أو لأنّ الظاهر من حال المستقبل لعلمه بأنّ الخلافة حقّ لغيره بقاء ندمه وكونه متأسّفاً دائماً خصوصاً عند ظهور أمارة الموت.

وقوله: بعد وفاته. ليس ظرفاً لنفس العقد بل لترتّب الآثار على المعقود بخلاف قوله: في حياته.. والمشهور[1] أنّه لمّا احتُضر أحضر عثمان وأمره أن يكتب عهداً، وكان يمليه عليه، فلمّا بلغ قوله: أمّا بعد.. أُغمي عليه، فكتب عثمان: قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب. فأفاق أبو بكر فقال: اقرأ. فقرأه فكبّر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي؟! قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. ثم أتمّ العهد وأمره أن يقرأه على الناس.

وذهب إلى عذاب الله في ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة على ما ذكره ابن أبي الحديد[2]. وقال في الاستيعاب[3]: قول الأكثر: إنّه توفي عشيّ يوم الثلاثاء المذكور، وقيل: ليلته. وقيل: عشيّ يوم الاثنين. قال: ومكث في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلاّ خمس ليال أو سبع ليال. وقيل: أكثر من ذلك إلى عشرين يوماً.

والسبب على ما حكاه عن الواقدي[4] أنّه اغتسل في يوم بارد، فحُمَّ ومرض خمسة عشر يوماً. وقيل سلّ. وقيل: سمّ، وغسّلته زوجته أسماء بنت عميس، وصلّى عليه عمر بن الخطّاب، ودفن ليلاً في بيت عائشة.

لشدّ ما تشطّرا ضرعيها: اللام جواب القسم المقدّر. وشدّ، أي: صار شديداً. وكلمة ما: مصدرية، والمصدر فاعل شدّ، ولا يستعمل هذا الفعل إلاّ في التعجب. وتشطّرا: إمّا مأخوذ من الشطر بالفتح بمعنى: النِّصف، يقال: فلانٌ شطَّر ماله. أي: نصَّفه، فالمعنى أخذ كلّ واحد منهما نصفاً من ضرعي الخلافة. وإمّا منه بمعنى خِلف النّاقة بالكسر، أي: حَلْمة ضرعها، يقال: شطّر ناقته تشطيراً إذا صرَّ خلفين من أخلافها، أي: شدَّ عليهما الصِّرار، وهو خيطٌ يُشدُّ فوق الخِلف لئلاّ يرضع منه الولد. وللنّاقة أربعة أخلافٍ: خِلفان قادمان وهما اللذان يليان السُّرَّة، وخِلفان آخران. وسمّى عليه السلام خلفين منهما ضرعاً لاشتراكهما في الحلب دفعة، ولم نجد التشطّر على صيغة التفعّل في كلام اللغويّين. وفي رواية المفيد رحمه الله[5] وغيره[6]: شاطرا على صيغة المفاعلة، يقال: شاطرت ناقتي، إذا احتلبت شطراً وتركت الآخر، وشاطرت فلاناً مالي: إذا ناصفته.

وفي كثير من روايات السقيفة: أنّه عليه السلام قال لعمر بن الخطّاب بعد يوم السقيفة: احلب حلباً

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١٦٥، وتاريخ الطبري ٢/ ٦١٨ ـ ٦١٩، وغيرهما.
(٢) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٦٦.
(٣-٤) الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة: ٢/ ٢٥٦ـ ٢٥٧.
(٥) الإرشاد: ١٥٣. (٦) الاحتجاج: ١/ ١٩١، وتلخيص الشافي ٣/ ٥٤.

لك شطره، اشدد له اليوم يرده عليك غداً. . . وقد مهّد عمر أمر البيعة لأبي بكر يوم السقيفة، ثم نصّ أبو بكر عليه لمّا حضر أجله، وكان قد استقضاه في خلافته وجعله وزيراً في أمرها مساهماً في وزرها، فالمشاطرة تحتمل الوجهين. وفي رواية الشيخ[١] والطبرسي[٢] ذكر التمثّل في هذا الموضع بعد قوله: ضرعيها.

فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسّها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها:

وليست (فيها) في كثير من النسخ. والحوْزَة بالفتح: النّاحية والطَّبيعة. والغِلَظ: ضدُّ الرِّقَّة. والكلْم بالفتح: الجَرْح. وفي الإسناد توسّع. وخشونة المسّ: الإيذاء والإضرار وهو غير ما يستفاد من الخشناء، فإنّها عبارة عن كون الحوزة بحيث لا ينال ما عندها ولا يفوز بالنجاح من قصدها، كذا قيل. . وقال بعض الشرّاح: يمكن أن يكون (من) في: الاعتذار منها، للتعليل، أي: ويكثر اعتذار الناس عن أفعالهم وحركاتهم لأجل تلك الحوزة[٣].

وقال بعض الأفاضل: الظاهر أنّ المفاد على تقدير إرادة الناحية تشبيه المتولّي للخلافة بالأرض الخشناء في ناحية الطريق المستوي، وتشبيه الخلافة بالراكب السائر فيها أو بالناقة، أي: أخرجها عن مسيرها المستوي وهو من يستحقّها إلى تلك الناحية الحزنة، فيكثر عثارها، أو عثار مطيّتها فيها، فاحتاجت إلى الاعتذار من عثراتها الناشئة من خشونة الناحية، وهو في الحقيقة اعتذار من الناحية، فالعاثر والمعتذر حينئذٍ هي الخلافة توسّعاً، والضمير المجرور في (منها) راجع إلى الحوزة أو إلى العثرات المفهومة من كثرة العثار، ومن صلة للاعتذار أو للصفة المقدّرة صفة للاعتذار، أو حالاً عن يكثر، أي: الناشئ أو ناشئاً منها، وعلى ما في كثير من النسخ يكون الظرف المتضمّن لضمير الموصوف - أعني فيها - محذوفاً، والعثار والاعتذار على النسختين إشارة إلى الخطأ في الأحكام وغيرها، والرجوع عنها كقصّة الحاملة والمجنونة وميراث الجدّ وغيرها[٤].

وفي الاحتجاج[٥]: فصيّرها والله في ناحية خشناء، يجفو مسّها، ويغلظ كلمها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، يكثر فيها العثار، ويقلّ فيها الاعتذار. فالمعنى أنّه كان يعثر كثيراً ولا يعتذر منها لعدم المبالاة، أو للجهل، أو لأنّه لم يكن لعثراته عذر حتى يعتذر، فالمراد بالاعتذار إبداء العذر ممّن كان معذوراً ولم يكن مقصّراً.

وفي رواية الشيخ ﵀[٦]: فعقدها والله في ناحية خشناء، يخشن مسّها - وفي بعض النسخ: يخشى مسّها - ويغلظ كلمها، ويكثر العثار والاعتذار فيها، صاحبها منها كراكب الصعبة إن شنق لها حزم، وإن أسلس لها عصفت به.

فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحّم: الصَّعبة من النُّوق: غير

---

(١) أمالي الطوسي: ١/ ٣٨٣. (٢) الاحتجاج: ١/ ٢٨٤.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١٧١.
(٤) قريب منه في شرح ابن ميثم لنهج البلاغة: ١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
(٥) الاحتجاج: ١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥. (٦) أمالي الطوسي: ١/ ٣٨٣.

المنقادة. وأشنق بعيره: أي جذب رأسه بالزّمام، ويقال: أشنق البعير بنفسه، إذا رفع رأسه، يتعدّى ولا يتعدّى، واللُّغة المشهورة: شنق كنصر متعدّياً بنفسه، ويستعملان باللام، كما صرّح به في النّهاية[1]. قال السيّد رحمه الله في النهج بعد إتمام الخطبة: قوله عليه السلام في هذه الخطبة: كراكب الصّعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحّم. يريد أنّه إذا شدّد عليها في جذب الزّمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحّمت به فلم يملكها، يقال: أشنق النّاقة، إذا جذب رأسها بالزّمام فرفعه، وشنقها أيضاً، ذكر ذلك ابن السِّكّيت في إصلاح المنطق[2]، وإنّما قال: أشنق لها ولم يقل: أشنقها؛ لأنّه جعله في مقابلة قوله: أسلس لها. فكأنّه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بالزّمام بمعنى أمسكه عليها[3]. انتهى.

فاللام للازدواج. والخرم. الشَّقُّ، يقال: خرم فلاناً كضرب، أي: شقَّ وترَة أنفه، وهي ما بين منخريه، فخرِم هو كفرِح، والمفعول محذوف وهو ضمير الصعبة كما يظهر من كلام بعض اللغويّين، أو أنفها كما يدلّ عليه كلام السيّد وابن الأثير وبعض الشارحين. وأسلس لها، أي: أرخى زِمامها لها. وتقحّم: أي رمى نفسه في مهلكةٍ، وتقحَّم الإنسان الأمر: أي رمى نفسه فيها من غير رويَّةٍ.

وذكروا في بيان المعنى وجوهاً، منها: أنّ الضمير في صاحبها يعود إلى الحوزة المكنّى بها عن الخليفة أو أخلاقه، والمراد بصاحبها: من يصاحبها كالمستشار وغيره، والمعنى: أنّ المصاحب للرجل المنعوت حاله في صعوبة الحال كراكب الناقة الصعبة، فلو تسرّع إلى إنكار القبائح من أعماله أدّى إلى الشقاق بينهما وفساد الحال، ولو سكت وخلاّه وما يصنع أدّى إلى خسران المال.

ومنها: أنّ الضمير راجع إلى الخلافة أو إلى الحوزة، والمراد بصاحبها: نفسه عليه السلام، والمعنى: أنّ قيامي في طلب الأمر يوجب مقاتلة ذلك الرجل وفساد أمر الخلافة رأساً وتفرّق نظام المسلمين، وسكوتي عنه يورث التقحّم في موارد الذلّ والصغار.

ومنها: أنّ الضمير راجع إلى الخلافة، وصاحبها: من تولّى أمرها مراعياً للحقّ وما يجب عليه، والمعنى: أنّ المتولّي لأمر الخلافة إن أفرط في إحقاق الحقّ وزجر الناس عمّا يريدونه بأهوائهم أوجب ذلك نفار طباعهم وتفرّقهم عنه، لشدّة الميل إلى الباطل، وإن فرّط في المحافظة على شرائطها ألقاه التفريط في موارد التهلكة. وضعف هذا الوجه وبُعده واضح.

هذا ما قيل فيه من الوجوه، ولعلّ الأول أظهر[4]. ويمكن فيه تخصيص الصاحب به عليه السلام، فالغرض بيان مقاساته الشدائد في أيّام تلك الحوزة الخشناء للمصاحبة، وقد كان يرجع إليه عليه السلام بعد ظهور الشناعة في العثرات، ويستشيره في الأمور للأغراض. ويحتمل عندي وجه: آخر وهو أن يكون المراد بالصاحب عمر، وبالحوزة سوء أخلاقه، ويحتمل إرجاع الضمير إلى الخلافة.

والحاصل أنّه كان لجهله بالأمور، وعدم استحقاقه للخلافة، واشتباه الأُمور عليه كراكب الصعبة، فكان يقع في أمور لا يمكنه التخلّص منها أو لم يكن شيء من أموره خالياً عن المفسدة،

---

(١) النهاية: ٢/٥٠٦. (٢) إصلاح المنطق: ٣٦.
(٣) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٥٠، الخطبة ٣.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ١/٢٥٩ ـ ٢٦٠.

فإذا استعمل الجرأة والجَلادة والغلظة كانت على خلاف الحقّ، وإن استعمل اللين كان للمداهنة في الدين.

فمُني الناس - لعمر الله - بخبط وشماس وتلوّن واعتراض: مُني على المجهول، أي: ابتُلي، والعُمر بالضم والفتح: مصدر عمِر الرَّجل بالكسر: إذا عاش زماناً طويلاً، ولا يستعمل في القسم إلاّ العمر بالفتح، فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء، واللام لتوكيد الابتداء، والخبر محذوف، والتَّقدير: لعَمْر الله قسمي، وإن لم تأتِ باللام نصبته نصب المصادر، والمعنى على التَّقديرين: أحلِف ببقاء الله ودوامه. والخَبْط بالفتح: السَّير على غير معرفةٍ وفي غير جادَّةٍ. والشِّماس بالكسر: النفار، يقال: شمَس الفرسُ شُموساً وشِماساً، أي: منع ظهره، فهو فرسٌ شَموسٌ بالفتح، وبه شِماسٌ. والتَّلوُّن في الإنسان: أن لا يثبُت على خُلُقٍ واحدٍ. والاعتراض: السَّير على غير استقامةٍ كأنَّه يسير عرضاً.

والغرض بيان شدّة ابتلاء الناس في خلافته بالقضايا الباطلة لجهله واستبداده برأيه مع تسرّعه إلى الحكم وإيذائهم بحدّته وبالخشونة في الأقوال والأفعال الموجبة لنفارهم عنه، وبالنفار عن الناس كالفرس الشموس، والتلوّن في الآراء والأحكام لعدم ابتنائها على أساس قوي، وبالخروج عن الجادة المستقيمة التي شرعها الله لعباده، أو بالوقوع في الناس في مشهدهم ومغيبهم، أو بالحمل على الأمور الصعبة، والتكاليف الشاقّة.. ويحتمل أن يكون الأربعة أوصافاً للناس في مدّة خلافته، فإنّ خروج الوالي عن الجادّة يستلزم خروج الرعيّة عنها أحياناً، وكذا تلوّنه واعتراضه يوجب تلوّنهم واعتراضهم على بعض الوجوه، وخشونته يستلزم نفارهم، وسيأتي تفاصيل تلك الأمور في الأبواب الآتية إن شاء الله تعالى.

فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم: وفي تلخيص الشّافي: زعم أنّي سادسهم[1]. والمِحنة: البلِيَّة الَّتي يُمتحن بها الإنسان. والزّعم مثلثة: قريبٌ من الظَّنِّ. وقال ابن الأثير: إنّما يقال: زعموا، في حديث لا سند له ولا ثَبت فيه[2] وقال الزمخشري: هي ما لا يوثق به من الأحاديث[3]. وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: كلُّ زعمٍ في القرآن كذبٌ[4].

وكانت مدّة غصبه للخلافة - على ما في الاستيعاب - عشر سنين وستة أشهر. وقال: قتل يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين. وقال الواقدي وغيره: لثلاث بقين منه، طعنه أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة[5]. واشتهر بين الشيعة أنّه قُتل في التاسع من ربيع الأوّل، وسيأتي فيه بعض الروايات.

والجماعة الذين أشار عليه السلام إليهم أهل مجلس الشورى، وهم ستة - على المشهور -:

---

(١) تلخيص الشافي: ٣/ ٥٤. (٢) النهاية: ٢/ ٣٠٣.

(٣) جاء بمعنى مشابه في العين: ١/ ٣٦٤، ولسان العرب ١٢/ ٢٦٧.

(٤) مجمع البحرين: ٦/ ٧٩.

(٥) الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة: ٢/ ٤٦٧.

عليّ عليه‌السلام وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمن بن عوف. وقال الطبري[1]: لم يكن طلحة ممّن ذُكر في الشورى ولا كان يومئذٍ بالمدينة. وقال أحمد بن أعثم[2]: لم يكن بالمدينة. فقال عمر: انتظروا بطلحة ثلاثة أيّام، فإن جاء وإلاّ فاختاروا رجلاً من الخمسة.

فيا لله وللشورى: الشُّورى كبُشرى: مصدر بمعنى المشوَرَة.. واللام في (فيا لله): مفتوحةٌ لدخولها على المستغاث، أُدخلت للدلالة على اختصاصها بالنداء للاستغاثة، وأمّا في (وللشُّورى) فمكسورة دخلت على المستغاث له، والواو زائدة أو عاطفة على محذوف مستغاث له أيضاً. قيل: كأنّه قال: فيا لعمر وللشورى، أو: لي وللشورى ونحوه. والأظهر: فيا لله لما أصابني عنه، أو لنوائب الدهر عامّة وللشورى خاصّة، والاستغاثة للتألّم من الاقتران بمن لا يدانيه في الفضائل، ولا يستأهل للخلافة، وسيأتي قصّة الشورى في بابها.

متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر.

وفي رواية الشيخ[3] وغيره: فيا للشورى والله، متى اعترض الريب فيّ مع الأوّلين، فأنا الآن أُقرن... وفي الاحتجاج[4]: مع الأوّلين منهم حتى صرت الآن يقرن بي هذه النظائر.

ويقال: اعترض الشَّيء. أي: صار عارضاً كالخشبة المعترِضة في النَّهر. والرَّيب: الشَّكُّ. والمراد بالأوّل: أبو بكر. وأُقرن إليهم على لفظ المجهول، أي: أُجعل قريناً لهم ويجمع بيني وبينهم. والنظائر الخمسة: أصحاب الشورى، وقيل: الأربعة كما سيأتي، والتعبير عنهم بالنظائر؛ لأنّ عمر جعلهم نظائر له عليه‌السلام، أو لكون كلّ منهم نظير الآخرين.

لكنّي أسففت إذ أسفّوا وطرت إذ طاروا وفي رواية الشيخ[5]: ولكنّي أسففت مع القوم حيث أسفّوا وطرت مع القوم حيث طاروا. قال في النهاية - في شرح هذه الفقرة -: أسَفَّ الطّائر: إذا دنا من الأرض، وأسفَّ الرَّجل للأمر: إذا قاربه[6]. وطرت: أي ارتفعت استعمالاً للكلّي في أكمل الأفراد بقرينة المقابلة. وقال بعض الشارحين[7]: أي لكنّي طلبت الأمر إن كان المنازع فيه جليل القدر أو صغير المنزلة؛ لأنّه حقّي ولم أستنكف من طلبه.

والأظهر أنّ المعنى: إنّي جريت معهم على ما جروا، ودخلت في الشورى مع أنّهم لم يكونوا نظراء لي، وتركت المنازعة للمصلحة أو الأعمّ من ذلك بأن تكلّمت معهم في الاحتجاج أيضاً بما يوافق رأيهم، وبيّنت الكلام على تسليم حقيّة ما مضى من الأُمور الباطلة، وأتممت الحجة عليهم على هذا الوجه.

فصغا رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هنٍ وهن:

والصَّغي: المَيْل، ومنه أصغيت إليه، إذا ملت بسمعك نحوه. والضِّغن بالكسر: الحقد

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٢٩٢.
(٢) الفتوح: ٢/ ٣٢٧.
(٣) أمالي الطوسي: ١/ ٣٨٣.
(٤) الاحتجاج: ١/ ٢٨٦.
(٥) أمالي الطوسي: ١/ ٣٨٣.
(٦) النهاية: ٢/ ٢٧٥.
(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١٨٤.

والعداوة. والصِّهر بالكسر: حرمة الختونة. وقال الخليل: الأصهار: أهل بيت المرأة، ومن العرب من يجعل الصِّهر من الأحماء والأختان جميعاً. وهَنٌ على وزن أخٍ: كلمة كنايةٍ ومعناه: شيءٌ، وأصله هنوٌ. وقال الشيخ الرضيّ ﷺ : الهَنُ: الشَّيءُ المنكر الذي يُستهجن ذكره من العورة والفعل القبيح أو غير ذلك[١].

والذي مال للضغن سعد بن أبي وقّاص؛ لأنّه عليه السلام قتل أباه يوم بدر، وسعد أحد من قعد عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام عند رجوع الأمر إليه، كذا قال الراوندي رحمه الله [٢]. وردّه ابن أبي الحديد[٣] بأنّ أبا وقّاص - واسمه مالك بن وهيب - مات في الجاهلية حتف أنفه، وقال: المراد به طلحة، وضغنه لأنّه تيميّ وابن عمّ أبي بكر، وكان في نفوس بني هاشم حقد شديد من بني تيم لأجل الخلافة وبالعكس، والرواية التي جاءت بأنّ طلحة لم يكن حاضراً يوم الشورى - إن صحّت - فذو الضغن هو سعد؛ لأنّ أُمّه حمنة بنت سفيان بن أُميّة بن عبد شمس، والضغنة التي كانت عنده من قبل أخواله الذين قتلهم عليّ عليه السلام ، ولم يعرف أنّه عليه السلام قتل أحداً من بني زهرة لينسب الضغن إليه. والذي مال لصهره هو عبد الرحمن؛ لأنّ أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت زوجة عبد الرحمن، وهي أُخت عثمان من أُمّه أروى بنت كويز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

وفي بعض نسخ كتب الصدوق رحمه الله [٤]: فمال رجل بضبعه بالضاد المعجمة والباء. وفي بعضها: باللام[٥]. وقال الجوهري: الضَّبع: العضد. وضبعت الخيل: مدَّت أضباعها في سيرها. وقال الأصمعي[٦]: الضَّبْع: أن يهوي بحافره إلى عَضُده، وكنّا في ضُبْع فلانٍ بالضم، أي: في كنفه وناحيته. وقال: يقال ضَلْعك مع فلانٍ. أي: ميلك معه وهواك، ويقال: خاصمت فلاناً فكان ضلعك عليَّ. أي: ميلك[٧].

وفي رواية الشيخ[٨]: فمال رجل لضغنه وأصغى آخر لصهره. ولعلّ المراد بالكناية رجاؤه أن ينتقل الأمر إليه بعد عثمان، وينتفع بخلافته والانتساب إليه باكتساب الأموال والاستطالة والترفّع على الناس، أو نوع من الانحراف عنه عليه السلام ، وقد عدّ من المنحرفين، أو غير ذلك ممّا هو عليه السلام أعلم به. ويحتمل أن يكون الظرف متعلقاً بالمعطوف عليه كليهما، فالكناية تشتمل ذا الضغن أيضاً.

إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع:

وفي رواية الشيخ[٩]: إلى أن قام الثالث نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه منها، وأسرع معه بنو أبيه في مال الله يخضمونه. والحِضْن بالكسر: ما دون الإبط إلى الكشح. والنَّفج بالجيم: الرَّفْع،

---

(١) شرح الرضى: ١/ ٢٥.
(٢) منهاج البراعة: ١/ ١٢٧.
(٣) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٨٩.
(٤) معاني الأخبار: ٣٤٤.
(٥) علل الشرائع: ١/ ١٥١.
(٦) عنه في الصحاح: ٣/ ١٢٤٧.
(٧) الصحاح: ٣/ ١٢٥١.
(٨) أمالي الطوسي: ١/ ٣٨٣.
(٩) أمالي الطوسي: ١/ ٣٨٣.

يقال: بعير مُنْتَفَج الجنبين، إذا امتلأ من الأكل فارتفع جنباه، ورجل منتفج الجنبين: إذا افتخر بما ليس فيه، وظاهر المقام التشبيه بالبعير. وقال ابن الأثير: كنّى به عن التّعاظم والخُيَلاء[١]، قال: ويروى نافِخاً بالخاء المعجمة، أي: منتفِخاً مستعدّاً لأن يعمل عمله من الشّرّ[٢]. والظاهر على هذه الرواية أنّ المراد كثرة الأكل.

والنَّثيل: الرَّوث بالفتح. والمعتَلَف بالفتح: موضع الاعتلاف، وهو أكل الدابّة العلف، أي: كان همُّه الأكل والرجع كالبهائم. وقد مرّ تفسير ما في رواية الصدوق رحمه الله قال في القاموس: النَّثيل بالفتح والكسر: وعاء قضيب البعير، أو القضيب نفسه[٣]. والخَضْم: الأكل بجميع الفم ويقابله القَضْم، أي: بأطراف الأسنان.

وقال في النهاية - في حديث عليّ عليه السلام -: فقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الرَّبيع. الخَضْم: الأكل بأقصى الأضراس، والقَضْم بأدناها، ومنه حديث أبي ذرٍّ: تأكلون خضماً ونأكل قضماً[٤]. وقيل: الخضم خاصٌّ بالشَّيءِ الرَّطب والقضم باليابس، والفعل خضم كعلم، على قول الجوهري[٥] وابن الأثير[٦]. وفي القاموس: كسمع وضرب[٧]. وأُعرب المضارع في النسخ على الوجهين جميعاً. وقالوا: النِّبْتَة بالكسر: ضربٌ من فعل النَّبات يقال: إنَّه لحسن النِّبتة. والكلام إشارة إلى تصرّف عثمان وبني أُميّة في بيت مال المسلمين، وإعطائه الجوائز وإقطاعه القطائع كما سيأتي إن شاء الله.

إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته:

وفي الاحتجاج[٨]: إلى أن كبت به بطنته وأجهز عليه عمله. والإنكاث: الانتقاض، يقال: نكث فلانٌ العهد والحبل فانتكثَ. أي: نقضه فانتقض. وفَتْل الحبل: برمه ولَيُّ شِقَّيْه. والإجهاز: إتمام قتل الجريح وإسراعه، وقيل: فيه إيماءٌ إلى ما أصاب قبل القتل من طعن أسنّة الألسنة وسقوطه عن أعين الناس. وكبا الفرس: سقط على وجهه، وكبا به: أسْقَطَه. والبِطنة: الكِظّة، أي: الامتلاء من الطّعام. والحاصل أنّه استمرَّت أفعالهم المذكورة إلى أن رجع عليه حيله وتدابيره ولحقه وخامة العاقبة فوثبوا عليه وقتلوه، كما سيأتي بيانه.

فما راعني إلاّ والناس ينثالون عليّ من كلّ جانب: وفي الاحتجاج[٩]: إلاّ والناس رسلٌ إليّ كعرف الضبع يسألون أن أُبايعهم وانثالوا على حقّي. وفي رواية الشيخ[١٠]: فما راعني من الناس إلاّ وهم رسل كعرف الضبع يسألوني أُبايعهم وآبى ذلك، وانثالوا عليّ.

والرَّوْع بالفتح: الفزع والخوف، يقال: رعت فلاناً وروَّعته فارتاع. أي: أفزعته ففزع، وراعني

---

(١) النهاية: ٥/ ٨٩.
(٢) النهاية: ٥/ ٩٠.
(٣) القاموس المحيط: ٣/ ٣٤٤.
(٤) النهاية: ٢/ ٤٤.
(٥) الصحاح: ٥/ ١٩١٣.
(٦) النهاية: ٢/ ٤٤.
(٧) القاموس المحيط: ٤/ ١٠٧.
(٨-٩) الاحتجاج: ١/ ٢٨٧.
(١٠) أمالي الطوسي: ١/ ٣٨٣.

الشَّيءُ: أي أعجبني، والأوّل هنا أنسب. والثَّول: صبّ ما في الإناء، وانثال: انصبَّ. وفي بعض النسخ الصحيحة: والناس إليّ كعرف الضبع ينثالون. والعُرْف: الشَّعر الغليظ النّابت على عنق الدّابة، وعرف الضّبع ممّا يضرب به المثل في الازدحام. وفي القاموس: الرَّسَل محركة: القطيع من كلّ شيءٍ، والرَّسْل بالفتح: المترسِّل من الشَّعر، وقد رسِل كفرح رسلاً[1]. أي: ما أفزعني حالة إلاّ حالة ازدحام الناس للبيعة؛ وذلك لعلمهم بقبح العدول عنه عليه السلام إلى غيره.

حتى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفاي: الوطْءُ: الدَّوْس بالقدم. والحسنان: السبطان صلوات الله عليهما، ونُقل عن السيّد المرتضى رضي الله عنه[2] أنّه قال: روى أبو عمرو: أنّهما الإبهامان، وأنشد للشفري:

مهضومة الكشحين حزماء الحسن

وروى أنّه صلوات الله عليه كان يومئذٍ جالساً محتبياً، وهي جلسة رسول الله صلى الله عليه وآله المسمّاة بالقرفصاء، فاجتمعوا ليبايعوه زاحموا حتى وطئوا إبهاميه، وشقّوا ذيله. قال: ولم يعن الحسن والحسين عليهما السلام وهما رجلان كسائر الحاضرين[3].

وعِطْفا الرَّجل بالكسر: جانِباه. فالمراد: شقّ جانبي قميصه عليه السلام أو ردائه عليه السلام لجلوس الناس أو وضع الأقدام وزحامهم حوله. وقيل: أراد خدش جانبيه عليه السلام لشدّة الاصطكاك والزحام. وفي بعض النسخ الصحيحة: وشُقَّ عِطافي. وهو بالكسر: الرِّداء، وهو أنسب.

مجتمعين حولي كربيضة الغنم: الرَّبيض والرَّبيضة: الغنم المجتمِعة في مربَضِها، أي: مأواها.. وقيل: إشارة إلى بلادتهم ونقصان عقولهم؛ لأنّ الغنم توصف بقلّة الفطنة.

فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أُخرى، وفسق آخرون:

وفي رواية الشيخ[4] والاحتجاج[5]: وقسط آخرون. نهض كمنع: قام. والنَّكث: النَّقض. والمروق: الخروج. وفَسَق الرجل كنصر وضرب: فجَر، وأصله الخروج. والقِسط: العدل والجور، والمراد به هنا الثاني. والمراد بالناكثة: أصحاب الجمل - وقد روى[6] أنه عليه السلام كان يتلو وقت مبايعتهم: و﴿أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾[7] - وبالمارقة: أصحاب النهروان، وبالفاسقة أو القاسطة: أصحاب صفّين، وسيأتي إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بهم وبقتاله عليه السلام معهم.

كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[8].

الظاهر رجوع ضمير الجمع[9] إلى الخلفاء الثلاثة لا إلى الطوائف كما توهّم[10]؛ إذ الغرض من الخطبة ذكرهم لا الطوائف، وهو المناسب لما بعد الآية، لا سيّما ضمير الجمع في سمعوها

---

(١) القاموس المحيط: ٣/ ٣٨٤. (٢-٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ١/ ٢٦٥.
(٤) أمالي الطوسي: ١/ ٣٨٣. (٥) الاحتجاج: ١/ ٢٨٨.
(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٢٠١.
(٧) الفتح: ١٠. (٨) القصص: ٨٣.
(٩) الواو في: لم يسمعوا. (١٠) ابن ميثم في شرحه لنهج البلاغة: ١/ ٢٦٦.

ووعوها. والغرض تشبيههم في الإعراض عن الآخرة والإقبال على الدنيا وزخارفها للأغراض الفاسدة بمن أعرض عن نعيم الآخرة لعدم سماع الآية وشرائط الفوز بثوابها، والمشار إليها في الآية هي الجنّة، والإشارة للتعظيم، أي: تلك الدار التي بلغك وصفها.

والعلوُّ: هو التَكبُّر على عباد الله والغلبة عليهم، والاستكبار عن العبادة. والفساد: الدعاء إلى عبادة غير الله، أو أخذ المال وقتل النفس بغير حقّ، أو العمل بالمعاصي والظلم على الناس. والآية لمّا كانت بعد قصّة قارون وقبله قصّة فرعون فقيل: إنّ العلوّ إشارة إلى كفر فرعون - لقوله تعالى فيه: ﴿عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[(١)] - والفساد إلى بغي قارون لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[(٢)]. ففي كلامه عليه السلام يحتمل كون الأوّل إشارة إلى الأوّلين، والثاني إلى الثالث، أو الجميع إليهم جميعاً، أو إلى جميع من ذكر في الخطبة كما قيل.

بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها:

وفي رواية الشيخ[(٣)]: بلى والله لقد سمعوها ولكن راقتهم دنياهم، وأعجبهم زبرجها. وعى الحديث كرمى: فهمه وحفظه. وحلي فلانٌ بعيني وفي عيني بالكسر: إذا أعجبك، وكذلك حلى بالفتح يحلو حلاوةً. وراقني الشَّيءُ: أعجبني. والزِّبْرِج: الزّينة من وشي أو جوهرٍ أو نحو ذلك. قال الجوهري: ويقال الزِّبْرج: الذَّهب[(٤)]. وفي النهاية: الزّينة والذّهب والسَّحاب[(٥)].

أما والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر:

وفي رواية الشيخ[(٦)]: لولا حضور الناصر ولزوم الحجّة وما أخذ الله من أولياء الأمر. الفلق: الشَّق. وبرأ: أي خلق، وقيل: قَلَّما يُستعمل في غير الحيوان. والنَّسَمَة محركة: الإنسان أو النَّفس والرُّوح. والظاهر أنّ المراد بفلق الحبّة: شقّها وإخراج النبات منها. وقيل: خلقها. وقيل: هو الشقّ الذي في الحبّ. وحضور الحاضر: إمّا وجود من حضر للبيعة فما بعده كالتفسير له، أو تحقّق البيعة على ما قيل، أو حضوره سبحانه وعلمه، أو حضور الوقت الذي وقّته الرسول صلى الله عليه وآله للقيام بالأمر.

وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم:

كلمة ما: مصدريّة، والجملة في محلّ النصب لكونها مفعولاً لأخذ، أو موصولة والعائد مقدّر، والجملة بيان لما أخذه الله بتقدير حرف الجر أو بدل منه أو عطف بيان له.. والعلماء: إمّا الأئمّة عليهم السلام أو الأعمّ، فيدلّ على وجوب الحكم بين الناس في زمان الغيبة لمن جمع الشرائط. وفي الاحتجاج[(٧)]: على أولياء الأمر أن لا يقرّوا. والمقارّة على ما ذكره الجوهري أن تَقُرَّ مع صاحبك وتسكن[(٨)]. وقيل: إقرار كلّ واحد صاحبه على الأمر وتراضيهما به. والكِظَّة: ما يعتري الإنسان من الامتلاء من الطَّعام، والسَّغَب بالتحريك: الجوع.

---

(١) القصص: ٤.
(٢) القصص: ٧٧.
(٣) أمالي الطوسي: ١/ ٣٨٣.
(٤) الصحاح: ١/ ٣١٨.
(٥) النهاية: ٢/ ٢٩٢.
(٦) إمالي الطوسي: ١/ ٣٨٣.
(٧) الاحتجاج: ١/ ٢٨٨.
(٨) الصحاح: ٢/ ٧٩٠.

لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها: الضمائر راجعة إلى الخلافة.. والغارب: ما بين السَّنام والعنق، أو مقدَّم السَّنام. وإلقاء الحبل: ترشيح لتشبيه الخلافة بالناقة التي يتركها راعيها لترعى حيث تشاء ولا يبالي من يأخذها وما يصيبها، وذكر الحبل تخييل.. والكأس إناءٌ فيه شرابٌ أو مطلقاً. وسقيها بكأس أوّلها: تركها والإعراض عنها لعدم الناصر. وقال بعض الشارحين: التعبير بالكأس لوقوع الناس بذلك الترك في حيرة تشبه السكر[١]. ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز: وفي الاحتجاج[٢]: ولألفوا دنياكم أهون عندي. قوله عليه السلام: ألفيتم. أي: وجدتم. وإضافة الدنيا إلى المخاطبين لتمكّنها في ضمائرهم ورغبتهم فيها. والإشارة للتحقير. والزُّهد: خلافُ الرَّغبة، والزَّهيد: القليل، وصيغة التفضيل على الأوّل على خلاف القياس كأشهر وأشغل. والعَنز بالفتح: أنثى المعْز. وعفطتها: ما يخرج من أنفها عند النثرة، وهي منها شبه العطسة، كذا قال بعض الشارحين[٣]، وأورد عليه أنّ المعروف في العنز: النَّفْطة بالنون، وفي النَّعجة: العَفْطة بالعين، صرّح به الجوهري[٤] والخليل في العين[٥]. وقال بعض الشارحين: العفطة من الشاة كالعطاس من الإنسان. وهو غير معروف. وقال ابن الأثير: أي ضرطة عنزٍ[٦].

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه، فلمّا فرغ من قراءته، قال له ابن عباس رحمة الله عليه: يا أمير المؤمنين، لو اطّردت مقالتك من حيث أفضيت. فقال له: هيهات يابن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرّت.

أهل السَّواد: ساكنو القرى، وتسمّى القرى سواداً لخضرتها بالزرع والأشجار، والعرب تسمّي الأخضر أسود وناوله: أعطاه. ويحتمل أن يكون اطردت على صيغة الخطاب من باب الإفعال، ونصب المقالة على المفعوليّة أو على صيغة المؤنّث الغائب من باب الافتعال، ورفع المقالة على الفاعليّة، والجزاء محذوف، أي: كان حسناً. وكلمة لو للتمنّي، وقد مرّ تفسير الشقشقة بالكسر. وهدير الجمل: ترديده الصَّوت في حنجرته، وإسناده إلى الشقشقة تجوّز. وقَرَّت، أي: سكنت. وقيل: في الكلام إشعار بقلّة الاعتناء بمثل هذا الكلام إمّا لعدم التأثير في السامعين كما ينبغي، أو لقلّة الاهتمام بأمر الخلافة من حيث إنّها سلطنة، أو للإشعار بانقضاء مدّته عليه السلام، فإنّها كانت في قرب شهادته عليه السلام، أو لنوع من التقيّة أو لغيرها.

قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على ذلك الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد:

الأسَف بالتحريك: أشدُّ الحزن، والفعل كعَلم. وقطُّ: من الظُّروف الزمانيَّة بمعنى أبداً.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ١/٢٦٨.
(٢) الاحتجاج: ١/٢٨٨.
(٣) ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة: ١/٢٠٣.
(٤) الصحاح: ٣/١١٤٣، ١١٦٥.
(٥) كتاب العين: ٢/١٨.
(٦) النهاية: ٣/٢٦٤.

وحكى ابن أبي الحديد، عن ابن الخشّاب أنّه قال: لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس ابن عمّك أمر لم يبلغه لتتأسّف؟ والله ما رجع عن الأوّلين ولا عن الآخرين[١].

أقول: إنّما أطنبت الكلام في شرح تلك الخطبة الجليلة لكثرة جدواها وقوّة الاحتجاج بها على المخالفين، وشهرتها بين جميع المسلمين، وإن لم نوفّ في كلّ فقرة حقّ شرحها حذراً من كثرة الإطناب، وتعويلاً على ما بيّنته في سائر الأبواب.

٦ - شف[٢]: من كتاب أحمد بن محمد الطبري المعروف بالخليلي، عن أحمد بن محمد بن ثعلبة الخماني، عن مخول بن إبراهيم، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال ابن عباس: كنت أتتبّع غضب أمير المؤمنين عليه السلام إذا ذكر شيئاً أو هاجه خبر، فلمّا كان ذات يوم كتب إليه بعض شيعته من الشام يذكر في كتابه أنّ معاوية وعمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة ومروان اجتمعوا عند معاوية، فذكروا أمير المؤمنين فعابوه وألقوا في أفواه الناس أنّه ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ويذكر كلّ واحد منهم ما هو أهله، وذلك لمّا أمر أصحابه بالانتظار له بالنخيلة فدخلوا الكوفة فتركوه، فغلظ ذلك عليه وجاء هذا الخبر فأتيت بابه في الليل، فقلت: يا قنبر، أيّ شيء خبر أمير المؤمنين. قال: هو نائم. فسمع كلامي فقال عليه السلام: من هذا؟ قال: ابن عباس يا أمير المؤمنين؟ قال: ادخل. فدخلت، فإذا هو قاعد ناحية عن فراشه في ثوب، جالس كهيئة المهموم، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين الليلة؟

فقال: ويحك يابن عباس! وكيف تنام عينا قلب مشغول؟ يابن عباس، ملك جوارحك قلبك فإذا أرهبه أمر طار النوم عنه، ها أنا ذا كما ترى مذ أوّل الليل اعتراني الفكر والسهر لما تقدّم من نقض عهد أوّل هذه الأمّة المقدّر عليها نقض عهدها، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر من أمر من أصحابه بالسلام عليّ في حياته بإمرة المؤمنين فكنت أوكد أن أكون كذلك بعد وفاته.

يابن عباس، أنا أولى الناس بالناس بعده ولكن أمور اجتمعت على رغبة الناس في الدنيا وأمرها ونهيها وصرف قلوب أهلها عنّي، وأصل ذلك ما قال الله تعالى في كتابه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[٣]، فلو لم يكن ثواب ولا عقاب لكان بتبليغ الرسول صلى الله عليه وآله فرض على الناس اتّباعه، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٤]، أتراهم نهوا عني فأطاعوه؟! والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة وغدا بروح أبي القاسم صلى الله عليه وآله إلى الجنّة لقد قرنت برسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٥].

ولقد طال - يابن عباس - فكري وهمّي وتجرّعي غصّةً بعد غصّة لأمر أو قوم على معاصي الله

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/٢٠٥.
(٢) كشف اليقين: ١٠٠ ـ ١٠٤.
(٣) النساء: ٥٤.
(٤) الحشر: ٧.
(٥) الأحزاب: ٣٣.

وحاجتهم إليّ في حكم الحلال والحرام، حتّى إذا أتاهم من الدنيا أظهروا الغنى عنّي، كأن لم يسمعوا الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[1]. ولقد علموا أنّهم احتاجوا إليّ ولقد غنيت عنهم ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2]؟ فمضى من مضى قالٍ عليّ بضغن القلوب وأورثها الحقد عليّ، وما ذاك إلاّ من أجل طاعته في قتل الأقارب المشركين فامتلوا غيظاً واعتراضاً، ولو صبروا في ذات الله لكان خيراً لهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[3]، فأبطنوا من ترك الرضا بأمر الله، ما أورثهم النفاق، وألزمهم بقلّة الرضا الشقاء، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾[4].

فالآن يابن عباس، قرنت بابن آكلة الأكباد وعمرو وعتبة والوليد ومروان وأتباعهم، فمتى اختلج في صدري وألقي في روعي أنّ الأمر ينقاد إلى دنيا يكون هؤلاء فيها رؤساء يطاعون؟ فهم في ذكر أولياء الرحمن يثلبونهم ويرمونهم بعظائم الأمور، إفك مختلق، وحقد قد سبق.. وقد علم المستحفظون ممّن بقي من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ عامّة أعدائي ممّن أجاب الشيطان عليّ وزهّد الناس فيّ، وأطاع هواه فيما يضرّه في آخرته، وبالله عزّ وجلّ الغنى، وهو الموفق للرشاد والسداد.

يابن عباس، ويل لمن ظلمني ودفع حقّي وأذهب عظيم منزلتي، أين كانوا أولئك وأنا أصلّي مع رسول الله صلّى الله عليه وآله صغيراً لم يكتب عليّ صلاة وهم عبدة الأوثان، وعصاة الرحمن، وبهم توقد النيران؟ فلمّا قرب إصعار الخدود، وإتعاس الجدود، أسلموا كرهاً، وأبطنوا غير ما أظهروا طمعاً في أن يطفئوا نور الله، وتربّصوا انقضاء أمر الرسول وفناء مدّته، لما أطمعوا أنفسهم في قتله، ومشورتهم في دار ندوتهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[5]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[6].

يابن عباس، ندبهم رسول الله صلّى الله عليه وآله في حياته بوحي من الله يأمرهم بموالاتي، فحمل القوم ما حملهم ممّا حقد على أبينا آدم من حسد اللعين له، فخرج من روح الله ورضوانه، وألزم اللعنة لحسده لوليّ الله، وما ذاك بضارّي إن شاء الله شيئاً.

يابن عباس، أراد كلّ امرئ أن يكون رأساً مطاعاً يميل إليه الدنيا وإلى أقاربه، فحمله هواه ولذّة دنياه واتّباع الناس إليه أن يغصب ما جعل لي، ولولا اتقائي على الثقل الأصغر أن ينبذ فينقطع شجرة العلم وزهرة الدنيا وحبل الله المتين، وحصنه الأمين، ولد رسول ربّ العالمين لكان طلب الموت والخروج إلى الله عزّ وجلّ أعزّ عندي من شربة ظمآن ونوم وسنانٍ، ولكنّي صبرت وفي الصدر بلابل، وفي النفس وساوس، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[7]، ولقديماً ظلم الأنبياء،

---

(١) النساء: ٨٣.
(٢) محمّد: ٢٤.
(٣) المجادلة: ٢٢.
(٤) مريم: ٨٤.
(٥) آل عمران: ٥٤.
(٦) التوبة: ٣٢.
(٧) يوسف: ١٨.

وقتل الأولياء قديماً في الأمم الماضية والقرون الخالية ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[١]، وبالله أحلف يابن عباس، أنّه كما فتح بنا يختم بنا، وما أقول لك إلاّ حقاً.

يابن عباس، إنّ الظلم يتّسق لهذه الأمّة ويطول الظلم، ويظهر الفسق، وتعلو كلمة الظالمين، ولقد أخذ الله على أولياء الدين أن لا يقارّوا أعداءه، بذلك أمر الله في كتابه على لسان الصادق رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢].

يابن عباس، ذهب الأنبياء فلا ترى نبيّاً، والأوصياء ورثتهم، عنهم أخذوا علم الكتاب، وتحقيق الأسباب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾[٣]، فلا يزال الرسول باقياً ما نفذت أحكامه، وعمل بسنّته، وداروا حول أمره ونهيه، وبالله أحلف يابن عباس، لقد نُبذ الكتاب، وتُرك قول الرسول إلاّ ما لا يطيقون تركه من حلال وحرام، ولم يصبروا على كلّ أمر نبيّهم: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٤] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٥]، فبيننا وبينهم المرجع إلى الله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٦].

يابن عباس، عامل الله في سرّه وعلانيته تكن من الفائزين، ودع من ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[٧]، ويحسب معاوية ما عمل وما يعمل به من بعده، وليمدّه ابن العاص في غيّه، فكأن عمره قد انقضى، وكيده قد هوى، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار.

وأذّن المؤذّن فقال: الصلاة - يابن عباس - لا تفت، أستغفر الله لي ولك وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم. قال ابن عباس: فغمّني انقطاع الليل وتلهّفت على ذهابه.

بيان: ثلَبَه: تنقّصه وصرّح بعيبه.. قوله عليه السلام: وبهم توقد النيران. أي: نيران الفتح والحروب.. وفي القاموس: صعّر خدّه تصعيراً وصاعره وأصعره: أماله عن النّظر إلى النّاس تهاوناً من كبرٍ وربّما يكون خلقة[٨]. وقال: التّعس: الهلاك والعثار والسُّقوط والشّرُّ والبعد والانحطاط والفعل كمنع وسمع، وتعسه الله وأتعسه[٩]. انتهى.

والجدود: جمع الجدّ بالفتح، وهو الحظّ والبخت، أو بالكسر، وهو الاجتهاد في الأمور. فيمكن أن يكون إصعار الخدود من المسلمين كناية عن غلبتهم، وإتعاس الجدود للكافرين، أو كلاهما للكافرين، أي: اجتمع فيهم التكبّر والاضطرار، ويكون المراد بالإصعار صرف وجوههم عمّا قصدوه على وجه الإجبار، والأوّل أظهر.. والوسنان عن غلبة النّوم.

---

(١) التوبة: ٢٤.
(٢) المائدة: ٢.
(٣) آل عمران: ١٠١.
(٤) العنكبوت: ٤٣.
(٥) المؤمنون: ١١٥.
(٦) الشعراء: ٢٢٧.
(٧) الكهف: ٢٨.
(٨) القاموس المحيط: ٢/٦٩.
(٩) القاموس المحيط: ٢/٢٠٣.

قوله عليه السلام: فلا يزال الرسول. يدلّ على عدم اختصاص الآية بزمن الرسول صلى الله عليه وآله.. قوله: يحسب معاوية. أي: يكفيه. وفي بعض النسخ بالباء الموحّدة فتكون زائدة. قال في النهاية: في قوله صلى الله عليه وآله: يحسبك أن تصوم في كلّ شهرٍ ثلاثة أيّام، أي: يكفيك. ولو روي: بحسبك أن تصوم، أي: كفايتك أو كافيك، كقولهم: بحسبك قول السُّوء، والباء زائدةٌ، لكان وجهاً[1]. انتهى. والأمر في قوله: وليمدّه، للتهديد.

٧ - شا[2]: روى العباس بن عبد الله العبدي، عن عمرو بن شمر، عن رجاله قال: قالوا: سمعنا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما رأيت منذ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله رخاءً، والحمد لله، والله لقد خفت صغيراً وجاهدت كبيراً، أُقاتل المشركين وأعادي المنافقين حتى قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله فكانت الطامّة الكبرى فلم أزل حذراً وجلاً أخاف أن يكون ما لا يسعني معه المقام، فلم أرَ بحمد الله إلاّ خيراً، والله ما زلت أضرب بسيفي صبيّاً حتى صرت شيخاً، وإنّه ليصبّرني على ما أنا فيه أنّ ذلك كلّه في الله، وأنا أرجو أن يكون الرَّوْح عاجلاً قريباً، فقد رأيت أسبابه. قالوا: فما بقي بعد هذه المقالة إلاّ يسيراً حتى أُصيب عليه السلام.

٨ - شا[3]: روى عبد الله بن بكير الغنوي، عن حكيم بن جبير، قال: حدّثنا من شهد عليّاً بالرحبة يخطب، فقال فيما قال: أيّها الناس، إنكم قد أبيتم إلاّ أن أقول، أما وربّ السماوات والأرض لقد عهد إليّ خليلي أنّ الأُمّة ستغدر بك.

٩ - شا[4]: روى نقلة الآثار أنّ رجلاً من بني أسد وقف على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، العجب منكم يا بني هاشم، كيف عدل هذا الأمر عنكم وأنتم الأعلون نسباً ونوطاً بالرسول صلى الله عليه وآله، وفهماً للكتاب؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يابن دودان، إنّك لقلق الوضين، ضيّق المخزم، ترسل من غير ذي مسد، لك ذمامة الصهر وحقّ المسألة، وقد استعلمت فاعلم: كانت أثرة سخت بها نفوس قوم وشحّت عليها نفوس آخرين.

فدع عنك نهباً صيح في حجراته ....

وهلمّ الخطب في أمر ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه، ولا غرو، بئس القوم - والله - من خفضي ومنيتي وحاولوا الإدهان في ذات الله، هيهات ذلك منّي! فإن تنحسر عنّا محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه، وإن تكن الأُخرى «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات»[5] «ولا تأس على القوم الفاسقين»[6].

١٠ - د[7]: في كتاب الإرشاد لكيفيّة الطلب في أئمّة العباد تصنيف محمّد بن الحسن الصفار، قال: وقد كفانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه المؤنة في خطبةٍ خطبها، أودعها من البيان والبرهان

(١) النهاية: ١/ ٣٨١.
(٢-٣) الإرشاد للشيخ المفيد: ١٥١. (٤) الإرشاد للشيخ المفيد: ١٥٦.
(٥) فاطر: ٨. (٦) المائدة: ٢٦.
(٧) العدة القوية: ١٨٩ ـ ١٩٩، الحديث ١٩.

ما يجلي الغشاوة عن أبصار متأمّليه، والعمى عن عيون متدبّريه، وحلّينا هذا الكتاب بها ليزداد المسترشدون في هذا الأمر بصيرة، وهي منّة الله جل ثناؤه علينا وعليهم يجب شكرها.

خطب صلوات الله عليه فقال: ما لنا ولقريش! وما تنكر منّا قريش غير أنّا أهل بيتٍ شيّد الله فوق بنيانهم بنياننا، وأعلى فوق رؤوسهم رؤوسنا، واختارنا الله عليهم، فنقموا على الله أن اختارنا عليهم، وسخطوا ما رضي الله، وأحبّوا ما كره الله، فلمّا اختارنا الله عليهم شركناهم في حريمنا، وعرّفناهم الكتاب والنبوّة، وعلّمناهم الفرض والدين، وحفّظناهم الصحف والزبر، وديّنّاهم الدين والإسلام، فوثبوا علينا، وجحدوا فضلنا، ومنعونا حقّنا، وألَتُونا أسباب أعمالنا وأعلامنا، اللهمّ فإنّي أستعديك على قريش فخذ لي بحقّي منها، ولا تدع مظلمتي لديها، وطالبهم يا ربّ بحقّي، فإنّك الحكم العدل، فإنّ قريشاً صغّرت عظيم أمري، واستحلّت المحارم منّي، واستخفّت بعرضي وعشيرتي، وقهرتني على ميراثي من ابن عمّي وأغروا بي أعدائي، ووتروا بيني وبين العرب والعجم، وسلبوني ما مهّدت لنفسي من لدن صباي بجهدي وكدّي، ومنعوني ما خلفه أخي وحميمي وشقيقي.

وقالوا: إنّك لحريص متّهم! أليس بنا اهتدوا من متاه الكفر، ومن عمى الضلالة وعيّ الظلماء؟ أليس أنقذتهم من الفتنة الصمّاء، والمحنة العمياء؟ ويلهم! ألم أُخلّصهم من نيران الطغاة، وكرّة العتاة، وسيوف البغاة، ووطأة الأُسد، ومقارعة الطماطمة، ومماحكة القماقمة، الذين كانوا عجم العرب، وغنم الحروب، وقطب الأقدام، وجبال القتال، وسهام الخطوب، وسلّ السيوف؟ أليس بي كان يقطع الدروع الدلاص، وتصطلم الرجال الحراص، وبي كان يفرى جماجم البُهم، وهام الأبطال، إذا فزعت تيم إلى الفرار، وعديّ إلى الانتكاص؟!

أما وإنّي لو أسلمت قريشاً للمنايا والحتوف، وتركتها فحصدتها سيوف الغوانم، ووطئتها خيول الأعاجم، وكرّات الأعادي، وحملات الأعالي، وطحنتهم سنابك الصافنات، وحوافر الصاهلات، في مواقف الأزل والهزل في ظلال الأعِنَّةِ وبريق الأسنّة، ما بقوا لهضمي، ولا عاشوا لظلمي، ولما قالوا: إنّك لحريص متّهم!

اليوم نتواقف على حدود الحقّ والباطل، اللهمّ افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ، فإنّي مهّدت مهاد نبوّة محمّد ﷺ، ورفعت أعلام دينك، وأعلنت منار رسولك، فوثبوا عليّ وغالبوني ونالوني وواتروني.

فقام إليه أبو حازم الأنصاري فقال: يا أمير المؤمنين، أبو بكر وعمر ظلماك؟ أحقّك أخذا؟ وعلى الباطل مضيا؟ أعلى حقّ كانا؟ أعلى صواب أقاما؟ أم ميراثك غصبا؟ أفهمنا لنعلم باطلهم من حقّك؟ أو نعلم حقّهما من حقّك؟ أبزّاك أمرك؟ أم غصباك إمامتك؟ أم غالباك فيها عزّاً؟ أم سبقاك إليها عجلاً فجرت الفتنة ولم تستطع منها استقلالاً؟ فإنّ المهاجرين والأنصار يظنّان أنّهما كانا على حقّ وعلى الحجة الواضحة مضيا.

فقال صلوات الله عليه: يا أخا اليمن، لا بحقٍّ أخذا، ولا على إصابة أقاما، ولا على دين مضيا، ولا على فتنة خشيا، يرحمك الله، اليوم نتواقف على حدود الحقّ والباطل. أتعلمون يا

إخواني، أنّ بني يعقوب على حقّ ومحجّة كانوا حين باعوا أخاهم، وعقّوا أباهم، وخانوا خالقهم، وظلموا أنفسهم؟! فقالوا: لا. فقال: رحمكم الله، أيعلم إخوانكم هؤلاء أنّ ابن آدم - قاتل الأخ - كان على حقّ ومحجّة وإصابة وأمره من رضا الله؟ فقالوا: لا. فقال: أوليس كلّ فعل بصاحبه ما فعل لحسده إيّاه وعدوانه وبغضائه له؟ فقالوا: نعم. قال: وكذلك فعلا بي ما فعلا حسداً، ثم إنّه لم يتّب على ولد يعقوب إلاّ بعد استغفار وتوبة، وإقلاع وإنابة، وإقرار، ولو أنّ قريشاً تابت إليّ واعتذرت من فعلها لاستغفرت الله لها.

ثم قال: إنّما أُنطق لكم العجماء ذات البيان، وأُفصح الخرساء ذات البرهان؛ لأنّي فتحت الإسلام، ونصرت الدين، وعززت الرسول، وثبّتُّ أركان الإسلام، وبيّنت أعلامه، وعلّيت مناره، وأعلنت أسراره، وأظهرت آثاره وحاله، وصفّيت الدولة، ووطّأتُ للماشي والراكب، ثم قدتها صافية، على أنّي بها مستأثر. ثم قال بعد كلام: ثم سبقني إليه التيميّ والعدويّ كسباق الفرس احتيالاً واغتيالاً، وخدعة وغلبة.

ثم قال بعد كلام: اليوم أُنطق الخرساء ذات البرهان، وأُفصح العجماء ذات البيان، فإنّه شارطني رسول الله ﷺ في كلّ موطن من مواطن الحروب، وصافقني على أن أحارب لله وأحامي لله، وأنصر رسول الله ﷺ جهدي وطاقتي وكدحي وكدّي، وأُحامي عن حريم الإسلام، وأرفع عن أطناب الدين، وأُعزّ الإسلام وأهله، على أنّ ما فتحت وبيّنت عليه دعوة الرسول ﷺ وقرأت فيه المصاحف، وعُبد فيه الرحمن، وفهم به القرآن، فلي إمامته وحلّه وعقده، وإصداره وإيراده، ولفاطمة فدك وممّا خلّفه رسول الله ﷺ النصف، فسبقاني إلى جميع نهاية الميدان يوم الرهان، وما شككت في الحقّ منذ رأيته.

هلك قوم أرجفوا عنّي. إنّه لم يوجس موسى في نفسه خيفة ارتياباً ولا شكّاً فيما أتاه من عند الله، ولم أُشكّك فيما أتاني من حقّ الله، ولا ارتبت في إمامتي وخلافة ابن عمّي ووصيّة الرسول، وإنّما أشفق أخي موسى من غلبة الجهّال، ودول الضلال، وغلبة الباطل على الحقّ.

ولمّا أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1] دعا رسول الله ﷺ فاطمة فنحلها فدك وأقامني للناس علماً وإماماً، وعقد لي وعهد إليّ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] فقاتلت حقّ القتال، وصبرت حقّ الصبر، على أنّه أعزّ تيماً وعدياً على دين أتت به تيم وعدي، أم على دينٍ أتى به ابن عمّي وصنوي وجسمي، على أن أنصر تيماً وعدياً أم أنصر ابن عمّي وحقّي وديني وإمامتي؟ وإنّما قمت تلك المقامات، واحتملت تلك الشدائد، وتعرّضت للحتوف على أن نصيبي من الآخرة موفّراً. وإنّي صاحب محمّد وخليفته، وإمام أمّته بعده، وصاحب رايته في الدنيا والآخرة.

اليوم أكشف السريرة عن حقّي، وأُجلي القذى عن ظلامتي، حتى يظهر لأهل اللبّ والمعرفة أنّي مذلّل مضطهد مظلوم مغصوب مقهور محقور، وأنّهم ابتزّوا حقّي، واستأثروا بميراثي.. اليوم

(١) الإسراء: ٢٦. (٢) النساء: ٥٩.

نتواقف على حدود الحقّ والباطل. من استودع خائناً فقد غشّ نفسه. من استرعى ذئباً فقد ظلم. من ولي غشوماً فقد اضطهد. هذا موقف صدق، ومقام أنطق فيه بحقّي، وأكشف الستر والغمّة عن ظلامتي.

يا معشر المجاهدين المهاجرين والأنصار، أين كانت سبقة تيم وعدي إلى سقيفة بني ساعدة خوف الفتنة؟ ألا كانت يوم الأبواء إذ تكانفت الصفوف، وتكاثرت الحتوف، وتقارعت السيوف؟ أم هلاّ خشيا فتنة الإسلام يوم ابن عبد ودّ وقد نفح بسيفه، وشمخ بأنفه، وطمح بطرفه؟! ولِمَ لَم يشفقا على الدين وأهله يوم بواط إذ اسودّ لون الأفق، واعوجّ عظم العنق، وانحلّ سيل الغرق؟ ولِمَ لَم يشفقا يوم رضوى إذ السهام تطير، والمنايا تسير، والأُسْد تزأر؟ وهلاّ بادرا يوم العشيرة إذ الأسنان تصطكّ، والآذان تستكّ، والدروع تهتك؟ وهلاّ كانت مبادرتهما يوم بدر، إذ الأرواح في الصعداء ترتقي، والجياد بالصناديد ترتدي، والأرض من دماء الأبطال ترتوي؟ ولِمَ لَم يشفقا على الدين يوم بدر الثانية، والرعابيب ترعب، والأوداج تشخب، والصدور تخضب؟ أم هلاّ بادرا يوم ذات الليوث، وقد أُبيح التولب، واصطلم الشوقب، وادلهمّ الكوكب؟! ولِمَ لا كانت شفقتهما على الإسلام يوم الكدر، والعيون تدمع، والمنية تلمع، والصفائح تنزع؟

ثم عدّد وقائع النبيّ ﷺ كلّها على هذا النسق، وقرّعهما بأنّهما في هذه المواقف كلّها كانا مع النظّارة والخوالف والقاعدين، فكيف بادرا الفتنة بزعمهما يوم السقيفة وقد توطّأ الإسلام بسيفه، واستقرّ قراره، وزال حذاره؟

ثم قال بعد ذلك كلّه: ما هذه الدهماء والدهياء التي وردت علينا من قريش؟! أنا صاحب هذه المشاهد، وأبو هذه المواقف، وابن هذه الأفعال. يا معشر المهاجرين والأنصار، إنّي على بصيرة من أمري، وعلى ثقة من ديني، اليوم أنطقت الخرساء البيان، وفهّمت العجماء الفصاحة، وأتيت العمياء بالبرهان، هذا ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾(١) قد تواقفنا على حدود الحقّ والباطل، وأخرجتكم من الشبهة إلى الحقّ، ومن الشكّ إلى اليقين فتبرّؤوا - رحمكم الله - ممّن نكث البيعتين، وغلب الهوى به فضلّ، وأبعدوا - رحمكم الله - ممّن أخفى الغدر وطلب الحقّ من غير أهله فتاه، والعنوا - رحمكم الله - من انهزم الهزيمتين إذ يقول الله: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٢)، وقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾(٣)، واغضبوا - رحمكم الله - على من غضب الله عليهم، وتبرّؤوا - رحمكم الله - ممّن يقول فيه رسول الله ﷺ: يرتفع يوم القيامة ريح سوداء تختطف من دوني قوماً من أصحابي من عظماء المهاجرين، فأقول: أُصيحابي. فيقال: يا محمّد، إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك... وتبرّؤوا - رحمكم الله - من النفس الضالّ من قبل أن يأتي: ﴿يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا

---

(١) المائدة: ١١٩. (٢) الأنفال: ١٥-١٦.
(٣) التوبة: ٢٥.

خِلَٰلٌ﴾[(١)] فيقولوا: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾[(٢)] ومن قبل أن يقولوا: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أ[(٣)]و يقولوا: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[(٤)] أو يقولوا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[(٥)].

إنّ قريشاً طلبت السعادة فشقيت، وطلبت النجاة فهلكت، وطلبت الهداية فضلّت. إنّ قريشاً قد أضلّت أهل دهرها ومن يأتي من بعدها من القرون. إنّ الله تبارك اسمه وضع إمامتي في قرآنه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾[(٦)] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[(٧)]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[(٨)]. . . وهذه خطبة طويلة.

وقد قال صلوات الله عليه في بعض مقاماته كلاماً لو لم يقل غيره لكفى، قوله صلوات الله عليه: أنا وليُّ هذا الأمر دون قريش؛ لأنّ رسول الله ﷺ قال: الولاء لمن أعتق. . فجاء رسول الله ﷺ بعتق الرقاب من النار، وبعتقها من السيف، وهذان لمّا اجتمعا كانا أفضل من عتق الرقاب من الرقّ، فما كان لقريش على العرب برسول الله ﷺ كان لبني هاشم على قريش، وما كان لبني هاشم على قريش برسول الله ﷺ كان لي على بني هاشم، لقول رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

بيان: ديَّنّاهم على بناء التفعيل: أي جعلنا الإسلام دينهم وقرّرناهم عليه. قال الفيروزآبادي: دان فلاناً: حمله على ما يكره وأذلّه، وديَّنه تديينا: وكله إلى دينه[(٩)]. وفي المناقب[(١٠)]: وعلّمناهم الفرائض والسنن، وحفّظناهم الصدق واللين، وورّثناهم الدين. قوله عليه السلام: وألتونا. أي: نقصونا ومنعونا ما هو من أسباب قوّتنا واقتدارنا. وأعلامنا بالفتح: أي ما هو علامة لإمامتنا ودولتنا، أو بالكسر، أي: ما هو سبب تعليمنا، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم﴾[(١١)]. وفي المناقب[(١٢)]: والتوونا. من التوى عن الأمر: أي تثاقل. وليُّ الغريم معروفٌ. ويقال: استعديت على فلان الأمير فأعداني. أي: استعنت به عليه فأعانني عليه.

قوله: ووتروا. أي: ألقوا الجنايات والدخول بيني وبين العرب والعجم، فإنّهم غصبوا خلافتي وأجروا الناس على الباطل، فصار ذلك سبباً للحروب وسفك الدماء. والوِتر بالكسر: الجناية، والموتور: الّذي له قتيلٌ فلم يُدرك بدمه. والمتاه: اسم مكانٍ، أو مصدرٌ ميميّ من التّيه: وهو الحيرة والضّلالة. وقال في النهاية: فيه: الفتنة الصَّمَّاء العمياء. أي: الّتي لا سبيل إلى تسكينها لتناهيها في

---

(١) إبراهيم: ٣١.
(٢) فصلت: ٢٩.
(٣) الزمر: ٥٦.
(٤) الشعراء: ٩٩.
(٥) الأحزاب: ٦٧.
(٦) الفرقان: ٦٤.
(٧) الفرقان: ٧٤.
(٨) الحج: ٤١.
(٩) القاموس المحيط: ٤/ ٢٢٥.
(١٠) المناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٣.
(١١) الطور: ٢١.
(١٢) المناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ٢٠٢.

رهانها؛ لأنّ الأصمّ لا يسمع الاستغاثة ولا يقلع عمّا يفعله، وقيل: هي كالحيَّة الصَّمّاء الَّتي لا تقبل الرُّقى.

قوله عليه‌السلام : ووطأة الأُسد. قال الجزري: الوطءُ في الأصل: الدَّوْس بالقدم فسُمِّي به الغزو والقتل؛ لأنَّ من يطأُ على الشَّيء برجله فقد استقصى في هلاكه وإهانته، ومنه الحديث: اللّهمّ اشدد وطأتك على مضر. أي: خذهم أخذاً شديداً[1]. والطَّمطام: معظم ماء البحر، وقد يستعار لمعظم النّار، واستعير هنا لعظماء أهل الشرّ والفساد. وقال الجوهري: المحك: اللجاج، والمماحكة: الملاجّة[2]. والقمقام: البحر والأمر الشَّديد والسَّيِّد والعدد الكثير. قوله عليه‌السلام : وعجم العرب. أي: كانوا من العرب بمنزلة الحيوانات العُجم.

قوله عليه‌السلام : وغنم الحرب. أي: أهل غنم الحرب الذين لهم غنائمها أو يغتنمونها، ويمكن أن يقرأ الحَرَب بالتحريك، وهو سلْب المال، وفي بعض النسخ: الحروب.. قوله عليه‌السلام : وقطب الإقدام. لعلّه بكسر الهمزة، أي: كانوا كالقطب للإقدام على الحروب، أو بالفتح، أي: بهم كانت الأقدام تستقرّ في الحروب، أو كانت أقدامهم بمنزلة القطب لرحى الحرب، والقطب أيضاً: سيِّد القوم ومِلاك الشَّيءِ ومداره. ذكره الفيروزآبادي[3].. قوله عليه‌السلام : وسلّ السيوف. الحمل على المبالغة، أي: سلال السُّيوف، ولعلّه تصحيف، وفي بعض النسخ: سيل السيوف.. والدلاص بالكسر: اللَيِّن البرَّاق، يقال: درعٌ دلاصٌ وأدرعٌ دلاصٌ.

قوله عليه‌السلام : يفري جماجم البهم. وفي بعض النسخ: يبري بالباء. الفري: الشَّقُّ.. والبري: النَّحت. والبُهَم كصُرَدٍ: جمع بُهْمةٍ، وهو الفارس الَّذي لا يُدرى من أين يُؤتى من شدَّة بأسه. والجُمجُمة بالضم: القحف أو العظم فيه الدِّماغ. والهام جمع هامةٍ: وهو رأس كلِّ شيءٍ. والأبطال: الشُّجعان. والنَّكص: الإحجام عن الأمر والرُّجوع عنه. والحُتوف بالضم: جمع الحَتْف بالفتح، وهو الموت. والغوانم: الجيوش الغانمة، وفي بعض النسخ: العُرازِم: جمع عَرْزم وهو الشَّديد والأسد، وفي بعضها: الغزاة. والسُّنْبك بالضم: طرف الحافر. وصَفَن الفرس: قام على ثلاثة قوائم وطرف حافر الرَّابعة. والأزْل: الضِّيق والشِّدَّة. قوله عليه‌السلام : والهزل. لعلّ المراد أنّهم لم يكونوا يثبتون في مقام الهزل فكيف في مقام الجدّ؟ وفي بعض النسخ: والزلزال.

قوله عليه‌السلام : في ظلال الأعنَّة. وفي بعض النسخ: في طلاب الأعنَّة. أي: مطالبتها، وفي بعضها: في إطلاق الأعنَّة. وهو أصوب. قوله عليه‌السلام : نتواقف. أي: وقفت على حدّ الحقّ ووقفتم على حدّ الباطل. قوله عليه‌السلام : ونالوني. أي: صابوني بالمكاره. وفي بعض النسخ: قالوني. من القِلاء: وهو البُغض.. ويقال: بزّه ثيابه وابتزّه: إذا سلبه إيّاها.. قوله عليه‌السلام : العجماء ذات البيان. قيل: كنّى عليه‌السلام بها عن العبر الواضحة وما حلّ بقوم فسقوا عن أمر ربّهم، وعمّا هو واضح من كمال فضله عليه‌السلام ، وعن حال الدين، ومقتضى أوامر الله تعالى، فإنّ هذه الأُمور عجماء لا نطق

---

(١) النهاية: ٥/ ٢٠٠. (٢) الصحاح: ٤/ ١٦٠٧.

(٣) القاموس المحيط: ١/ ١١٨.

لها.. بياناً: ذات البيان حال، ولمّا بيّنها عليه السلام فكأنّه أنطقها لهم. وقيل: العجماء صفة لمحذوف، أي: الكلمات العجماء، والمراد ما في هذه الخطبة من الرموز التي لا نطق لها مع أنّها ذات بيان عند أُولي الألباب.

قوله عليه السلام: على أنّي بها مستأثر. على بناء المفعول، والاستئثار: الاستبداد والانفراد بالشّيء، والكلام مسوق على المجاز، أي: ثم تصرفوا في الخلافة على وجه كأنّي فعلت جميع ذلك ليأخذوها منّي مستبدّين بها، ويحتمل الاستفهام الإنكاري، ويمكن أن يقرأ على بناء اسم الفاعل. والكَدْح: العمل والسّعي. والغشم: الظُّلم. واكتنفه: أحاط به، وكانفه: عاونه. وقال الجوهري: نفحه بالسَّيف: تناوله من بعيدٍ[١]. قوله عليه السلام: تزأر، الزأر والزَّئير: صوت الأسد من صدره، والفعل كضَرَب ومَنَع وسَمِع، وفي بعض النسخ بالياء، ولعلّه على التخفيف بالقلب لرعاية السجع. والاستِكاك: الصَّمَم. والصَّعْداء: المشقَّة، أو هو بالمدِّ: بمعنى ما يصعد عليه.

قوله عليه السلام: ترتدي. لعلّه عليه السلام شبّه وقوعهم بعد القتل على أعناق الجياد بارتدائها بهم، أو هو افتعال من الردى وهو الهلاك وإن لم يأتِ فيما عندنا من كتب اللغة. وفي بعض النسخ: تردى، فالباء زائدة أو بمعنى مع، أو للتعدية إذا قرئ على بناء المجرّد، ويقال: ردى الفرس كرمى، إذا رجَمَت الأرض بحوافرها، أو بين العدو والمشي، والشيءَ: كسره، وفلاناً: صدمه وردى ردىً: هلك. قوله عليه السلام: والرَعابيب ترعب. قال الفيروزآبادي: الرُّعبوب: الضَّعيف الجبان، وجاريةٌ رُعبوبةٌ ورُعبوبٌ ورِعبيبٌ بالكسر: شَطْبةٌ تارَّةٌ أو بيضاء حسنةٌ رطبةٌ حلوةٌ أو ناعمةٌ، ومن النُّوق طيّاشةٌ[٢] وفي المناقب: والدعاس ترعب. من الدَّعس وهو الطَّعن، والمداعسة: المطاعنة.

قوله عليه السلام: وقد أُبيح التّولب. والتَّولب: ولَد الحمار، وهو كناية عن كثرة الغنائم أو الأُسارى على الاستعارة. وفي المناقب[٣]: وقد أمج التّولب. إمّا بتشديد الجيم من أمجَّ الفرس: إذا بدأ بالجري قبل أن يضطرم، وأمجَّ الرَّجل: إذا ذهب في البلاد، أو بالتخفيف من أمج كفرح: إذا سار شديداً. ولعلّه على الوجهين كناية عن الفرار، والنسخة الأُولى أظهر وأنسب. والاصطلام: الاستئصال. والشَّوقب: الرَّجل الطَّويل، والواسع من الحوافر، وخشبتا القتب اللتان تُعلَّق فيهما الحبال.

قوله عليه السلام: والصفائح تنزع. في بعض النسخ: تربع، من ربع الإبل: إذا سرحت في المرعى وأكلت حيث شاءت وشربت، وكذلك الرَّجل بالمكان. ثم إنّ غزوة الأبواء وقعت بعد اثني عشر شهراً من الهجرة، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة يريد قريشاً وبني ضمرة، قالوا: ثم رجع ولم يلقَ كيداً. وغزوة بُواط كانت في السنة الثانية في ربيع الأوّل، وبعدها في جمادى الآخرة كانت غزوة العشيرة.. والرَّضوى: جبلٌ بالمدينة، ولا يبعد كونه إشارة إلى غزوة أُحد، وذات الليوث إلى غزوة حنين، الكدر – وفي بعض النسخ: الأُكيدر – إلى غزوة دومة الجندل، وقد مرّ تفصيلها في المجلد السادس[٤].

---

(١) الصحاح: ١/ ٤١٢. (٢) القاموس المحيط: ١/ ٧٤.
(٣) المناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ٢٠٣. (٤) بحار الأنوار: ٢٠/ ١٤ـ ١٤٦.

وفي القاموس: وطّأه: هيّأه، ودمّثه وسهّله، فاتّطأ، وواطأه على الأمر: وافقه كتواطأه وتوطّأه، وايتطأ كافتعل: استقام وبلغ نهايته وتهيّأ[1]. والدّهماء: الفتنة المظلمة.. والدّهياء: الدّاهية الشديدة.

أقول: أورد ابن شهر آشوب في المناقب[2] الخطبة الأولى إلى قوله: وأين هذه الأفعال الحميدة... مع اختصار في بعض المواضع.

١١ - فس[3]: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيّها الناس، إنّ أوّل من بغى على الله عزّ وجلّ على وجه الأرض عناق بنت آدم عليه السلام، خلق الله لها عشرين إصبعاً، في كلّ إصبع منها ظفران طويلان كالمنجلين العظيمين، وكان مجلسها في الأرض موضع جريب، فلمّا بغت بعث الله لها أسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً كالحمار وكان ذلك في الخلق الأوّل، فسلّطهم الله عليها فقتلوها، ألا وقد قتل الله فرعون وهامان وخسف بقارون، وإنّما هذا مثل لأعدائه الذين غصبوا حقّه فأهلكهم الله.

ثم قال عليّ صلوات الله عليه على إثر هذا المثل الذي ضربه: وقد كان لي حقّ حازه دوني من لم يكن له، ولم أكن أشركه فيه، ولا توبة له إلاّ بكتاب منزل، أو برسول مرسل، وأنّى له بالرسالة بعد محمّد صلى الله عليه وآله، ولا نبيّ بعد محمّد صلى الله عليه وآله، وأنّى يتوب وهو في برزخ القيامة غرّته الأماني وغرّه بالله الغرور، قد أشفى ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

١٢ - ما[5]: أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، عن ابن عقدة، عن أحمد بن القاسم، عن عباد، عن عبد الله بن الزبير، عن عبد الله بن شريك، عن أبيه، قال: صعد عليّ عليه السلام المنبر يوم الجمعة فقال: أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يقولها بعدي إلاّ كذّاب، ما زلت مظلوماً منذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله، أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين: طلحة والزبير، والقاسطين: معاوية وأهل الشام، والمارقين: وهم أهل النهروان، ولو أمرني بقتال الرابعة لقاتلتهم.

١٣ - قب[6]: البخاري ومسلم بالإسناد، قال قيس بن سعد: قال عليّ عليه السلام: أنا أوّل من يجثو للحكومة بين يدي الله[7].

١٤ - جا[8]: الكاتب، عن الزعفراني، عن الثقفي، عن المسعودي، عن الحسن بن حمّاد، عن أبيه، عن رزين بيّاع الأنماط، قال: سمعت زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: حدّثني أبي، عن أبيه، قال: سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يخطب الناس، قال في خطبته: والله لقد بايع الناس أبا بكر وأنا أولى الناس بهم منّي بقميصي هذا، فكظمت غيظي، وانتظرت أمر ربّي، وألصقت كَلْكَلي بالأرض.. ثم إنّ أبا بكر هلك واستخلف عمر، وقد علم والله أنّي أولى الناس بهم

---

(١) القاموس المحيط: ١/ ٣٢.
(٢) المناقب: ٢/ ٢٠١ـ٢٠٣.
(٣) تفسير القمي: ٢/ ١٣٤.
(٤) التوبة: ١٠٩.
(٥) أمالي الطوسي: ٢/ ٣٣٦.
(٦) المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ٢٠٤.
(٧) صحيح البخاري: ٦/ ١٢٤، كتاب المغازي وتفسير سورة الحج، الحديث ٣.
(٨) أمالي الشيخ المفيد: ١٥٣ ـ ١٥٤، الحديث ٥.

مني بقميصي هذا، فكظمت غيظي، وانتظرت أمر ربّي. . ثم إنّ عمر هلك وقد جعلها شورى، فجعلني سادس ستّة، كسهم الجدة وقال: اقتلوا الأقلّ. وما أراد غيري، فكظمت غيظي، وانتظرت أمر ربّي، وألصقت كَلْكَلي بالأرض. . ثم كان من أمر القوم بعد بيعتهم لي ما كان، ثم لم أجد إلاّ قتالهم أو الكفر بالله.

بيان: الكَلْكَل: الصَّدر.

١٥ - جا[1]: ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن علويه، عن الثقفي، عن محمد بن عمرو الرازي، عن الحسن بن المبارك، عن الحسن بن سلمة، قال: لمّا بلغ أمير المؤمنين صلوات الله عليه مسير طلحة والزبير وعائشة من مكة إلى البصرة نادى: الصلاة جامعة. فلمّا اجتمع النّاس حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، فإنّ الله تبارك وتعالى لمّا قبض نبيّه ﷺ قلنا: نحن أهل بيته وعصبته وورثته وأولياؤه وأحقّ خلائق الله به، لا ننازع حقّه وسلطانه، فبينما نحن [على ذلك] إذ نفر المنافقون فانتزعوا سلطان نبيّنا ﷺ منّا وولّوه غيرنا، فبكت لذلك والله العيون والقلوب منّا جميعاً، وخشنت والله الصدور، وايم الله لولا مخافة الفرقة من المسلمين أن يعودوا إلى الكفر، ويعود الدين، لكنّا قد غيّرنا ذلك ما استطعنا، وقد ولي ذلك ولاة ومضوا لسبيلهم وردّ الله الأمر إليّ، وقد بايعاني وقد نهضا إلى البصرة ليفرّقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم، اللهمّ فخذهما لغشّهما لهذه الأمّة، وسوء نظرهما للعامّة.

فقام أبو الهيثم بين التيهان رحمه الله فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ حسد قريش إيّاك على وجهين، أمّا خيارهم فحسدوك منافسة في الفضل وارتفاعاً في الدرجة، وأمّا شرارهم فحسدوك حسداً أحبط الله به أعمالهم وأثقل به أوزارهم، وما رضوا أن يساووك حتى أرادوا أن يتقدّموك، فبعدت عليهم الغاية، وأسقطهم المضمار، وكنت أحقّ قريش بقريش، نصرت نبيّهم حيّاً، وقضيت عنه الحقوق ميّتاً، والله ما بغيهم إلاّ على أنفسهم، ونحن أنصارك وأعوانك، فمرنا بأمرك، ثم أنشأ يقول:

إنّ قوماً بغوا عليك وكادوك ... وعابوك بالأمور القباح
ليس من عيبها جناح بعوض ... فيك حقّاً ولا كعشر جناح
أبصروا نعمةً عليك من الله ... وقوماً يدقّ قرن النطاح
وإماماً تأوي الأُمور إليه ... ولجاماً يلين غرب الجماح
كلّما حاكماً تجمع الإمامة فيه ... هاشميّاً لها عراض البطاح
حسداً للّذي أتاك من الله ... وعادوا إلى قلوب قراح
ونفوس هناك أوعية البغض ... على الخير للشقاء شحاح
من مسير يكنّه حجب الغيب ... ومن مظهر العداوة لاح
يا وصيّ النبيّ نحن من الحقّ ... على مثل بهجة الأصباح

(1) أمالي الشيخ المفيد: ١٥٤ ـ ١٥٦، الحديث ٦.

فخذ الأوس والقبيل من الخزرج بالطعن في الوغى والكفاح
ليس منّا من لم يكن لك في الله وليّاً على الهدى والفلاح

فجزاه أمير المؤمنين عليه السلام خيراً، ثم قام الناس بعده فتكلّم كلّ واحد بمثل مقاله.

بيان: القرم: السّيد. والنّطاح بالكسر: الكباش النّاطحة بالقرن، استعيرت هنا للشجعان. وجماح الفرس: امتناعه من راكبه. قوله: قراحٌ. أي: مقروحةٌ بالحسد. قوله: على الخير. متعلّق بالشحاح كقوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾[1]، واللاحي: اللائم، والملاحي: المنازع. ويقال: كافَحوهم: إذا استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترسٌ ولا غيره.

١٦ - جا[2]: الكاتب، عن الزعفراني، عن الثقفي، عن المسعودي، عن محمد بن كثير، عن يحيى بن حمّاد القطّان، عن أبي محمد الحضرمي، عن أبي عليّ الهمداني: أنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي سائلك لآخذ عنك، وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم تقله، ألا تحدّثنا عن أمرك هذا؟ أكان بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله أو شيء رأيته؟ فإنّا قد أكثرنا فيك الأقاويل وأوثقه عندنا ما قبلناه عنك وسمعناه من فيك، إنّا كنّا نقول: لو رجعتْ إليكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدري إذا سُئلت ما أقول؟ أزعم أنّ القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك؟ فإن قلت ذلك فعلام نصبك رسول الله صلى الله عليه وآله بعد حجّة الوداع، فقال: أيّها الناس، من كنت مولاه فعليّ مولاه؟ وإن تكُ أولى منهم بما كانوا فيه فعلام نتولاّهم؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبد الرحمن، إنّ الله تعالى قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي هذا، وقد كان من نبيّ الله صلى الله عليه وآله إليّ عهد لو خزمتموني بأنفي لأقررت سمعاً لله وطاعة، وإنّ أوّل ما انتقصناه بعده إبطال حقّنا في الخمس، فلمّا رقّ أمرنا طمعت رُعيان البهم من قريش فينا، وقد كان لي على الناس حقّ لو ردّوه إليّ عفواً قبلته وقمت به، فكان إلى أجل معلوم، وكنت كرجل له على الناس حقّ إلى أجل، فإن عجّلوا له ماله أخذه وحمدهم عليه، وإن أخّروه أخذه غير محمودين وكنت كرجل يأخذ السهولة وهو عند الناس محزون، وإنّما يعرف الهدى بقلّة من يأخذه من الناس، فإذا سكتّ فاعفوني، فإنّه لو جاء أمر تحتاجون فيه إلى جواب أجبتكم، فكفّوا عنّي ما كففت عنكم.

فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين، فأنت لعمرك كما قال الأوّل:

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أُذنان

بيان: خزمت البعير بالخزامة وهي حلقةٌ من شعرٍ تجعل في وترة أنفه يشدُّ فيها الزّمام. قوله عليه السلام: رُعيان البهم: أي رُعاة البهائم والأنعام. وقال الجوهري: يقال: أعطيته عفو المال: يعني بغير مسألةٍ[3]. وقال في النهاية، في حديث المغيرة: محزون اللهْزمة. أي: خشنها، ومنه

(١) الأحزاب: ١٩.
(٢) أمالي الشيخ المفيد: ٢٢٣ ـ ٢٢٤، الحديث ٢.
(٣) الصحاح: ٦/ ٢٤٣٢.

الحديث: أحزن بنا المنزل، أي: صار ذا حزونةٍ، ويجوز أن يكون من قولهم أحزن الرجل وأسهل: إذا ركب الحزن والسّهل[١].

١٧ - كا[٢]: في الروضة، عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئاب ويعقوب السرّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر فقال: الحمد لله الذي علا فاستعلى، ودنا فتعالى، وارتفع فوق كلّ منظر، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله خاتم النبيّين، وحجّة الله على العالمين، مصدّقاً للرسل الأوّلين، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، فصلّى الله وملائكته عليه وعلى آله.

أمّا بعد، أيّها الناس، فإنّ البغي يقود أصحابه إلى النار، وإنّ أوّل من بغى على الله جلّ ذكره عناق بنت آدم، وأوّل قتيل قتله الله عناق، وكان مجلسها جريباً من الأرض في جريب، وكان لها عشرون إصبعاً في كلّ إصبع ظفران مثل المِنجلين، فسلّط الله عزّ وجلّ عليها أسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً مثل البغل فقتلوها، وقد قتل الله الجبابرة على أفضل أحوالهم، وآمن ما كانوا، وأمات هامان، وأهلك فرعون، وقد قتل عثمان.

ألا وإن بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله، والذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة، ولتساطنّ سوطة القدر حتّى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم، وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا، وليقصرنّ سابقون كانوا سبقوا، والله ما كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبّئت بهذا المقام وهذا اليوم.

إلا وإنّ الخطايا خيل شُمُس حُمل أهلها عليها، وخلعت لجمها فتقحّمت بهم في النار، ألا وإنّ التقوى مطايا ذُللُ حُمل عليها أهلها وأُعطوا أزمّتها، فأوردتهم الجنّة، وفتحت لهم أبوابها، وجدوا ريحها وطيبها، وقيل لهم: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾. ألا وقد سبقني إلى هذا الأمر من لم أُشركه فيه، ومن لم أهبه له، ومن ليست له منه توبة إلاّ نبيّ يبعث، ألا ولا نبيّ بعد محمّد صلى الله عليه وآله، أشرف منه ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ حقّ وباطل، ولكلّ أهل، فلئن أمِر الباطل لقديماً ما فعل، ولئن قلّ الحقّ فلربّما ولعلّ، ولقلّما أدبر شيء فأقبل، ولئن ردّ عليكم أمركم إنّكم سعداء، وما عليّ إلا الجهد، وإنّي لأخشى أن تكونوا على فترة ملتم عنّي ميلة كنتم فيها عندي غير محمودي الرأي، ولو أشاء لقلت: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾[٣].

سبق فيه الرجلان وقام الثالث كالغراب همّه بطنه، ويله! لو قصّ جناحاه وقطع رأسه كان خيراً له. شُغل عن الجنّة والنار أمامه. ثلاثة واثنان خمسة ليس لهم سادس: ملكٌ يطير بجناحيه، ونبيّ أخذ الله بضبعيه، وساع مجتهد، وطالب يرجو، ومقصّر في النار. اليمين والشمال مضلّة والطريق

---

(١) النهاية: ١/ ٣٨٠.
(٢) الكافي: ٨/ ٦٧ ـ ٦٨، الحديث ٢٣.
(٣) الحجر: ٤٦.
(٤) التوبة: ١٠٩.
(٥) المائدة: ٩٥.

الوسطى هي الجادّة، عليها يأتي الكتاب وآثار النبوّة. هلك من ادّعى، وخاب من افترى. إنّ الله أدّب هذه الأمّة بالسيف والسوط وليس لأحد عند الإمام فيهما هوادة، فاستتروا في بيوتكم وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم، من أبدى صفحته للحقّ هلك.

بيان: علا فاستعلى: الاستعلاء هنا: مبالغة في العلو، أي: علا عن رتبة المخلوقين فاستعلى عن التشبّه بصفاتهم، أو كان عالياً بالذات والصفات فأظهر وبيّن علوّه بالإيجاد، أو طلب علوّه من العباد بأن يخضعوا عنده ويعبدوه، وعلى الأخيرين يكون الاستفعال للطلب بتقدير أو تجوّز. قوله عليه السلام: ودنا فتعالى. أي: دنا من كلّ شيء فتعالى أن يكون في مكان؛ إذ لا يمكن أن يكون للمكاني الدنوّ من كلّ شيء، أو دنوّه دنّو علم وقدرة وإيجاد وتربية، وهو عين علوّه وشرافته ورفعته، فليس دنوّه دنوّاً منافياً للعلوّ بل مؤيّد له، ويحتمل في الفقرتين أن يكون الفاء بمعنى الواو، أي: علا وكثر علاؤه ودنا، وتعالى أن يكون دنوّه كدنوّ المخلوقين.

قوله عليه السلام: وارتفع فوق كلّ منظر. المنظر: النَّظر والموضع المرتفع وكلُّ ما نظرت إليه فسرَّك أو ساءك، فالمراد أنّه تعالى ارتفع عن كلّ محلّ يمكن أن ينظر إليه، أي: ليس بمرئي ولا مكاني، أو ارتفع عن كلّ نظر فلا يمكن لبصر الخلق النظر إليه، أو ارتفع عن محالّ النظر والفكر فلا يحصل في وهم ولا خيال ولا عقل، ويحتمل معنى دقيقاً بأن يكون المراد بالارتفاع فوقه: الارتفاع عليه والتمكّن فيه مجازاً، أي: ظهر لك في كلّ ما نظرت إليه بقدرته وصنعه وحكمته. قوله عليه السلام: خاتم النبيّين بفتح التاء وكسرها، أي: آخرهم. قوله عليه السلام: فإنَّ البغي. أي: الظُّلم والفساد والاستطالة. قوله عليه السلام: وإنّ أوّل من بغى. كأنّها كانت مقدّمة على قابيل. قوله عليه السلام: وأوّل قتيل قتله الله. أي بالعذاب.

قوله عليه السلام: في جريب. لعلّ المراد أنّها كانت تملأ مجموع الجريب بعرضها وثخنها. وفي تفسير عليّ بن إبراهيم: وكان مجلسها في الأرض موضع جريب[1]. وفيما رواه ابن ميثم[2] بتغيير ما: كان مجلسها من الأرض جريباً. قوله عليه السلام: مثل المنجلين. المنجل كمِنْبَر: ما يُحصد به. قوله عليه السلام: وأمات هامان. أي عمر، وأهلك فرعون. يعني أبا بكر، ويحتمل العكس. ويدلّ على أنّ المراد هذان الأشقيان. قوله عليه السلام: وقد قتل عثمان، ويمكن أن يقرأ قتل على بناء المعلوم والمجهول، والأوّل أنسب بما تقدّم. قوله عليه السلام: ألا وإن بليّتكم. أي ابتلاءكم وامتحانكم بالفتن.

قوله عليه السلام: لتبلبلنّ بلبلة. البلبلة: الاختلاط. وتَبَلْبَلَت الألسن: أي اختلطت. وقال ابن ميثم: وكنّى بها عمّا يوقع بهم بنو أميّة وغيرهم من أمراء الجور من الهموم المزعجة، وخلط بعضهم ببعض، ورفع أراذلهم، وحطّ أكابرهم عمّا يستحقّ كلّ من المراتب[3]. وقال الجزري فيه: دنت الزلازل. والبلابل: هي الهموم والأحزان، وبلبلة الصُّدور: وسواسه، ومنه الحديث: إنّما عذابها في الدُّنيا البلابل والفتن. يعني هذه الأمّة، ومنه خطبة عليّ عليه السلام: لتبلبلنَّ بلبلةً ولتغربلنَّ غربلةً[4].

---

(١) تفسير القمّي: ٢/ ١٣٤. (٢) شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٩٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ١/ ٣٠٠، الخطبة ١٥.

(٤) النهاية: ١/ ١٥٠.

انتهى. والأظهر أنّ المراد اختلاطهم واختلاف أحوالهم ودرجاتهم في الدين بحسب ما يعرض لهم من الفتن.

قوله عليه السلام: لتغربلنّ غربلة. الظاهر أنّها مأخوذة من الغِربال الّذي يُغربل به الدَّقيق، ويجوز أن تكون من قوله: غَرْبلت اللحم. أي: قطعته، فعلى الأول الظاهر أنّ المراد تمييز جيّدهم من رديّهم، ومؤمنهم من منافقهم، وصالحهم من طالحهم، بالفتن التي تعرض لهم، كما أنّ في الغربال يتميّز اللبّ من النخالة. وقيل: المراد خلطهم؛ لأنّ غربلة الدقيق تستلزم خلط بعضه ببعض. وقال ابن ميثم: هو كناية عن التقاط آحادهم وقصدهم بالأذى والقتل، كما فعل بكثير من الصحابة والتابعين[1]. ولا يخفى ما فيه.. وعلى الثاني، فلعلّ المراد تفريقهم وقطع بعضهم عن بعض.

قوله عليه السلام: ولتساطنّ سوط القدر. قال الجزري: ساط القدر بالمِسْوط والمِسواط بِسَوْط، وهو خَشَبةٌ يُحرَّك بها ما فيها ليختلط، ومنه حديث عليٍّ عليه السلام: لتساطنَّ سوط القدر[2]... قوله عليه السلام: حتى يعود أسفلكم أعلاكم. أي: كفّاركم مؤمنين، وفجّاركم متّقين، وبالعكس، أو ذليلكم عزيزاً وعزيزكم ذليلاً، موافقاً لبعض الاحتمالات السابقة.. قوله عليه السلام: وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا. يعني عليه السلام به قوماً قصّروا في أوّل الأمر في نصرته ثم نصروه واتّبعوه، أو قوماً قصّروا في نصرة الرسول صلى الله عليه وآله وأعانوه صلوات الله عليه.. قوله عليه السلام: وليقصّرنّ سابقون كانوا سبقوا. يجري فيه الاحتمالان السابقان، والأول فيهما أظهر كطلحة والزبير وأضرابهما، حيث كانوا عند غصب الخلافة يدّعون أنّهم من أعوانه صلوات الله عليه، وعند البيعة أيضاً ابتدوا بالبيعة وكان مطلوبهم الدنيا، فلمّا لم يتيسّر لهم كانوا أوّل من خالفه وحاربه.

قوله عليه السلام: والله ما كتمت وشْمَةً. أي: كلمةً ممّا أخبرني به الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الواقعة، أو ممّا أُمرت بإخباره مطلقاً، ويمكن أن يقرأ على البناء للمجهول، أي: لم يكتم عنّي رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، والأول أظهر. قال الجزري: في حديث عليٍّ عليه السلام: والله ما كتمت وشمةً. أي: كلمةً[3]. انتهى. وفي بعض الروايات: وسمة بالسين المهملة، أي: ما كتمت علامةً تدلّ على سبيل الحقّ، ولكن عميتم عنها، ولا يخفى لطف ضمّ الكتم مع الوسمة؛ إذ الكَتَم بالتحريك: نبتٌ يخلط بالوَسِمَة يختضب به.. قوله عليه السلام: ولقد نبّئت بهذا المقام. أي: أنبأني الرسول صلى الله عليه وآله بهذه البيعة وبنقض هؤلاء بيعتي.

قوله عليه السلام: شُمُس. هو بالضمّ: جمع شَمُوسٍ، وهي الدَّابة تمنع ظهرها ولا تُطيع راكبها، وهو مقابل الذَّلول، فشبّه عليه السلام الخطايا بخيل صعاب إذا ركبها الناس لا يستطيعون منعها عن أن توردهم المهالك، والتقوى بمطايا ذلل مطيعة منقادة أزمّتها بيد ركّابها يوجّهونها حيثما يريدون.. وقوله عليه السلام: وأعطوا أزمّتها، على البناء للمفعول، أي: أعطاهم من أركبهم أزمّتها، ويمكن أن يقرأ على البناء للفاعل، أي: أعطى الركّاب أزمّة المطايا إليها، فهنّ لكونهنّ ذللاً لا يخرجن عن طريق

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ١/ ٣٠٠.
(٢) النهاية: ٢/ ٤٢١. (٣) النهاية: ٥/ ١٨٩.

الحقّ إلى أن يوصلن ركّابهن إلى الجنّة. . والتَّقحُّم: الدُّخول في الشَّيءِ مبادرةً من غير تأمُّلٍ. . قوله عليه السلام: بسلام. أي: سالمين من العذاب، أو مسلّماً عليكم، آمنين من الآفة والزوال.

قوله عليه السلام: لم أُشركه فيه. أي: في الخلافة، ولم أهب كلّه له، أو لم أهب جرم هذا الغصب له. . قوله عليه السلام: ومن ليست له توبة إلاّ بنبيّ يبعث. أي: لا يعلم قبول توبة من فعل مثل هذا الأمر القبيح، وأضلّ هذه الجماعات الكثيرة إلاّ بنبيّ يبعث فيخبره بقبول توبته. وفي بعض النسخ: نوبة. أي: ليست له نوبة في الخلافة إلاّ بنبيّ يبعث فيخبر عن الله أنّ له حصّة في الخلافة. وفي أكثر النسخ: إلاّ نبيّ بدون الباء. فالمراد بالتوبة ما يوجب قبولها، أي: ليس له سبب قبول توبة إلاّ بنبيّ، ولعلّه من تصحيف النسّاخ. . قوله عليه السلام: أشرف منه. أي: بسبب غصبه الخلافة.

قوله عليه السلام: على شفا جرف. قال الجوهري[1]: شفا كلِّ شيءٍ: حرْفه، قال الله: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ﴾[2]. . . وقال: والجرْف والجرُف مثل عُسْرٍ وعُسُرٍ: ما تجرَّفته السُّيول وأكلته من الأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾[3]. . . وقال: هار الجوف يَهُور هوراً وهَؤُوراً فهو هائرٌ، ويقال أيضاً: جرفٌ هارٍ خَفَضوه في موضع الرَّفع وأرادوا هائرٌ، وهو مقلوبٌ من الثُّلاثيّ إلى الرُّباعيّ كما قلبوا شائك السِّلاح إلى شاكي السِّلاح، وهوَّرته فتهوَّر وانهار: أي انهدم[4]. . . قوله عليه السلام: حقّ وباطل. أي: في الدنيا، أو هنا، أو بين الناس حقّ وباطل. . قوله عليه السلام: فلئن أمر الباطل. أي: كثر. قال الفيروزآبادي: أَمِر كفرح أمراً وإمرةً: كَثُر[5].

قوله عليه السلام: فلقديماً فعل. أي: فوالله لقد فعل الباطل ذلك في قديم الأيّام، أي: ليس كثرة الباطل ببديع حتى تستغرب أو يستدلّ بها على حقيّة أهله. . قوله عليه السلام: ولئن قلّ الحقّ فلربّما. أي: فوالله كثيراً ما يكون الحقّ كذلك. . ولعلّ أي لا ينبغي أن يؤيس من الحقّ لقلّته، فلعلّه يعود كثيراً بعد قلّته، وعزيزاً بعد ذلّته. . قوله عليه السلام: ولقلّما أدبر شيء فأقبل. لعلّ المراد أنّه إذا أقبل الحقّ وأدبر الباطل فهو لا يرجع؛ إذ رجوع الباطل بعد إدباره قليل، أو المراد بيان أنّ رجوع الحقّ إلينا بعد الإدبار أمرٌ غريب يفعله الله بفضله ولطفه وحكمته، أو المراد بيان أنّه لا يرجع عن قريب، بل إنّما يكون في زمن القائم عليه السلام. . قوله عليه السلام: ولئن ردّ إليكم أمركم. أي: في هذا الزمان.

قوله عليه السلام: وما عليّ إلاّ الجهد. أي: بذل الطاقة. قال الجوهري: الجَهْد والجُهْد: الطّاقة، وقرئ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[6] وجَهدهم. . . قال الفرّاء: الجُهْد بالضم: الطّاقة، والجَهْد بالفتح: من قولك اجهد جَهدك في هذا الأمر. أي: ابلغ غايتك، ولا يقال: اجْهَد جُهْدك. والجَهْد: المشقَّة[7]. . . قوله عليه السلام: أن تكونوا على فترة. قال في النهاية: في حديث ابن مسعود:

---

(١) الصحاح: ٤/ ١٣٣٦.
(٢) آل عمران: ١٠٣، ذكره الجوهري في الصحاح ٦/ ٢٣٣٩.
(٣) التوبة: ١٠٩.
(٤) الصحاح: ٢/ ٨٥٦.
(٥) القاموس المحيط: ١/ ٣٦٥.
(٦) التوبة: ٧٩.
(٧) الصحاح: ٢/ ٤٦٠.

أنّه مرِضَ فبكى، فقال: إنَّما أبكي لأنّه أصابني على حال فَتْرةٍ ولم يُصِبني في حال اجتهادٍ. أي: في حال سكونٍ وتقليلٍ من العبادات والمجاهدات، والفَتْرة في غير هذا: ما بين الرّسولين من رسل الله تعالى من الزّمان الّذي انقطعت فيه الرّسالة[1]. انتهى.. فالمعنى أخشى أن تكونوا على فترة وسكون وفتور عن نصرة الحقّ، أو أن تكونوا كأُناسٍ كانوا بين النبيّين لا يظهر فيهم الحقّ ويشتبه عليهم الأُمور.

قوله عليه السلام: ملتم عنّي ميلة. أي: في أوّل الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله.. قوله عليه السلام: ولو أشاء لقلت. أي: بيّنت بطلان الرجلين اللذين اتّبعوهما وكفرهما، لكن لا تقتضيه مصلحة الحال.. قوله عليه السلام: عفا الله عمّا سلف. أي: لمن تاب في هذا الزمان.. قوله عليه السلام: كان خيراً له، قصّ الجناحين. كناية عن منعه ورفع استيلائه وقبض يده عن أموال المسلمين ودمائهم وفروجهم، وقطع رأسه كناية عن قطع ما هو بمنزلة رأسه من الخلافة، أو المراد قتله ابتداءً قبل ارتكاب هذه الأُمور.. قوله عليه السلام: شغل. أي: بالدنيا عن تحصيل الجنّة والحال أنّ النار كانت أمامه، فكان ينبغي أن لا يشتغل مع هذا بشيء آخر سوى تحصيل الجنّة والتخلّص من النار.

قوله عليه السلام: ثلاثة واثنان. الحاصل أنّ أحوال المخلوقين المكلّفين تدور على خمسة، وإنّما فصل الثلاثة عن الاثنين؛ لأنّهم من المقرّبين المعصومين الناجين من غير شكّ، فلم يخلطهم بمن سواهم.. الأوّل: ملك أعطاه الله جناحين يطير بهما في درجات الكمال صورة ومعنى.. والثاني: نبيّ أخذ الله بضبعيه: الضَّبْع بسكون الباء: وسَط العَضُد، وقيل: هو ما تحت الإبط، أي: رفعه الله بقدرته وعصمته من بين الخلق واختاره وقرّبه كأنّه أخذ بعضده وقرّبه إليه، ويحتمل أن يكون كناية عن رفع يده وأخذها عن العاصي بعصمته، وأن يكون كناية عن تقويته، والأول أظهر.. والثالث: ساعٍ مجتهد في الطاعات غاية جهده: والمراد: إمّا الأوصياء عليهم السلام أو أتباعهم الخُلّص، فالأوصياءَ داخلون في الثاني على سبيل التغليب، أو المراد بالثالث أعمّ منهما.. والرابع: عابد طالب للآخرة بشيء من السعي مع صحّة إيمانه، وبذلك يرجو فضل ربّه.. والخامس: مقصّر ضالّ عن الحقّ كافر، فهو في النار.

قوله عليه السلام: اليمين والشمال مضلّة. أي: كلّ ما خرج عن الحقّ فهو ضلال، أو المراد باليمين ما يكون بسبب الطاعات والبدع فيها، وباليسار ما يكون بسبب المعاصي.. قوله عليه السلام: عليها يأتي الكتاب. أي: على هذه الجادّة أتى كتاب الله وحثّ على سلوكها، وفي بعض النسخ: ما في الكتاب، وفي نسخ نهج البلاغة[2]: باقي الكتاب، ولعلّ المراد ما بقي من الكتاب في أيدي الناس.. قوله عليه السلام: هلك من ادّعى. أي: من ادّعى مرتبة ليس بأهل لها كالإمامة.. قوله عليه السلام: وليس لأحد عند الإمام فيها هوادة. قال الجزريّ فيه: لا تأخذه في الله هوادةٌ.. أي: لا يسكن عند وجوب حدود الله ولا يحابي فيه أحداً، والهوادة: السُّكون والرُّخصة والمحاباة[3]. انتهى.

---

(١) النهاية: ٣/ ٤٠٨.
(٢) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٥٨، الخطبة ١٦.
(٣) النهاية: ٥/ ٢٨١.

قوله عليه السلام: والتوبة من ورائكم. قال ابن ميثم: تنبيهٌ للعصاة على الرجوع إلى التوبة عن الجري في ميدان المعصية واقتفاء أثر الشيطان، وكونها وراء؛ لأنّ الجواذب الإلهيّة إذا أخذت بقلب العبد فجذبته عن المعصية حتى أعرض عنها والتفت بوجه نفسه إلى ما كان معرضاً عنه من الندم على المعصية، والتوجّه إلى القبلة الحقيقيّة، فإنّه يصدق عليه إذن أنّ التوبة وراءه، أي: وراءً عقليّاً، وهو أولى من قول من قال من المفسّرين: إنّ وراءكم بمعنى أمامكم(١). قوله عليه السلام: من أبدى صفحته للحقّ هلك. قال في النهاية: صفحة كلّ شيءٍ: وجهه وناصيته(٢).

أقول: المراد مواجهة الحقّ ومقابلته ومعارضته، فالمراد بالهلاك الهلاك في الدنيا والآخرة، أو المراد إبداء الوجه للخصوم ومعارضتهم لإظهار الحقّ في كل مكان وموطن من غير تقيّة ورعاية مصلحة فيكون مذموماً، والهلاك بالمعنى الذي سبق، ويؤيّد هذا قوله عليه السلام: استتروا في بيوتكم. أو المراد معارضته أهل الباطل على الوجه المأمور به، والمراد بالهلاك مقاساة المشاق والمفاسد والمضارّ من جهّال الناس، ويؤيّده ما في نسخ نهج البلاغة: هلك عند جهلة الناس.

١٨ - نهج(٣): ومن خطبةٍ له عليه السلام: لا يشغَلُه شأنٌ، ولا يغيِّره زمانٌ، ولا يحويه مكان، ولا يصفه لسانٌ، ولا يعزُب عنه عدد قطر الماء، ولا نجوم السَّماء، ولا سوافي الرِّيحِ في الهواء، ولا دبيب النَّمل على الصَّفا، ولا مَقِيل الذَّرّ في الليلة الظَّلماءِ، يعلم مساقط الأوراق، وخفِيّ طرف الأحداق، وأشهد أن لا إله إلاّ الله غير معدولٍ به ولا مشْكُوكٍ فيه ولا مكْفُورٍ دينُه، ولا مجحودٍ تكوينه، شهادة من صدقت نيَّته، وصفت دِخلَتُه، وخَلَص يقينه، وثَقُلت موازينه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، المجتبى من خلائقه، والمعْتَام لشرح حقائِقِه، والمُخْتَصُّ بعقائل كراماته، والمصطفى لكرائم رسالاته، والموضَّحة به أشراط الهدى، والمجلوّ به غريب العمى.

أيُّها النَّاس، إنَّ الدُّنيا تغرُّ المؤمِّل لها والمُخلِد إليها، ولا تنفس بمن نافس فيها، وتغلب من غلب عليها، وايم الله ما كان قومٌ قطُّ في غَضِّ نعمةٍ من عيشٍ فزال عنهم إلاَّ بذنوبٍ اجترَحُوها؛ لأنَّ الله تعالى ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾(٤)، ولو أنَّ النَّاس حين تنزل بهم النِّقَم وتزول عنهم النِّعم، فزعوا إلى ربِّهم بصدقٍ من نيَّاتهم، ووَلَهٍ من قلوبهم، لردَّ عليهم كلَّ شارد، وأصلح لهم كلَّ فاسدٍ، وإنِّي لأخشى عليكم أن تكونوا في فترةٍ وقد كانت أمورٌ عندي مضت، مِلتُم فيها ميلةً كنتم فيها عندي غير محمودين، ولئن ردَّ عليكم أمْركم إنَّكم لسعداء، وما عليَّ إلاَّ الجهد، ولو أشاءُ أن أقول لقلت: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾(٥).

بيان: قد مرّ شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد(٦).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ١/٣٠٨ - ٣٠٩، الخطبة ١٥.
(٢) النهاية: ٣/ ٣٤.
(٣) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٢٥٦ - ٢٥٧، الخطبة ١٧٨.
(٤) آل عمران: ١٨٢. (٥) المائدة: ٩٥.
(٦) بحار الأنوار: ٤/ ٣١٢.

قوله: غير معدولٍ به. أي: لا يُعادَل ويساوى به أحدٌ، كما قال تعالى: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[١]. والدُّخلة بالكسر والضّم: باطن الأمر. والمُعْتام: أي المُخْتار، والتّاء تاء الافتعال، ذكره في النهاية[٢]. والعقائل: جمع عقِيلةٍ، وهي كريمة كلِّ شيءٍ. والأشراط: العلامات، جمع شرطٍ بالتحريك. والغِربيب بالكسر: الأسود الشّديد السَّواد، أي المكشوف به ظلم الظلام. وأخلد إليه: مال. قوله عليه السلام: ولا تنفس. أي لا ترغب إلى من يرغب إليها بل ترميه بالنَّوائب. قوله عليه السلام من غلب عليها. أي من غلب إليها وأخذها قهراً فسوف تغلب الدنيا عليه، أو المراد بمن غلب عليها من أراد الغلبة عليها. قوله عليه السلام: في غضّ نعمة. أي في نعمة غَضَّةٍ طريَّةٍ.

قوله عليه السلام: ليس بظلاَّم. أي: لو فعله الله بقوم لفعله بالجميع؛ لأنّ حكمه في الجميع واحد، فيكون ظلاَّماً، أو المعنى أنّ ذلك ظلم شديد، ويُقال: فزعت إليه فأفزعني. أي استغثت إليه فأغاثني. والوَلَه: الحزن والحيْرة والخوف وذهاب العقل حزناً. والشّارد: النّافر. قوله عليه السلام: في فترة. الفترة: الانكسار والضّعف، وما بين الرّسولين، وكنّى عليه السلام بها هنا عن أمر الجاهليّة، أي: إنّي لأخشى أن يكون أحوالكم في التعصّبات الباطلة والأهواء المختلفة كأحوال أهل الجاهليَّة. قوله عليه السلام: ملتم فيها ميلة. إشارة إلى ميلهم عنه عليه السلام إلى الخلفاء الثلاثة. وقول ابن أبي الحديد[٣]: إشارة إلى اختيارهم عثمان يوم الشورى، يبطله قوله عليه السلام: أُمور وغير ذلك.

قوله عليه السلام: ولئن ردّ عليكم. أي: أحوالكم التي كانت أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله. . قوله عليه السلام: ولو أشاء. أي: لو أشاء أن أقول فيما ملتم عن الحقّ ونبذتم الآخرة وراء ظهوركم بلفظ صريح لقلت، لكنّي طويت عن ذكره وأعرضت عنه لعدم المصلحة فيه، ولم أصرّح بكفركم وما يكون إليه مصير أمركم وما أكننتم وأخفيتم في ضمائركم لذلك. . وقوله عليه السلام: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾[٤]. أي: عفا عمّن تاب وأناب ورجع، ويحتمل أن يكون من الدعاء الشائع في أواخر الخطب، كقوله عليه السلام: غفر الله لنا ولكم. وأمثاله، وهذه الأدعية مشروطة بشرائط، وقيل: يحتمل أن يكون المعنى لو أشاء أن أقول قولاً يتضمّن العفو عنكم لقلت، لكنّي لا أقول ذلك؛ إذ لا مجال للعفو هنا، ولا يخفى بعده.

١٩ - **نهج**[٥]: قال عليه السلام: لنا حقٌّ فإن أُعطيناه وإلاّ ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السُّرى. . . وهذا القول من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه: إنّا إن لم نعط حقّنا كنّا أذلاّء، وذلك أنّ الرَّديف يركب عجز البعير، كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما.

٢٠ - **نهج**[٦]: ومن خطبة له عليه السلام: وناظِر قلب اللبيب به يُبصر أمده، ويعرِف غوره ونجده. داعٍ دعا، وراعٍ رعى، فاستجيبوا للدّاعي، واتّبعوا الرّاعي، قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبِدَع

---

(١) الأنعام: ١٥٠. (٢) النهاية: ٣/ ٣٣١.
(٣) شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٦٢، الخطبة ١٧٩.
(٤) المائدة: ٩٥. (٥) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٤٧٢، الحكمة ٢٢.
(٦) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٢١٥ ـ ٢١٦، الخطبة ١٥٤.

دون السُّنن، وأرَزَ المؤمنون، ونَطَق الضَّالُّون المكذِّبون، نحن الشِّعار والأصحاب، والخَزَنة والأبواب، ولا تُؤتى البيوت إلاّ من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمّي سارقاً.

منها: فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرَّحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يُسبقوا، فليَصْدُق رائدٌ أهله، وليُحضر عقله، وليكن من أبناء الآخرة، فإنَّه منها قدِم وإليها ينقلِب، فالنَّاظر بالقلب العامل بالبصر يكون مُبتدأ عمله أن يَعلَمَ أعَمَله عليه أمْ له؟ فإن كان لَهُ مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنه، فإنَّ العامل بغير علم كالسَّائر على غير طريقٍ فلا يزيده بعده عن الطَّريق إلاّ بعداً من حاجته، والعامل بالعلم كالسَّائر على الطَّريق الواضح، فلينظر ناظرٌ أسائرٌ هو أم راجع؟ واعلم أنَّ لكلِّ ظاهرٍ باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خَبُث ظاهره خَبُث باطنه، وقد قال الرَّسول الصَّادق صلى الله عليه وآله: إنَّ الله يحبُّ العبد ويُبْغِض عمله، ويحبُّ العمل ويُبْغِض بدنه.

واعلم أنَّ كلَّ عملٍ نبات، وكلُّ نباتٍ لا غنى به عن الماءِ، والمياه مختلفةٌ، فما طاب سقيُهُ طاب غرسه، وحَلَت ثمرته، وما خَبُث سقيُه خَبُث غرسه، وأمَرَّت ثمرته.

توضيح: قال الجوهري: النَّاظر من المقلة: السَّواد الأصغر الَّذي فيه إنسان العين[1]... أي: إنّ قلب اللبيب له عين يبصر بها غايته التي تجري إليها ويعرف من أحواله المستقبلة ما كان مرتفعاً شريفاً أو منخفضاً ساقطاً.. والنَّجد: المرتفع من الأرض، ولعلّ المراد بالداعي الرسول صلى الله عليه وآله، وبالراعي نفسه عليه السلام.. وقوله عليه السلام: قد خاضوا. كلام منقطع عمّا قبله ومتّصل بكلام أسقطه السيّد رحمه الله تقيّة للتصريح بذمّ الخلفاء الثلاثة فيه.. وأرز بالفتح والكسر: انقبض.

والمؤمنون: هو عليه السلام وشيعته.. والضالون: خلفاء الجور وأتباعهم.. وقال ابن أبي الحديد[2] في قوله عليه السلام: والخزنة والأبواب: أي خزنة العلم وأبوابه، أو خزنة الجنّة وأبوابها. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، ومن أراد الحكمة فليأت الباب... وقال فيه: خازن علمي. وتارة أُخرى: عيبة علمي. وقال صلى الله عليه وآله في الخبر المستفيض: إنَّه قسيم الجنّة والنار، يقول للنار هذا لي فدعيه، وهذا لك فخذيه... ثم ذكر أربعة وعشرين حديثاً من فضائله صلوات الله عليه من طريق المخالفين.

قوله عليه السلام: فيهم كرائم القرآن. ضمير الجمع راجع إلى آل محمّد عليهم السلام الذين عناهم عليه السلام بقوله: نحن الشعار. والمراد بكرائم القرآن: مدائحهم التي ذكرها الله فيه، أو علومه المخزونة عندهم.. وهم كنوز الرحمن: أي خزائن علومه وحكمه وقربه.. قوله عليه السلام: لم يسبقوا. أي: ليس صمتهم عن عيّ وعجز حتى يسبقهم أحد، بل لمحض الحكمة.. قوله عليه السلام: فليصدق رائد أهله. يحتمل أن يكون المراد بالرائد الإنسان نفسه، فإنّه كالرائد لنفسه في الدنيا يطلب فيه لآخرته ماءً ومرعىً. أي: لينصح نفسه ولا يغشّها بالتسويف والتعليل، أو المعنى ليصدق كلّ منكم أهله وعشيرته ومن يعنيه أمره، وليبلّغهم ما عرف من فضلنا وعلوّ درجتنا.

---

(١) الصحاح: ٢/ ٨٣١.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٩/ ٦٥.

قوله: فإنّه منها قدم. لخلق روحه قبل بدنه من عالم الملكوت، أو لخروج أبيهم من الجنّة.. وقيل: الآخرة: الحضرة الإلهيّة التي منها مبدأ الخلق وإليها معادهم.. فالناظر بالقلب: أي من لا يقتصر في نظره على ظواهر الأمور.. العامل بالبصر: أي من يعمل بما يبصر بعين بصيرة، أي: إذا علم الحقّ لا يتعدّاه. ويروى: العالم بالبصر. أي: من كان إبصاره سبباً لعلمه.. قوله عليه السلام: واعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً.

أقول: قد يتوهّم التنافي بين هاتين الكلمتين وبين الخبر المرويّ ظاهراً، ويخطر بالبال دفعه بوجوه:

الأوّل: أن يكون الخبر في قوّة الاستثناء لبيان أنّ المقدّمتين ليستا كليّتين، بل هما لبيان الغالب، وقد يتخلّف كما ورد في الخبر.

الثاني: أن يكون الخبر استشهاداً للمقدّمتين، وبيانه: أنّ للعمل ظاهراً وباطناً، وللشخص ظاهراً وباطناً، وظاهر الشخص مطابق لباطنه، ولذا يحبّ الله ظاهر الشخص لما يعلم من حسن باطنه وعاقبته، ويبغض ظاهر الشخص إذا علم سوء باطنه ورداءة عاقبته.

الثالث: أن يكون المراد أنّه لا يمكن أن لا يظهر سوء الباطن من الأخلاق الرديّة والاعتقادات الباطلة والطينات الفاسدة وإن كان في آخر العمر، ولا حسن الباطن من الأخلاق الحسنة والاعتقادات الحقّة والطينات الطيّبة، فالذي يحبّه الله ويبغض عمله ينقلب حاله في آخر العمر ويظهر منه حسن العقائد والأعمال، وكذا العكس، فظهر أنّ حسن الباطن والظاهر متطابقان، وكذا سوؤهما، ولعلّ ما يذكر بعده يؤيّد هذا الوجه في الجملة.

الرابع: ما ذكره ابن أبي الحديد[1]، حيث قال: هو مشتقّ من قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾[2]، والمعنى أنّ لكلتا حالتي الإنسان الظاهرة أمراً باطناً يناسبها من أحواله، والحالتان الظاهرتان: ميله إلى العقل وميلها إلى الهوى، فالمتّبع لعقله يرزق السعادة والفوز، فهذا هو الذي طاب ظاهره وطاب باطنه، والمتّبع لمقتضى هواه يرزق الشقاوة والعطب، وهذا هو الذي خبُث ظاهره وخبُث باطنه.

الخامس: ما قيل: إنّ المراد بطيب الظاهر حسن الصورة والهيئة، وبخبثه قبحهما، وقال: هما يدلاّن على حسن الباطن وقبحه، وحمل خبث العبد مع قبح الفعل على ما إذا كان مع حسن الصورة، والآخر على ما إذا كان مع قبح الصورة. ولا يخفى بعده ولعلّ الأوّل أظهر الوجوه. وأمَرَّت: أي صارت مرّاً.

٢١ - **نهج**[3]: من كلام له عليه السلام: وقد قال لي قائلٌ: إنّك على هذا الأمر يابن أبي طالبٍ لحريصٌ! فقلت: بل أنتم والله أحرص وأبعد، وأنا أخصُّ وأقرب، وإنّما طلبت حقّاً لي وأنتم تحولون

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٩/١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) الأعراف: ٥٨.

(٣) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٢٤٦ ـ ٢٤٧، الخطبة ١٧٢.

بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه، فلمّا قرعته بالحجّة في الملأ الحاضرين بهت لا يدري ما يجيبني به. اللهمَّ إنّي أستعديك على قريشٍ ومن أعانهم، فإنَّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثمَّ قالوا: ألا إنَّ في الحقِّ أن نأخذه وفي الحقِّ أن تتركه.

بيان: قال ابن أبي الحديد[1]: هذا الفصل من خطبة يذكر فيها أمر الشورى، والذي قال له: إنّك على هذا الأمر لحريص! هو سعد بن أبي وقّاص مع روايته فيه: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى... وهذا عجيب، وقد رواه الناس كافّة. وقالت الإماميَّة: هذا الكلام كان يوم السقيفة، والقائل أبو عبيدة بن الجرّاح... وقرعته بالحجَّة: صدمته بها.. قوله عليه السلام: بهت. في بعض النسخ: هبَّ. أي: استيقظ.. وقال الجوهري: العدوى: طلبك إلى والٍ ليُعدِيَك على من ظلمك، أي: ينتقم منه، يقال: استعديت على فلانٍ الأمير فأعداني: استعنت به فأعانني عليه[2].

فإنَّهم قطعوا رحمي: لأنّهم لم يراعوا قربه عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله أو منهم، أو الأعمّ.. ألا إنَّ في الحقِّ أن نأخذه - بالنون - وفي الحقِّ أن تتركه - بالتاء -: أي إنّهم لم يقصّروا على أخذ حقّي ساكتين عن دعوى كونه حقّاً لهم، ولكنّهم أخذوه مع دعواهم أنّ الحقّ لهم، وأنّه يجب عليّ أن أترك المنازعة فيه، فليتهم أخذوا معترفين بأنّه حقّ لي، فكانت المصيبة أهون.. وروي بالنون فيهما[3]، فالمعنى أنّا نتصرّف فيه كما نشاء بالأخذ والترك دونك.. وفي بعض النسخ فيهما بالتاء[4]، أي: يعترفون أنّ الحقّ لي ثم يدّعون أنّ الغاصب أيضاً على الحقّ، أو يقولون: لك الاختيار في الأخذ والترك، وكذا في الرواية الأُخرى قرئ بالنون وبالتاء[5].. وقال القطب الراوندي: إنّها في خطّ الرضي رضي الله عنه بالتاء، أي: إن وليت كانت ولايتك حقّاً، وإن ولي غيرك كانت حقّاً على مذهب أهل الاجتهاد.

٢٢ - نهج[6]: ومن كلام له عليه السلام: اللهمَّ إنّي أستعديك على قريشٍ فإنَّهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إنَّ في الحقِّ أن نأخذه وفي الحقِّ أن نمنعه، فاصبر مغموماً أو مت متأسّفاً. فنظرت فإذا ليس لي رافدٌ ولا ذابٌّ ولا مساعدٌ إلاّ أهل بيتي، فضنِنت بهم عن المنيَّة، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقي على الشجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من حزّ الشِّفَار.

بيان: قال الجوهري: كفأت الإناء: كببته وقلبته، فهو مكفوءٌ. وزعم ابن الأعرابي أنَّ أكفأته لغةٌ[7]. ويروى: كفّوا بدون الهمزة وهو أفصح. وقال الجوهري: رفدته أرفِده رفْداً: إذا أعنته،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٩/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦.
(٢) الصحاح: ٦/ ٢٤٢١.
(٣) منهاج البراعة: ٢/ ٤٥٩، الخطبة: ٢١٧.
(٤) شرح نهجة البلاغة للقطب الراوندي: ٢/ ١٥٢.
(٥) منهاج البراعة: ٢/ ٣٥٩، الخطبة ٢١٧.
(٦) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٣٣٦ ـ ٣٣٧، الخطبة ٢١٧.
(٧) الصحاح: ١/ ٦٨.

والإرفاد: الإعانة[١]. وقال: الذَّبُّ: الدَّفع والمنع[٢]. وقال: ضنِنت بالشَّيءِ: بخلت به. وقال الفرّاءُ: ضننت بالفتح: لغةٌ فيه[٣]. والإغضاءُ: إدناء الجفون. والقذى في العين: ما يسقط فيها فيؤذيها. والشجا: ما ينشب في الحلق من عظمٍ وغيره. والعَلْقم: شجرٌ مرٌّ، ويقال للحنظل، وكلّ شيءٍ مرٌّ علقمٌ. والحزُّ: القطع، حزَّه واحتزَّه: قطعه. والشَّفْرة بالفتح: السِّكّين العظيم، والجمع شفارٌ.

٢٣ - نهج[٤]: من كلامه عليه السلام: وا عجباه! أتكون الخلافة بالصَّحابة ولا تكون بالصَّحابة والقَرَابة؟!

قال السيّد رحمه الله: ورُوي له عليه السلام شعرٌ في هذا المعنى، وهو قوله:

فإن كنتَ بالشُّورى ملكتَ أُمورهم فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ

وإن كنتَ بالقربى حَجَجْتَ خصيمهم فغيرك أولى بالنَّبيِّ وأقرب

بيان: قوله عليه السلام: فكيف بهذا. أي: كيف تملكها بهذا.. قوله عليه السلام: خصيمهم. أي: من كان خصماً لك منهم في دعوى الخلافة.

وقال ابن أبي الحديد[٥]: حديثه عليه السلام في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر، أمّا النثر فموجّه إلى عمر؛ لأنّ أبا بكر لمّا قال لعمر: امدد يدك. قال له عمر: أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله في المواطن كلّها شدّتها ورخائها فامدد أنت يدك. فقال عليّ عليه السلام: إذا احتججت لاستحقاقه الأمر بصحبته إيّاه في المواطن، فهلاّ سلّمت الأمر إلى من قد شركه في ذلك، وقد زاد عليه بالقرابة؟

وأمّا النظم فموجّه إلى أبي بكر؛ لأنّه حاجّ الأنصار في السقيفة فقال: نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وبيضته التي تفقّأت عنه. فلمّا بويع احتجّ على النّاس بالبيعة، وأنّها صدرت عن أهل الحلّ والعقْد، فقال عليّ عليه السلام: أمّا احتجاجك على الأنصار بأنّك من بيضة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قومه فغيرك أقرب نسباً منك إليه، وأمّا احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة، فقد كان قوم من أجلّة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد، فكيف ثبت؟!

٢٤ - نهج[٦]: قال عليه السلام: فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقّي، مستأثراً عليَّ، منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يوم النَّاس هذا.

٢٥ - نهج[٧]: من كلامه عليه السلام: فنظرت فإذا ليس معينٌ إلاّ أهل بيتي، فضنِنت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشرِبت على الشجا، وصبرت على أخذ الكَظْم وعلى أَمَرَّ من طعم العلقم.

٢٦ - وقال رحمه الله في موضع آخر[٨]: قالوا: لمّا انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السَّقيفة

---

(١) الصحاح: ٢/ ٤٧٥.
(٢) الصحاح: ١/ ١٢٦.
(٣) الصحاح: ٦/ ٢١٥٩.
(٤) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٥٠٢، الحكمة ١٩٠.
(٥) شرح نهج البلاغة: ١٨/ ٤١٦.
(٦) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٥٣، الخطبة ٦.
(٧) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٦٨، الخطبة ٢٦.
(٨) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٩٧ ـ ٩٨، الخطبة ٦٧.

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ.

قال عليه السلام: فهلاً احتججتم عليهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وصّى بأن يحسن إلى محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم؟ قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟

قال عليه السلام: لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصيّة بهم.

ثمّ قال عليه السلام: فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجّت بأنّها شجرة الرّسول صلى الله عليه وآله. فقال عليه السلام: احتجُّوا بالشَّجرة وأضاعوا الثَّمرة!

بيان: الكظم بفتح الظاء: مخرج النَّفس.. قوله عليه السلام: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة. المراد بالثمرة إمّا الرسول صلى الله عليه وآله، والإضاعة عدم اتّباع نصبه، أو أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام تشبيهاً له صلى الله عليه وآله بالأغصان، أو اتّباع الحقّ الموجب للتمسّك به دون غيره كما قيل، والغرض إلزام قريش بما تمسّكوا به من قرابته صلى الله عليه وآله، فإن تمَّ فالحقّ لمن هو أقرب وأخصّ، وإلاّ فالأنصار على دعواهم.

٢٧ - **نهج**(١): من كلامه عليه السلام لمّا عزموا على بيعة عثمان: لقد علمتم أنّي أحقُّ بها من غيري، وواللهِ لأُسلِّمنَّ ما سلِمت أُمور المسلمين ولم يكن فيها جورٌ إلاّ عليَّ خاصَّةً، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزِبرجه.

بيان: قوله عليه السلام: أنّي أحقّ بها. أي: بالخلافة والتفضيل، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾(٢)، والجور عليه عليه السلام خاصّة غصب حقّه، وفيه دلالة على أنّ خلافة غيره جور مطلقاً، والتسليم على التقدير المفروض وهو سلامة أُمور المسلمين - وإن لم يتحقّق الفرض - لرعاية مصالح الإسلام والتقيّة.. والتماساً: مفعولاً له للتسليم.. والتَّنافس: الرَّغبة في النَّفيس المرغوب للانفراد به.. والزُّخرُف بالضم: الذَّهب وكمال حسن الشَّيءِ.. والزِّبرِج بالكسر: الزِّينة.

٢٨ - **نهج**(٣): ومن خطبة له عليه السلام: بعث رسله بما خصَّهم به من وحيه، وجعلهم حجَّةً له على خلقه، لئلاّ تجب الحجَّة لهم بترك الإعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصِّدق إلى سبيل الحقِّ، ألا إنَّ الله قد كشف الخلق كشفةً، لا أنّه جهِل ما أخفَوْه من مَصُون أسرارهم ومكنون ضمائرهم، ولكن ليبلوهم أيُّهم أحسن عملاً، فيكون الثَّواب جزاءً، والعقاب بواءً.

أين الذين زعموا أنَّهم الرَّاسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا؟ أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يُستَعطى الهدى ويُستجلى العمى إنَّ الأئمَّة من قريشٍ غُرِسوا في هذا البطن من هاشم، لا تَصْلُح على سِواهم، ولا تَصْلُح الولاة من غيرهم.

منها: آثروا عاجلاً، وأخَّروا آجلاً، وتركوا صافياً، وشربوا آجِناً، كأنّي أنظر إلى فاسقهم وقد

---

(١) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ١٠٢، الخطبة ٧٤.
(٢) الفرقان: ١٥.
(٣) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٢٠٠ ـ ٢٠٢، الخطبة ١٤٤.

صحِب المنكر فألِفه، وبسِئ به ووافقه حتّى شابت عليه مفارقه، وصُبِغت به خلائقه، ثمَّ أقبل مُزبِداً كالتّيّار لا يبالي ما غرَّق، أو كوقع النّار في الهشيم لا يحفل ما حرَّق، أين العقول المستصبِحة بمصابيح الهدى، والأبصار اللامِحة إلى منار التّقوى؟ أين القلوب الّتي وهِبت لله! وعوقِدت على طاعة الله؟ ازدحموا على الحطام، وتشاحُّوا على الحرام، ورفِع لهم علم الجنّة والنّار فصرفوا عن الجنّة وجوههم، وأقبلوا إلى النّار بأعمالهم، دعاهم ربُّهم فنفروا وولّوا، ودعاهم الشّيطان فاستجابوا وأقبلوا!

إيضاح: الكشف: أُريد به هنا الابتلاء الذي هو سببه. وقال في النهاية: الجراحات بواءٌ، أي: سواءٌ في القِصاص، ومنه حديث عليّ عليه السلام: والعِقاب بواءٌ. وأصل البَواء: اللزوم[1]. . . أين الذين زعموا؟ أي: الخلفاء الجائرون المتقدّمون. . قوله عليه السلام: أن رفعنا الله: تعليل لدعوتهم الكاذبة، أي: كانت العلّة الحاملة لهم على هذا الكذب أنّ الله رفع قدرنا في الدنيا والآخرة وأعطانا، أي: الملك والنبوّة. . وأدخلنا: أي في دار قربه وعناياته الخاصّة. وأن ها هنا للتعليل، أي: لأنّ، فحذف اللام، ويُحتمل أن يكون المعنى أين الذين زعموا عن أن يروا أن رفعنا الله وأورثنا الخلافة ووضعهم بأخذهم بأعمالهم السيّئة.

والبطن: ما دون القبيلة وفوق الفَخِذ. . قوله عليه السلام: لا تصلح على سواهم. أي: لا يكون لها صلاح على يد غيرهم، ولا يكون الولاة من غيرهم صالحين. . والآجِن: الماءُ المتغيِّر. . قوله عليه السلام: كأنّي أنظر. قال ابن أبي الحديد: هو إشارة إلى قوم يأتي من الخلف بعد السلف[2]. . . قيل: والأظهر أنّ المراد بهم من تقدّم ذكرهم من الخلفاء وغيرهم من. . . الصحابة، كما قال عليه السلام في الفصل السابق: أين الذين زعموا؟ فيكون قوله عليه السلام: كأنّي أنظر، إشارة إلى ظهور اتّصافهم بالصفات حتى كأنّه يراه عياناً.

وقال في النهاية: بَسِأت بفتح السين وكسرها: أي اعتادت واستأنست[3]. . . شابت عليه مفارقه: أي ابيضَّ شعره وفني عمره في صحبة المنكر. . . وصُبغت به خلائقه: أي صار المنكر عادته حتّى تلوَّنت خلائقه به. . والتّيّار: موج البحر ولُجّته. . . وكلمة ثمَّ للترتيب الحقيقي أو الذكري. . و(. . . .) وقوله عليه السلام: لا يحفِل. أي: لا يبالي. . واللامحة: النّاظرة.

٢٩ - **نهج**[4]: من خطبة له عليه السلام في الملاحم: وأخذوا يميناً وشمالاً ظعناً في مسالك الغيِّ، وتركاً لمذاهب الرُّشد، فلا تستعجلوا ما هو كائنٌ مُرصَدٌ، ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد، فكم من مستعجلٍ بما إن أدركه وَدَّ أنّه لم يدركه، وما أقرب اليوم من تباشير غدٍ. يا قوم، هذا إبّان ورود كلِّ موعودٍ، ودنوّ من طَلعة ما لا تعرفون، ألا وإنَّ من أدركها منّا يسري فيها بسراج منيرٍ، ويحذو فيها على مثال الصّالحين، ليحلَّ فيها رِبقاً، ويُعتق رِقّا، ويَصدع شَعْباً، ويَشعب صَدعاً، في سُترةٍ عن

(١) النهاية: ١/ ١٦٠.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٩/ ٨٩.
(٣) النهاية: ١/ ١٢٦.
(٤) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٢٠٨ ـ ٢٠٩، الخطبة ١٥٠.

النَّاس، لا يبصر القائف أثره ولو تابع نظره، ثمَّ ليُشحذنَّ فيها قومٌ شحذ القين النَّصل، تجلى بالتَّنزيل أبصارهم، ويرمى بالتَّفسير في مسامعهم، ويُغبقون كأس الحكمة بعد الصَّبوح.

منها: وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغِيَر، حتَّى إذا اخلولق الأجل، واستراح قومٌ إلى الفتن، واشتالوا عن لقاح حربهم، لم يَمُنُّوا على الله بالصَّبر، ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحقِّ، حتَّى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدَّة البلاءِ، حملوا بصائرهم على أسيافهم، ودانوا لربِّهم بأمر واعظهم، حتَّى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قومٌ على الأعقاب، وغالتهم السُّبل، واتّكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرَّحم، وهجروا السَّبب الَّذي أُمروا بمودَّته، ونقلوا البناء عن رصِّ أساسه فبنوه في غير موضعه، معادن كلِّ خطيئةٍ، وأبواب كلِّ ضاربٍ في غمرةٍ. قد ماروا في الحَيْرة، وذَهَلوا عن السَّكْرة على سُنَّةٍ من آل فرعون من مُنْقَطِعٍ إلى الدُّنيا راكنٍ، أو مفارِقٍ للدِّين مبايِنٍ.

بيان: نصب ظعناً وتركاً على المصدر، والعامل فيهما من غير لفظهما، أو مصدران قاما مقام الفاعل.. قوله عليه السلام: مُرصَدٌ. على المفعول، أي: مترقَّبٌ مُعَدٌّ لا بدّ من كونه.. وتباشير كلِّ شيءٍ: أوائله.. وإبّان الشَّيءِ بالكسر والتشديد: وقعته وزمانه، ولعلّه إشارة إلى ظهور القائم عليه السلام.. قوله عليه السلام: إنّ من أدركها منّا. أي قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله.. وسرى - كضرب - وأسرى: أي سار بالليل.. والرَّبق بالفتح: شدُّ الشّاة بالرِبق وهو الخيط.. والصَّدع: التَّفريق والشَّقُّ.. والشَّعْب: الجَمْع.. قوله عليه السلام: في سترة. أشار عليه السلام به إلى غيبة القائم عليه السلام.. والقائف: الَّذي يتَّبع الآثار ويعرِفُها.

وشحذْت السِّكِّين: أحددته، أي: ليحرصنّ في تلك الملاحم قوم على الحرب، ويشحذ عزائمهم في قتل أهل الضلال كما يشحذ القَيْن وهو الحدّاد النَّصل، كالسَّيف وغيره.. ويجلى بالتَّنزيل. أي: يكشِف الرين والغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن وإلهامهم تفسيره ومعرفة أسراره، وكشف الغطاء عن مسامع قلوبهم.. والغَبُوق: الشُّرب بالعَشِيِّ، تقول منه: غَبَقت الرَّجل أغبُقُه بالضم فاغتبق هو، أي: تفاض عليهم المعارف صباحاً ومساءً.. والقوم: أصحاب القائم عليه السلام..

قوله عليه السلام: وطال الأمد بهم. هذا متّصل بكلام قبله لم يذكره السيِّد رحمه الله، والأمد: الغاية.. والغِيَر: اسمٌ من قولك: غيَّرْت الشَّيءَ فتغيَّر، أي: تغيُّر الحال وانتقالها من الصَّلاح إلى الفساد.

واخلولق الأجل: أي قرب انقِضاء أمرهم، من اخلولق السَّحاب، أي: استوى وصار خليقاً بأن يُمْطر، واخلولق الرَّسم: استوى بالأرض.. واستراح قومٌ: أي مال قومٌ من شيعتنا إلى هذه الفئة الضالّة واتّبعوها تقيّة أو لشبهة دخلت عليهم.. واشتالوا: أي رفعوا أيديهم وسيوفهم.. واستعار اللقاح - بفتح اللام - لإثارة الحرب لشبهها بالناقة.. وقوله عليه السلام: حتّى إذا قبض الله، لعلّه منقطع عمّا قبله إلاّ أن يحمل (من طال الأمد بهم) في الكلام المتقدّم على من كان من أهل الضّلال قبل الإسلام، ولا يخفى بعده.. وبالجملة: الكلام صريح في شكايته عليه السلام عن الذين غصبوا الخلافة منه.

وغالتهم السُّبُل: أي أهلكتهُم.. ووصلوا غير الرحم: أي غير رحم رسول الله صلى الله عليه وآله.. والسبب الذي أُمروا بمودّته أهل البيت عليهم السلام كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: خلّفت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض... كلُّ ضاربٍ

في غَمْرةٍ: أي سائرٍ في غَمْرة الضلالة والجهالة.. قد ماروا في الحَيْرة: أي تردَّدوا واضطربوا فيها.. والمنقطِع إلى الدُّنيا: هو المنهمك في لذاتها.. والمفارق للدين: هو الزاهد الذي يترك الدنيا للدنيا، أو يعمل على الضلالة والردى، وسيأتي فيما سنورده من كتبه عليه السلام وغيرها ما هو صريح في الشكاية.

٣٠ - منها[١]: ما كتب عليه السلام في كتاب له إلى معاوية: وكتاب الله يجمع لنا ما شذَّ عنّا وهو قوله سبحانه: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] فنحن مرَّةً أولى بالقرابة وتارةً بالطّاعة، ولمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السَّقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فلَجُوا عليهم، فإن يكن الفَلْج به فالحقُّ لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم.

وقلت: إنّي كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أُبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذُمَّ فمدحت، وأن تَفْضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضةٍ في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه.

٣١ - ومنها[٤]: ما كتب عليه السلام في جواب عقيل: فدع عنك قريشاً وتَرْكاضَهم في الضَّلال، وتَجْوالهم في الشقاق، وجِماحَهم في التِّيه، فإنَّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي فجزَت قريشاً عنّي الجوازي، فقد قطعوا رحِمِي، وسلبوني سلطان ابن أُمّي.

وفي كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة[٥]: فإنّ قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبل اليوم.

٣٢ - ومنها[٦]: ما كتب عليه السلام في كتاب له إلى أهل مصر، وهم العمدة في قتل عثمان: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى القوم الّذين غضِبوا لله حين عُصي في أرضه وذُهب بحقِّه وضرَب الجوْر سُرادقه على البرِّ والفاجر والمقيم والظّاعن، فلا معروفٌ يُستراح إليه ولا منكرٌ يُتناهى عنه.

٣٣ - ومنها[٧]: ما كتب عليه السلام في كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري: بلى كانت في أيدينا فدك من كلِّ ما أظلَّته السَّماء فشحَّت عليها نفوس قومٍ وسَخَت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله.

٣٤ - ومنها[٨]: ما كتب عليه السلام في كتاب له إلى أهل مصر: فلمَّا مضى تنازع المسلمون الأمر

---

(١) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٣٨٧ ـ ٣٨٨، الكتاب ٢٨.
(٢) الأنفال: ٧٥. (٣) آل عمران: ٦٨.
(٤) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٤٠٩، الكتاب ٣٦.
(٥) الإمامة والسياسة: ٥٥.
(٦) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٤١٠ ـ ٤١١، الكتاب ٣٨.
(٧) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٤١٧، الكتاب ٤٥.
(٨) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٤٥١، الكتاب ٦٢.

من بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطُر على بالي أنَّ العرب تُعْرِج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته، ولا أنَّهم منحّوه عنّي من بعده.

٣٥ - ومنها: ثمّ كتب عليه السلام بعدما ذكر بيعة الناس له[١]: فنهضت في تلك الأحداث حتّى زاح الباطل وزهق، واطمأنَّ الدِّين وتنهْنَه.

٣٦ - ومنها: قوله عليه السلام [٢]: قد طلع طالعٌ ولمع لامعٌ ولاح لائحٌ، واعتدل مائلٌ، واستبدل الله بقوم قوماً وبيوم يوماً وانتظرنا الغِيَرَ انتظار المجدِب المطرَ، وإنّما الأئمَّة قُوّام الله على خلقِه وعرفاؤُه على عبادِه، لا يدخل الجنَّة إلاّ من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم وأنكروه.

٣٧ - ومنها: قوله عليه السلام في البيعة[٣]: فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، وإذا الميثاق في عنقي لغيري.

وقد مرّ في هذا الكتاب وسيأتي[٤] من تظلّمه عليه السلام منهم وشكايته عليه السلام عنهم، وقدحه فيهم، لا سيّما ما أوردناه في باب غصب الخلافة[٥]، وباب مثالب الثلاثة، وباب ما جرى بينه وبين عثمان، وما ذكره في الاحتجاج على من يطلب ثاره، وما ذكره لأبي ذرّ عند إخراجه، ما لو أعدناه لكان أكثر ممّا أوردنا بكثير، لكن الأمر على الطالب يسير، والجرعة تدلّ على الغدير، والحبّة على البيدر الكبير.

وقد قال ابن أبي الحديد[٦] في شرح قوله عليه السلام: اللهمّ إنّي أستعديك على قريش: قد روى كثير من المحدّثين أنّه عقيب يوم السّقيفة تألّم وتظلّم واستنجد واستصرخ حتى سَمّوه الحضور والبيعة، وأنّه قال وهو يشير إلى القبر: ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[٧]، وأنّه قال: وا جعفراه! ولا جعفر لي اليوم، وا حمزتاه! ولا حمزة لي اليوم.

وقال[٨] في شرح قوله عليه السلام: وقد قال لي قائلٌ: إنَّك على هذا الأمر يابن أبي طالب لحريصٌ. وهو قوله عليه السلام: إنَّ لنا حقّاً، إن نعطه نأخذه وإلاّ نركب له أعجاز الإبل وإن طال السرى. وقد ذكره الهروي في الغريبين، وفسّره بوجهين[٩].

وقال الجزري في النهاية: منه حديث عليّ عليه السلام: لنا حقٌّ... وذكر الخبر ثم قال: الرُّكوب على أعجاز الإبل شاقٌّ. أي: [إن] مُنعنا حقَّنا ركِبنا مركب المشقَّة صابرين عليها وإن طال الأمد.

---

(١) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٤٥١، الكتاب ٦٢.
(٢) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٢١٢، الخطبة ١٥٢.
(٣) نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح: ٨١، الخطبة ٣٧.
(٤) بحار الأنوار: ٨/ ٦٥١، ٦٦٩ وما بعدهما.
(٥) بحار الأنوار: ٢٨/ ٨٥، ١٧٥.
(٦) شرح نهج البلاغة: ١١/ ١١١.
(٧) الأعراف: ١٥٠.
(٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩/ ٣٠٧.
(٩) كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١٩٥.

وقال: ضرب أعجاز الإبل مثلاً لتأخُّره عن حقِّه الَّذي كان يراه له، وتقدُّم غيره عليه، وأنَّه يصبر على ذلك وإن طال أمده، أي: إن قُدِّمنا للإمامة تقدَّمنا وإن أُخِّرنا صبرنا على الأثرة وإن طالت الأيَّام.

وقيل: يجوز أن يريد: وإن نُمْنَعه نَبذُل الجُهْد في طلبه فِعل مَن يضرب في طلبته أكباد الإبل ولا يبالي باحتمال طول السرى، والأوَّلان أوجه؛ لأنَّه سلَّم وصبر على التَّأخُّر ولم يقاتل، وإنَّما قاتل بعد انعقاد الإمامة له[1]. انتهى.

ورواه ابن قتيبة، وقال: معناه ركبنا مركب الضيم والذلّ؛ لأنّ راكب عجز البعير يجد مشقّة، لا سيّما إذا تطاول به الركوب على تلك الحال، ويجوز أن يكون أراد: نصبر على أن نكون أتباعاً لغيرنا؛ لأنّ راكب عجز البعير يكون ردفاً لغيره.

وروى ابن أبي الحديد[2] أيضاً: أنَّ فاطمةَ صلوات الله عليها حرَّضته يوماً على النهوض والوثوب، فسمع صوت المؤذِّن: أشهد أنَّ محمَّداً رسول الله ﷺ، فقال لها: أيسرّك زوال هذا النداء من الأرض؟ قالت: لا. قال: فإنّه ما أقول لك.

وروى أيضاً[3]، عن جابر الجعفي، عن محمد بن عليّ عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام: ما رأيت منذ بعث الله محمّداً ﷺ رخاء، لقد أخافتني قريش صغيراً وأنصبتني كبيراً حتى قُبض رسول الله ﷺ وكانت الطامّة الكبرى، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[4].

وروى ابن قتيبة - وهو من أعاظم رواة المخالفين - في كتاب الإمامة والسياسة[5]: أنّ عليّاً عليه السلام أُتي به أبو بكر وهو يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، فقيل له: بايع أبا بكر. فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، ولا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليه بالقرابة من النبيّ ﷺ وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً، ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لمكان محمّد ﷺ منكم، فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الإمارة؟! فأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار: نحن أولى برسول الله ﷺ حيّاً وميّتاً فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، وإلاّ فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال له عمر: إنّك لست متروكاً حتى تبايع! فقال له عليّ عليه السلام: احلب حلباً لك شطره، اشدده له اليوم يردده عليك غداً. ثم قال: والله يا عمر، لا أقبل قولك، ولا أُبايعه. فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني فلا أُكرهك. فقال عليّ عليه السلام: يا معشر المهاجرين، الله الله! لا تُخرجوا سلطان محمّد ﷺ في العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، وتدفعوا أهله عن مقامه من الناس وحقّه، فوالله - يا معشر المهاجرين - لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كان فيها القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله ﷺ.

---

(١) النهاية: ٣/ ١٨٥ ـ ١٨٦.
(٢) شرح نهج البلاغة: ١١/ ١١٣.
(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ٤/١٠٨.
(٤) يوسف: ١٨.
(٥) الإمامة والسياسة: ١١ ـ ١٢.

ثم قال ابن قتيبة[١]: وفي رواية أخرى: أخرجوا علياً عليه السلام فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع. فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ فقالوا: إذن والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك. قال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله. فقال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخا رسول الله فلا. وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه. فلحق عليّ عليه السلام بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله يصيح ويبكي وينادي: ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[٢].

ثم ذكر ابن قتيبة[٣]: أنّهما جاءا إلى فاطمة عليها السلام معتذرين، فقالت: نشدتكما بالله، ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة ابنتي من سخطي؟ ومن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم، سمعناه. قالت: فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ صلى الله عليه وآله لأشكونّكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة. ثم انتحب أبو بكر باكياً تكاد نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونَّ الله عليك في كلّ صلاة. وأبو بكر يبكي ويقول: والله لأدعونَّ الله لك في كلّ صلاة أصلّيها. ثم خرج باكياً.

٣٨ - وروى أيضاً ابن قتيبة[٤] أنّ علياً عليه السلام قال: فاجْز قريشاً عنّي بفعالها. فقد قطعت رحمي، وظاهرت عليّ، وسلبتني سلطان ابن عمّي، وسلّمت ذلك منها لمن ليس في قرابتي وحقّي في الإسلام، وسابقتي التي لا يدّعي مثلها مدّعٍ إلاّ أن يدّعي ما لا أعرفه، ولا أظنّ الله يعرفه.

٣٩ - وروى أيضاً[٥] أنّه قال للحسن عليه السلام: وايم الله يا بني، ما زلت مظلوماً مبغيّاً عليّ منذ هلك جدُّك صلى الله عليه وآله.

٤٠ - وروى ابن أبي الحديد[٦] أنّ عليّاً عليه السلام قال وقد سمع صارخاً ينادي: أنا مظلوم، فقال: هلمّ فلنصرخ معاً، فإنّي ما زلت مظلوماً.

٤١ - وقال[٧]: قال عليّ عليه السلام: ما زلت مستأثراً عليّ مدفوعاً عمّا أستحقّه وأستوجبه.

٤٢ - وقال عليه السلام: اللهمّ اجز قريشاً فإنّها منعتني حقّي وغصبتني أمري[٨].

٤٣ - وروى[٩] أيضاً، عن جابر، عن أبي الطفيل، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: اللهمّ إنّي أستعديك على قريش فإنّهم قطعوا رحمي، وغصبوني حقّي، وأجمعوا على منازعتي أمراً كنت أولى به.

---

(١) الإمامة والسياسة: ١٣. (٢) الأعراف: ١٥٠.
(٣) الإمامة والسياسة: ١٣ ـ ١٤. (٤) الإمامة والسياسة: ٥٥ ـ ٥٦.
(٥) الإمامة والسياسة: ٤٩. (٦) شرح نهج البلاغة: ٩/٣٠٧.
(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩/٣٠٧.
(٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩/٣٠٦.
(٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤/١٠٤.

٤٤ - وعن الشعبي، عن شريح بن هاني، قال: قال عليّ عليه السلام: اللهمّ إنّي أستعديك على قريش فإنّهم قطعوا رحمي وأصغوا إنائي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي[١].

٤٥ - وروى السيّد ابن طاووس في كتاب الطرائف[٢] من الصحيحين والجمع بينهما للحميدي بإسنادهم عن مالك بن أوس قال: قال عمر للعباس وعليّ عليه السلام ما هذا لفظه: فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله. فجئتما، أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها. فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة. فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّه لصادق بارّ راشد تابع للحقّ، ثم توفي أبو بكر فقلت: أنا وليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووليّ أبي بكر، فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّي لصادق بارّ تابع للحقّ، فوليتها، ثم جئت أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحدٌ فقلتما: ادفعها إلينا.

أقول: قد رأيت هذا الخبر في الصحيحين[٣] وحكاه في جامع الأُصول[٤] عنهما وعن الترمذي[٥] والنسائي[٦] وأبي داود[٧]، عن الحميدي بألفاظ مختلفة، من أراد الاطّلاع عليه فليراجعه.

٤٦ - وقال السيّد المرتضى علم الهدى رحمه الله في الشافي[٨]: قد روى جميع أهل السير أنّ أمير المؤمنين عليه السلام والعباس لمّا تنازعا في الميراث وتخاصما إلى عمر، قال عمر: من يعذرني من هذين؟ ولي أبو بكر فقالا: عقَّ وظلم. والله يعلم أنّه كان برّاً تقيّاً، ثم وليت فقالا: عقَّ وظلم. وغير خافٍ عليهم وإنّما كانوا يجاملونه ويجاملهم.

٤٧ - وروى أحمد بن أعثم الكوفي في تاريخه[٩]، قال: كتب معاوية إلى عليّ عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ الحسد عشرة أجزاء تسعة منها فيك وواحد منها في سائر الناس، وذلك أنّه لم يل أُمور هذه الأمّة أحد بعد النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ وله قد حسدت، وعليه تعدّيت، وعرفنا ذلك منك في النظر الشزر، وقولك الهجر، وتنفّسك الصعداء، وإبطائك عن الخلفاء، تقاد إلى البيعة كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع وأنت كاره، ثم إنّي لا أنسى فعلك بعثمان بن عفّان على قلّة الشرح والبيان،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤/١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) الطرائف: ١/ ٢٧٠، الحديث ٣٦٩.

(٣) صحيح مسلم: ٣/١٣٧٧، كتاب الجهاد، الباب ١٥ حكم الفيء، الحديث ٤٩، وصحيح البخاري ٨/ ١٨٥، كتاب الفرائض، باب قول النبيّ صلى الله عليه [وآله]: لا نورث.

(٤) جامع الأُصول: ٢/ ٦٩٧ ـ ٧٠٩، الحديث ١٢٠٢ باب الفيء، و٤/ ١٠٤، الحديث ٢٠٧٨، و٤/ ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٩، الأحاديث ٧٤٣٨، ٧٤٣٩، ٧٤٤١.

(٥) صحيح الترمذي: ٤/١٥٨، كتاب السير، الباب ٤٤، الحديث ١٦١٠.

(٦) سنن النسائي: ٧/١٢٨ ـ ١٣٧، باب الفيء.

(٧) سنن أبي داود: ٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠، الحديث ٢٩٦٣.

(٨) الشافي: ٣/ ٢٢٧.

(٩) الفتوح: ٢/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩.

ووالله الذي لا إله إلاّ هو لنطلبنَّ قتلة عثمان في البر والبحر والجبال والرمال حتى نقتلهم أو لنُلحقنّ أرواحنا بالله، والسلام.

فكتب إليه عليّ عليه السلام: أمّا بعد، فإنّه أتاني كتابك تذكر فيه حسدي للخلفاء، وإبطائي عليهم، والنكير لأمرهم، فلست أعتذر من ذلك إليك ولا إلى غيرك، وذلك أنّه لمّا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله واختلف الأمّة، قالت قريش: منّا الأمير. وقالت الأنصار: بل منّا الأمير. فقالت قريش: محمّد صلى الله عليه وآله منّا، ونحن أحقّ بالأمر منكم. فسلّمت الأنصار لقريش الولاية والسلطان، فإنّما تستحقّها قريش بمحمّد صلى الله عليه وآله دون الأنصار، فنحن أهل البيت أحقّ بهذا من غيرنا... إلى قوله عليه السلام:

وقد كان أبوك أبو سفيان جاءني في الوقت الذي بايع الناس فيه أبا بكر، فقال لي: أنت أحقّ بهذا الأمر من غيرك، وأنا يدك على من خالفك، وإن شئت لأملأنَّ المدينة خيلاً ورجلاً على ابن أبي قحافة. فلم أقبل ذلك، والله يعلم أنّ أباك قد فعل ذلك، فكنت أنا الذي أبيت عليه مخافة الفرقة بين أهل الإسلام، فإن تعرف من حقّي ما كان أبوك يعرفه لي فقد أصبت رشدك، وإن أبيت فها أنا قاصد إليك، والسلام.

٤٨ - وروى ابن أبي الحديد[(١)]، عن الكلبي قال: لمّا أراد عليّ عليه السلام المسير إلى البصرة، قام فخطب النّاس، فقال بعد أن حمد الله وصلّى على رسوله صلى الله عليه وآله: إنّ الله لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حقٍّ نحن أحقُّ به من الناس كافّة، فرأيت أنّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسَفْك دمائهم، والناس حديثو عهد بالإسلام، والدين يُمخض مَخْض الوطْب يُفسده أدنى وَهَن، ويعتكه أقلّ خلف، فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء، والله وليّ تمحيص سيّئاتهم، والعفو عن هفواتهم.

٤٩ - وروى[(٢)] أيضاً، عن عليّ بن محمد المدائني، عن عبد الله بن جنادة، قال: قدِمت من الحجاز أُريد العراق في أوّل إمارة عليّ عليه السلام، فمررت بمكّة فاعتمرت، ثم قدمت المدينة، فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إذ نودي: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس، وخرج عليّ عليه السلام متقلّداً سيفه، فشخصَت الأبصار نحوه، فحمِد الله وصلّى على رسوله صلى الله عليه وآله، ثم قال: أمّا بعد، فإنّه لمّا قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله قلنا: نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع، إذ انتزى لنا قوم فغصبونا سلطان نبيّنا، فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقةً يطمع فينا الضعيف يتعزّز علينا الذّليل، فبكت الأعين منّا لذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النّفوس، وايم الله لولا مخافة الفُرْقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدين، لكنّا على غير ما كنّا لهم عليه، فولي الناس ولاة لم يألوا الناس خيراً، ثم استخرجتموني أيّها الناس من بيتي فبايعتموني.

٥٠ - وقال السيّد الجليل ابن طاووس في كتاب الطرائف: روى أبو بكر أحمد بن مردويه في

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١/٣٠٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/٣٠٧.

كتابه وهو من أعيان أئمّتهم، ورواه أيضاً المسمّى عندهم صدر الأئمّة أخطب خطباء خوارزم موفّق بن أحمد المكّي، ثم الخوارزمي في كتاب الأربعين، قال: عن الإمام الطبراني، عن سعيد الرازي، عن محمد بن حميد، عن زافر بن سليمان، عن الحارث بن محمد، عن أبي الطفيل، قال: كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت عليّاً عليه السلام يقول: بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحقّ به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع القوم كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع أبو بكر لعمر وأنا أولى بالأمر منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع القوم كفّاراً، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان، إذن لا أسمع ولا أُطيع[١].

٥١ - وفي رواية أُخرى رواها ابن مردويه أيضاً، وساق قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن مبايعتهم لأبي بكر وعمر كما ذكره في الرواية المتقدّمة سواء، إلاّ أنّه قال في عثمان: أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان إذن لا أسمع ولا أُطيع، إنّ عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً في الصلاح ولا يعرفونه لي، كأنّما نحن فيه شرع سواء، وايم الله لو أشاء أن أتكلّم لتكلّمت، ثم لا يستطيع عربيّكم ولا عجميّكم ولا المعاهد منكم ولا المشرك ردّ خصلة منها، ثم قال: أُنشدكم الله أيّها الخمسة أمنكم أخو رسول الله غيري؟ قالوا: لا[٢]. ثم ساق الحديث في ذكر مناقبه عليه السلام إلى آخر ما سيأتي في باب الشورى بأسانيد جمّة وطرق مختلفة.

ثم قال السيّد رحمه الله : ومن طرائف ما نقلوه في كتبهم المعتبرة برواية رؤسائهم من إظهار عليّ بن أبي طالب عليه السلام الكراهية من تقدّم أبي بكر وعمر وعثمان في الخلافة، وأنّه كان أحقّ بها منهم بمحضر الخلق الكثير على المنابر وعلى رؤوس الأشهاد ما ذكره جماعة من أهل التواريخ والعلماء[٣].

٥٢ - وذكر ابن عبد ربّه في الجزء الرابع من كتاب العقد، وأبو هلال العسكري في كتاب الأوائل[٤] في الخطبة التي خطب بها عليّ بن أبي طالب عليه السلام عقيب مبايعة الناس له، وهي أوّل خطبة خطبها، فقال بعد إشارات ظاهرة وباطنة إلى التألّم ممّن تقدّمه وممّن وافقهم ما هذا لفظه: وقد كانت أُمور ملتم فيها عن الحقّ ميلاً كثيراً كنتم فيها غير محمودين.

وقال ابن عبد ربّه: لم تكونوا فيها محمودين، أما إنّي لو أشاء أن أقول لقلت ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾[٥] سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همّته بطنه، ويله! لو قصّ جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له، انظروا فإن أنكرتم فأنكروا وإن عرفتم فاعرفوا.

ثم يقول في آخرها ما هذا لفظه على ما حكاه صاحب كتاب العقد: ألا إنّ الأبرار من عترتي وأطايب أُرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً، ألا وإنّا أهل بيت من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، معنا راية الحقّ من تبعها

---

(١) الطرائف: ٤١١ - ٤١٢.
(٢) الطرائف: ٤١٢.
(٣) الطرائف: ٤١٦.
(٤) الأوائل (القسم الأول): ٢٩٠.
(٥) المائدة: ٩٥.

لحق ومن تأخّر عنها غرق، ألا وبنا يرد ترة كلّ مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذلّ من أعناقهم، وبنا فتح، وبنا يختم[(١)].

أقول: وممّا يؤيّد شكايته عليه السلام عنهم ما سيأتي من سوء معاشرتهم له عليه السلام وسعيهم في إطفاء نوره وإضمار ذكره.

٥٣ - وروى ابن أبي الحديد[(٢)]، عن ابن عباس أنّه قال: دخلت يوماً على عمر، فقال لي: يابن عباس، لقد أجهد هذا الرّجل نفسه في العبادة حتى نحلت رياءً. فقلت: من هو؟ قال عمر: الأجلح، يعني عليّاً عليه السلام، قلت: وما تقصد بالرياء يا أمير المؤمنين؟ قال: يرشّح نفسه بين الناس للخلافة. قلت: وما يصنع بالترشيح؟ قد رشّحه لها رسول الله صلى الله عليه وآله فصرفت عنه. قال: إنّه كان شاباً حَدثاً فاستصغرت العرب سنّه، وقد كَمُل الآن، ألم تعلم أنّ الله لم يبعث نبيّاً إلاّ بعد الأربعين؟ قلت: يا أمير المؤمنين، أمّا أهل الحجى والنُّهى فإنّهم ما زالوا يعدُّونه كاملاً منذ رفع الله منار الإسلام، ولكنَّهم يعدُّونه محروماً محدوداً. فقال: أما إنّه سيليها بعد هِياط ومِياط، ثم تزلّ فيها قدمه، ولا يقضي منها إربه، ولتكوننّ شاهداً ذلك يا عبد الله، ثم يتبيّن الصُّبح لذي عينين، ويعلم العرب صحّة رأي المهاجرين الأوّلين الذين صرفوها عنه بادئ بدء، فليتني أراكم بعدي يا عبد الله، إنّ الحرص محرمة، وإن الدنيا كظلّك كلّما هممت به ازداد عنك بعداً.

قال: ونقلت هذا الخبر من أمالي محمّد بن حبيب.

وروى[(٣)] أيضاً عن ابن عباس أنّه قال: خرجت مع عمر إلى الشّام فانفرد يوماً يسير على بعيره فاتّبعته فقال لي: يابن عباس، أشكو إليك ابن عمّك، سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولا أزال أراه واجداً، فبما تظنّ موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إنّك لتعلم. قال: أظنّه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة. قلت: هو ذاك، إنّه يزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد الأمر له. فقال: يابن عباس، وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أمراً وأراد الله أمراً غيره، نفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسول الله، أوَكلّ ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله كان؟ إنّه أراد إسلام عمّه ولم يُرِده الله فلم يُسلِم!

٥٤ - قال[(٤)]: وقد روى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ، وهو قوله: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما في نفسي وأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم.

أقول: قد سبق وسيأتي في أخبار فدك وغيرها ما يؤيّد ذلك.

توضيح: قوله عليه السلام وضعوا إنائي. الظاهر: أكفأوا كما مرّ، وعلى تقديره، لعلّ المعنى: وضعوا عندهم للأكل أو ضيّعوه وحقّروه، والأصوب: أصغوا كما في بعض النسخ، أي: أمالوه

---

(١) العقد الفريد: ٤/٦٦ ـ ٦٧. (٢) شرح نهج البلاغة: ١٢/ ٨٠ ـ ٨١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٢/٧٨ ـ ٧٩.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٢/٧٩.

لينصبّ ما فيه، وهذا مثلٌ شائع. قال الجوهري: أصغَيْت إلى فلانٍ: إذا مِلت بسمعك نحوه، وأصغَيْت الإناءَ: أمَلْته، يقال: فلانٌ مصغىً إناؤه، إذا نُقِص حقُّه[1].

وقال في النهاية: الوطب: الزِّقُّ الَّذي يكون فيه السَّمن واللبَن، ومنه الحديث: والأوطاب تمخض ليخرج زَبَدها[2]. وعتك اللبن كضرب: اشتدَّت حموضته.. والانتِزاء: تسرُّع الإنسان إلى الشَّرِّ، افتعال من النَّزو، وهو الوثوب.. والسُّوقَة بالضَّمِّ: الرَّعيَّة، ومَن دون الملك من النّاس، وما يظنّ أنّهم أهل الأسواق فهو وهمٌ.

وقال الفيروزآبادي: ما أزال في هياطٍ ومياطٍ بكسرهما: دنوٌ وتباعدٍ. وقال: تهايطوا: اجتمعوا وأصلحوا أمرهم[3]. وقال: المياط ككتابٍ: الدَّفْع والزَّجْر والميل والإدبار، وأشدُّ الشَّوق في الصَّدر[4].

تذييل: أقول: لا يخفى على المنصف بعد ما أوردناه من الأخبار بطلان خلافة الغاصبين زائداً على ما قدّمناه، ولنوضّح ذلك بوجوه:

الأوّل: أنّ الجمهور تمسّكوا في ذلك بما ادّعوه من الإجماع واعترفوا بعدم النصّ، فإذا ثبت تألّمه وتظلّمه عليه السلام قبل البيعة وبعدها ثبت عدم انعقاد الإجماع على خلافة أبي بكر، وكيف يدّعي عاقل - بعد الاطّلاع على تظلّماته عليه السلام وإنكاره لخلافتهم قبل البيعة وبعدها - كونها على وجه الرضا دون الإجبار والإكراه؟!

الثاني: أنّ إجباره صلوات الله عليه وآله على البيعة على الوجه الشنيع الذي رويناه من طريق المؤالف والمخالف وتهديده بالقتل، وتشبيهه عليه السلام بثعلب يشهد له ذنبه، وبأمّ طحال، وإسناد ملازمة كلّ فتنة إليه على رؤوس الأشهاد وغير ذلك من غصب حقّ فاطمة عليها السلام وما جرى من المشاجرات بينه عليه السلام وبينهم كما مرّ وسيأتي وأشباه ذلك، إيذاء له عليه السلام وإعلان لبغضه وعداوته وشتم له.

وسيأتي[5] أخبار متواترة من طريق الخاصّ والعامّ تدلّ على كفر من سبّه ونفاق من أبغضه وعاداه، وأنّه عدوّ الله وعدوّ رسوله صلى الله عليه وآله، ولا ريب أنّ الهمّ بدفع أحد عن مقامه اللائق به وحطّه عن درجته وإتيان ما ينافي احترامه، من أشنع المعاداة، مع أنّه قال عمر: إذن نضرب عنقك. وكذّبه عليه السلام في دعوى المؤاخاة.

ولا يريب ذو مسكة من العقل في أنّ الكافر والمنافق ومن يحذو حذوهما لا يصلحان لخلافة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله.

٥٥ - وقد روى في المشكاة الذي هو من أصولهم المتداولة اليوم عن زرّ بن حبيش قال: قال

---

(١) الصحاح: ٦/٢٤٠١.
(٢) النهاية: ٥/٢٠٣.
(٣) القاموس المحيط: ٢/٣٩٣.
(٤) القاموس المحيط: ٢/٣٧٨.
(٥) بحار الأنوار: ٣٩/٢٤٦ ـ ٣٣٢.

لي عليّ ﷺ: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد إليّ النبيّ الأُميّ ﷺ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق[١].

٥٦ - وروى أيضاً بأسانيد، عن أمّ سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ: لا يحب عليّاً عليه السلام منافق ولا يبغضه مؤمن[٢].

قال: رواه أحمد[٣] والترمذي[٤] عنها ﷺ أيضاً قالت: قال رسول الله ﷺ: من سبّ عليّاً فقد سبّني، قال: رواه أحمد[٥].

٥٧ - وروى ابن شيرويه الدّيلمي وهو من مشاهير محدّثيهم في كتاب الفردوس في باب الميم، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: من سبّ عليّاً (عليه السلام) فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أدخله نار جهنّم، وله عذاب عظيم[٦].

٥٨ - وعن سلمان، قال: قال النبيّ ﷺ: يا عليّ، محبّك محبّي ومبغضك مبغضي[٧].

٥٩ - وعن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليّ، ما يبغضك من الرجال إلاّ منافق ومن حملته أُمّه وهي حائض[٨].

٦٠ - وروى أيضاً[٩] في باب الثاء، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كنّ فيه فليس منّي ولا أنا منه: من أبغض عليّاً ونصب لأهل بيتي، ومن قال: الإيمان كلام.

٦١ - وروى ي جامع الأصول[١٠]، عن أبي سلمة، قال: إنّا كنّا لنعرف المنافقين - نحن معاشر الأنصار - ببغضهم عليّ بن أبي طالب، قال: أخرجه الترمذي[١١].

٦٢ - وعن[١٢] أبي سعيد، قال: قال رسول الله: لا يحبّ عليّاً منافق ولا يبغضه مؤمن. قال: أخرجه الترمذي[١٣].

وعن زر بن حبيش، قال: سمعت عليّاً يقول: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبيّ

---

(١) مشكاة المصابيح: ٣/ ٢٤٢، الحديث ٦٠٧٩.
(٢) مشكاة المصابيح: ٣/ ٢٤٥، الحديث ٦٠٩١.
(٣) مسند أحمد: ٦/ ٢٩٢.
(٤) سنن الترمذي: ٥/ ٦٤٣، الباب ٣١، كتاب المناقب، الحديث ٣٧٣٦.
(٥) مسند أحمد: ٦/ ٣٢٣.
(٦) الفردوس: ٥/ ٤١٠، الحديث ٨٣١٩.
(٧) الفردوس ٣/ ٥٤٢، الحديث ٥٦٨٩.
(٨) الفردوس: ٥/ ٣١٦، الحديث ٨٣٠٤.
(٩) الفردوس: ٢/ ٨٥، الحديث ٢٤٥٩.
(١٠) جامع الأُصول: ٨/ ٦٥٦، الحديث ٦٤٩٩.
(١١) صحيح الترمذي: ٥/ ٦٣٥، كتاب المناقب، الباب ٢١، الحديث ٣٧١٨.
(١٢) جامع الأُصول: ٨/ ٦٥٦، الحديث ٦٤٩٨.
(١٣) صحيح الترمذي: ٥/ ٦٣٥، كتاب المناقب، الباب ٢١، الحديث ٣٧١٩.

الأمّي إليّ أنّه لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق[١]. قال: أخرجه مسلم[٢] والترمذي[٣] والنسائي[٤].

٦٣ - وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب[٥] وهو من كتبهم المعتبرة المتداولة التي عليها اعتمادهم: روت طائفة من الصحابة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ (عليه السلام): لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق.

٦٤ - قال[٦]: وكان عليّ عليه السلام يقول: والله إنّه لعهد النبيّ الأُميّ إليّ أنّه لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق.

٦٥ - وقال[٧]: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبَّ عليّاً فقد أحبّني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن آذى عليّاً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.

٦٦ - وقال[٨]: روى عمّار الدهني، عن الزبير، عن جابر، قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب. ثم قال بعد ذكر أخبار كثيرة أُخرى في فضائله عليه السلام: ولهذه الأخبار طرق صحاح قد ذكرناها في موضعها[٩].

٦٧ - وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج[١٠]، عن شيخه أبي القاسم البلخي، أنّه قال: قد اتّفقت الأخبار الصحيحة التي لا ريب عند المحدّثين فيها أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: لا يبغضك إلاّ منافق ولا يحبّك إلاّ مؤمن.

أقول: سنورد في المجلد التاسع في أبواب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه[١١] تلك الأخبار وغيرها ممّا يدلّ على ما نحن بصدده من طريق الخاصّة والعامّة، وإنّما أوردت ها هنا قليلاً منها من كتبهم المعتبرة المتداولة لئلاّ يحتاج الناظر في هذا المجلد إلى الرجوع إلى غيره، وكفى في ذلك ممّا ذكروه متواتراً عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال يوم غدير خمّ: اللهمّ وال من والاه وعادِ من عاداه.

الثالث: أنّه عليه السلام صرّح في كثير من الروايات السالفة بأنّ الخلافة كانت حقّاً له، وأنّه كان مظلوماً فيها، فلو كان عليه السلام يرى إمامتهم حقّاً وخلافتهم صحيحة ومع ذلك يتألّم ويتظلّم ويقول: إنّما طلبت حقّاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه.. ويصرّح بأنّه لو كان له أعوان لقاتلهم ولم يقعد عن

---

(١) جامع الأصول: ٨/٦٥٦، الحديث ٦٥٠٠.
(٢) صحيح مسلم: ١/٨٦، كتاب الإيمان، الباب ٣٣، الحديثان ٧٨، ١٣١.
(٣) صحيح الترمذي: ٥/٦٤٣، كتاب المناقب، الحديث ٣٧٣٧.
(٤) سنن النسائي: ٨/١١٧، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق.
(٥-٦) الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة: ٣/٣٧.
(٧) الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة: ٣/٤٦.
(٨) الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة: ٣/٤٦.
(٩) الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة: ٣/٥١.
(١٠) شرح نهج البلاغة: ٤/٨٣.
(١١) بحار الأنوار: ٣٧/ ٢٩٠ إلى آخر الجزء، والجزء الثامن والثلاثون بأجمعه.

طلب حقّه، لزمه إنكار الحقّ والردّ على الله وعلى رسوله ﷺ، والحسد عليهم بما آتاهم الله من فضله، والجمهور مع علوّ درجتهم في النصب لا يمكنهم التزام ذلك، فبعد ثبوت التألّم والتظلّم لا تبقى لأحد شبهة في أنّه عليه السلام كان معتقداً لبطلان خلافتهم، وقد تواترت الأخبار بيننا وبينهم في أنّه عليه السلام لم يفارق الحقّ ولم يفارقه كما سيأتي في أبواب فضائله عليه السلام [(١)]، وقد اعترف ابن أبي الحديد[(٢)] وغيره بصحّة هذا الخبر بل تواتره.

وقال الشهرستاني في جواب استدلال العلاّمة رحمه الله بقوله ﷺ: اللهمّ أدر الحقّ معه حيثما دار[(٣)].. وغيره ممّا سبق ما هذا لفظه: إن هذا شيء لا يرتاب فيه حتى يحتاج إلى دليل.

وحديث الثقلين أيضاً متواتر كما ستعرف في بابه[(٤)]، وهو كافٍ في هذا الباب.

وهل كان غصبهم الخلافة وصرفها عن أهل بيت النبيّ ﷺ قبل دفنه، وهمّهم بإحراق بيتهم، وسوقهم لأمير المؤمنين عليه السلام بأعنف العنف إلى البيعة، وتكذيبه في شهادته، ودعوى المؤاخاة، وتهديده بالقتل وإيذاؤه في جميع المواطن، وغصب حقّ فاطمة عليها السلام وتكذيبها وقتل ولدها، وقتل الحسن والحسين صلوات الله عليهما، من مقتضيات وصيّة نبيّهم ﷺ فيهم؟!

ولعمري ما أظنّ عاقلاً يرتاب بعد التأمّل فيما جرى في ذلك الزمان في أنّ القول بخلافتهم وخلافته عليه السلام متناقضان، وكيف يرضى عاقل بإمامة إمامين يحكم كلّ منهما بضلال الآخر؟!

وقد روى محمد بن جرير الطبري في تاريخه: أنّ عمر بن الخطّاب كان يقول يوم السقيفة: أيّها الناس، بايعوا خليفة الله، فإنّ من بات ليلة بغير إمام كان عاصياً. ولا ريب في تخلّفه عليه السلام عن بيعتهم مدّة طويلة كما عرفت.

حكاية ظريفة تناسب المقام:

روى في كتاب الصراط المستقيم[(٥)] وغيره أنّ ابن الجوزي قال يوماً على منبره: سلوني قبل أن تفقدوني. فسألته امرأة عمّا روي أنّ عليّاً عليه السلام سار في ليلة إلى سلمان فجهّزه ورجع؟ فقال: روي ذلك. قالت: فعثمان ثَمَّ ثلاثة أيّام منبوذاً في المزابل وعليّ عليه السلام حاضر؟ قال: نعم. قالت: فقد لزم الخطأ لأحدهما. فقال: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنة الله، وإلاّ فعليه. فقالت: خرجت عائشة إلى حرب عليّ عليه السلام بإذن النبيّ ﷺ أو لا؟ فانقطع ولم يحر جواباً.

حكاية أخرى:

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج[(٦)]: حدّثني يحيى بن سعيد بن عليّ الحنبلي المعروف بابن عالية، قال: كنت حاضراً عند إسماعيل بن عليّ الحنبلي الفقيه - وكان مقدّم الحنابلة ببغداد - إذ

---

(١) بحار الأنوار: ٣٨/٢٦ ـ ٤٠.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٢/٢٩٧.
(٣) نهج الحقّ وكشف الصدق: ١/٢٢٤.
(٤) بحار الأنوار: ٢٣/١٠٤ ـ ١٦٦.
(٥) الصراط المستقيم: ١/٢١٨.
(٦) شرح نهج البلاغة: ٩/٣٠٧ ـ ٣٠٩.

دخل رجل من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة، فانحدر إليه يطالبه فيه، واتّفق أن حضر يوم زيارة الغدير والحنبليّ المذكور بالكوفة، ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جموعٌ عظيمة تتجاوز حدّ الإحصاء.

قال ابن عالية: فجعل الشيخ إسماعيل يسائل ذلك الرجل ما فعلت؟ ما رأيت؟ هل وصل مالك إليك؟ هل بقي منه بقيّة عند غريمك؟ وذلك الرجل يجاوبه، حتى قال له: يا سيّدي لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير، وما يجري عند قبر عليّ بن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشنيعة، وسبّ الصحابة جهاراً من غير مراقبة ولا خيفة.

فقال له إسماعيل: أيّ ذنب لهم! والله ما جرّأهم على ذلك ولا فتح لهم هذا الباب إلاّ صاحب ذلك القبر. فقال ذلك الرجل: ومن هو صاحب القبر؟ قال: عليّ بن أبي طالب. قال: يا سيّدي، هو الذي سنّ لهم ذلك وعلّمهم إيّاه وطرّقهم إليه؟! قال: نعم والله. قال: يا سيّدي، فإن كان محقّاً فما لنا نتولّى فلاناً وفلاناً، وإن كان مبطلاً فما لنا نتولاّه؟! ينبغي أن نبرأ إمّا منه أو منهما.

قال ابن عالية: فقام إسماعيل مسرعاً فلبس نعليه وقال: لعن الله إسماعيل الفاعل ابن الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة، ودخل دار حرمه، وقمنا نحن فانصرفنا.

الرابع: أنّ إيذاءه وغصب حقّه عليه السلام على الوجه الذي يكشف تظلّماته عنه لا ريب في أنّه تخلّف عن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والروايات من الجانبين متواطئة على أنّ المتخلّف عنهم هالك[1]، وأنّهم سفينة النجاة[2]، وسيأتي في بابه نقلاً من كتبهم المعتبرة كالمشكاة وفضائل السمعاني وغيرهما.

٦٨ - وقال العلاّمة قدس سره في كشف الحقّ[3] روى الزمخشري[4] - وكان من أشدّ الناس عناداً لأهل البيت عليهم السلام وهو الثقة المأمون عند الجمهور - بإسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة مهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمّة من ولدها أُمناء ربّي، وحبلٌ ممدودٌ بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا، ومن تخلّف عنهم هوى.

تتميم: ينبغي أن يُعلم أنّ من أقوى الحجج على ضلال خلفائهم الثلاثة إنكار أئمّتنا عليهم السلام لهم، وقولهم فيهم بأنّهم على الباطل، لاعتراف جمهور علماء أهل الخلاف بفضلهم وعلوّ درجتهم، ولو وجدوا سبيلاً إلى القدح فيهم والطعن عليهم لسارعوا إلى ذلك مكافاة لطعن الشيعة في أئمّتهم ولعنهم إيّاهم، وذلك من فضل الله تعالى على أئمّتنا صلوات الله عليهم، حيث أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، حتى إنّ الناصب المعاند اللغوي الشهرستاني قال في مفتتح شرح كتاب كشف الحقّ[5] بعدما بالغ في ذمّ المصنّف قدس الله روحه: ومن الغرائب أنّ ذلك الرجل وأمثاله ينسبون مذهبهم إلى

---

(١) بحار الأنوار: ١٠/١٠١، ١٠٤ و٢٣/١٠٤ ـ ١٦٦، الباب ٧.
(٢) بحار الأنوار: ٧٧/٢٧٦.
(٣) نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٢٧.
(٤) المناقب للزمخشري: ٢١٣، مخطوط.
(٥) حكاه في إحقاق الحقّ: ١/٢٧ ـ ٢٨.

الأئمّة الاثني عشر رضوان الله عليهم أجمعين، وهم صدور إيوان الاصطفاء، وبدور سماء الاجتباء، ومفاتيح أبواب الكرم، ومجاريح هواطل النعم، وليوث غياض البسالة، وغيوث رياض الإيالة، وسُبّاق مضامير السماحة، وخزّان نفوذ الرجاحة، والأعلام الشوامخ في الإرشاد والهداية، والجبال الرواسخ في الفهم والدراية.

ثم ذكر[1] أبياتاً أنشدها في مدحهم، ثم ذكر أنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا يثنون على الصحابة، واستشهد برواية نقلها من كتاب كشف الغمّة، وزعم أنّ الباقر عليه السلام سمى فيها أبا بكر: صدّيقاً[2].

وقال صاحب إحقاق الحقّ رحمه الله تعالى: إنّ الحكاية عن كشف الغمّة افتراء على صاحبه، وليس فيه من الرواية عين ولا أثر[3]..

ثم نقل عن الكتاب المذكور قول الصادق عليه السلام: ولدني أبو بكر مرّتين[4]: وزاد فيه لفظاً: الصدّيق.

ولا يرتاب عاقل في أنّ القول بأنّ أئمّتنا سلام الله عليهم كانوا يرون خلافتهم حقّاً من الخرافات الواهية التي لا يقبلها ولا يصغي إليها من له أدنى حظ من العقل والإنصاف، ولو أمكن القول بذلك لأمكن إنكار جميع المتواترات والضروريات، ولجاز لليهودي أن يدّعي أن عيسى عليه السلام لم يدع النبوّة بل كان يأمر الناس بالتهوّد، وللنصراني أن يقول مثل ذلك في نبيّنا صلى الله عليه وآله، وبعد ثبوت كون أهل البيت عليهم السلام ذاهبين إلى بطلان خلافتهم، وإلى أنّهم كانوا... ثبت بطلان خلافتهم بالإجماع منّا ومن الجمهور؛ إذ لم يقل أحد من الفريقين بضلال أهل البيت عليهم السلام سيّما في مسألة الإمامة، وإذا ثبت بطلانهم ثبت خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بالإجماع أيضاً منّا ومنهم، بل باتّفاق جميع المسلمين.

وأمّا ما حكي من القول بخلافة العبّاس فقد صرّح جماعة من أهل السير بأنّه ممّا وضعه الجاحظ تقرّباً إلى العباسيّين ولم يقل به أحد قبل زمانهم، ومع ذلك فقد انقرض القائلون به ولم يبقَ منهم أحد، فتحقّق الإجماع على ما ادّعيناه بعدهم.

ويدلّ على بطلانه أيضاً ما وعده الله على لسان رسوله صلى الله عليه وآله من بقاء الحقّ إلى يوم الدين[5]، كما هو المسلّم بيننا وبين المخالفين.

***

---

(١) إحقاق الحقّ: ١/٢٧ ـ ٢٩ عن شرح كتاب كشف الحق.

(٢) كشف الغمّة: ٢/ ٣٦٠، عن ابن الجوزي، والرواية عامية قاصرة سنداً ودلالة وإسناداً.

(٣) إحقاق الحقّ: ١/ ٦٤. (٤) كشف الغمّة: ٢/ ٣٧٨.

(٥) في قوله عزّ اسمه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، الحجر: ٩.

المحتويات